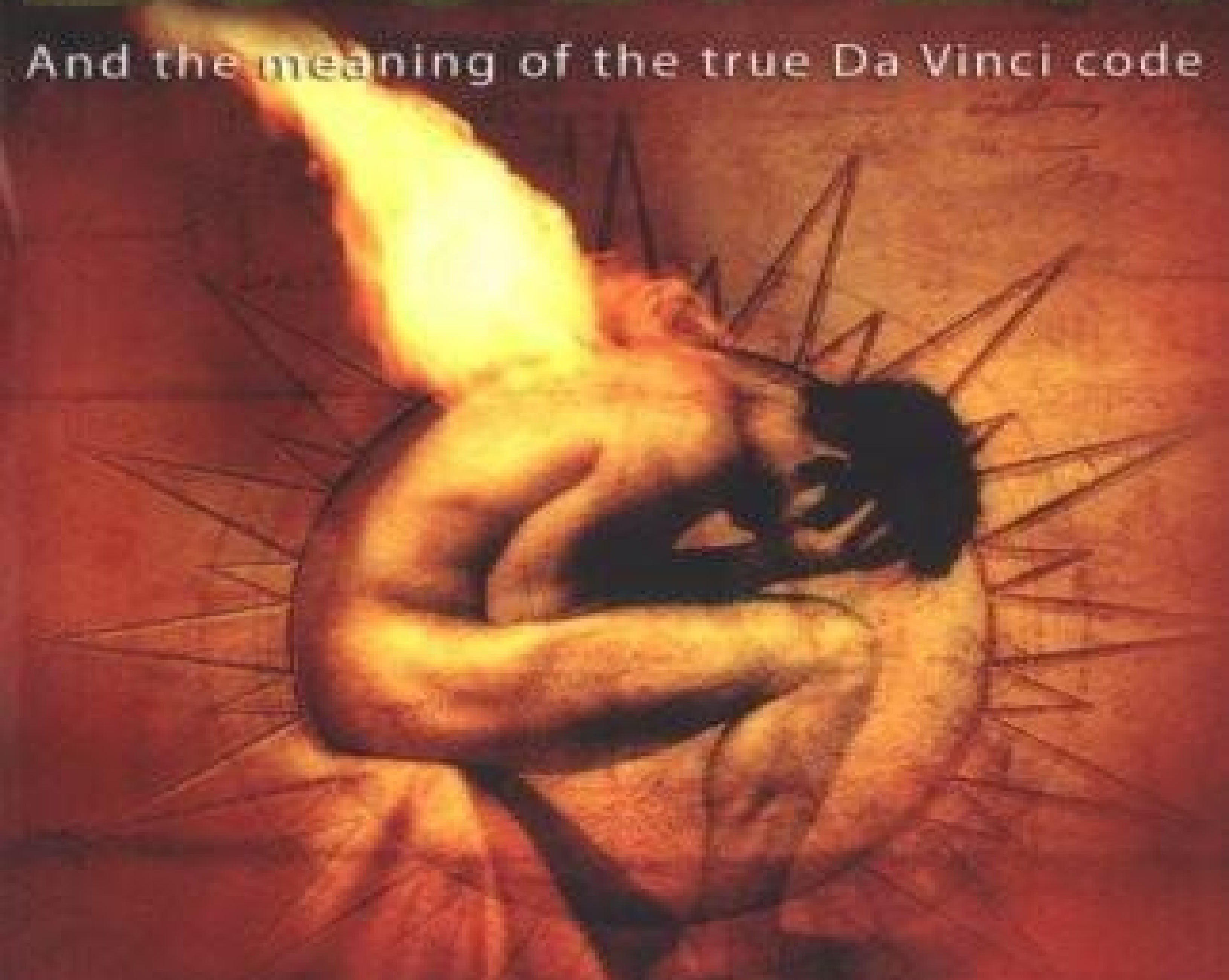
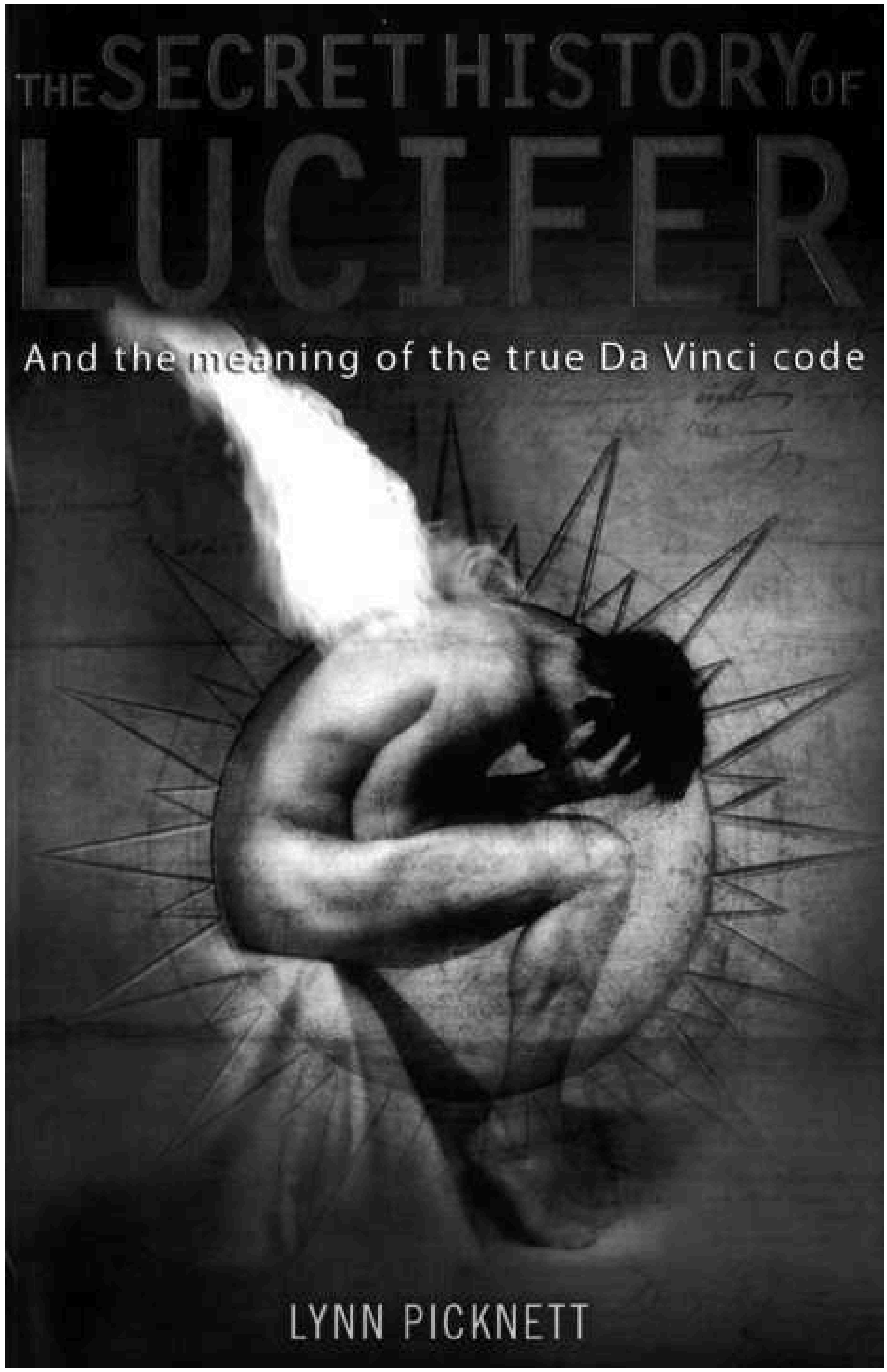
THE SECRET HISTORY OF LUCIFER

And the meaning of the true Da Vinci code



LYNN PICKNETT


THE SECRET HISTORY OF
LUCIFER
And the meaning of the true Da Vinci code
LYNN PICKNETT

التاريخ السري لـ لوسيفر

من تأليف نفس المؤلف

مريم المجدلية: إلهة المسيحية الخفية موسوعة الخوارق (محرر)

كتاب الماموث للأجسام الطائرة المجهولة
مع كلايف برينس

كفن تورينو: في صورة من؟

كشف فرسان الهيكل: حراس سريون للهوية الحقيقية للمسيح مؤامرة بوابة النجوم

مع كلايف برينس وستيفن بريور

(بحث تاريخي إضافي من قبل روبرت برايدون) المعايير
المزدوجة: حرب رودولف هيس للتغطية على وندسور

نيران صديقة: الحرب السرية بين الحلفاء

التاريخ

السري لـ لوسيفر

المسار القديم إلى المعرفة وشيفرة دافنشي الحقيقية

لين بيكنيت

ناشرو كارول وغراف

نيويورك

كارول وغراف للنشر

علامة تجارية من مجموعة رومان وليتلفيلد للنشر

W. 17th 245
Street llth
Floor New
York

NY 10011-5300

www.carro11andgraf.com

نشر لأول مرة في المملكة المتحدة من قبل روبنسون،

علامة تجارية كونستابل وروبنسون ليمتد، 2005

نشرت هذه الطبعة في غلاف ورقي في المملكة المتحدة من قبل روبنسون، علامة تجارية كونستابل و روبنسون المحدودة، 2005

الطبعة الأولى من كارول وغراف كلوث **2005**

الطبعة الأولى من مجلة Carroll & Graf التجارية ذات

الغلاف الورقي عام 2006، حقوق الطبع والنشر محفوظة

ISBN 10: 0—7867—1761—0

ISBN 13: 978 - D -78671-761-3

مطبوعة وملزمة في الاتحاد الأوروبي

لديبي بنستيد، مع حبي هل هناك بوابة عاشرة ؟ هل وصلنا بعد؟

المحتويات

رسوم توضيحية

سقوط الإنسان، 1549 (الزيت على اللوحة) من قبل كراناش، لوكاس الأصغر (1515-1586)،

© متحف الفنون الجميلة، هيوستن، تكساس، الولايات المتحدة الأمريكية، مجموعة إديث أ. وبيرسي س. شتراوس

مجاملة من مكتبة بريدجمان للفنون

يوم سعيد أو رقصة البيون، حوالي 1794 (نقش مع w/c) بقلم بليك، ويليام (1757-1827)، المتحف البريطاني، لندن، المملكة المتحدة

مجاملة من مكتبة بريدجمان للفنون مجموعة الإله

المصري

تمثال للإله حورس يقدم قربانًا من الشراب، الفترة الانتقالية الثالثة حوالي 750 قبل الميلاد (برونز)، متحف اللوفر، باريس، فرنسا

مجاملة من مكتبة بريدجمان للفنون ديانا لوسيفيرا

(لوسينا)

تمثال روماني متأخر، تحمل الشعلة التي ترمز إلى القيامة الروحية والتنوير

بان، حوالي عام 1880 (برونز على قاعدة حجرية) من تصميم ثابارد، أدولف مارتيال (1831-1905)، مجموعة خاصة/فن أجرا، وارسو، بولندا

مجاملة من مكتبة بريدجمان للفنون سلبية من كفن

تورينو

صورة أجيميان عام 1935 مأخوذة من قماش

ليوناردو دافنشي (1452-1519) من نقش المدرسة الإنجليزية (القرن التاسع عشر)، مجموعة خاصة/كين ويلش

مجاملة من مكتبة بريدجمان للفنون

العذراء والطفل مع القديسة آن ويوحنا المعمدان، حوالي عام 1499 (فحم، طباشير على ورق) للفنان

فينشي، ليوناردو دا فينشي (1452-1519)، المعرض الوطني، لندن، المملكة المتحدة

مجاملة من مكتبة بريدجمان للفنون

مريم المجدلية، 1877 (زيت على قماش) بريشة روسيتي، دانتي تشارلز غابرييل (1828-1882)، © متحف ديلاوير للفنون، ويلمنجتون، الولايات المتحدة الأمريكية/نصب صامويل وماري ر. بانكروفت التذكاري

مجاملة من مكتبة بريدجمان للفنون

سبت الساحرات أو الماعز العظيم (إحدى "اللوحات السوداء")، حوالي 1821-1823 (زيت على قماش) بريشة غويا إي لوسينتس، فرانسيسكو خوسيه دي (1746-1828)، برادو، مدريد، إسبانيا/جيرودون

مجاملة من مكتبة بريدجمان للفنون

ثلاث ساحرات أحرقن أحياء، رسم توضيحي للكتيب (نقش خشبي) من تصميم المدرسة الألمانية (القرن السادس عشر)، مجموعة خاصة/مجموعة ستابلتون

مجاملة من مكتبة بريدجمان للفنون

إدوارد كيلي (مواليد 1555)، ساحر، وشريكه عالم الرياضيات والمنجم، جون دي (1527-1608)، يربيان شبحًا، مجموعة خاصة

مجاملة من مكتبة بريدجمان للفنون

السير اسحق نيوتن

مجهول، بيتوورث هاوس، غرب ساسكس، المملكة المتحدة

مجاملة من مكتبة بريدجمان للفنون

مقدمة

الجميع يعرف ما هو الشر. يحمل الجميع صورًا أيقونية في رؤوسهم ترمز إلى رعب الشر الحقيقي: الدخان واللهب المتدفق من البرجين التوأمين في 11 سبتمبر الذي أوقف العالم في مساراته ؛ أكوام من الجثث الهزيلة في معسكرات الموت النازية ؛ الآلاف من الجماجم المبتسمة في حقول قتل بول بوت ؛ فتاة صغيرة عارية تصرخ نحو الكاميرا، مغطاة بالنابالم ... الرعب والعذاب والحرب والموت عند الموت. على الرغم من فعل البشرية بالكامل، إلا أننا نستخدم كلمات مثل "شيطاني (سيتاني)" لوصف أفعال الفظائع التاريخية هذه، واستحضار اسم العدو القديم، سيتن، وتجسيد كل ما هو فظيع ومثير للاشمئزاز ولا يمكن تصديقه. قد يوجد الشيطان أو لا يوجد ككيان حرفي، لكنه استعارة قوية لأسوأ الأسوأ. ومع ذلك، فإن هذا الكتاب سيغني مدح استعارة أخرى قوية للغاية - لوسيفر - الذي ليس بالتأكيد الشرير، ولكن روح التقدم البشري، والكفاح من أجل التعلم والنمو، ليكون مستقلاً وفخورًا، ولكن أيضًا حر روحياً.

"لوسيفر" يعني ببساطة "حامل النور"، المستنير، وبهذه الروح سوف يدرس هذا الكتاب الطريقة التي شكل بها الإيمان بالقيم التي يمثلها عالمنا، العالم اليهودي المسيحي.

كما كتب عالم السحر والحكيم الفرنسي العظيم إيليفاس ليفي في القرن التاسع عشر: "ما هو أكثر عبثية وأكثر كفراً من أن ننسب اسم لوسيفر إلى الشيطان، أي إلى الشر المتجسد. "إن لوسيفر العقلاني هو روح الذكاء والحب؛ إنه المعزي، إنه الروح القدس، في حين أن لوسيفر الجسدي هو العامل العظيم للمغناطيسية العالمية."

في الماضي البائس، أيام حرق الساحرات والتعصب الجماعي، كانت الحريات التي يمكن التعرف عليها قليلة. واليوم، عندما نحاول فرض الديمقراطية على الثقافات الشرقية، يبدو الأمر وكأننا نتمتع بكل الحرية التي نريدها أو نحتاجها. ليس الأمر كذلك: إن الفاشية الخبيثة المتمثلة في الصوابية السياسية ــ مع دلالاتها الأورويلية المرعبة ــ والتهديد المتزايد الذي تشكله الأصولية من كل الأنواع يعني أن حرياتنا اليومية أصبحت في خطر. على جانبي المحيط الأطلسي، يتم إخفاء الشخصية المشعة للوسيفر الحقيقي بسبب البيروقراطية، ولكن نادرًا ما كنا في حاجة إليه أكثر من أي وقت مضى. مع انهيار النظام التعليمي،

ينتشر الجهل والعدمية وانعدام احترام الذات، مما يتحول إلى الغضب والعنف والجريمة من جهة، والمعتقدات الدينية الجامدة بشكل خطير من جهة أخرى. كلاهما يمثل شكله الخاص من الشر، وكلاهما يهدد مستقبل ثقافتنا - ولكن إذا سمحنا لأنفسنا بأن نكون هادئين وصادقين وموضوعيين لبضع لحظات فقط، فسوف نكون قادرين على سماع صوتهم المزعج. دع النور يشرق!

تكملة غير متوقعة

عندما بدأت في كتابة هذا الكتاب، لم يكن لدي أدنى فكرة عن مدى نجاحه في متابعة عملي السابق، مريم المجدلية: إلهة المسيحية الخفية (2003)، والذي بحث في الدور الحقيقي لواحدة من آلهة المسيحية الخفية. لمدة ألفي عام، تعمدت الكنيسة إخفاء الحقيقة عنها، خوفًا من أن مكانتها قد تلهم نساء أخريات لتحقيق مصائرهن كقائدات روحيات ذكيات. وفي ضوء كل هذه الأدلة، فمن غير المعقول أن يكون هناك نقاش حاد بين رجال الكنيسة حول صحة تعيين الكهنة الإناث - أو إذا

ما استمر هذا الوضع، تعيين الأساقفة الإناث. ومع ذلك، إذا كانت الحقيقة حول مريم المجدلية معروفة على نطاق واسع، فلن يكون هناك أي جدال: لقد وضعت نموذجًا للنساء ليكونن مساويات للرجال في المناظرات الدينية والقيادة - وفي ذلك، كانت اختيار يسوع. ومن المهم للغاية أنها كانت معروفة بين أتباعها في جنوب فرنسا باسم "ماري لوسيفر" - "ماري حاملة النور".

كان هذا تقليدًا عريقًا: فقد عُرفت الإلهات الوثنية، على سبيل المثال، باسم "ديانا لوسيفر" أو "إيزيس لوسيفر" للدلالة على قدرتهن على تنوير العقل والروح، وخلق رابطة صوفية بين الإله والعابد، وفتح كل من الجسد والنفسية للنور المقدس. وبطبيعة الحال، لا يزال الجهلاء يرفضون بشكل روتيني جميع الآلهة والإلهات الوثنية باعتبارها شيطانية، تماماً كما أصبح إله الطبيعة العظيم بان نفسه صورة الشيطان - بقرونه وحوافره - عندما جاء المسيحيون ليحكموا العالم المعروف بقضيب من حديد. ومع ذلك، هناك أدلة تشير بقوة إلى أن المجدلية وحتى يسوع نفسه كانا متأثرين بشدة بطوائف الإلهة الوثنية، وخاصة طائفة إيزيس المصرية (التي انبثق منها يوحنا المعمدان).

بالطبع، قرأ الملايين في جميع أنحاء العالم الآن عن مؤامرة الكنيسة لخداعنا جميعًا وسرقة ميراثنا الروحي الحقيقي من خلال المجدلية، من ظاهرة نشر دان براون، شيفرة دافنشي. حتى الآن، كان هناك الكثير من الظلام في عالم الروح لفترة طويلة جدًا، وسواء تم تقديمه ككتاب أكاديمي جديد بالاهتمام أو كتاب مثير للاهتمام، فإن السماح بدخول القليل من الضوء لا يمكن إلا أن يغير ثقافتنا للأفضل. لكن الحقيقة هي أن روايته لا تذهب إلى حد كافٍ. إن شفرة دافنشي الحقيقية أكثر إثارة للصدمة من مجرد الإشارة إلى أن مريم ويسوع كانا زوجًا وزوجة ولديهما أطفال.

في عام 1997 تم نشر كتابي "كشف فرسان الهيكل: الحراس السريون للهوية الحقيقية للمسيح"، والذي شاركت في تأليفه مع أقرب صديق لي وزميلي منذ فترة طويلة كلايف برينس، والذي قدم لأول مرة فكرة الرمزية الهرطقية في ما يسمى باللوحات "الدينية" للعبقري العظيم في عصر النهضة، في فصل بعنوان "الشيفرة السرية لليوناردو دافنشي". ورغم أن هذا كان يهدف إلى توفير الخلفية لفيلم الإثارة الذي كتبه دان براون، إلا أنه لم يتطرق إلا إلى سطح ما كان ليوناردو يحاول نقله حقاً...

كان ليوناردو (كما يجب أن يُعرف "دافنشي") هو البطل الوسيفيري المطلق: جريء، ومثير للصدمة، ومثير للتحدي، ويبحث بلا نهاية دون الاعتراف بأي حدود، ويدفع دائمًا حدود المعرفة الإنسانية إلى الوراء. اشتهر بأنه مخترع الطائرات والدبابات العسكرية، كما اخترع كل أنواع الأجهزة مثل ماكينة الخياطة، والدراجة (مع سلسلة وعجلات بنفس الحجم) - وحتى أنه ابتكر شكلاً بدائيًا ولكنه فعال للتصوير الفوتوغرافي والذي من خلاله خلق على الأرجح أشهر خدعة محيرة في العالم، وهي كفن تورينو، كما هو مفصل في كتابنا كفن تورينو: كيف خدع ليوناردو دافنشي التاريخ. حتى أن الصورة "المقدسة" تحمل وجهه عليها. وبعبارة أخرى، وبشكل لا يصدق، بدلاً من صورة معجزية ليسوع المسيح، لدينا صورة عمرها 500 عام لليوناردو دافنشي، وهو زنديق مثلي الجنس من القرن الخامس عشر كان يكره يسوع والعذراء.

كانت الكنيسة تكن كراهية خاصة لأولئك - وكان هناك الكثيرون - الذين تلاعبوا بما نسميه المراحل المبكرة من التصوير الفوتوغرافي، لذلك كانت مزحة شريرة بشكل خاص والتي ربما خلق بها ليوناردو الآثار المسيحية العظيمة، مع علمه بأنها سوف تحظى برعاية كهنة الكنيسة ذاتها التي كان يحتقرها، ربما حتى اليوم الذي سيتم فيه التعرف عليها على حقيقتها. ولكن لا تخطئ، كان يُعتقد في وقت ما أن التصوير الفوتوغرافي "غامض"، وليس هناك سبب للشك في أن ليوناردو كان يعتقد بالفعل أنه كان متورطًا في عملية سحرية عندما ابتكر "الكفن". لو قبض عليه وهو يعمل مع التصوير "الشيطاني"، كان يعلم أن مكانه فوق نار مشتعلة سيكون مضمونًا.

(بالنسبة لأولئك الذين قد يكونون حريصين على إعلان أن الكفن هو في الحقيقة الكفن المطبوع بأعجوبة ليسوع، اسمحوا لي أن ألفت انتباهكم إلى بعض الشذوذ الصارخ في الصورة - انظر الصفحة 179 - والتي تثبت بشكل قاطع ليس فقط أنها مزيفة، بل وأيضًا أنها صورة مسقطة. (يمكن العثور على مزيد من التفاصيل في كتابنا الأول، كفن تورينو: كيف خدع ليوناردو دافنشي التاريخ، 2000).

وبطبيعة الحال، وكما كشفنا أنا وكلايف في كتاب "كشف فرسان الهيكل"، فإن نظريتنا هي أن ليوناردو وضع مريم المجدلية بجوار يسوع في عشاءه الأخير، مشكلاً شكل حرف M عملاقًا متباعدًا، وكان تكوين جسديهما بمثابة الدليل. كان ليوناردو عالم نفس لامع، وكان يعلم أن الناس لا يرون إلا ما يتوقعونه أو يريدون رؤيته. بخلاف ما يقوله عقلي، باعتباري الشخص الأول (على حد علمي) الذي لاحظ القضيب العملاق على رأس مريم في عذراء الصخور هو أمر مفتوح للتساؤل ...

لم يكن ليوناردو دافنشي بأي حال من الأحوال هو الضوء الساطع الوحيد للوسيفيرانية الفكرية والروحية عبر التاريخ، والتي شملت الخيميائيين السريين مثل منجم الملكة إليزابيث الأولى جون دي - الذي كان بمثابة سيد جواسيسها الذي اتخذ الاسم الرمزي 007! - وعلماء رائدون بارزون مثل السير إسحاق نيوتن وأندرو كروس. كما أن الماسونيين، العمود الفقري للتقدم البريطاني والأمريكي، لا يزالون متهمين بشكل روتيني بعبادة لوسيفر الشيطاني...

ومع ذلك، نظرًا لافتراض أن لوسيفر والشيطان هما نفس الشيء بشكل خاطئ للغاية، فإن هذا الكتاب سوف يدرس أيضًا أولئك الذين اختاروا أن يكونوا شيطانيين أو أولئك الذين جلبتهم عملياتهم السحرية بشكل خطير إلى ما يقرب من عبور الخط إلى عالم أكثر ظلامًا وكآبة. ولكن لا شيء يمكن أن يكون أكثر قتامة أو أشد كآبة من نتيجة الاعتقاد بوجود عبدة الشيطان. لمدة ثلاثة قرون على الأقل، عانت أوروبا (وأجزاء من أمريكا الشمالية بعد ذلك) من جنون إدانة أكثر الكائنات براءة باعتبارهم سحرة، مما أدى إلى تدمير مجتمعات بأكملها، عندما كانت جدران منازل القرى مغطاة بالدهون البشرية ذات الرائحة الكريهة من عمليات الحرق المروعة التي لا نهاية لها على ما يبدو - حتى الأطفال الصغار. (في إحدى المرات، وُلِد طفل بالفعل لامرأة تصرخ من الألم بين النيران. تمكنت بطريقة ما من رميه لينجو. (أعاد ألقاه الحشد في النار، وكأنه شيطان

من الشيطان.) إن الإيمان بالشيطان وأتباعه قد تسبب في المزيد من الألم والرعب والشر في العالم أكثر من أي شيطانية حقيقية.

لقد كان هذا جنونًا لا ينبغي أن يُنسى أبدًا، لأنه مثل كل الفظائع التاريخية، فإنه يحمل درسًا فريدًا للمستقبل، إذا كنا على استعداد لمواجهته والتعلم منه. لم يكن هذا مجرد زلة غامضة مثيرة للاهتمام في التاريخ الأوروبي ينبغي حصرها في الكتب المدرسية الجافة كالغبار ـ بل كان الأمر يتعلق بتشويه سمعة الرجال والنساء العاديين مثلك ومثلي، من قبل رجال ونساء عاديين مثلك ومثلي.

ورغم أن عدداً قليلاً من بين مئات الآلاف من الساحرات اللاتي وقعن في هذا المكروه كن من عبدة الشيطان الحقيقيين، فإن معظم متهميهن يمكن أن يقال عنهم أنهم شياطين متجسدة. وسرعان ما أصبح مجرد التشكيك في وجود السحر جريمة تستوجب العقاب. وهذا هو ثمن هذا النوع من الأصولية. لكي لا ننسى.

من آثام المؤامرة الكنسية الكبرى للتغطية على الحقيقة حول مريم المجدلية وأسلافها "اللوسيفريين"، والكهنة والكاهنات الذين يعبدون الآلهة، إلى الشجاعة المذهلة والعظمة الفكرية للمفكرين الأحرار مثل ليوناردو دافنشي وإخوته، نصل إلى اليوم، محاطين ومهددين بالرقابة والصوابية السياسية وما هو أسوأ. ولكن من المفارقات أن رحلتنا إلى ظلمة وقلق الغرب الشديد في القرن الحادي والعشرين تبدأ بالأسطورة الخبيثة التي تتحدث عن أول إنسان وثعبان يتكلم...

لين بيكنيت

لندن، 2005.

عاش لوسيفر - ولكن الشيطان إلى الجحيم!

الجزء الأول

ولادة نجم

الفصل الأول

سيتن: تاريخ غير طبيعي

كل الثقافات لديها أساطيرها الخاصة بالخلق ـ اعتقد المصريون القدماء أن الإله أتوم، إله القرص الشمسي والشمس نفسها، مارس العادة السرية، فانفجرت دفعة من الطاقة المولدة للحياة والتي زرعت الفراغ المظلم غير المشكل بعدد لا يحصى من المجرات. في أرض الأهرامات لم يكن هناك أي خطأ في مفهوم أن "إساءة معاملة الذات" هي التي خلقت الكون، على الرغم من أن علماء الآثار في العصر الفيكتوري أصيبوا بصدمة شديدة بعد آلاف السنين من دمج المصريين القدماء بين الجنس والألوهية.

في أول عمل من أعمال الخلق، كان يُنظر إلى أتوم على أنه شخصية خنثى، حيث كانت اليد التي صنعت العالم هي الجانب الأنثوي، في حين كان قضيبه يمثل المبدأ الذكوري المتساوي والمعاكس. كما كتب الباحث الأمريكي البارز البروفيسور كارل لوكرت: "يمكن تصور النظام بأكمله على أنه تدفق للحيوية الإبداعية، ينبعث من الخارج من الألوهية، ويتناقص مع تدفقه أكثر فأكثر". ومع ذلك،

فإن هذه الحكاية التي تبدو بدائية ـ وإن كانت صريحة إلى حد ما ـ تشتمل في الواقع على فهم متطور للغاية لعلم الكونيات، كما أشرنا أنا وكلايف برينس في كتابنا "مؤامرة بوابة النجوم" (1999):

وهو يصف حرفيًا "الانفجار الكبير"، حيث تنفجر كل المادة من نقطة تفرد ثم تتوسع وتتكشف، وتصبح أكثر تعقيدًا مع ظهور القوى الأساسية وتفاعلها، لتصل أخيرًا إلى مستوى المادة الأولية.

لسوء الحظ فإن أسطورة الخلق في ثقافتنا لا تفتخر بالانفجار الكبير المثير، ولا يوجد كون نشأ دون خجل، وحتى بفخر، من القضيب الذكري المتفجر للإله الخالق العظيم.

إن ما لدينا بدلاً من ذلك هو قصة خلق الله في ستة أيام تليها أسطورة آدم وحواء ـ وهي في الأساس عكس الأسطورة المصرية في موقفها الخفي المليء بالذنب تجاه العري وتأكيدها على الخطيئة الجنسية ومسؤولية الأنثى والعقاب الإلهي من إله غاضب ومستبد وحقير بشكل مرضي. وعلى الرغم من آلاف السنين من الوعظ والنقاش اللاهوتي ــ حيث تم إخضاع شرور يهوه وعجزه الشديد للحد من الضرر الذي تسببه الفلسفة من قبل عقول أعظم بكثير من عقوله، على ما يبدو ــ فإن القصة كما رواها الكتاب الأول من العهد القديم، سفر التكوين، نجحت في إلهام المزيد من الشر والعصاب أكثر مما كان ستالين وفرويد ليحلما به بينهما.

في التقاليد اليهودية المسيحية، من المفترض أن جميع المشاكل الإنسانية نشأت في جنة عدن، الجنة الأرضية السعيدة التي خلقها الله لتوفير الفرح البريء وغير المخفف للمخلوقين اللذين خلقهما على صورته ـ الإنسان النموذجي آدم ورفيقته المتمردة، أول امرأة، حواء. ومن الواضح أن الله لم يكن راغباً في بذل الكثير من الجهد، فقام بخلق أم العالم من أحد ضلوع آدم، على الرغم من أن هذا الجانب من القصة هو في الواقع

تحريف لأسطورة إلهة سومرية، والتي، على نحو أكثر قابلية للفهم، خلقت الأطفال من ضلوع أمهم في دورها "كسيدة الضلع وسيدة الحياة".

لسوء الحظ، كان أحد المخلوقات الأخرى في الحديقة على وشك أن يصبح حميميًا للغاية، حيث انزلق نحوهم بعبئه المرعب على البشرية جمعاء ... ...

داخل الجنة

في حين أن كلمة "عدن" نفسها قد تكون مشتقة من الكلمة السومرية "edinu"، والتي تعني ببساطة "سهل"، فإن المصطلح المستخدم في سفر التكوين لـ "الفردوس" هو مزيج من العديد من الكلمات الشرق أوسطية، بما في ذلك الكلمة الفارسية القديمة "paradeida"، والتي قد تعني "حديقة ملكية" أو

"حديقة مغلقة"، مما يدل على الشعور بالحصرية، وحتى الفخامة. في الواقع، كان المصطلح اليوناني "paradeisos" يستخدم في كثير من الأحيان من قبل كتاب مثل زينوفون لوصف الحدائق المسورة الخصبة التي كان يمتلكها الملوك الأثرياء مثل الملك كورش، الذي كان موضع حسد في جميع أنحاء الشرق الأدنى بسبب ثرائه. ولعل الاعتقاد القديم في بلاد ما بين النهرين حول "الملك كبستاني" كان أساس صورة عدن،5 حيث خلق الله نفسه الحديقة، وآدم - شخصية الملك البشري الحقيقي قبل السقوط - يحافظ عليها. (وقد يكون من المهم أن نعرف أن كهنة العديد من الديانات القديمة في البحر الأبيض المتوسط، مثل كهنة طائفة أوزوريس المصرية، كانوا معروفين باسم "البستانيين" وأن مريم المجدلية، التي زعمت في مكان آخر أنها كانت كاهنة في ديانة تعبد الآلهة، كانت تعتقد أن يسوع القائم كان "بستانيًا").

ربما يشير مصطلح "عدن" إلى المنطقة الأوسع التي كان يُعتقد أن الحديقة الأولى تقع فيها، والتي تم وصفها في العهد القديم بشكل مختلف باسم "حديقة الرب" أو "حديقة الله"،8 وهو مكان أخضر سرعان ما أصبح مرادفًا للسلام والهدوء، وفوق كل شيء، البراءة. أعطت أربعة أنهار الحديقة خصوبتها الوفيرة، مما وفر الغذاء الوفير للحياة النباتية والحيوانية المتنوعة، مما ألهم أجيالاً من الفنانين والكتاب المسيحيين.

لقد حاول العديد من المؤرخين اليهود والمسيحيين الأوائل القيام بمهمة عقيمة تتمثل في محاولة تحديد موقع الأنهار الأربعة في الجنة. وقد أطلق الكتاب المقدس على هذه الأنهار اسم الفرات ودجلة ــ وكلاهما من السمات الحقيقية والمهمة للشرق الأدنى ــ إلى جانب جيحون وبيسون الأسطوريين على ما يبدو، على الرغم من أن المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس في القرن الأول كان يعتقد أن أحد هذين النهرين الأخيرين كان في الواقع النيل، مما يضع عدن في شمال أفريقيا. في الواقع، وضع بعض آباء الكنيسة الأوائل والكتاب الكلاسيكيين المتأخرين عدن في إثيوبيا أو منغوليا أو حتى الهند. وقد حدد آخرون مكان الجنة الأرضية في شرق تركيا، حيث يخدمها نهر الفرات ودجلة ونهر مراد، حيث يوفر الفرع الشمالي لنهر الفرات هوية النهر الرابع الغامض.

كان العديد من علماء الآثار واللاهوتيين يعتقدون منذ فترة طويلة أن الجنة كانت تقع في سومر، المنطقة القديمة التي تبعد حوالي 125 ميلاً (200 كيلومتر) خلف الطرف الشمالي للخليج العربي، ولكن في ثمانينيات القرن العشرين، زعم الدكتور جوريس زارين أن الجنة الأصلية قد غرقت تحت الأمواج حيث ارتفعت مياه الخليج بشكل كبير منذ الوقت الموصوف في سفر التكوين. واقترح زارين أيضًا أن "جيحون"

هو الآن نهر الكارون، الذي ينبع في إيران، ويتدفق باتجاه الجنوب الغربي إلى الخليج الفارسي. إنها مفارقة رائعة ـ فالعراق اليوم ليس جنة لأحد!

ولكن لا يهم أين كانت عدن ـ على افتراض أن قراءة العهد القديم حرفياً هي ممارسة صحيحة ـ لأن أهميتها، مثل الكأس المقدس، أقوى كثيراً إذا نظرنا إليه بأعين القلب، وليس بأعين العقل. ربما كانت عدن تتمتع بالواقع الجغرافي مثل نيويورك أو مدريد (أو عدم الواقعية النسبية في لاس فيجاس أو بلاكبول)، ولكن خرائطها هي في الحقيقة كنوز للعقل، مثل شانغريلا أو أطلانطس. على أية حال، فإن عدن تمثل العصر الذهبي، عندما كانت الطبيعة في سلام مع نفسها وكان البشر

"يسيرون مع الله". ولكن لسوء الحظ، فإن فقدان الجنة، حتى كمفهوم أسطوري، أثبت أنه أكثر صدمة للجنس البشري من أي شوق مرير إلى ملذات كاميلوت.

تظل كلمة "عدن" مرادفة للموقع المثالي الذي لم يمسسه أحد وذو الجمال الذي لا يوصف. عندما أراد تشارلز ديكنز أن يسلط الضوء على الدناءة الحقيقية لمؤامرة فردوسية مزعومة حول مستنقع أمريكي في روايته "مارتن تشوزلويت"،9 أطلق عليها ببساطة اسم "عدن" بسخرية مميزة. من المؤكد أنها واحدة من الأسماء القليلة التي يمكن التعرف عليها فورًا من الأساطير القديمة التي لا تزال معروفة اليوم كما كانت منذ آلاف السنين.

لعنة الحياة

لقد أصبحت قصة طرد الإنسان المفاجئ من عدن ـ سواء كانت خيالاً أو استعارة أو حقيقة حرفية ـ محفورة بعمق في اللاوعي الجماعي بحيث لا يمكن تجاهلها، لأنها رسخت المواقف اليهودية المسيحية تجاه الرجال والنساء والخطيئة الأصلية (وبالتالي الأطفال) والخالق ومعارضيه، لوسيفر / الشيطان / إبليس. لقد غرست هذه الأسطورة القوية فينا جميعاً على مستوى ما من الإدراك اعتقاداً بأن الحياة لعنة، وأن الموت هو النهاية ـ انهيار ظهرنا إلى غباره المكون، لا أكثر ـ وأن النساء بطبيعتهن على علاقة حميمة بالشر، وأن الرجال لديهم حرية مطلقة في التصرف كما يحلو لهم ليس فقط مع جميع الحيوانات في العالم ولكن أيضاً مع نسائهم، وأن الله، قبل كل شيء، هو الذي يجب أن نخاف منه. وتخرج الثعابين من ذلك بشكل سيئ أيضًا، باعتبارها تجسيدًا للشر، والوسيلة التي يغري بها الشيطان البشر البائسين. من ناحية أخرى، فإن الشيطان هو الكائن الوحيد في الحكاية الذي يُظهر بعض الذكاء، وربما حتى الفكاهة، من خلال اتخاذ شكل رمز ذكوري متعرج، ساحر على الأرجح، لإغراء امرأة.

وبما أن اليهودية والمسيحية تعتمدان بشكل وثيق على المقدمات الأساسية لسفر التكوين، فإن هذه الجنة المفقودة للروح يتم استحضارها عدة مرات في كل من العهدين القديم والجديد. لقد وعد يسوع المصلوب اللص المعلق على الصليب بجانبه قائلاً: " إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ."، على الرغم من أنه من غير الواضح كيف فسر المستمعون هذا المصطلح. هل اعتبروها مرادفة لـ "الجنة"، وهي حالة من النعيم التي يجب أن تبقى مجهولة بالنسبة للأحياء (وتظل إلى الأبد غير معروفة للأشرار)؟ أم أنها شملت بطريقة ما الفكرة القديمة للحديقة المورقة؟

وتتكرر صور الحديقة باعتبارها الفردوس في جميع أنحاء العهد القديم، حيث اتخذت شكلاً حسياً للغاية في قصيدة الحب، نشيد الأنشاد ـ التي يُعتقد أنها المديح الشهواني لملكة سبأ من قبل حبيبها الملك سليمان ـ في عبارات قوية مثل "سريرنا أخضر"؛12 "أنت حديقة مغلقة يا أختي عروستي"، و"أنت نبع حديقة/بئر مياه

جارية تنحدر من لبنان".14

(لا تزال هذه الآيات الجنسية الصارخة تُفسَّر على نطاق واسع من قبل مرتادي الكنيسة واللاهوتيين المعاصرين على أنها "رمزية للدراما المسيحية العظيمة للخطيئة والفداء، مؤكدة محبة المسيح لكل من الروح الفردية وكنيسته"،15 وهو أمر رائع حقًا، لأنها تم تأليفها قبل قرون من ولادة يسوع. ولكن ليس هذا فحسب، بل إن الفجور الناضج الذي يستحضر في الأذهان صوراً حية ومزعجة أحياناً لنشاط سليمان وسبأ الرومانسي في غرفتهما الخاصة، يبدو وكأنه عالم بعيد عن الحب الصارم الذي تتسم به الكنيسة المسيحية. ومع ذلك، كما سنرى، فإن نشيد الأناشيد يلقي بعض الضوء على سر مسيحي عظيم، ولكنه ليس من النوع الذي يمكن أن يظهر في أي عظة.)

كما هو الحال في كل الأعمال الدرامية الرائعة، فإن الانسجام المبكر لابد وأن يكون محكوما عليه بالفشل ـ وإلا فلن تكون هناك قصة حقيقية على الإطلاق ـ وبالتالي فإن السيناريو الموصوف في بداية سفر التكوين لن يدوم طويلا: ففي نهاية المطاف، لا توجد حالة من عدم الاستقرار الأرضي. كان من المفترض أن يتجه كل شيء نحو الانحدار بعد الخلق.

الفاكهة المحرمة

كان آدم وحواء، وهما من العراة الأصليين، يمرحان بين الحيوانات اللطيفة، وكان أحدها قد طور بالفعل موهبة رائعة. كان هذا ثعبانًا ناطقًا، ويبدو أن قدرته كانت مفاجئة لخالقه، على الرغم من أن هذه ليست المرة الأخيرة التي تفاجئ فيها إبداعاته يهوه على حين غرة.

وبعد أن خلق آدم وحواء "على صورته"، أمرهما ألا يلمسا ثمرة "شجرة معرفة الخير والشر" في وسط الحديقة، وإلا تعرضا للموت - وهو ما يفترض أنه عقاب شديد. ولكن الثعبان الثرثار انزلق على الفور، وانتهز الفرصة ليهمس بلسانه المتشعب المتذبذب لحواء: "هل قال الله حقًا: لا تأكلا من أي شجرة في الحديقة؟"

عندما كررت حواء بإخلاص نهى الله عن "الثمر من الشجرة التي في وسط الحديقة"، أجابها الثعبان "لن تموتا بالتأكيد ..." "لأن الله يعلم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر" [تأكيدي]. في حين يبدو أن البشر منجذبون في المقام الأول إلى لذة الفاكهة المحرمة، فإن الثعبان يركز على توضيح جاذبية التشبه بالله، مع ما ينطوي عليه ذلك من احتمالية حدوث تناقض بينه وبين الله. إذا كانت نيته ببساطة هي جعل البشرية تسقط من النعمة - الشر في حد ذاته - فلم تكن هناك حاجة إلى توضيح ذلك لهم. ``انظروا إلى الفاكهة الجميلة!`` لقد كان من الممكن أن أفعل نفس الشيء أيضًا. هل كان الثعبان مهتمًا حقًا بالتطور العقلي لآدم وحواء؟ على أية حال، لا بد أن يكون هناك شيء خاص حول هذه الفاكهة لأن الله وضعها خارج الحدود بشكل محدد. وبالتالي أكلا.

فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للنظر وأنها شهية للنظر، فأخذت وأكلت. وأعطت أيضاً زوجها الذي معها فأكل. فانفتحت أعينهما كليهما...18

ربما كان في أذهانهم فقط إحساس التذوق - فوصف الفاكهة بأنها "مرغوبة أيضًا لاكتساب الحكمة" يبدو وكأنه مجرد فكرة ثانوية - ولكن ابتلاعها أدى إلى حدوث الضرر. إن وجبتهم الخفيفة المذنبة هي لحظة

كارثية خالصة، لأنها لم تكن تعادل القبض عليهم بأيديهم في جرة البسكويت، بل فتحت أبواب الشر - على الرغم من أن الشيطان كان موجودًا بالفعل لإغراء المرأة، لذا فمن المفترض أن السقوط كان مسألة وقت فقط، بثمرة أو لا ثمرة.

الانغماس الحسي يغير كل شيء. أدرك الرجل وزوجته فجأة أنهما ليسا عريانين فحسب، بل إن عريّهما أمر مخزٍ ــ والمضمون هنا أن هذا أمر غير طبيعي في الواقع، ونوع من الانحراف ــ لذا قاما على عجل بتصنيع الملابس من الأوراق، الأمر الذي يكشف، إن لم يكن أي شيء آخر، أن الخياطة سلوك بشري غريزي في حالات الطوارئ.

ولكن بينما كانوا يختبئون بين الشجيرات المغطاة بأوراق التين، أدركوا أن كل شيء قد ضاع: كان الله يمشي في الحديقة "في برودة النهار" وينادي "أين أنت؟" يقول آدم لله تعالى أنه يختبئ لأنه "كان خائفًا لأنني عريان". يفضل الله، ويطالب بمعرفة (دون وميض من السخرية)

من قال لك أنك عاري؟ كمدرس غاضب يحاول انتزاع اعتراف من فصل دراسي عنيد، يضيف: "هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها؟"9

عندما طالب الله بغضب أن يعرف كيف عرفوا أنهم عراة، قال آدم بغير إخلاص: "المرأة التي وضعتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت منها". وبعد أن انتهى المخادع الأول في العالم من إلقاء اللوم على زوجته، وبذلك يوحي أيضًا بأنه يلوم الله لأنه أعطاه حواء كرفيقة له، فإنها هي أيضًا حريصة على تمرير اللوم إلى الثعبان، وهو ما يعلنه الله:

ملعون أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية! على بطنك تزحف وتراباً تأكل كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تضرب عقبه.20

ومع ذلك فإن رمزية الثعبان مفتوحة لتفسيرات مختلفة للغاية. وفي مصر القديمة كان يستخدم كالصل، وهو الكوبرا الذي كان يزين غطاء الرأس للعائلة المالكة باعتباره "سيد الحياة والموت"،21 الرمز النهائي للقوة الأرضية. وفقًا لعلماء الكابالا اليهودية في العصور الوسطى، فإن الرقم السري أو الباطني للثعبان في عدن هو نفس الرقم الخاص بالمسيح: كما كتب الساحر الطقسي سيئ السمعة - ولكن المتعلم تعليماً عالياً - أليستر كراولي: "[الثعبان] هو المخلص"، مشيرًا إلى أن "الثعبان هو أيضًا ... الرمز الرئيسي للطاقة الذكورية"22 و"الخالق والمدمر، الذي يعمل على كل التغيير".23 (كما أضحك وصدم عندما عرض "قبلة الثعبان" على النساء، وخاصة أولئك الذين التقى بهم للتو. بالطبع كانت لدغة مؤلمة إلى حد ما.) بالنسبة للمسيحيين الغنوصيين الزنادقة، كان من المفترض أن يتم الاحتفال بالثعبان الملتف حول شجرة الحياة باعتباره حامل المعرفة، والتنوير الشخصي المكثف للروح. وبالنسبة للتانترا، المخلصين الشرقيين للجنس المقدس، فإن الثعبان يمثل قوة الكونداليني، وهي القوة الجنسية الإبداعية التي يتم تصورها عادة على أنها ملتفة في قاعدة العمود الفقري. عندما يتم إيقاظه فإنه ينتج حرارة وقوة شديدة - ولكن الويل للفرد الذي لم يستعد بجدية لاستيقاظه من خلال الانضباط السحري والروحي الصارم، لأنه يمكن أن يصبح غير قابل للسيطرة بشكل رهيب.

ومع ذلك، في أسطورة عدن الأصلية، عندما زحف الثعبان إلى مصير الإذلال24، هاجم الله حواء ولعنها:

سأزيدك كثيرا من متاعب حملك، وبالألم تلدين الأولاد. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك.25

إن مسؤولية حواء والثعبان قد تكون محل جدال لا نهاية له، ولكن هذه الأسطر الأربعة القصيرة أثبتت أنها

مؤثرة للغاية على عقول الرجال، ليس فقط من خلال توفير نعمة إلهية لمن يضربون زوجاتهم وجميع أشكال الانتهاكات الزوجية، ولكن أيضًا - كما سنرى - حتى أنها حكمت بشكل خاص وفظيع على أجيال من القابلات بالتعذيب والموت. وبما أن معرفتهم الطبية والعشبية خففت من آلام الولادة، فقد اعتبرتهم الكنيسة الغاضبة زنادقة أو ساحرات انتهكوا عمداً قانون الله المقدس. لقد تعرضت آلاف القابلات للقتل بطريقة وحشية.

(على الرغم من أنه عندما أزال الله أحد ضلوع آدم ليشكل حواء، فإنه على الأقل جعله ينام أولاً برحمته، فمن غير المعقول أن أطباء الملكة فيكتوريا شعروا بالرعب في القرن التاسع عشر عندما طلبت تخفيف آلامها أثناء ولادة أطفالها السبعة الأخيرين باستخدام التخدير الجديد. لقد اعترض هؤلاء الرجال في العصر الحديث، عصر السفر بالقطار، والتصوير الفوتوغرافي، والتلغراف، بشدة على أن قتل آلام الولادة يعني المخاطرة بإهانة الله القدير، الذي أوضح وجهة نظره حول هذا الموضوع بوضوح تام في سفر التكوين. ولحسن الحظ بالنسبة للنساء الفيكتوريات والأجيال اللاحقة من الأمهات الحوامل المتوترات، فقد فازت الملكة-الإمبراطورة في تلك المعركة على وجه الخصوص.

تصف مارلين يالوم، في كتابها "تاريخ الزوجة" (2001)، كيف اعتقد آباء المسيحية الأوائل مثل ترتليان والقديس أغسطينوس أن سقوط حواء

"أضفى وصمة أخلاقية على كل اتحاد جسدي، حتى ذلك الذي يتم داخل الزواج". في حين أعلن أغسطينوس أن "الأزواج المتزوجين يجب أن يمارسوا الجنس فقط لإنجاب الأطفال، ويجب عليهم تجنب الجماع من أجل المتعة فقط":

وذهب القديس جيروم إلى أبعد من ذلك. كان يعتبر الجنس، حتى في الزواج، شرًا في جوهره. لقد رفض المتعة الجنسية باعتبارها قذرة، ومقززة، ومهينة، ومفسدة في نهاية المطاف. لقد أصبح هذا الارتباط بين الجنس والخطيئة، مع إلقاء اللوم على بنات حواء، راسخًا بشكل متزايد داخل الكنيسة، وبحلول القرن الخامس أصبح مفهومًا شائعا بين السلطات الكنسية. وكان ذلك مرتبطًا أيضًا بظهور الرهبنة، التي قدمت بحلول القرن السادس بديلاً للزواج للرجال والنساء المسيحيين. (لم تكن العزوبة المؤسسية جزءًا من الممارسات اليهودية أو الإسلامية.)26

وبعد أن عادا إلى الفردوس، يرتجفان على شفا الكارثة، طُرد آدم وحواء (وهما يرتديان ملابس جديدة مصنوعة من جلود الحيوانات من قِبَل الله نفسه) على الفور، ومنعهما "الكروبيم والسيف المشتعل الذي يلمع ذهاباً وإياباً لحراسة الطريق إلى شجرة الحياة" من محاولة التسلل مرة أخرى للحصول على المزيد من حصص الحكمة اللذيذة.27 وعلى حد تعبير الشاعر الإنجليزي الأعمى جون ميلتون (1608-1674)، السكرتير اللاتيني لأوليفر كرومويل والبروتستانتي المتشدد، في قصيدته الدينية الملحمية "الفردوس المفقود":

كان العالم الآن أمامهم، حيث يختارون مكان راحتهم، وكانت العناية الإلهية هي مرشدهم: لقد سلكوا طريقهم المنعزل جنبًا إلى جنب بخطوات متعثرة وبطيئة عبر عدن.28

على الرغم من التعب والتأنيب، يبدو آدم وحواء في مسرحية ميلتون على وشك الدخول في مغامرة عظيمة حيث يستسلمان ويديران ظهورهما للفردوس. "لقد أصبح العالم الآن أمامهم" - أي شيء يمكن أن يحدث الآن بعد أن خرجوا من القيود وأصبحوا أحرارًا في الذهاب وفعل ما يحلو لهم. ربما كانوا ملعونين أو حتى اصابتهم لعنه، لكن كان لديهم بصيص أمل.

ومع ذلك، ورغم أن الكاتب الفرنسي جان ماركال لاحظ أن أسلافنا "عندما اكتشفوا الشر اكتشفوا الخير أيضاً"، فإنه يواصل قائلاً بذكاء: "أصبح الإنسان يشعر بالذنب الآن. مذنب بماذا؟ ليس لدينا أي فكرة."29

بعد السقوط

لن تكون رحلة سهلة. لقد حُكم على آدم بحياة من "التعب المؤلم" مع التذكير القاسي "أنت تراب وإلى التراب ستعود". وبحسب اللاهوت المسيحي، فإن سقوطهم هو الخطيئة الأصلية التي نتحملها جميعاً، حتى - بل وخاصة - الأطفال حديثي الولادة، الذين يصلون إلى هذا العالم كدليل قاطع على لعنة حواء، ناهيك عن حقيقة أن وجودهم هو الدليل الحتمي على العلاقة بين الوالدين. الولادة بحد ذاتها كانت مخزية. (لم يتم ذكر الحمل بشكل علني في المجتمع الراقي إلا في خمسينيات القرن العشرين. قبل ذلك، كانت هناك تعبيرات ملطفة مثل "أن تكون في حالة مثيرة للاهتمام"، وحتى في تلك الحالة كان من المتوقع ظهور بعض الخجل.)

ولكن في الرواية الكتابية لا يوجد ذكر أن الثعبان هو الشيطان أو سيتن أو لوسيفر. إنه مجرد ثعبان، ويبدو أنه يفعل ما تفعله الثعابين بشكل أفضل - إغراء النساء. ربما تكون الدلالات الجنسية واضحة ومحرجة لعالم ما بعد فرويد، ولكنها لم تكن بالضرورة واضحة إلى هذا الحد بالنسبة لأسلافنا الذين استشهدوا بالكتاب المقدس. ولكن لا يوجد قفزة كبيرة من قصة الثعبان الشرير إلى فكرة تعليمه أو حتى امتلاكه من قبل تجسيد الشر، أياً كان ذلك الشخص أو مهما كان: يوضح ميلتون هذه النقطة بوضوح في وصفه لـ "... الثعبان، أو بالأحرى سيتن في الثعبان".30

(إن ربط الثعابين بالشر متأصل لدرجة أن الثعبان الذي يرفرف لسانه بشكل فظيع، كان لابد وأن يكون رمزًا لبيت سليذرين في هوغورتس، المدرسة الأم لجميع السحرة الذين اتجهوا إلى الشر، في روايات هاري بوتر التي ألفتها ج.ك. رولينغ. ومع ذلك، فإن مهارات هاري اللاواعية تجعل الثعبان العملاق يتحرر من حديقة حيوان لندن، والذي كان مهذبًا بما يكفي ليقول "شكرًا"، قبل أن ينزلق بعيدًا.)

يُعتقد أن القصة غير البناءة للطرد من الفردوس تتعلق في الأساس بوصول الخطيئة إلى البشرية - سقوطها من النعمة والمستقبل باعتبارها لعبة في يد الشر ومستودعًا لكل الألم والمعاناة المعروفة. في حين أن وجهة النظر الحديثة المفضلة هي رفضها باعتبارها هراء أو في أفضل الأحوال اعتبارها مجرد رمزية، إلا أن عددا مفاجئا من المسيحيين ما زالوا يعتقدون أن آدم وحواء كانا موجودين حرفيا وأننا عانينا منذ ذلك الحين من خطيئتهما.

ومع ذلك، ربما تكون القصة هي الأكثر كشفًا عن طبيعة الله نفسه. يبدو أنه في حيرة من أمره مع آدم وحواء كما هو الحال مع ظروفهما الجديدة - وليس عالم نفس إلى حد كبير، على الرغم من أنه خلق النموذج الأولي للرجل والمرأة في المقام الأول. هل كان يعتقد حقا أن تحريم مادة معينة، ثمرة شجرة - تلك الشجرة هناك، أنظر! - هل يعني ذلك أنهم سوف يتجنبونها طواعية؟ من الواضح أنه لديه الكثير ليتعلمه باعتباره أبًا.

لا يبدو الله مندهشًا من الحادثة بأكملها فحسب، بل يبدو أيضًا أنه لم يفهم أنه خلق الفضول الفكري والرغبة في الإشباع الحسي، ولا أن الثعبان أيضًا كان من صنع يديه، محملاً بمجموعة من الخصائص التي قادته حتماً إلى إغراء المرأة. وكما كان الحال مع يهوذا في دوره كمحفز لتضحية يسوع، فقد كان مصير الثعبان الهلاك منذ البداية. ويُنظر إلى كليهما على أنهما تجسيد حقيقي للشر، أو في أفضل الأحوال، خادمين له. - وبعد سقوط حواء المأساوي - لم يعد يُنظر إلى النساء تقليديًا على أنهن أفضل حالًا.

وربما تحتوي الأسطورة أيضًا على عنصر مشترك في الخيال العلمي الحديث، وهو الخوف من تمرد الروبوتات. وكما روت الأساطير اليهودية في العصور الوسطى وعصر النهضة عن رعب الغوليم، وهو رجل متحرك بطريقة سحرية، فإن مخلوقات الإله الروبوتية في قصة السقوط تستحوذ على المبادرة، وتكشف عن ذكاء متأصل - وخطير محتمل - لم يرغب خالقها في الاعتراف به. وقد تم محاكاة أسطورة الخلق بشكل ساخر في رواية فرانكشتاين لماري شيلي، على الرغم من أنها قد تكون أقل محاكاة ساخرة وأقرب إلى الأصل مما يُعتقد عادة.

ومع ذلك، ورغم أنه قد يبدو تمريناً لا طائل منه أن نتساءل عن مثل هذا التفسير الحديث أو نقرأه في مجموعة من الأساطير القديمة، فإن حتى الثقافات الأكثر تطوراً اليوم لا تزال متأثرة بشدة بهذه الأساطير وتداعياتها القوية. حتى في القرن الحادي والعشرين، لا يزال الكثير من التراث اليهودي المسيحي يؤثر على الطريقة التي يفكر بها ويتصرف بها حتى أغلب المتشككين الماديين. سواء أحببنا ذلك أم لا، فإن هذا الإرث قد بنى التاريخ الذي أنتجنا، وشكل المواقف التي تظل باقية، في كثير من الأحيان بشكل غير سار، في أعماق

عقولنا المظلمة.

ولكن ربما كان لدى الله فهم نفسي لحواء، إذ كان يعلم أنها ستقع فريسة للثعبان لا محالة. ربما كانت حلقة السقوط بأكملها مُعدّة لاختبار ولاء الرجل والمرأة الأولين. ولكن في هذه الحالة، فمن المؤكد أن نفيهم كان قاسياً إلى حد ما؟ ربما كان من المنطقي أكثر أن يتم التحدث إليهم بصرامة، حرفيًا لزرع الخوف من الله في نفوسهم، وإعطائهم فرصة أخرى لإثبات أنفسهم؟ من السهل جدًا تشبيه رد فعل الله بردة فعل طفل مدلل يصب غضبه على ألعابه الجديدة، آدم وحواء اللذان كانا عديمي العقل، عندما فشلا في العمل وفقًا للتعليمات. في الواقع، لو لم يواجه أي كائن آخر، لكان طفلاً مدللاً إلى حد كبير. ولكن هل تم تحديه قط - باستثناء آدم وحواء في ما أثبت تمردهما الخطير؟

وفقًا للعهد القديم، واجه يهوه أحد ملائكته البارزين، لوسيفر، في نوع من الانقلاب القصري المتفجر - والذي فشل بشكل مذهل بالطبع، وانتهى بنفي زعيم المتمردين إلى الأرض، وما وراءها، إلى عوالم الجحيم الكابوسية.

بالنسبة لليهود، كانت المناطق الجهنمية مشتعلة في وادي هنوم، نهر من النار، على الرغم من أن الاسم كان يُطلق في كثير من الأحيان على المنطقة بأكملها. إن مفهوم الجحيم كحفرة من النار، والذي كان محبوباً للغاية من قبل علماء اللاهوت في العصور الوسطى وصائدي السحرة، نشأ في الواقع في الرسوم الجدارية المصرية القديمة التي تصور "الأشرار" وهم يستهلكون بالنار، على الرغم من أن هذه النفوس المعذبة لم تكن في الواقع تمثل الخطاة من البشر، بل أرواح عنصرية، أعداء إله الشمس أتوم.31 ومع ذلك، فإن هذا الدين لم يركز أبداً على العقاب الأبدي للخطيئة، بل كانت الحياة الآخرة بدلاً من ذلك نوع من مسار الهجوم من الوحوش والشياطين التي يمكن التغلب عليها بالتعاويذ الصحيحة.

على الرغم من أن المصريين قضوا حياتهم بأكملها، وغالباً ثرواتهم، في محاولة الهروب من الموت ــ الذي أطلقوا عليه اسم "الرجس" ــ فإن الجانب الأساسي من معتقداتهم كان أن الإله أوزوريس، الذي يموت ويقوم من بين الأموات، أنقذ البشرية من الموت من خلال عملية إعادة الميلاد.

ولكن في الغرب، أثبت مفهوم الجحيم منذ فترة طويلة أنه مفيد لإبقاء الضعفاء في خوف من الله. على الرغم من أن هذا الموضوع سيتم مناقشته بالتفصيل لاحقًا، فإن المقتطف التالي من كتاب "رؤية الجحيم" للأب فورنيس في القرن التاسع عشر، وهو عبارة عن كتيب محسن للشباب، سيكون كافيًا لنقل هذه الفكرة.

من بين فتاتين صغيرتين تبلغان من العمر ستة عشر عامًا، كانت إحداهما تهتم فقط بالملابس، وكانت تذهب إلى مدرسة للرقص، وكانت تجرؤ على التسلية في الحديقة يوم الأحد بدلاً من الذهاب إلى القداس: تقف الفتاة الصغيرة الآن، وستظل تقف إلى الأبد، بقدمين حافيتين على أرضية حمراء ساخنة. وكانت الأخرى تمشي في الشوارع ليلاً وتفعل أشياء شريرة للغاية؛ والآن تصرخ صرخات الألم في فرن مشتعل. عذاب شديد للغاية - الغمر حتى الرقبة في غلاية مغلية - يزعج صبيًا كان برفقة سيئة، وكان خاملًا جدًا بحيث لا يذهب إلى القداس، وسكيرًا؛ تخرج الآن ألسنة اللهب الانتقامية من أذنيه. فكما هي الحال مع الفحش، يغلي دم الفتاة التي تذهب إلى المسرح في عروقها؛ يمكنك أن تسمع غليانه، ويغلي نخاعها في عظامها ويغلي دماغها في رأسها. "فكّر"، يقول الأب الرحيم، "ما هو الصداع الذي تعاني منه تلك الفتاة!"32

بالتأكيد ليس هناك حاجة للتعليق.

وكما سنرى في فصل لاحق، فإن بعض أسوأ أشكال العقوبات الجهنمية اخترعتها المجتمعات الأبوية لإرهاب النساء. وتشير باربرا ووكر، على سبيل المثال، إلى أنه في هذا الجحيم الذي يهيمن عليه الرجال:

النساء اللواتي يوبخن سوف يجبرن على لعق المواقد الساخنة بألسنتهن. كانت النساء اللاتي يظهرن عدم الولاء للرجال يتم تعليقهن من ساق واحدة، بينما كانت العقارب والثعابين والنمل والديدان تحفر طريقها داخل وخارج أجسادهن.33

إن عبارة "عدم الولاء للرجال" هي مصطلح فضفاض مفتوح لمجموعة واسعة من التفسيرات.

لم يخبرنا أحد ما إذا كان الجحيم موجودًا قبل الحرب في السماء، لكنه بالتأكيد كان موجودًا بعد ذلك، عندما فقد لوسيفر مكانته السماوية. ويبدو أن إشعياء يصف هذا الحدث التاريخي على النحو التالي:

كيف سقطت من السماء يا نجم النهار، يا ابن الصباح! (هليل بن شحر) كيف نزلت إلى الأرض يا من ألقيت القرعة على الأمم!

وقلت في قلبك: أصعد إلى السموات، فوق كواكب الله (إيل)، أرفع عرشي، وأجلس على جبل الاجتماع، في أقاصي الشمال، أصعد فوق مرتفعات السحاب، أكون مثل العلي (إيلون). "ولكنك سوف تُهبط إلى العالم السفلي، إلى أقصى أجزاء الحفرة."34

في حين أن الوجود المفترض لهذا البطل السماوي العظيم، ولكن المجهول على ما يبدو، يوفر القوة المعارضة لخير الله - وللمتشائم ذريعة لشرور العالم - فإن المقطع المذكور أعلاه قد يكون في الواقع مجرد تلميح إلى أسطورة فينيقية أو كنعانية عن هليل، ابن الإله شحر، الذي طمع في عرش الإله القدير، فألقي في الهاوية. ولكن في حين أن هناك في شمال سوريا قصيدة قديمة عن شحر (الفجر) وشاليم (الغسق) - وهما ذرية إلهية للإله إيل - فلا يوجد أي ذكر في المصادر الكنعانية لشخصية لوسيفر أو ثورة ضد الله.

كان لوسيفر مرتبطًا أيضًا بإله البرق الآشوري البابلي، زو طائر العاصفة، والمعروف أحيانًا باسم "الثعبان الطائر الناري". لقد تم إدانته بسبب سعيه للحصول على ألواح زيوس الخاصة بالقدر، والتي أعطتها له والدته، الإلهة تيامات. صرخ زو: "سآخذ لوح مصير الآلهة، أنا أيضًا؛ وسأوجه كل وحي الآلهة؛ وسأقيم عرشًا وأوزع الأوامر، وسأحكم على كل أرواح السماء!"35

ومع ذلك، فإن وصف الساقط في المقطع المذكور أعلاه يُنظر إليه على أنه دليل على هويته من قبل العديد من كتاب نهاية العالم والمسيحيين، وخاصة الإنجيليين أو الأصوليين. "كيف سقطت من السماء يا نجم النهار يا ابن الصباح!" يتم أخذها كإشارة إلى لوسيفر، الذي يعني اسمه "حامل النور"، وبالتالي يرتبط بالنجم الصباحي المشع، الرمز المثالي للأمل الذي يأتي مع كل يوم جديد مشرق. تم التعرف على لوسيفر باعتباره البطل السابق للسماء الذي تحدى الله، وخسر، وتم نفيه إلى الجحيم مع جحافله الملائكية المخلصة. يكتب ميلتون عن عذابات الكائن الساقط، الذي كان في يوم من الأيام المفضل لدى الله، والذي أصبح الآن تجسيدًا للشر في صورة الشيطان: "الملاك المرتد، على الرغم من الألم/ الذي يتباهى بصوت عالٍ، إلا أنه يعاني من يأس عميق".36

يشير الكتاب الأول من سفر أخنوخ المنحول إلى الملائكة الساقطين كنجوم، ويسردهم بالاسم على النحو التالي: "سميزاز، أراكيبة، رامئيل، كوكبيئيل، تاميئيل، دانيل، حزقيال، باراكيال، أسائيل، أرماروس، باتاريل، أنانيل، زاكييل، سامسابيل، ستاريل، توريل، جومجيل وسرييل". 31 ربما كان هذا المقطع هو أصل الارتباك بين قصة المراقبين - الملائكة الذين تغلبت عليهم شهوة النساء البشريات وأنجبوا منهن جيلاً من العمالقة - وقصة إشعياء. ويربط الكتاب المسيحيون اللاحقون، مثل القديس جيروم، أيضًا بين الساقط الموصوف في حزقيال 28: 13-15 وبين لوسيفر:

كنت في عدن حديقة الله، كل حجر كريم كان زينتك: العقيق والزبرجد والجمشت، والبَريل واللازورد واليشب، والياقوت الأزرق. الفيروز والزمرد والذهب المصنوع بشكل جميل لك،

مُستخرجة لك، مُجهزة في اليوم الذي خُلقت فيه. لقد خلقتك كروبًا بأجنحة مدرعة مفتوحة، وسكنت في جبل قدس الله، وتمشى بين حجارة النار. "كنت بلا لوم في طرقك من اليوم الذي خلقت فيه حتى وجد فيك إثم من تجارتك الواسعة. امتلأت بالظلم وأخطأت." فأنزلتك من جبل الله وأبيدتك أيها الكروب الحارس من بين حجارة النار.

هنا يتم التأكيد على التألق المبهر لبطل مضاد عظيم: فهو معلق بأعظم ثروات العالم، متألقًا بأروع المجوهرات والذهب. ولكنه تجاوز الحدود من خلال "تجارته البعيدة" التي تشير على ما يبدو إلى صفقة تجارية غير شعبية - وهو أمر غريب بعض الشيء ولكنه يعني "العلاقات الاجتماعية" أو حتى "الجماع" - وخسارتها. لكن الأسوأ من الإفلاس هو أنه أُسقط "من بين حجارة النار"، وأُنزل إلى أدنى حالة يمكن تصورها، على ما يبدو ماديًا وروحيًا. ظاهريًا، يبدو أن هذه القصة تعزز قصة الملاك الساقط في سفر التكوين، وتؤكد على الديناميكيات الرهيبة لنفي لوسيفر.

ولكن هناك تفسيرات أخرى أيضاً: فقد قيل إن هذا المقطع يشير في الواقع إلى الملك الفخور نبوخذ نصر، الذي عانى من سقوط دراماتيكي من النعمة.38 ولكن الارتباطات مع لوسيفر لا تزال قائمة، وإن لم تكن دائماً في سياق الشر. ولا يزال يتم الاحتفال بإله نجم الصباح، شحر الكنعانيين، في الشحريت اليهودية أو خدمة الصباح. 39 ويعلن شقيقه التوأم، نجم المساء شاليم، الموت اليومي للشمس وينطق بكلمة السلام، شالوم. وكان يتم عبادة الإلهين التوأمين علانية

في "بيت شاليم" - أو القدس.

وكانت والدتهم هي الإلهة الأم العظيمة أشيرا، أو هليل، الحفرة. كان الكنعانيون يعتقدون أن شهر سعى إلى اغتصاب إله الشمس المجيد، لكنه هزم وألقي من السماء كالصاعقة. تقول إحدى المرثيات الوثنية التي تعود للقرن السابع للساقط:

كيف سقطت من السماء يا ابن هليل شحر! لقد قلت في قلبك: سأصعد إلى السماء، وفوق النجوم القطبية سأرفع عرشي، وأسكن على جبل المجلس في ظهر الشمال، و أركب على ظهر سحابة، و أكون مثل إيلون.40

نشأ النموذج الأولي لقصة سقوط لوسيفر في الأسطورة الفارسية لأهريمان، الثعبان العظيم أو سيد الظلام، الذي تحدى منافسه، إله الشمس، أهورا مازدا، الأب السماوي. (كان اسم "أهورا" في الأصل اسمًا أنثويًا 4 وكما لاحظ جان ماركالي: "كان أهورا مازدا في الأصل كائنًا مضيءًا تجسد في شكل إلهة أنثى.")42 بعد أن طُرد من السماء، أغوى أهريمان الرجل والمرأة الأولين في هيئة الحية، وأعلن الأنبياء أنه سيُهزم إلى الأبد في نهاية العالم. ولكنه كان توأم أهورا مازدا، من رحم الزمن اللانهائي، الخالقة الأولى، وليس أدنى منه. في الواقع، تم تكريم أهريمان لأنه خلق العالم المادي، وأصبح له تأثير كبير على عبادة ميثرا - إله آخر يموت ويقوم - باعتباره "أرمانيوس"، الإله السري للسحر. ولقد شهد التركيز الفارسي على آلهة النور والظلام المتعارضين ولكن المتساويين نهضة في معتقدات الغنوصيين المسيحيين، كما سنرى.

في بعض روايات سقوط لوسيفر، قاتل وخسر أمام رئيس الملائكة ميكائيل، الذي ظل إلى الأبد عدوه الشخصي. (كان كلا الملاكين يشتركان في خصائص مماثلة، حيث كانا مرتبطين بالضوء والنار.) ومع ذلك، رفض بعض الملائكة اتخاذ موقف، وتمكنوا بطريقة أو بأخرى من البقاء على الحياد، وسوف يعودون إلى

الظهور في وقت لاحق كشخصيات مركزية في الأساطير المحيطة بالكأس المقدس.

وفي الكتاب الأخير من الكتاب المقدس، سفر الرؤيا في العهد الجديد، تُروى القصة على النحو التالي:

وكانت هناك حرب في السماء. فحارب ميكائيل وملائكته التنين، وحارب التنين وملائكته. ولكنه لم يكن قوياً بما فيه الكفاية، وفقدوا مكانهم في السماء. لقد تم طرح التنين العظيم - ذلك الثعبان القديم المسمى إبليس أو الشيطان، الذي يقود العالم كله إلى الضلال. فأُلقي إلى الأرض، ومعه ملائكته.43

ويخبرنا سفر الرؤيا أيضًا أن "ذيل التنين جرف ثلث نجوم السماء وألقى بها إلى الأرض"، وهذا يعني أن ثلث أتباع لوسيفر من الملائكة سقطوا معه.

تصف الإصدارات اللاحقة من السقوط لوسيفر بأنه كان غاضبًا لأن الله خلق له أخًا، وهو يسوع الابن، الذي انبثق من رأسه الخطيئة، التي بدورها ولدت الموت. ولم يتم طرد لوسيفر من منزله السماوي إلا بعد معاناته من هذا الإذلال الإضافي.

وفقًا لميلتون، فإن الجيوش السماوية - والتي من المفترض أنها منزعجة قليلاً بسبب خروج لوسيفر الدرامي من عددها ولكن بلا شك كانت مغرورة إلى حد ما لأنها اتخذت الاختيار الأكثر حكمة بالبقاء في السماء - تم تقسيمها إلى الفئات الهرمية التالية: القوى، والسيرافيم، والْكَرُوبِيم، والعروش، والسلطات، والفضائل، والإمارات، ورؤساء الملائكة، وأخيرًا الملائكة. على الرغم من تفضيلهم بشكل كبير في السنوات الأخيرة، وخاصة من قبل العصر الجديد، فإن الملائكة كانوا في الأصل مجرد رسل الله، وغالبًا ما كانوا يتخذون شكل رجال عاديين.

ومع ذلك، في القرن الأول الميلادي لم تكن قصة السقوط في سفر التكوين هي القصة الوحيدة عن الأيام الأولى للبشرية التي تم تداولها بين المسيحيين واليهود. بدأت تنتشر بعض الحكايات الملفقة المستندة بشكل فضفاض على سفر التكوين 6.

"ولما بدأ الناس يتكاثرون على الأرض، وولد لهم بنات، رأى أبناء الله بنات الناس أنهن حسنات. 45

وبما أن "أبناء الله" هم ملائكة، فإن اقترانهم المتحمس اللاحق بأحفاد حواء كان انتهاكًا صارخًا لشريعة الله، ولكن على أي حال فإن ذريتهم أصبحوا "عمالقة" نصف بشر ونصف ملائكة (أو "أبطال" في بعض النسخ) في "الأرض ... الرجال الأقوياء ذوي الشهرة"، الذين لم يتردد الكتاب اللاحقون في تصنيفهم كشياطين. (كان المسيحيون الأوائل يعتقدون أنهم كانوا دائمًا تحت رحمة هجوم الشياطين من جميع الأحجام، وفي كثير من الأحيان حرفيًا. لقد حكم القديس بولس بأن رؤوس النساء يجب أن تُغطى في الكنيسة

"بسبب الملائكة"،46 لأنه كان هناك خوف حقيقي من أن شعر النساء يجذب الشياطين (الكيانات الأخرى في العالم)، تمامًا كما تجذب المربى النمل. ولذلك كان يُنظر إلى الحجاب باعتباره احتياط معقول، ونوعًا من الناموسية المقدسة.)

هناك أسطورة أخرى غير كتابية تتحدث عن قيام الله بدعوة ملائكته للإعجاب بخلقه الأخير - آدم. فأطاع رئيس الملائكة ميكائيل بحماس، لكن لوسيفر كان مرعوبًا، وطالب بمعرفة "لماذا تضغط علي؟" لا أعبد من هو أصغر مني وأدنى مني. أنا أكبر منه سناً، ينبغي له أن يعبدني! "[تأكيدي]."

نحن وهم

وكما تشير إيلين باجلز في كتابها الممتاز "أصل الشيطان" (1995)، فإن كل قصص السقوط، سواء الكتابية أو غير الكتابية، "تتفق على شيء واحد: أن هذا العدو الأعظم والأكثر خطورة لم ينشأ ... كدخيل أو أجنبي أو غريب. الشيطان ليس عدوًا بعيدًا، بل هو العدو الحميم - زميلك الموثوق به، أو شريكك المقرب، أو أخوك.48 وكما كان يهوذا هو الذي جلب تعذيب يسوع وموته حسب نص سماوي، فإن الشيطان جلب حرية الاختيار للبشرية، على الرغم من أنه - كما رأينا - ربما يكون قد فعل ذلك من دوافع إيثارية تقريبًا.

تذكر باجلز أن أيًا كانت النسخة التي نختارها من أصله، وهناك الكثير منها، فإنها جميعًا تصور الشيطان باعتباره عدوًا حميمًا ... والذين سألوا: كيف يمكن لملاك الله أن يصبح عدوًا له؟ كانوا يتساءلون في الواقع: "كيف يمكن لأحدنا أن يصبح واحدًا منهم؟"49

ولكن في حين أن الحرص على تقسيم العالم إلى فئات صارمة من "نحن" و "هم" ليس بالأمر الجديد ــ فقد أطلق اليونانيون على الأجانب لقب "البرابرة"، ومن اللافت للنظر أن الكلمة التي استخدمها المصريون للإشارة إلى أنفسهم كانت ببساطة "بشر" ــ فإن التقاليد المسيحية الغربية حطت من قدر أعدائها باعتبارها غير بشر في المقام الأول: فإذا تحدوا المسيحية كانوا أعداء الله.

(ولكن من المؤكد أن الله نفسه تصرف بطريقة مستهجنة في قصة السقوط. كما كتب جان ماركال:

... إن الإله الأبدي سيء الطباع وغيور إلى حد فظيع، و... يتصرف مثل الرأسمالي الغني الذي ليس لديه أي نية لمشاركة أبديته مع أي شخص آخر. فما هي المتعة التي سنشعر بها لو حصل عليها الجميع؟)

في حين يبدو للأسف أن من الخطأ البشري رفض أولئك خارج القبيلة أو الكنيسة باعتبارهم غير جديرين بنفس الحقوق والاعتبارات، فإن المسيحيين جعلوا من هذا قضية أخلاقية ودينية، مما أعطى اضطهادهم في وقت لاحق حافة متعصبة حيث استخدموا هذا الموقف "لتبرير الكراهية، وحتى المذابح الجماعية". وكما سنرى، فقد استخدم المحققون هذا التبرير إلى حد كبير ضد "الزنادقة" - المفكرين الأحرار، أو المعارضين المسيحيين، أو النساء - ولكن "الاشمئزاز من هذه العقيدة هو أحد الأسباب الرئيسية لانحدار الإيمان بالشيطان منذ القرن الثامن عشر". ومع ذلك، في حين كان اليهود يميلون إلى رفض أهمية السقوط باعتباره مجرد رمز للشر، فإن قصة لوسيفر تظل قوية بالنسبة للعديد من المسيحيين.

كما تم تصوير لوسيفر على أنه الثعبان الخالد ساتا، حاكم البرق، الذي اتخذ الاسم العبري الشيطان في كلمات يسوع: "رأيت الشيطان يسقط من السماء كالبرق".53 ومع ذلك، أصبح "الشيطان" كمرادف لـ "لوسيفر" "رسميًا" بين المسيحيين في أواخر القرنين الأول والثاني، مع الكتابات اللاهوتية لآباء الكنيسة أوريجانوس (من مواليد 185 م) والقديس أغسطينوس (354-430)

- في الواقع، يزعم بعض علماء اللاهوت أن أوريجانوس كان أول من أقام هذا الربط 54

بالنسبة للفيلسوف اليوناني الشهير أفلاطون، كان الإله المرتبط بنجم الصباح هو أستر (الذي يعني ببساطة "النجم")؛ أدرك أفلاطون أن هذا النجم يتمتع بشخصية مزدوجة غريبة، لأنه يظهر أيضًا في وضع سماوي مختلف في المساء. أشاد أفلاطون بأستر باعتباره الإله النهائي الذي يموت ويقوم، قائلاً:

"أيها النجم، مرة واحدة، مثل نجمة الصباح، أشرق على الأحياء. والآن، وأنت تموت، كنجم المساء، تتألق بين الموتى..

الخصم والمعرقل

إن الاتجاه الرئيسي في الفكر اليهودي المسيحي هو أن نقيض الله هو الشيطان، "المعرقل" لإرادته - والذي أصبح، في اللغة اليونانية في العهد الجديد، ديابولوس، إبليس. ولكن بينما أصبح العهد الجديد والمسيحيون الأوائل مهتمين بشكل متزايد ببناء دور الشيطان عندما وقعوا هم أنفسهم فريسة للبرابرة والجلادين، كان اليهود، على حد تعبير الباحث الأمريكي جيفري بيرتون راسل، "يتحركون بشكل حاسم في الاتجاه الآخر". "ويوضح قائلاً: ""بالنسبة لليهود فإن الشر ينتج عن الحالة غير الكاملة للعالم المخلوق أو من سوء استخدام الإنسان للإرادة الحرة، وليس من مؤامرات عدو كوني للرب""."

في التقاليد اليهودية القديمة يُعرف الشيطان باسم سموئيل،

وهو ملاك عظيم يسقط ويستخدم الثعبان لإغراء آدم وحواء، ويعمل كمُغرٍ ومتهم ومدمر وملاك موت. ليس للشيطان وجود مستقل عن الرب، الذي يستخدمه ككاشفًا للقلوب، ووكيلًا يبلغ الرب بخطايانا، ومسؤولًا عن معاقبتهم 57

استمر الشيطان في فقدان بريقه الشخصي فيما يتعلق باليهود: بحلول الأربعينيات من القرن الماضي، تضاءل إلى "أكثر بقليل من مجرد رمز للميل الشرير بين البشر". 51 لا يزال هذا التفسير المتطور ثابتًا إلى حد ما اليوم، بالتأكيد بين التجمعات اليهودية الليبرالية. كانت المسيحية، ولا تزال في كثير من الأحيان، مختلفة إلى حد ما في هذا الصدد.

في العهد الجديد، الشيطان هو Antikeimenos، الخصم أو العدو،

"أركون هذا العصر" - arction ton aiomon touton - أو "حاكم" العصر المسيحي المبكر، وفقًا لأب الكنيسة القديس إغناطيوس، أسقف أنطاكية. منذ السقوط، كان للشيطان سلطان على البشرية، ولكن الآن تجسد يسوع، ابن الله، قد هز نفوذه، والذي سوف ينفجر أخيرًا

مع "الباروسيا"، أو المجيء الثاني للمسيح. وفي الوقت نفسه، يستطيع الفرد أن يضمن مكانه في الجنة من خلال مبدأ الكفارة، وهي العبارة التي استخدمها ويليام تيندال لأول مرة في أول ترجمة إنجليزية للعهد الجديد، في عام 1526. في الواقع، كان عليه أن يخترع الكلمة - بمعنى "الكفارة" - لنقل فكرة المصالحة المألوفة الآن، وهو مصطلح لم يكن موجودًا في عصره. 59 ويوجد هذا أيضًا في نسخة الملك جيمس اللاحقة أو "المعتمدة" لعام 1611، في مقاطع العهد الجديد مثل "ونحن أيضًا [نفرح] بالله من خلال ربنا يسوع المسيح، الذي نلنا به الآن الكفارة". 60

ومع ذلك، أصبح يسوع بديلاً للإنسان الإله لفكرة أقدم بكثير عن كبش الفداء اليهودي، عندما كان الحيوان المختار يُحمل طقوسًا بخطايا الشعب ويُرسل إلى البرية ليموت. ولكن كما توضح باربرا ووكر، فإن "يوم كيبور اليهودي، يوم الكفارة، كان يعتمد على الكوبارو السومري البابلي، وهو احتفال تكفير يتم فيه تحميل شاة احتفالياً بكل خطايا المجتمع ثم ذبحها".61 كان يسوع يرمز إلى الحمل الذبيحي لله - على الرغم من أن بعض الهراطقة، كما سنرى، كان لديهم نسخة مختلفة بشكل مذهل من هذا المفهوم.

يعلن العهد الجديد "الشكر لله الذي يعطينا النصر من خلال ربنا يسوع المسيح"62 أي النصر على "الخطيئة

والموت والشيطان"63 وقد تم تحقيق هذا النصر من خلال موت المسيح الطوعي على الصليب وسفك دمه المقدس الفدائي. كما تقول الملصقات خارج عدد لا يحصى من الكنائس: "مات المسيح من أجل خطاياك". كفّر يسوع عن خطيئة آدم وحواء بتضحيته، وأصبح بموته منقذنا. بعد إغلاق أبواب الفردوس، كان دمه هو الثمن الذي أعاد فتحها. ومع ذلك، بالنسبة لغير اللاهوتيين، يمثل هذا لغزًا معقدًا ومتناقضًا إلى حد ما، لأنه إذا كان المسيح قد مات بالفعل من أجل خطايانا، فلماذا نحتاج إلى أن نتعمد، ونعيش حياة جيدة، ونموت في حالة من النعمة لنأمل أن نصل إلى السماء ؟ لم يتجاوز هذا السيناريو آباء الكنيسة: كما تذكر باربرا ووكر:

بين اللاهوتيين في العصور الوسطى كان هناك رأي عام بأن تضحية يسوع لم تكن فعالة حقًا ؛ تم إنقاذ "عدد قليل" فقط بموت المخلص. ادعى القديس توما الأكويني وآخرون أن الغالبية العظمى من الناس لا تزال محكوم عليها بالمعاناة الأبدية في الجحيم" وهكذا تم إنكار نظرية التكفير إلى الأبد أو للبشرية جمعاء من قبل نفس الكنيسة التي أعلنتها كأساس للقوة الدنيوية 65

أخرج مفهوم الكفارة من الصورة، ومع ذلك، يصبح أكثر منطقية، لأن المعمودية هي علامة خارجية ومرئية على تطهير الفرد من الخطيئة والتزامه بالعيش حياة مسيحية جيدة وإنكار الشيطان. في الواقع، كان المسيحيون الأوائل يتعرضون لطرد الأرواح الشريرة قبل تعميدهم - ولا شك أن هذه الطقوس كانت أكثر صعوبة وربما أكثر صدمة من الطقوس المهذبة التي يتم القيام بها اليوم والغطس في الماء مع ارتداء ملابس متواضعة. لم يكن هذا مفاجئًا على الإطلاق، حيث اتخذ سلف الطقوس المسيحية هذا الشكل أيضًا، وكانت المعموديات المصرية في المعابد الكبرى المخصصة لإيزيس وأوزوريس على ضفاف النيل تسبقها اعترافات علنية بالخطايا، وطرد أرواح شريرة دراماتيكي 66

كان طرد الأرواح الشريرة ضروريًا، فكما رأينا، كان يُعتقد حقًا أن الشياطين موجودة في كل مكان، في الطعام الذي يأكله المسيحيون الصالحون والنبيذ الذي يشربونه، وفي النظرة الجانبية لامرأة شابة عند البئر، وحتى في خصلات شعر فتاة قاصر. بالنسبة للمسيحي المبكر، كانت الحياة اليومية محاصرة بالشيطان، وهو جنون العظمة الذي كان مبررًا إلى حد ما، فمن كان ليعرف أي شخص يبدو لطيفًا كان في الواقع جاسوسًا على وشك تسليمه إلى مضطهديه الوثنيين؟

وبطبيعة الحال، كان يُنظر إلى جميع الوثنيين على أنهم زنادقة بطبيعتهم، وأتباع للشيطان، على الرغم من أن الأب إيرينيئوس، أحد آباء الكنيسة، كان يعتبر الزنديق أي فرد حدده الأسقف باعتباره زنديقًا. وكما يقول جيفري بيرتون راسل بجفاف: "بما أنه ليس من الممكن التوصل إلى تعريف موضوعي لـ "الزنذيق"، فإن هذا التعريف كان حتميًا تقريبًا".67

من الواضح أن الوثنيين كانوا شيطانيين، لأن آلهتهم تجرأت على تقليد حياة المسيح وموته. أوزوريس المصري، تموز الفارسي وميثراس الروماني

- ناهيك عن العديد من الآلهة الأخرى التي تموت وتقوم، مثل أورفيوس اليوناني وديونيسوس - وُلدوا في الانقلاب الشتوي حوالي 25 ديسمبر في محيط متواضع مثل الكهوف، وحضر ميلادهم نجوم جديدة ورعاة ومجوسي. ماتوا جميعاً (يوم الجمعة) في الربيع، ليقوموا من الموت بأعجوبة بعد أيام قليلة. ومن المدهش أن بعض المسيحيين، حتى اليوم، يفسرون هذه الحقيقة المحرجة على أنها نوع من السخرية الشيطانية من جانب صانعي الأساطير الوثنية، على الرغم من أن هذا يتجاوز الإيمان الأعمى إلى حد كبير، حيث أن معظم هذه القصص سبقت حياة يسوع بمئات، وربما آلاف، السنين. في بعض الأحيان يقترح البعض أن هذه القصص، في أفضل الأحوال، تم اختراعها كبروفة، أو نوع من التمهيد الضعيف للشيء الحقيقي68

حتى العضوية في الكنيسة لم تكن ضمانة لروح نقية. أعلن الأسقف إغناطيوس أن أي شخص يتصرف بدون موافقة أسقفه هو عبد للشيطان، على الرغم من اعترافه بأنه تعرض لإغراء الشيطان للتهرب من "واجبه" في الاستشهاد - وهي نقطة لاهوتية وأخلاقية مثيرة للاهتمام. وهنا نرى الشيطان يغريه لإنقاذ حياته، والإله الصالح يطلب منه ارتكاب شكل من أشكال الانتحار، على الرغم من أن هذه بالطبع وجهة نظر حديثة، والتي لا شك أن بعض الشياطين البائسة كانت ستُلام عليها، لو تم التعبير عنها في تلك الأيام البعيدة. كتب إغناطيوس: "أتوق إلى المعاناة، لكنني لا أعرف ما إذا كنت أستحق ... "أنا بحاجة إلى الوداعة التي بها يُهزم أمير هذا العالم [الشيطان]" 69 وكما ذكر جيفري بيرتون راسل: "كان التعذيب والموت من عمل [الشيطان]، وحتى اللطف من جانب الوثنيين كان فخًا شيطانيًا، لأنه قد يضعف عزيمة الشهيد" 70

ورغم أن هذه المازوخية المقدسة قد تبدو مقززة في نظر أغلب الناس المعاصرين ــ على الرغم من أن الكاثوليك لا يزالون يشجعون على "تقديم معاناتهم إلى الله"، والذين لابد أنهم يأملون في أن يقدم شخص ما فرحهم ومتعتهم الآن ــ إلا أنه يتعين علينا أن نتذكر أن هؤلاء المتعصبين كانوا يؤمنون إيمانا راسخا بأن المسيح كان على وشك العودة في أي لحظة والمطالبة بأحقيته في ملكيته. (في الواقع، من غير المرجح إلى حد كبير أن يكون يسوع المسيح قد قصد تأسيس كنيسة للأجيال القادمة، إذ كان على ما يبدو يؤمن إيماناً راسخاً بأن نهاية العالم وشيكة. ومن المؤكد أن تلاميذه كانوا يتوقعون عودته بالمجد، مشيرين إلى النهاية، في أي لحظة. ومن المفارقات أن تأسيس القديس بطرس لكنيسة روما يمكن أن ينظر إليه على أنه نتيجة مباشرة لفشل المسيح في العودة كما وعد في حياة الرسول.) في هذه الأثناء، فإن وفاة الشهيد ستضمن للمسيحيين الأوائل النعيم الأبدي.

ربما كان ذلك أحد أساليب تمجيد، أو حتى مجرد التعامل مع، الاضطهادات التي أخذت الراغبين وغير الراغبين على حد سواء، وأجبرت الحيوانات البرية على تقطيع أحشائهم في الكولوسيوم أو استخدامهم كمشاعل بشرية. لقد أصبحت الساحة استعارة قوية لساحة المعركة بين الخير والشر - في الواقع، تصور إحدى الخطب اللاتينية المبكرة الشيطان كمصارع يحاول الإيقاع بالمسيحيين الصالحين في شبكته، وهو تشبيه مؤسف ربما، مما يعزز صورة رجولة العدو على حساب نفسه. (ومن المفارقات أن إصرار المسيحيين الأوائل على أن أولئك الذين يسببون الألم والإذلال هم أشرار - ومن يستطيع أن يشك في ذلك؟ - لا يتوافق بشكل مريح مع التبريرات التفتيشية اللاحقة للسادية المؤسسية.)

ومع ذلك، على الأقل خلال القرنين الأولين من الإيمان المسيحي، لم تكن هناك مجموعة متماسكة من مقالات الإيمان، ولا حتى مجموعة مشتركة من الكتابات المقدسة، أو العهد الجديد. اختلفت المواقف من سقوط آدم وحواء وطبيعة الله والشيطان بشكل كبير من مجموعة مسيحية إلى مجموعة مسيحية في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية. لم تنته هذه الحالة المربكة إلا عندما أنشأ قسطنطين دين الدولة من المسيحية، إيمان العبيد القدامى، في القرن الرابع الميلادي. وبحلول ذلك الوقت، بطبيعة الحال، كان أي فرد أو مجموعة تتبنى خطاً مختلفاً عن خط الكنيسة الكاثوليكية يعتبر لعنة.

أسياد النور والظلام

على الرغم من أن معظمهم شاركوا وجهة نظر أحد آباء الكنيسة بوليكاربوس القائلة بأن "أي شخص يحرف كلمات المسيح لتناسب رغباته الخاصة ويقول أنه لا توجد قيامة أو دينونة فهو الابن البكر للشيطان"،72 كان

هناك دائمًا منشقون، اتُهموا حتماً بـ "تحريف كلمات المسيح" لتناسبهم. وعلى العموم، كان هؤلاء هم الغنوصيون، الذين خسروا أمام الكنيسة الرومانية، ونتيجة لذلك، أصبحوا مضطهدين حتى كادوا ينقرضون باعتبارهم خدماً للشيطان. ومن المؤكد أنهم كانوا سيستمتعون ببعض الأفكار المثيرة للتفكير حول الخير والشر، حتى أنهم تجرأوا على عكس الدور المعتاد لله والشيطان ... كلمة "غنوصي" مشتقة من الكلمة اليونانية "غنوسيس" والتي تعني المعرفة، وتشير إلى

الشعور بالعلاقة الشخصية مع الإله، والتي يتم الحفاظ عليها من خلال الحدس والوحي والمبادرة التدريجية. كانت الغنوصية في الأساس عبارة عن معرفة للذات - Gnothi sea uton - "اعرف نفسك": "ما وحد الطوائف الغنوصية المختلفة هو الاعتقاد بأن العالم شرير تمامًا ولا يمكن إصلاحه".بالنسبة لهم كان العالم فظيعًا لدرجة أنه لا يمكن أن يكون إلا عالمًا مظلمًا أدنى، محاكاة ساخرة غريبة لشيء أرقى وأكثر روحانية، والذي كان موجودًا خارج نطاق حواسنا المادية.

حتى الغنوصيين الأقل تطرفًا افترضوا أن الخالق نفسه كان في السابق روحًا حميدة سقطت، مثل لوسيفر. في الواقع، فإنهم كثيراً ما ربطوا هذا الكيان الأعمى والجاهل والشرير بالشيطان، وبعد الغنوصيين اليونانيين أطلقوا عليه اسم "الديميورج" أو "المحرك الجزئي"، وهو عكس المحرك الرئيسي، الله. روبرت ماكل. يكتب ويلسون: "إن الديميورج في النظرية الغنوصية هو ببساطة شيطان اللاهوت اليهودي والمسيحي... تحول بفعل التشاؤم الغنوصي السائد إلى خالق العالم وحاكمه الحالي". 171

بالنسبة للغنوصيين، لم يكن من المنطقي مناقشة النتيجة المحتملة للمعركة بين الخير والشر - أو كما يرمزون إليها في كثير من الأحيان، النور والظلام

- إذا كان من المعروف بالفعل أن الشيطان محكوم عليه بالهزيمة، كما يعتقد معظم المسيحيين. مثل الفرس القدماء، كان معظم الغنوصيين ثنائيين، ويرون العالم في حالة مستمرة من التدفق بين قوى متساوية ولكن متعاكسة من النور والظلام. المشكلة الوحيدة، بصراحة، كانت معرفة أيهما هو أي ...

ورغم أن علم الكون عند الغنوصيين كان ملونًا، مع نبوءاتهم الجامحة وتحدثهم بألسنة، فإنه - فضلاً عن كونه معقدًا للغاية، إن لم نقل سخيفًا - كان في نهاية المطاف محبطًا إلى حد ما، كما أقر بذلك المقطع المقتبس أعلاه. لقد نظروا إلى الرجال والنساء على أنهم شرائح روحية ضعيفة محاصرة في حزمة لحمية ضخمة: بالنسبة لهم كانت البشرية في الأصل روحًا نقية، لكنها وقعت في قبضة الايون الشرير. وبطبيعة الحال، من خلال تبني فكرة أن يهوه هو الشيطان، فقد حُكم عليهم بمستقبل غير سلمي للغاية بين قطيع الكنيسة الناشئة، الروم الكاثوليك.

وكان من المعتاد أن يُترك الأمر للهراطقة ليشيروا إلى وجود تناقض أساسي ومزعج بين القدير القاسي المستبد في العهد القديم وأب يسوع المحب في العهد الجديد. في الواقع، جون ميلتون، الذي سعى في قصيدته الشهيرة "الفردوس المفقود" إلى "تبرير طرق الله للإنسان" - والذي نجح فقط في إثارة إعجاب نجوم الحركة الرومانسية مثل بيرسي بيش شيلي وويليام بليك بشخصية لوسيفر، الذي رأى فيه بطل العمل - كتب عن يهوه السادي الحقيقي:

القدير... لقد ترك لنا روحنا وقوتنا لنتحمل آلامنا ونتحمل غضبه الانتقامي.75

يبدو أنه لم يكن أفضل حالاً، وبسبب مكانته وقدرته المطلقة كان أسوأ حالاً، من معذبي محاكم التفتيش الذين أعادوا إحياء ضحاياهم حتى يتمكنوا من المعاناة من المزيد من العذاب، حتى (كما سنرى) سحبهم نصف مستهلكين من المحرقة المشتعلة ليلتوا لمدة ساعة أو ساعتين قبل إعادتهم إلى النار. لقد حرص الله على أن يكون لدى آدم وحواء ما يكفي من "الروح والقوة" التي تمكنهما من المعاناة، وتهدئة غضبه المرضي. ولكن حتى هنا، يبدو أن ميلتون غير راغب في تعذيب الرجل والمرأة الأولين بشكل كامل لا رجعة فيه، فبالرغم من إدانتهما "بالعمل والمعاناة"، فإن الوضع "لم يكن بلا أمل".76 وبينما كان الشيطان سيعاني "عذاباً بلا نهاية"، فإن هذا يمثل بطريقة ما "العدالة الأبدية".

في الواقع، أصبح العديد من المسيحيين الأوائل (وبعض المفكرين الأكثر حداثة) منزعجين من السؤال المزعج حول ما إذا كان الإله العادل سوف يترك الشيطان حتى يذبل في الجحيم إلى الأبد - على الرغم من أنهم تقبلوا تدريجيا أن حتى الخاطئ العادي سوف يُحكم عليه بالذهاب إلى المناطق الجهنمية إلى الأبد. كان أحد آباء الكنيسة، القديس إكليمندس الإسكندري، يؤمن بأنه في ملء الزمان، يمكن أن يخلص جميع الخطاة - حتى الشيطان نفسه. بالنسبة لإكليمندس، فإن وجود الإرادة الحرة يعني أن الشيطان نفسه يحتفظ بحق التوبة. ولكن تُرك الأمر لأوريجانوس لتطوير مفهوم "الأبوكاتاستاسيس"، أي "العودة النهائية لجميع الكائنات، بما في ذلك الشيطان، إلى الإله الذي نشأوا منه"؟؟ يعلن الفاتيكان اليوم أن الكنيسة تستطيع أن تغفر حتى للخطاة الأكثر تشدداً، إذا تابوا توبة حقيقية.78

ولكن الغنوصيين، بقلقهم الشديد بشأن الطبيعة الحقيقية لله، لم يستخرجوا فكرة لوسيفر الصالح من الهواء. كان تعاطفهم مع الساقط مشابهاً لإعجاب الإغريق القدماء ببروميثيوس (الذي يعني اسمه "التفكير المسبق")، الذي سرق النار من زيوس وأعطاها للبشرية، فقط لكي يُحكم عليه بالسلاسل إلى قمة الجبل حيث تمزق كبده "نسره الطوطمي، ثم يُعاد ليلاً لكي يلتهمه مرة أخرى"79. لقد رثى بروميثيوس البائس: "لقد أنقذت البشرية من الضربة الثقيلة التي كانت ستلقي بهم في الجحيم..." لقد ساعدت البشرية، ولكن لم أستطع مساعدة نفسي. أعجب الغنوصيون بهذا البطل المضاد الإيثاري، ورأوا فيه لوسيفرانية حقيقية، فصوروا بروميثيوس وهو يخلق أول رجل من الطين - وفقًا للأسطورة اليونانية. ربما رأوا ما وراء الأسطورة، فمثل لوسيفر، كان بروميثيوس، الذي أعطى الإنسان "نار" الذكاء، هو الخاسر في نهاية المطاف. مع زملائه من العمالقة، الأرواح العملاقة التي جابت الأرض حتى قبل أن يقيم زيوس ومجمع الآلهة على أوليمبوس، خسر بروميثيوس المعركة التي تلت ذلك من أجل السيادة، وتم تقييده في عبودية تحت الكوكب.

كانت هذه القصة أحد مصادر الإلهام لحرب السماء اليهودية المسيحية وسقوط لوسيفر، على الرغم من أن بروميثيوس يبدو أيضًا أنه كان النموذج الأولي للآلهة المخادعة، مثل لوكي الإسكندنافي. وفقًا لباربرا جي ووكر، فقد لعب خدعة على زيوس والتي ظهرت أيضًا في العهد القديم في هيئة أخرى:

... خدع بروميثيوس زيوس ليقبل الأجزاء الأقل صلاحية للأكل من الحيوانات المخصصة للتضحية، مثل الدهون والعظام، نيابة عن الآلهة، في حين سُمح للبشر بتناول اللحوم. ولم يكن هذا ما قصده زيوس، فأقسم على الانتقام من بروميثيوس وأصدقائه البشر.82

لقد اضطر زيوس إلى قبول الأحشاء لأنه أقسم قسمًا مقدسًا بقبول الذبيحة، ولكن عندما حدث شيء مماثل ليهوه - حيث أُمر الكهنة بأن "يزيلون كل الشحم ... ويحرقونه على المذبح كرائحة طيبة للرب 181، ادعى اليهود ببساطة أن يهوه يفضل ذلك".84

ولكن من المهم أن نلاحظ أن مساهمة "بروميثيوس" المفرطة في العقلانية هي التي أدت فعلياً إلى إضعاف الدين الأوليمبي. إن المشاعر الدينية البديهية والصوفية تتلاشى مثل ندى الصباح تحت وهج الشمس الساطع الناجم عن التفكير المفرط، والمنطق المفرط للجانب الأيمن من الدماغ. (وسنرى هذا أيضًا في العمل عندما ساعد عصر التنوير العلمي في القرن الثامن عشر في التخلص من العقائد الدينية والخرافات التي سادت العصور، على الرغم من أن البعض يزعم أن العلم نفسه أصبح التعصب الحديث.)

بالنسبة للمسيحيين، سقط لوسيفر بسبب افتراضاته الشريرة. ولكن من وجهة نظر موضوعية، فإن قصة الكنيسة كلها أنيقة للغاية، حيث كان تحول لوسيفر سريعًا بشكل مثير للريبة. بطريقة ما، أثناء السقوط، بين كونه ملاك الله المفضل ووصوله إلى الأرض/في الجحيم، اكتسب ابن الصباح المتألق خصائص أكثر سوءًا من مجرد الكبرياء. لقد أصبح لوسيفر المتألق هو الشيطان، التجسيد الحرفي لكل الشرور التي يمكن تخيلها،

وهو مخلوق مظلم من الرعب الذي يجمّد العقل، والذي لا يعرف الرحمة أو الشفقة. إنه يرأس قدراته الجهنمية من الشياطين وسط ألسنة اللهب الأبدية للعقاب ويتآمر معهم لجذب البشرية إلى أحضانهم القذرة. إنه مصاص الدماء المطلق، مصاص الأرواح بامتياز، الذي انتصاره الرئيسي هو جعل الرجال أشرارًا مثله. إن هدفه الأساسي من الوجود هو قتل الأمل، على الرغم من أنه، باعتباره "أبو الأكاذيب"، سوف يخدع أولاً من خلال تقديم كل ما يرغب فيه الباحث.

وعلى الرغم من أفضل نوايا ميلتون، فإن شيطانه، مقارنة بإله يحتاج بشدة إلى إدارة غضبه، كان طبيعيًا نسبيًا. بمجرد إجباره على النزول إلى الجحيم - أو "الفوضى العارمة"، مسكن الشياطين ـ يبدو أن الشيطان مصمم على الاستفادة منها على أفضل وجه، باعتباره رائداً شيطانياً، معلناً "هنا أخيراً سوف نكون أحراراً"،86، وكما قال كلاسيكياً: "من الأفضل أن نحكم في الجحيم بدلاً من أن نخدم في الجنة".87 ويصور ميلتون الجحيم كنوع من البرلمان (ربما كان ينبغي له أن يعرف ذلك، بعد أن عمل مع كرومويل!)، حيث يناقش الشياطين ما إذا كانوا سيحاولون استعادة الجنة أم لا، وهو ما يبدو ديمقراطياً إلى حد ما في واقع الأمر.

كان المسيحيون الأوائل أنفسهم في كثير من الأحيان في حيرة بشأن طبيعة الشر وشخصية الله. مرقيون، الذي طُرد من الجماعة المسيحية في روما في عام 144م بسبب تفكيره في السؤال الكبير "من أين يأتي الشر؟" لقد توصل إلى استنتاج مفاده أنه لا بد من وجود إلهين، ديميورج العهد القديم، الذي أطلق عليه أيضًا اسم "كونديتور مالوروم" (مؤلف الشرور)، و"أوكتور ديابولي" (صانع الشيطان). أما الإله الخيِّر، من ناحية أخرى، فقد كان رحيمًا، ولكن ـ ربما لأنه لا يوجد الكثير من الأدلة على هذه الخاصية في حياة معظم الناس ـ فإن طرقه لابد وأن تكون مخفية عن البشر.

بالنسبة للمسلمين، الشيطان هو إما "إبليس" أو "الشيطان"، وهو مصطلح عربي وثني.

ربما يكون مشتقًا من الجذور "الابتعاد عن" أو "الولادة بالغضب".89 كان في الأصل أحد الجن الغامضين أخلاقياً والمتغيرين الشكل، الذين خلقهم الله من النار. ترتبط هذه الكائنات الشريرة بالمقابر والعالم السفلي، وفي بعض الأحيان يمكن "استعبادها" كخدم للسحرة. الشيطان نفسه لا يستطيع إلا أن يغري، ولا يستطيع أن يجبر، ولكنه ناجح بشكل ملحوظ في تضليل الصالحين - على وجه التحديد إلى الردة والهرطقة والتجديف.

إله الصحراء الأحمر

تقليديا، الشيطان العبري - الذي عمل كمغري رئيسي في سفر أيوب - يُنظر إليه على أنه مشتق من الإله المصري القديم ست،90 ولكن هناك ارتباط آخر أكثر إزعاجًا وإثارة للجدل. ورغم أن هذا لا يتوافق بشكل مريح مع اليهودية التقليدية أو شكل حرفي من المسيحية، فإن عالم العبرية البروفيسور كارل دبليو لوكرت يلاحظ وجود تشابه مثير للاهتمام بين إله العهد القديم وست ذو الرأس الحمار (رغم أنه غالبا ما يصور على أنه وحش أسطوري يشبه ابن آوى)، وهو أقرب ما يعادل الشيطان في اليهودية والمسيحية لدى المصريين القدماء. كان ست (أو سيث) حاكمًا للبانثيون، وقام بقتل وتقطيع أوصال الإله الصالح أوزوريس، زوج إيزيس، الإلهة الأم. وفي بعض روايات القصة، قام أيضًا بالاعتداء جنسيًا على كل من إيزيس وابنها حورس. ولكن المصريين لم يكن لديهم شخصية شيطانية مطلقة، ولا إله شرير لا يمكن إصلاحه ولا وظيفة له أو غرض سوى تعذيب البشر وإيقاعهم في الفخ. بالنسبة لهم، كانت جميع آلهتهم جوانب للإله الواحد، لذا كان ست إلى حد ما جزءًا ثمينًا من

الخالق مثل أمثال أوزوريس، أو تحوت، إله التعلم والشفاء. حتى أن ست كان له استخداماته، لتحقيق التوازن بين فائدة وخير الآخرين، وبالتالي لا ينبغي أن نلومه على ذلك. (كان اسمه أيضًا مفيدًا للنطق به في التعويذات، كما في كتاب الموتى، حيث تستخدمه الروح لتجاوز فخاخ وعقبات الحياة الآخرة، قائلة "... لأني عظيم في السحر، بالسكين الذي خرج من ست، وساقاي لي إلى الأبد.")" ويظهر ست أيضًا في العهد القديم في صورة بشرية باسم شيث، "المُخلِّف" للراعي الصالح هابيل92

ومع ذلك، فقد حكم ست عالمًا ماديًا - موقعًا جغرافيًا حقيقيًا - كان المصريون يعرفون من خلال تجربتهم اليومية أنه كان كابوسًا. ومع وجود شريط ضيق من الأرض الخضراء التي تحيط بضفتي نهر النيل، والتي كانوا يعتمدون عليها كليًا في غذائهم، فقد كانوا عرضة للمجاعة، وأدركوا الطبيعة الجهنمية القاسية للصحراء "الحمراء" المحيطة بهم - والتي كانت مملكة ست. كان المصريون يكرهون أي شيء أحمر، كما يتضح من الدعاء لإيزيس: "حررني من كل الأشياء الحمراء" 93 وفي شخصيته البديلة كتايفون، كان يُطلق على ست لقب "ذو البشرة الحمراء" 94

ومع ذلك، كانت صحراء ست هي نفس البيئة التي يبدو أن إله العهد القديم يهوه يفضلها، عندما قاد موسى والإسرائيليين خارج مصر، مثل سحابة في النهار وعمود من نار في الليل. في الواقع، بدا وكأنه يكره بشكل غريب السماح لشعبه الرحل بالهروب من البرية التي لا نهاية لها، وتمكن من إبقاءهم يتجولون على رمالها لمدة "أربعين عامًا" (عادةً ما تعني ببساطة

فترة طويلة")، في حين تمكنوا من السفر لمسافة مماثلة من الأميال، ويبدو أنهم كانوا يدورون في دوائر. وكما هو الحال مع سكان الصحراء النموذجيين، ففي قصة سقوط آدم وحواء، يفضل يهوه أن يمشي "في الحديقة في برودة النهار" 95 يكتب لوكرت:

كان ست، إله الصحراء، معروفًا بين المصريين باعتباره إله الأجانب، وإله الرعد والبرق والزلازل... وقد روي أن موسى كلم فرعون باسم إله العبرانيين. (خروج 5: 3). إلى فرعون مصري يعني باسم سيث. [• •] الإله الذي قتل أبناء المصريين البكر كان سيث بالنسبة لهم ، إله سكان الصحراء 96

من المثير للاهتمام أن ست جمع بين خصائص كل من يهوه ولوسيفر ، وخاصة ارتباطه بالبرق. كما نزل الفراعنة المصريون إلى الأرض كثعبان ساتا ، أبو البرق ، قبل صعودهم المظفر إلى السماء مثل أوزوريس القائم ، حيث أصبحوا حرفيا نجما. اعتقد المتدينون أنهم يمكن أن يصبحوا خالدين مثل ساتا ، من خلال تكرار الصلاة التي تعرفوا عليه بها:

أنا الثعبان ساتا، الذي سنواته لا نهائية. أنا مستلقي ميتا. أنا أولد يوميا. أنا الثعبان ساتا ، الساكن في معظم أنحاء الأرض. أستلقي ميتا. أنا ولدت. أصبحت جديدًا، أجدد شبابي كل يوم 97

في الإنجيل وفقًا لوقا، يصف يسوع الشيطان "بسقوط البرق من السماء".98 ومع ذلك، فإن أقرب إله مصري إلى النجم الساطع لوسيفر كان حورس برأس الصقر، الذي تصوره إيزيس وأوزوريس المقتول بشكل سحري. كان هورنز عدو ست اللدود - الذي يذكرنا بيهوه بني إسرائيل، لم يكن إلهًا خيريًا. ولكن على الرغم من أنه كان مسرورًا بحماقة الإنسان، كما رأينا، كان له استخداماته. رأى الغنوصيون ، مثل المصريين القدماء - الذين ابتهجوا بثالوث التوازن النهائي ، ثالوث الأب والأم والطفل - نوعا من التوازن الأساسي في الخير والشر ، الغراء الذي حافظ على الكون معا. يوضح إنجيل فيليب الغنوصي (الذي أعيد اكتشافه بعد ما يقرب من 1500 عام في نجع حمادي في مصر في عام 1945)99 أن: "النور والظلام، الحياة والموت، اليمين واليسار، أخوة لبعضهم البعض".00

لقد وصل أحد المعاصرين للزنذيق مرقيون، وهو فالنتاين المصري، إلى روما في عام 139 ميلادية وأحدث ضجة هائلة، وخاصة بسبب "أساطيره المعقدة والمشوشة والانبثاقية التي تهدف في المقام الأول إلى مشكلة الشر". ومع ذلك، فإن ما كان يختبئ تحت كل ثرثرته حول ثمانية "أيونات أعلى" واثنين وعشرين على الأقل من الأيونات الأدنى التي شملت في نظرته المحمومة للعالم طبيعة الإله، كان تحديًا مباشرًا لمفهوم الخطيئة الأصلية. كان يعتقد أن تمرد آدم وحواء على الإله الخالق الشرير كان هدية للبشرية ، وأن الثعبان متبرع له لجعلنا حكماء لمبادئ الخير والشر ، والتي كان يهوه ينوي إخفاءها عنا.

وبسبب هذا المفهوم إلى حد كبير، طورت مجموعات غنوصية أخرى، مثل الأوفيتس (من الكلمة اليونانية أوفيس، "ثعبان") تقليد "السقوط المحظوظ" (felix culpa). بسبب الخطيئة الأصلية ، يمكن للإنسان أن يتجاوز الجهل الصبياني - أو ربما البراءة الحمقاء - ويبدأ في إحراز تقدم نحو وضعه الشبيه بالله. لكن بالنسبة لمعظم الغنوصيين ، ظل الثعبان هو "التنين" الشرير ، كما هو الحال في سفر الرؤيا في العهد الجديد:

وكانت هناك حرب في السماء. حارب ميكائيل [رئيس الملائكة] وملائكته التنين ، وقاتل التنين وملائكته. ولكنه لم يكن قوياً بما فيه الكفاية، وفقدوا مكانهم في السماء. لقد تم طرح التنين العظيم - ذلك الثعبان القديم المسمى إبليس أو الشيطان، الذي يقود العالم كله إلى الضلال. تم إلقاؤه على الأرض ، وملائكته معه.

ومع ذلك ، على الرغم من أن لوكرت يلاحظ أن كلا من ست ويهوه كانا مرتبطين باللون الأحمر المكروه103 ، فقد قيل إن "المرأة القرمزية" في كتاب الرؤيا المروع في العهد الجديد تدين بإلهامها لإله مصري أنثى ، سخمت برأس اللبؤة. إلهة اللهب والدمار (مثل كالي الهندوسي) ، يبدو أن خوفها قد ألهم رعبا خاصا في قلب القديس يوحنا الإنجيلي ، الذي يعتقد عموما أنه كتب آخر كتاب من الكتاب المقدس. على الرغم من أن تأليفه له ليس أكيدا بأي حال من الأحوال ، إلا أنه كان من الممكن أن تكون هناك مفارقة معينة - كما سنرى - ربما كان لديه أسبابه الخاصة لتقدير الأنثى النموذجية.

جاءت أسطورة سقوط حواء لربط جميع النساء ومفهوم الشر ، ولكن هناك أسباب وجيهة لربط امرأة تاريخية معينة بالجاذبية القوية للوسيفر ...

الفصل الثاني

الشيطانة وكل أعمالها

على الرغم من أن الأمر قد يبدو سريعا وغريبا للمؤمنين ، إلا أنه يمكن القول إن الكتاب المقدس لا يدعي أن الله ، الآب السماوي ، خلق العالم - أو على الأقل ، أنه فعل ذلك بمفرده ودون مساعدة. على الرغم من حجبها بعناية من قبل كل من الكهنة اليهود والمسيحيين في آلاف السنين منذ تجميع سفر التكوين ، إلا أن العبرية التي تمت ترجمتها على أنها "الله" المفرد في مقاطع الخلق هي في الواقع صيغة الجمع إلوهيم ، تماما كما تعني الكروبيم أكثر من كروب واحد. وضمنيا ، يشمل الإلوهيم كلا من الذكور والإناث - الآلهة والإلهات.

ومع ذلك ، غالبا ما يتم اختصار الإلوهيم إلى إيل ، أو الله (آل أو الله باللغة العربية) ، مما يعطي انطباعا زائفا عن إله ذكر واحد كحاكم وخالق لكل شيء ، بينما يستمر المدافعون في الاحتجاج على أن صيغة الجمع تستخدم فقط للإشارة إلى وفرة القوة. مهما كان الأمر ، تبقى الحقيقة أنه حتى يهوه المألوف لم يكن وحده في بداية كل الحياة البشرية ، لأنه حتى ألفا وأوميغا من تفوق الذكور كان لهما زوجة ذات يوم.

ليس ذلك فقط ، ولكن في بعض إصدارات القصة ، أنجبت لوسيفر ، بينما في إصدارات أخرى اتخذته عشيقها. والأسوأ من ذلك ، أنها سقطت بشكل رهيب من النعمة في عيون الرجال ، وأصبحت شيطانا ، وحملت معها جميع النساء مجازيا. جنبا إلى جنب مع ولع حواء بالفاكهة والثعابين ، فإن الخروج المخزي على ما يبدو لزوجة الله من مكانها العظيم كقرينته ومساعدته كان يدعم اللاوعي الجماعي لليهود ، يليه وعي المسيحيين. إن مفهوم المرأة على أنها بيادق غير موثوقة ولا يمكن التنبؤ بها للشرير (وحواء على الأقل لم تعانِ بعد من توتر ما قبل الحيض) أبلغ معاملتهن للزوجات والبنات حتى يومنا هذا.

كانت الزوجات مشكلة لله منذ البداية. وفقا للأساطير العبرية ، لم ركن زوجة آدم الأول ي حواء سيئة السمعة التي نمت من ضلعه الإضافي ، بل كانت ليليث الأكثر إزعاجا ، على الرغم من أنها بدأت حياتها باسم بعلة الكنعانيين الموقرة ("السيدة الإلهية"). تقول القصة أنه نظرا لأن آدم المسكين كان يشعر بالملل من الاضطرار إلى الاستمتاع بوحوش الحقل ، فقد اضطر للزواج من ليليث (التي لا بد أنها كانت تشعر بالإطراء الشديد). لم يكن من المفترض أن يكون زواجا يعقد في السماء ، خاصة وأنها رفضت طاعة قواعد يهوه لأنها عرفت اسمه السري الذي لا يوصف.

أصيب الزوج الجديد بالفزع من إصرار ليليث في السرير: رفضت الاستلقاء تحته في "الوضعية التقليدية" (أي شيء آخر غير وضعية الرجل فوق تم إدانته تقليديا باعتباره "ملعونا" من قبل كل من المسلمين والكاثوليك). غير متأثرة بتصريحات آدم عن تفوق الذكور التي استشهد فيها بالله باعتباره سلطته ، سخرت من أسلوبه الجنسي قبل استخدام جناحيها المناسبين للطيران بعيدا. ثم عندما وصلت ملائكة الله لاستعادتها ، لعنتهم وألقت بنفسها بحماس في ممارسة الجنس مع

"الشياطين" ، الذين كانوا يعرفون على ما يبدو شيئا أو شيئين عن إرضاء سيدة ، وإنتاج مائة طفل يوميا - كلهم ، بالطبع ، شيطانيون.

كان التعامل مع حواء أسهل بكثير ، على الرغم من كونها امرأة ، إلا أنها تمكنت من طردها من الفردوس بسبب سلوك سيء. (ولكن ، كما يذكر جيفري بيرتون راسل ، على الرغم من أن "قصة عدن أفسحت المجال بسهولة للهجوم على النساء ... في الواقع ، لم يكن هناك سبب وجيه لإلقاء اللوم على حواء على الخطيئة الأصلية أكثر من آدم .1)2

لم تعد ليليث موجودة في الكتاب المقدس ، لكنها عادت إلى الظهور في العصور الوسطى على أنها ليست أقل من والدة الشيطان ، "في محاكاة ساخرة للأم المباركة والملائكة ، تنضم إلى صفوف الشياطين الذين يغنون المديح حول عرش ابنها. في نسخة أخرى من أسطورتها اللاحقة ، استمرت هي وبناتها ، إليم ، في إحداث فوضى في حياة الرجال كشياطين شهوانية تسببت هجماتها الليلية في انبعاثات ليلية ، والتي حمل عليها يهود العصور الوسطى تعويذات. (مثل والدتهم سيئة السمعة ، كانت إليم يجلس دائما القرفصاء فوق ضحاياهم الذكور ، مما يزيد من الرعب على ما يبدو). عاش الرهبان المسيحيون في رعب - أو هكذا زعموا - من هجوم من "عاهرات الجحيم" ، أو سوكوباي ، وناموا بأيديهم تمسك بصليب متقاطعة بشكل غير مريح فوق أعضائهم التناسلية لدرئها. قيل إنه في كل مرة كان فيها مسيحي تقي يحلم بحلم، ضحكت ليليث

...'4 قد نستمتع بمثل هذا التفسير غير المتطور لظاهرة فسيولوجية طبيعية ، ولكن يجب أن نتذكر أنه بالنسبة للناس المسيحيين الصالحين ، كان هذا هجوما مرعبا حقا ، لأنهم اعتقدوا أن أرواحهم تمتص منهم مع السائل المنوي. تسببت بنات ليليث - المعروف أيضا باسم لمياء وحورا، بنات هيكاتي من بين ألقاب أخرى - في أن يحلم الرجال بلقاء مثيرة مع النساء ، حتى تتمكن سوكوباي من تلقي انبعاثاتهم وصنع منها روحا جديدة.15

في الواقع ، كان أحد الأسماء الشائعة لـ سوكوباي هو بريزو ، على اسم إلهة الأحلام اليونانية التي جاء لقبها بدورها من بريزين ، "السحر". "مثل إلهة أحلام بابل نانشي ، جلب بريزو أحلاما نبوية تم تحديدها لاحقا على أنها أحلام "مبللة".6

تم تصنيف ليليث واتباعها أيضا على أنهن "نساء الليل" ، وهن في الواقع سوكوباي جميلات كانت خبرتهن في ممارسة الحب رائعة لدرجة أنه بمجرد أن يجربها الرجال الفانون ، لا يمكن أن يرضوا مرة أخرى من خلال الاقتران مع النساء البشريات العاديات. لكن على الرغم من أنها قد تكون شيطانية ، إلا أن قوة ليليث المستمرة على كل من الخيال اليهودي والمسيحي كانت مكثفة بشكل واضح. كما كتب إيه تي مان وجين لايل في كتابهما الكلاسيكي الجنس المقدس (1995): "في كاتدرائية سانت برنارد دي كومينج في جبال البرانس ، وجدت ليليث طريقها إلى الكنيسة: نحت هناك يصور امرأة مجنحة ذات أقدام طيور تلد شخصية ديونيسيان ، رجل أخضر ". كان ديونيسوس إله نبيذ ريفي شرق أوسطي تضمنت احتفالاته عربدة في حالة سكر حيث مزقت كاهناته ، ميناد ، الرجال إلى أشلاء.

نفس المنطقة في جنوب فرنسا حيث يمكن العثور على ليليث في الكنيسة بها أساطير عن هيروديا - زوجة

هيرودس التي جعلت سالومي تطلب منه رأس يوحنا المعمدان - بعد أن أنهت أيامها بالغرق في مجرى محلي. بعد ذلك ، انضمت إلى أخواتها ، نساء الليل ، ولا تزال تنتظر الانقضاض على المسافر الذكر غير الحذر.

بالطبع كانت هناك نسخة ذكورية من سوكوباي ، الحَضُون الذي كان يرقد مع النساء أثناء نومهن. في العصور الوسطى ، غالبا ما قيل أن الراهبات استيقظن "ليجدن أنفسهن ملوثات كما لو كن قد نامن مع الرجال - في كثير من الحالات ، إن لم يكن معظمها ، لأنهن فعلن ذلك بالفعل. ادعت بعض الراهبات سريعات التفكير أنهن نامن مع المسيح (ربما اعتقد الكثيرون أنهن ناموا) ، ولكن سرعان ما تم إدانة هذا باعتباره تجديفا ناتجا عن الاستحواذ الشيطاني ، على الرغم من حقيقة أنهن كن يعرفن باسم "عرائس المسيح".

وكما كان متوقعًا، فإن النساء اللاتي كان يُعتقد أنهن يتعاملن مع الشياطين - كما سنرى - كن يسببن المزيد من الخوف والرعب بين أتباع الله أكثر من شياطين الجحيم أنفسهم. اقترح كتاب أنجلو ساكسوني استخدام الجرعات السحرية - أو بالأحرى

"المراهم المقدسة" - ليس ضد الحَضُون نفسهم ولكن ضد النساء اللواتي يزعم أن الشيطان قد زنى معهن. في تولوز في جنوب فرنسا في عام 1275 تعرضت امرأة تبلغ من العمر 56 عاماً للتعذيب حتى اعترفت بأنها كانت تمارس الجنس الليلي مع الحَضُون، وأنها أنجبت "طفل الشيطان، الذي كان نصف ذئب ونصف ثعبان". ولكن كما ذكرت باربرا ووكر بشكل قاتم: "ربما كانت المفارقة القصوى هي الرأي الرسمي للكنيسة بأن جميع أنشطة الحَضُون كانت تتم "بإذن الله".10 ولكن ما سمح به الله، عاقبه البشر".

كل ذلك كان في المستقبل الكئيب ، عندما اكتشف الرجال كيفية التعامل مع بنات حواء وليليث. ولكن في بداية كل شيء، كان من الواضح أن يهوه لم يكن لديه أي فكرة عن كيفية التعامل مع الفتاة السيئة الأخيرة - ويبدو أنه لم يخطر بباله أبدًا أن يتبنى أسلوب الضرب الذي ميز حياته المهنية اللاحقة - ويبدو أن ملائكته كانوا عاجزين بالمثل في مواجهة استجابتها العنيفة. ربما كان على الرب أن يطلب النصيحة حول كيفية التعامل مع ليليث من زوجته ، التي كانت بالفعل قوة لا يستهان بها في العالم القديم. كتب الباحث الأمريكي ويليام جي دنفر في عام 1984:

توفر الاكتشافات الأثرية الحديثة كلا من النصوص والتمثيل التصويري الذي يحدد لأول مرة بوضوح "أشيرا" على أنه قرينة يهوه ، على الأقل في بعض الدوائر في إسرائيل القديمة ... لا يمكننا تجنب الاستنتاج القائل بأن يهوه في إسرائيل يمكن أن يكون مرتبطا بشكل وثيق بعبادة أشيرا ، وفي بعض الأوساط تم تجسيد الإلهة في الواقع على أنها قرينته.12

اكتشفت الحفريات في رأس شارما (أوغاريت القديمة) لوحا من القرن الرابع عشر قبل الميلاد ينص على أن "زوجة إيل" ، "سلف الإله" ، أو أشيرا ، كانت واحدة مثل معظم الآلهة الأم ، بما في ذلك الإلهة السومرية عشترة "والفينيقية تانيت ، التي كان معبدها في قرطاج يسمى ضريح العذراء السماوية ، بينما أشار الإغريق والرومان إليه على أنه "معبد القمر".14 ربما تم تسمية مدينة إيلات الواقعة على ساحل خليج العقبة على اسم الإلهة العظيمة، التي تم الاحتفال بها بوضوح باعتبارها تجسيدًا للمبدأ الأنثوي في جميع أنحاء الشرق الأدنى والأوسط. كتبت ووكر:

في مصر [أشيرا] كانت أيضا أم مانحة للقانون ، عشيش ، شكل قديم من إيزيس. كان الاسم يعني كلا من "سكب" و "دعم" وظائف ثدييها. كان ضريحها اليونيكي في طيبة هو آشر أو أشريل أو أشرلت. أطلق عليها

البعض اسم "سيدة أشيرت العظيمة ، سيدة السماء ، ملكة الآلهة".5

أطلق عليها الكنعانيون اسم قانياتو إليما أو "هي التي تلد الآلهة" ، أو رباتو أثيراتو يمي ، السيدة التي تجتاز البحر - بعبارة أخرى ، القمر.16 ارتبطت جميع المظاهر الرئيسية الثلاثة للأم العظيمة بالمراحل الثلاث للقمر: إلهة العذراء مع القمر الجديد ، الأم مع البدر ، والمرأة الحكيمة الأكبر سنا أو الأكبر سنا مع ظلام القمر. بشكل ملحوظ أيضا ، كما تذكر باربرا ووكر ، "كانت رباتو شكلا مبكرا من أشكال الحاخام". زوجة الله وحاخام! بالنسبة للآباء ذوي اللحى الرمادية ، لا يمكن السماح لهذا الوضع بالاستمرار ، بغض النظر عن آراء الله حول هذا الموضوع. (هناك أدلة أثرية على أنه كان من الشائع أن يتم استدعاء البركات "من قبل الرب وأشيرا" ، "تحول في العبارة التي تشير إلى تقارب مؤثر ، بل وحتى رقيق). من الواضح أن أيام سلطة أشيرا كانت معدودة.

تكتب ووكر بجفاف: "لفترة من الوقت ، قبلت أشيرا السامية إيل كقرينها" - وهو انعكاس لطيف للوضع المعتاد مع الإناث في الشرق الأدنى ، خاصة في العصور القديمة. تتابع ووكر: "كانت البقرة السماوية ، هو الثور". بعد زواجهما المقدس ، أنجبت التوائم السماوية ، شحر و شاليم ، نجوم الصباح والمساء ..."20

كما هو مذكور في الفصل الأول ، لم يكن نجمة الصباح سوى لوسيفر - وفي هذه الأسطورة ، حرفيا ابن الله. بصفته وريثا للسلالة الإلهية ، يمكن رؤية تحديه للسلطة الأبوية في سياق الملوك المقدسين في الشرق الأدنى والأوسط. يواجه الملك الكاهن المنتهية ولايته ، الذي يمتلك قوى سحرية وممثل طوطمي لقبيلته ، تحديا طقسيا - وغالبا ما يقتل - من قبل خليفته. لكن كهنوت يهوه لم يكن ميالا إلى السماح بتحدي الإله الملك, وعلى أي حال دفن بسرعة فكرة أن الله كان له زوجة, ناهيك عن طفل أو أطفال. سرعان ما أصبح كل شيء عن أشيرا لعنة - حتى طهي طفل في حليب أمه" ، والذي يعتقد أنه شارك في حفل زواجها من يهوه.

ومع ذلك ، لم تكن أشيرا قرينة يهوه فحسب ، بل أيضا ، بطريقة سحرية ومفارقة ، خالقته ، التي تم تكريمها أحيانا بلقب "القداسة" ، والذي أصبح فيما بعد لقب زوجها (وبالطبع البابا). حكمت بشكل مشترك كإله أسمى مع يهوه لمدة 600 عام ، جنبا إلى جنب مع آلهة وثنية أخرى أقل ، بعد وصول قبائل إسرائيل إلى كنعان 22.

لو لم يتضاءل نجمها ، من المفترض أن أشيرا كانت في وضع يسمح لها بكلمات حادة مع يهوه حول معاملته لحواء - لأنها في الأصل كانت الناموس إلى جانبها. ربما تكون كلمة "أشيرا" السامية مشتقة من الكلمة الإيرانية القديمة ، والتي تعني "القانون العالمي" ، والتي يعتبرها البعض مرادفة للقانون الأمومي ، "مثل الرومان 23"ius naturale (حرفيا "القانون الطبيعي"). كان على يهوه أن يذعن لحكمها.

ذات مرة ، كان تأثير أشيرا كبيرا بين الإسرائيليين العاديين ، على الرغم من أنه سرعان ما تم إدانتهم بسبب عبادتها. غالبا ما يترجم اسمها في العهد القديم إلى "بستان" ، في إشارة إلى الأماكن المقدسة التي تصطف على جانبيها الأشجار حيث كانت الأم العظيمة تعبد في الفترة الأمومية السابقة: "لقد أقاموا لأنفسهم أيضا أماكن مرتفعة وأحجار مقدسة وأعمدة أشيرا [أصنام منحوتة] على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة منتشرة.24 ومع ذلك ، لم يضيع اليهويون اللاحقون أي وقت في تقطيع بساتين الإلهة المقدسة إلى أشلاء وحتى حرق كهنتها وأتباعها بإجراءات موجزة على مذابحهم - على الأرجح ليس فقط لأنهم يمثلون الإلهة التي أصبحوا يكرهون قوتها ويخشونها ، ولكن أيضا لأن أتباعها شملوا غدي شيملغاديشم.

كان هؤلاء شبابا يرتدون ملابس متقاطعة ، مكياجين بشكل متقن ومرصعين بالجواهر ، وخدموا حجاج المعبد ، تماما مثل نظرائهم من الإناث ، كبغايا رجال مقدسين. في الواقع ، تحكي أساطير أشيرا عن خادمها

الخاص ، "قادش وعمرور" ، والذي يتم تفسيره تقليديا ، ولكن بشكل غير دقيق ، بخجل على أنه "صياد للسيدة أشيرا من البحر". ومع ذلك ، من المثير للارتباك أن كلمة "قديش" يمكن أن تعني أيضا "مقدس" أو "إلهي" ، مما يمثل معضلة مثيرة للاهتمام في تفسير الكتاب المقدس ، خاصة عندما يتعلق الأمر بمقاطع معينة في العهد الجديد - كما سنرى ...

حتى أنه كان هناك ضريح لأشيرا في هيكل القدس ، كما يشير العالم العبري رافائيل باتاي:

من بين 370 عاما التي وقف خلالها الهيكل السليماني في القدس ، لمدة لا تقل عن 236 عاما ... كان تمثال أشيرا موجودا في الهيكل ، وكانت عبادتها جزءا من الدين الشرعي الذي وافق عليه ويقوده الملك والبلاط والكهنوت ولم يعارضه سوى عدد قليل من الأصوات النبوية التي تصرخ ضده على فترات طويلة نسبيا.21

أقام الملك مانسي ضرحا واحدا ، على شكل عمود أشيرا ،26 والذي يكرهه كاتب كتاب العهد القديم للملكين تماما باعتباره تدنيسا للرب الإله وذكرى الملك سليمان ، الذي بنى الهيكل. كان هذا نفاقا إلى حد ما ، لأن سليمان نفسه لم يكن يكره عبادة الإلهة ، كما كان منتقدوه الكتابيون مغرمين بالإشارة إليه: "عندما تقدم سليمان في السن ، وجهت زوجاته [الأجنبيات] قلبه وراء الآلهة الأخرى ، ولم يكن قلبه مكرسا بالكامل للرب إلهه ، كما كان قلب داود والده. اتبع أستورث إلهة صيدونيين ... ففعل سليمان الشر في عيني الرب ..." 27

كما تم تمييز ولع سليمان بالإلهة من قبل جون ميلتون في كتابه الفردوس المفقود:

... أستوريث ، الذي أطلق عليه الفينيقيون اسم أسارتي ، ملكة السماء ، مع قرون الهلال. لصورتها المشرقة كل ليلة من القمر ، دفعت عذارى صيدونية نذورهن وأغانيهن ، في صهيون [أورشليم] أيضا لم تغنى ، حيث كان هيكلها يقف

.... بناه ذلك الملك المغرور ، الذي قلبه على الرغم من كبره ، ضلل من قبل الوثنيات الجميلات ، فسقط في الأصنام الفاسدة 28

"هذا الملك المغرور" هو سليمان المتزوج كثيرا ، والذي كان اتحاده الأكثر طموحا سياسيا مع ابنة فرعون الذي كان يعبد "إلهة الصدونيين" - وبالطبع لم تكن هذه الألوهية سوى أشيرا.

من شبه المؤكد أن إحدى نساء سليمان الأجنبيات اللواتي "قلبن قلبه تجاه آلهة أخرى" كانت عشيقته ، ملكة سبأ الأسطورية ، التي شكلت مملكتها الرائعة سابيا ومدينتها العظيمة مأرب جزءا من اليمن. لا يعرف الكثير عنها ، بصرف النظر عن ثروتها الرائعة وجمالها المبهر - لكنها كانت على ما يبدو امرأة سوداء ، "مظلمة ، وجميلة" ، وفقا للقصيدة المثيرة ، أغنية الأغاني في العهد القديم 29 ولكن من المعروف أنها حملت اللقب التقليدي لملكات سابيان في ماكيدا أو ماجدة ("السيدة العظيمة") ، و اختفت من التاريخ في إثيوبيا ، حيث يعتقد أنها أنجبت ابن سليمان. وكانت عابدة للشمس (الإله البدائي) والقمر - الأم الإلهة، من المفترض أن تكون نسخة من أشيرا التي ، كما رأينا ، أطلق عليها الكنعانيون قانياتو إليما أو "هي التي تلد الآلهة" ، أو رباتو أثيراتو يمي ، السيدة التي تجتاز البحر - بعبارة أخرى ، القمر. مهما كان مصدر إلهامه ، فمن المؤكد أن أشيرا كانت ستظهر في آلهة سليمان ، على الرغم من الادعاءات الإسرائيلية الدفاعية بأنه حول سبأ إلى التوحيد الذي فشل هو نفسه في اتباعه.

مع إحكام قبضة اليهويين الأبويين الشرسين ، لم يعد لله زوجة رسميا - في الواقع ، الادعاء بعكس ذلك ، أو تكريمها بأي شكل من الأشكال ، كان دعوة لعقوبات رهيبة. بسبب كراهية كهنة يهوه ، تم شيطنة أشيرا ،

مثل الآلهة الأخرى التي حملت طابعها النموذجي ، حرفيا ، على الرغم من أن دورة ثانية - ويمكن القول إنها أكثر شراسة - لشيطان الآلهة القديمة ستحدث تحت رعاية الكنيسة المسيحية اللاحقة. من كونها الخالق والعروس / والدة الله وأم لوسيفر ، أصبحت الإلهة العظيمة أشيرا / عشترة / إيزيس / عشتار شريرة بطبيعتها. ليس من قبيل المصادفة أن العهد القديم يؤكد على حقيقة أن أربعمائة من أنبيائه أكلوا على مائدة زوجة الملك أحاب (873-852 قبل الميلاد) ، إيزابل المكروهة - من الواضح أنهم اعتبروا هذا النوع من الارتباط نموذجيا لأتباع أشيرا.

"الآن أنا لا شيء على الإطلاق ..."

تصبح الأم العظيمة أيضا استعارة للجحيم ، على الرغم من وجود تفسير آخر أكثر إثارة للاهتمام. عندما يقول كاتب الكتاب المقدس لوسيفر "يجب أن تنزل إلى الجحيم ، إلى جانبي الحفرة" ، وفقا لباربرا ووكر ،

كانت هذه "الحفرة" استعارة لهليل ، أو عشيرا ، أم الإله العروس. وكان نزوله كثعبان البرق إلى حفرة يمثل إخصاب الهاوية بالنار الذكورية من السماء. باختصار ، تحدى جالب النور الإله الشمسي الأسمى من خلال السعي لارضاء الأم.30

قد يترجم آباء الكنيسة خطيئة لوسيفر - الغطرسة - على أنها "كبرياء" ، ولكن ، كما تشير ووكر ، "كان معناها الحقيقي هو" العاطفة الجنسية ". على الرغم من أن الكلمة اليونانية تحمل معنى "الكبرياء" ، إلا أن هذا يتضمن أيضا "فحش" ، "كلتا الكلمتين مرتبطتين بانتصاب القضيب ... عاقبت الآلهة الأبوية بشكل خاص الغطرسة ، خطيئة أي مبتدئ أصبح - من كلا الحالتين - "أكبر من مكانته".

في الأصل كان هناك مهرجان أرجيف يسمى غطرسة ، أو مهرجان فجور" حيث "كسر الرجال العاديون المحرمات المحددة" من خلال ارتداء ملابس نسائية من أجل تولي قواهم السحرية المعترف بها. مع ظهور المسيحية ، تم إدانة هذا المهرجان باعتباره عبادة الشيطان ، جنبا إلى جنب مع أي ممارسة أخرى تنطوي على الإيمان بقوة المرأة 33 بشكل واضح ، اضطر عبدة الإلهة في المنطقة التي تسمى الآن سويسرا مع هيمنة المسيحية إلى تدنيس تماثيل الأم العظيمة أثناء تلاوة "ذات مرة كنت الإلهة والآن أنا لا شيء على الإطلاق".31

مع التخفيض الجذري للآلهة ، كانت كل الأشياء الأنثوية قابلة للتلاعب. تحكي نسخة من كتاب العهد القديم الملفق لرازئيل كيف "تم نقل السحر والشعوذة إلى المرأة من قبل ملكين عزة وعزائل الذين سقطوا ، وكذلك استخدام مستحضرات التجميل ، التي تم تصنيفها على أنها سحر شرير".35 يعتقد أن الإلهات مثل إيزيس حتحور وعشترة ينقلن جميع الأسرار الأنثوية إلى مريدهن ، من استخدام روث الإبل كوسائل منع الحمل إلى إلقاء التعاويذ لتأمين العشاق.

ومع ذلك ، لم يعاني يهوه وأنبياه بمفردهم: كانت الآلهة الأخرى التي تغذيها التستوستيرون تواجه مشكلة مع الإناث. لقد رأينا كيف أن بروميثيوس اليوناني ، مثل لوسيفر ، جلب النار - التي ترمز إلى كل من الحضارة والبحث الفكري - للبشرية ، ضد إرادة زيوس ، الإله الأولمبي القوي. تعاطفا مع المصير المحزن للبشرية ، تصرف بروميثيوس بدافع التعاطف ، ليكافأ بالتعذيب الأبدي المتمثل في أكل كبده من قبل نسر الطوطمي الخاص به ، فقط لاستعادته كل ليلة حتى تبدأ الدورة المروعة مرة أخرى. في مسرحية بروميثيوس المقيد لإسخلوس، يتمتم بروميثيوس:

"لقد ساعدت البشرية، ولكنني لم أستطع مساعدة نفسي"، ويتأمل بمرارة في "عقل زيوس [الذي] لا يعرف الدوران، واليد القاسية التي تمسك بالسلطة حديثًا". ومع ذلك ، فإنه يتوقع عقوبة كارما لزيوس على يد

"الأقدار ثلاثية الأشكال والغضب الذي لا ينسى" - أطفال لو ، إلهة بقرة القمر (مثل إيزيس حتحور في مصر) ، الذين عانوا أيضا على يد زيوس.

ومع ذلك، في حين أن زيوس القوي سوف يتراجع أمام الأنثى اللتي اضطهدهن، فمن المؤسف - أو هكذا يبدو - أن العكس هو الصحيح عندما يتعلق الأمر بيهوه التوراتي القدير. على الرغم من أنه لا تزال هناك تيارات خفية قوية للأنثى في اليهودية الحديثة ، إلا أنه لا يتم التعرف عليها عادة ، وبالتأكيد بين الأرثوذكس.

في ضوء ذلك ، فإن الوصف التوراتي للوسيفر ، الساقط ، بأنه "كروب درعي" مثير للاهتمام بشكل خاص. من الكلمة العبرية "كروب"، والتي يعتقد بدورها أنها مشتقة من كلمة "كاريبو" الأكادية - كان الكروبيم وسطاء بين الله والبشرية، وليس الأطفال البدناء الذين يعانون من السمنة المفرطة ولديهم أجنحة صغيرة بشكل لا يصدق، والذين كان الفيكتوريون العاطفيون يفضلونهم. في الواقع ، كانت هناك "صورة محفورة" في هيكل القدس تصور بيانيا اثنين من الكروبيم يشاركان في عناق جنسي ، مما يمثل لغزا مقدسا. ومن المثير للاهتمام أنه لا يوجد أي تلميح لإدانة هذه الصورة في الأدب اليهودي ، على الرغم من أن الناس زنوا بشكل عام بعد رؤية هذه التماثيل تحمل أمامهم في مواكب دينية. كما يذكر باتاي عن هذه العادة ،

"بما أن أحد الْكَرُوبِيمِ كان شخصية أنثوية ، نجد أنه بالإضافة إلى الإلهة الكنعانية التي أدان الأنبياء العبرانيون والحكماء اليهود عبادتها [أشيرا] ، احتوى هيكل القدس على نسخة طبق الأصل من المبدأ الأنثوي الذي كان يعتبر شرعيا في جميع الأوقات.116

عندما تم نفي أشيرا ، عاشت أنثى الكروبيم ، دون مضايقة - على الرغم من أنه ، في النهاية ، فقط مع حجب أنوثتهم ونسيانها.

بقدر ما كان الإسرائيليون يكرهون الاعتراف بذلك, فقد حملوا معهم قدرا كبيرا من التفكير المصري بعيدا عندما قاد موسى هروبهم من العبودية في أرض الأهرامات. لم يظهر يهوه نفسه خصائص الإله المدمر المصري ست فحسب ، بل يبدو أن الإسرائيليين قد استوعبوا أيضا بعض الصور الأنثوية لعصر الأسرة. اكتشف علماء الآثار الذين كانوا ينقبون في قصر الملك أحاب ملك إسرائيل (873-852 قبل الميلاد) في السامرة شاهدة عاجية تصور كيانين أنثويين رابضين يرتديان أطواق وملابس على الطراز المصري بشكل واضح ، ويبدو أنهما يحملان اللوتس الاحتفالي.

يقترح رافائيل باتاي أنهما كانتا في الحقيقة "أنثى جني" ، على غرار شيخينا الأنثوية ، التي نجت متخفية باسم "الروح القدس" المسيحي ، أو "صوفيا" الأنثوية الأكثر وضوحا ، تجسيد الحكمة عند الغنوصيين. يكتب باتاي:

يشير المصطلح التلمودي "شيخينا" إلى مظهر ملموس - مرئي ومسموع - لله على الأرض - ولكن في الأصل "كان مفهوم الشخينا يمثل كيانا إلهيا أنثويا مستقلا مدفوعا بطبيعتها الرحيمة للجدال مع الله دفاعا عن الإنسان. وهكذا فهي ، إن لم يكن من خلال الشخصية ، فمن خلال الوظيفة والمنصب ، وريثة مباشرة لمثل هذه الإلهات العبرية القديمة ... مثل أشيرا ...;'

على الرغم من أن الشيخينا على هذا النحو لا تظهر في الكتاب المقدس ، إلا أنها ممثلة هناك مجازيا باسم Hokma أو "الحكمة". ومن المثير للاهتمام أن Hokma قد تنشأ في أحد الألقاب القديمة لإيزيس المصرية

Heq-Maa ، "أم المعرفة السحرية" ، والتي يعود تاريخها إلى أيام heq القوية أو المرأة الحكيمة القبلية. اشتقاقها ، اللاحق اليونانية هيكاتي ، أو Wise Crone ، ارتبطت بالمرحلة المظلمة من القمر وألغاز النساء ، بما في ذلك أسرار الحياة والموت. كتب العالم الأفلاطوني الجديد فَرفوريوس (حوالي 234-305 م) في مدحها: "القمر هو هيكاتي ، رمز مراحلها المختلفة ... تظهر قوتها في ثلاثة أشكال ، مع وجود رمز للقمر الجديد الشكل في الرداء الأبيض والصنادل الذهبية ، والمشاعل مضاءة. السلة التي تحملها عندما تصعد عاليا هي رمز زراعة المحاصيل التي صنعتها لتنمو وفقا لزيادة نورها.38 مع الحتمية التاريخية ، كان من المقرر أن تصبح هيكاتي المحبوبة

أحد أسماء المسيحيين لملكة الجحيم ، بينما تم استيعاب قوتها الثلاثية في المسيحية من قبل رجال الدين في العصور الوسطى الذين حولوها إلى "قوة المسيح الثلاثية ، أي في السماء والأرض والجحيم". ولكن، كما سنرى، فقد تعرضت هيكاتي على وجه الخصوص للعنة من قبل الكنيسة بسبب مؤامرتها المزعومة مع القابلات لتقويض النظام الطبيعي من خلال مساعدة النساء، إما عن طريق تخفيف آلامهن أو إجهاض الأجنة غير المرغوب فيها - بعبارة أخرى، مساعدة النساء على تمكين أنفسهن. 40 وفي نسخة مشوهة من هذا، في أحد التقاليد القديمة، كان من المفترض أن تحوم زوجة الشيطان ليلاس حول سرير الولادة وتقتل الأطفال حديثي الولادة.

في كتاب الأمثال في العهد القديم ، يلعب Hokma / الحكمة ، سلف هيكاتي ، دورا رئيسيا:

ألا تنادي الحكمة؟ ألا يرفع الفهم صوتها؟ .. تتخذ موقفها ... ويصرخ بصوت عال: إليكم ، أيها الرجال ، أنادي. أرفع صوتي إلى البشرية جمعاء. أنتم البسطاء ، اكتسبوا الحكمة. أنتم الحمقى، اكتسبوا الفهم. اسمعوا ، لأن لدي أشياء جديرة بقولها. أفتح شفتي لأتحدث ما هو صحيح. فمي يتكلم بالحق، لأن شفتي تكرهان الإثم... إنهما بلا عيب لأولئك الذين لديهم المعرفة. اختر تعليماتي بدلا من الفضة ، والمعرفة بدلا من اختيار الذهب ، لأن الحكمة أغلى من الياقوت ، ولا شيء تريده يمكن مقارنته بها.42

إن القسم من الأمثال المعروف بأمثال سليمان يعزز جنس الحكمة: "الحكمة تستقر في قلب الفطن / وحتى بين الحمقى تجعل نفسها معروفة" 43 تنص الأمثال أيضًا على أن الحكمة، مع رمزها الأفروديتي للحمامة، كانت أول خلق الله، ومنذ ذلك الحين باعتبارها الشخينا، على حد تعبير باتاي، "كانت رفيقة لعب الله" 44 يبدو أن الشخينا مخلوق يشبه تينكربيل45 من الضوء الذكي المنطلق، وكان يُعتقد أن لها عقلًا خاصًا بها، لم تتردد أبدًا في استخدامه في أداء وظيفتها في التأثير على الله، بل ومعارضته. من الواضح أن الكائن العنيد القادر على التعامل بقسوة مع يهوه لم يكن له مستقبل وردي على الإطلاق. كما يذكر باتاي:

من حوالي 400 قبل الميلاد إلى 1100 ميلادية كان إله اليهودية شخصية أب وحيدة ورفيعة، وأي إلهة أنثوية سُمح لها بالوجود في ظله إما تم تخفيضها إلى مستوى أدنى، أو تم إخفاء أنوثتها وتقليصها إلى جنس نحوي، كما في حالة الشخينا 46

شبيه بالمسيح بشكل مخيف

مع انتشار المسيحية، تم تخفيض رتبة الآلهة القديمة - الذكور والإناث - في منطقة البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط بسرعة وبصورة هستيرية إلى مرتبة الشياطين، غالبًا لأن أساطيرهم كانت تشبه قصة

يسوع بشكل مخيف. كان الإله تموز المحتضر والناهض، الذي كانت زوجته عشتار ماري، قد وصل إلى أورشليم عبر بابل وقبل ذلك عبر سومر، باعتباره "ابن الدم" أو

"الابن الوحيد". باعتباره إلهًا يموت ويقوم، وله مركز عبادة رئيسي في أورشليم، يعتقد البعض أن تموز هو أحد النماذج الأولية للمسيح: فقد صنع مهده من سلة حبوب، تشبه مذود يسوع، على سبيل المثال. 47 كان حمل الله الذبيح، والراعي السماوي، ورجل الأحزان، وكان يحمل أحيانًا اسم "أوسيرير"، وهو أحد أشكال "أوزوريس"، إله الموت والقيامة المؤثر للغاية في مصر القديمة، والذي مزقه الشرير ست، الذي كان بدوره النموذج الأولي ليهوه. لقد شكل أوزوريس، مع زوجته إيزيس وابنه هورنز، الثالوث المصري العظيم من الأب والأم والطفل، كاشفاً عن نفسية أكثر توازناً من نفسية الكنيسة الذكورية "الآب والابن والروح القدس" - على الرغم من أن الأخيرة كانت في الواقع الشخينا الأنثوية، أو صوفيا. (هذا مثال آخر على حقيقة يعرفها علماء اللاهوت منذ زمن طويل، وتدرسها المعاهد الدينية لأجيال من الكهنة، ومع ذلك يظل مرتاد الكنيسة العادي جاهلاً بما قد يثبت بلا شك أنه راحة في منظمة يهيمن عليها الذكور إلى حد كبير.) سعى المصريون إلى تحقيق التوازن فوق كل شيء: كانت إيزيس المحسنة متوازنة بجانبها المظلم، الإلهة نفتيس، بينما كان على النقيض من "الراعي الصالح" أوزوريس، كان ست، النموذج الأولي الواضح ليهوه.

كان أوزوريس حاكمًا للحياة الآخرة والتجديد البشري والزراعي، وكان يمتلك أكثر من 200 لقب إلهي، بما في ذلك "ملك الملوك"، و"رب الأرباب"، و"الراعي الصالح" (لقب مشترك مع قرينته). كتب عالم المصريات العظيم السير إي. إيه. واليس بودج: "من البداية إلى النهاية، كان أوزوريس بالنسبة للمصريين هو الإله الإنسان الذي عانى، ومات، وقام مرة أخرى، وحكم إلى الأبد في السماء. "فآمنوا أنهم سوف يرثون الحياة الأبدية، كما فعل هو."4' وفقًا للكتابات المصرية القديمة: ``كما أن أوزوريس حي حقًا، فإن أتباعه سيعيشون حقًا؛ وكما أن أوزوريس لم يمت فلن يموت بعد؛ وكما أن أوزوريس لم يُفنَ فلن يُفنى."49

ومن الأمور المزعجة للمسيحيين أن ظهور الإله القديم أوزوريس كان يتم الإعلان عنه من خلال صوت جوقة ملائكية ومن خلال المجوس الثلاثة، على الرغم من أنهم اتخذوا شكل النجوم مينتاكا وأنيلام والنطاق في حزام أوريون، مشيرين إلى ما يعادل نجمة بيت لحم بالنسبة للمسيح. في الأصل اعترف الإسرائيليون بهذا باعتباره "أفرايم" أو "نجم يعقوب"، بينما بالنسبة للفرس لم يكن أقل من المسيح - مسائيل. وكما ذكرت باربرا ووكر، فقد تم تناول لحم أوزوريس

في شكل كعكات من القمح، "نبات الحقيقة". كان أوزوريس حقيقة، وأولئك الذين أكلوه أصبحوا حقيقة أيضًا، كل واحد منهم أوزوريس آخر، ابن الله، "إله النور، ساكن في إله النور". لقد آمن المصريون أنه لا يوجد إله سوى أوزوريس يستطيع أن يمنح الحياة للبشر 50

وكما هو الحال في طقوس تموز، فإن مسرحيات أوزيران الغامضة السنوية تتطلب من الكاهنة التي تلعب دور الأرملة إيزيس أن تندب مقتله في الجمعة العظيمة المصرية، مما يمهد الطريق لمعجزة قيامته بعد يومين. ومن الغريب أن أوزوريس، المعروف باسم أون- نيفر، "الشخص الصالح"، تم تقديسه كقديس مسيحي.

في أيام حزقيال، كانت النساء يجلسن عند البوابة الشمالية للمعبد يبكين على الموت السنوي لتموز، "المسيح" (ببساطة "الممسوح")، الملك المقدس الذي كان يتم تقديمه تضحية طقسية كل عام في أورشليم. لقد خصصته النساء أولاً لأمه/عروسه عشتار ماري، ملكة السماء،51 وهي مظهر آخر من مظاهر أشيرا.

وبينما كانت أتباعه من النساء يتجمعون سنويا عند أبواب المعبد، كن يطلقن صيحات طقسية أطلق عليها

اليونانيون اسم "هولوا"، ويصرخن "لقد مات تموز العظيم!" و يرثونه:

"فمن أخذ هناك صراخ؛ آه أنا، لقد أخذ ابني بعيدًا... مسيحي الذي أخذ بعيدًا، من الأرز المقدس حيث ولدته أمه. "إن العويل من أجل النباتات، فإنها لا تنمو... ومن أجل القطعان، فإنها لا تنتج؛ ومن أجل... الأزواج، ومن أجل... الأطفال، وشعب سومر، فإنها لا تنتج..."52

(يظهر مفهوم موت الإله الذي يتسبب في عقم الأرض مرة أخرى في الأسطورة شبه المسيحية للملك الصياد.)

مثل جميع "الرعاة الصالحين"، و"المخلصين"، و"صيادي البشر"، تم تحويل تموز إلى شيطان من قبل الكنيسة، حتى أنه أصبح سفير الجحيم في إسبانيا، حيث كان لا يزال يعبد من قبل بعض الطوائف المغاربية في العصور الوسطى. (اسمه، الذي يعني "التوأم"، يتحول إلى تلميذ يسوع توما، مما يشير إلى ارتباط طقسي مع الإله القديم الذي يموت ويقوم - وربما دليل مثير للاهتمام على سر حول عائلة المسيح).

ولم يكن تموز وأوزوريس هما الإلهان القديمان الوحيدان اللذان حظيا بالتكريم وتم تعيينهما في الجحيم مع ظهور المسيحية. في قصيدته الملحمية الفردوس المفقود، يبتهج جون ميلتون بوفاتهم، ويعلن:

الآلهة القديمة المختلطة مع الأرواح الشريرة/الشيطانية من البعليم وعشتاروث، هؤلاء الذكور، هؤلاء الإناث. بالنسبة للأرواح عندما تريد، يمكن لأي من الجنسين أن يتخذ قرارًا، أو كليهما؛ لذا فإن جوهرها نقي وناعم 54

يعدد ميلتون أسماء الآلهة الساقطة ببعض المتعة، بما في ذلك: "أستوريث، التي أطلق عليها الفينيقيون اسم/عشترة، ملكة السماء، ذات القرون الهلالية"، إلى جانب "أدونيس وتاموز الجرحى سنويًا"، ولا ننسى "أوزوريس وإيزيس و[حورس] ورفاقهم/ بأشكالهم الوحشية وسحرهم/ مصر المتعصبة وكهنتها" 55 جنبًا إلى جنب مع العجل الذهبي لأتباع موسى المرتدين وقبيلة ضخمة من الآلهة والأصنام، تم اجتياحهم جميعًا إلى المناطق الجهنمية مع مجيء يسوع المسيح.

وفي أركاديا أنا

كانت قرون عشترة، التي تمثل القمر الجديد - كما فعلت في أيقونات العديد من آلهة القمر الأخرى، بما في ذلك إيزيس وديانا - دليلاً مهمًا على التأثير الشيطاني على المسيحية في وقت لاحق. ومع ذلك، كان هناك إله ذكر من العالم القديم هو الذي قدم النموذج المادي للشيطان في العصور الوسطى - القرون، والذيل، والحوافر المشقوقة، وكل مظاهر الجحيم. كان هذا هو "بان" العظيم ذات يوم، ملك الساتير اليونانيين، إله الغابات المطلق - ربما الأركاديين - الذي أصبحت غريزته الجنسية التي لا حدود لها، والتي كانت موضع إعجاب وحسد بين أتباعه، مصدرًا للحب. إله الماعز، الذي كان في بعض الأحيان رفيقًا لأشكال مختلفة من الآلهة مثل سيلين وأثينا وبينيلوب - وعلى ما يبدو، كل المايناداات الشرسة - كان يُنظر إلى فخذيه المشعرين، وشعره المجعد الذي ينمو بشكل فاخر حول قرونه الناشئة وعينيه اللوزيتين الفاتنتين على شكل لوز، على أنه تجسيد للشهوة. وكان العديد من أصنامه مثيرة للإعجاب، وبلا خجل، ذات شكل قضيبي. لم تكن أوراق التين قادرة على حجب رجولة بان الفخورة، ربما لأن أوراق التين لا يمكنها على الإطلاق أن تغطيها.

في مقالته عن بطاقة التارو "الشيطان"، يلاحظ أليستر كراولي بشكل واضح "... تمثل البطاقة بان بانجينيتور، المعطي لكل شيء... الطاقة الذكورية في أكثر حالاتها ذكورية.56 وهو يصف وظيفة بان، حتى في وضعه غير المقبول: "كل الأشياء تمجده على قدم المساواة". "إنه يمثل إيجاد النشوة في كل ظاهرة، مهما كانت مثيرة للاشمئزاز بطبيعتها؛ إنه يتجاوز كل القيود؛ إنه بان؛ إنه كل شيء."57 لا شك أن عبادة بان تتطلب معدة قوية ورغبة جنسية محمومة، ولكن باعتباره متحديًا للعقلية الجامدة والصغيرة، فقد جسد روحًا لوسيفرية حقيقية، بينما لم يكن أبدًا، كما كان يُعتقد على نطاق واسع، تجسيدًا للشيطان. القرون والحوافر وحدها لا تصنع الشيطان.

اعتقد اليونانيون أن الإله الشمسي المصري آمين رع هو نسخة أخرى من بان - المبدأ الذكوري مرتبط عالميًا تقريبًا بالشمس، تمامًا كما كان مبدأه الأنثوي المعاكس والمتساوي يجسده عادة (ولكن ليس حصريًا) آلهة القمر - ويطلق على مدينته المقدسة

"بانوبوليس"، مدينة بان. أصبحت مواكبه المقدسة مجموعتنا الإنجليزية الحديثة، بمعنى "أي مجموعة مهيبة

تغطي أو تحمي"، " مثل الدروع الكاملة التي يتم ارتداؤها احتفاليًا. "Panoply" يأتي من "Pan" و hoplon، وهذا يعني السلاح. اسم بان نفسه بدوره ربما مشتق من paein، والمراعي، ويحمل أيضًا معنى "الخبز" (كما هو الحال في الألم الفرنسي الحديث) و "الكل" (كما هو الحال في "Pan American Airlines "). كان "جميع الآباء" الآخرين مثل أوزوريس وتموز يرمزون إلى الخبز المقدس، الذي يؤكل من أجل استيعاب الحكمة. في وجباتهم المقدسة، كان الخبز يمثل أيضًا لحم الإله، وكان النبيذ يرمز إلى دمائهم. في أسطورة قديمة تتعلق بألوهية الموت والغناء الشعرية أورفيوس، الذي وجد الماء فقط للشرب، حوله بشكل سحري إلى نبيذ.

مثل تلك الآلهة الشقيقة، تم الاحتفال بدراما بان المقدسة للموت والقيامة سنويًا، مما يوفر التراجويدوس اليوناني الأصلي، أو "أغنية الماعز"، أثناء تخصيبه للأرض. استمرت الاحتفالات الجنسية المستوحاة من العموم في العصر المسيحي، جنبًا إلى جنب مع عناصر العبادة من عبادة العذراء، مثل احتفالات عيد العمال حيث رقصت العذراء حول القضيب قبل الاقتران - ربما بشكل عشوائي - مع الفتيان المحليين، مما أثار اشمئزاز الكنيسة العاجزة.

حظرت محمية كرومويل البروتستانتية التطهيرية، إلى جانب كل شيء آخر تقريبًا جعل الحياة تستحق العيش. بالنسبة للتطهيريين، كانت الرخصة الجنسية المشاركة في المهرجانات سيئة بما فيه الكفاية، ولكن في بعض المناطق كانت "الماي"، أو العذراء التي أعطت اسمها لهذا الشهر، مرتبطة إلى حد ما بمريم العذراء البابوية! تم فهم الرمزية الفجة لسارية مايو، إن لم تكن مقبولة، من قبل زملاء كرومويل في الدين، مثل الكاتب فيليب ستوبس، الذي يبدو وصفه التفصيلي للاحتفالات محمومًا بعض الشيء:

الشباب والخادمات، كبار السن من الرجال والزوجات، يركضون بين عشية وضحاها إلى الغابة والبساتين والتلال والجبال، حيث يقضون طوال الليل في التسلية اللطيفة ؛ وفي الصباح يعودون، حاملين معهم البتولا وأغصان الأشجار لتزيين تجمعاتهم. ولا عجب، لأن هناك رب عظيم حاضر بينهم، الشيطان، أمير الجحيم. لكن أكبر جوهرة يجلبونها من هناك هي سارية مايو، التي يجلبونها إلى المنزل بتبجيل كبير. .. مائتان أو ثلاثمائة رجل وامرأة وطفل يتبعونه بتفانٍ كبير. وبعد أن تم رفعها ... قاموا بنثر الأرض حولها، وربطوا الأغصان الخضراء حولها، وأقاموا قاعات صيفية ومظلات واقواس حولها. ثم يبدأون في الرقص حوله، كما فعل الوثنيون عند تكريس الأصنام، حيث يعتبر هذا نموذجًا مثاليًا، أو بالأحرى الشيء نفسه 59

كان عيد العمال مرتبطًا بشكل لا يمحى بالطقوس الوثنية القديمة في جميع أنحاء أوروبا لدرجة أن أجراس الكنيسة في فرنسا كانت تدق طوال ذلك الشهر "لحماية المدينة من السحرة الطائرين".60 وعلى الرغم من أن مايو نفسها لا تزال تعتبر من قبل الخرافات على أنها غير محظوظة، إلا أنه من المشؤوم بشكل خاص الزواج يوم الجمعة في مايو، حيث كانت أيام الجمعة مقدسة تقليديًا للإلهات مثل فريا الشمالية، التي أعطت اسمها لأيام الأسبوع.

أعطى الماعز ذو القدمين اسمه أيضًا إلى "ذعرنا"، "في الأصل صرخة بان الرهيبة، الذي فرق أعدائه بصراخ سحري ملأهم بالخوف وأخذ كل قوتهم".61 يُعتقد أن الذعر الحقيقي يتم تجربته فقط في الغابة البرية أو البرية، وهو موضوع تم تصويره في الفيلم الأسترالي المسكون ،Picnic at Hanging Rock (1975) 62 حيث اختفت التلميذات والمعلم بشكل غامض في رحلة إلى Hanging Rock (صخرة آيرز المقنعة قليلاً) وسط جو هائج من النشاط الجنسي المكبوت، والعصاب الغليان وشيء خارق للطبيعة بشكل غامض يتربص تحت المؤامرة - شيء عنصري وشهواني ...

يرتبط بان أيضًا ارتباطًا وثيقًا بالساتير، وهو في الأصل خجول جدًا لدرجة أن طوطمهم الحيواني كان

الأرنب، ولكن يُنظر إليه لاحقًا على نطاق واسع على أنه كائن جشع يشبه الماعز، وله حوافر وأرجل مشعرة وصدور بشرية عارية وقرون. يمكن رؤية أنهم افترضوا صفات نموذجية لتحدي القمع الجنسي من وصف "الجرح العميق والسري" في ذهن دوروثي هير، البطلة التي تحمل اسم جورج أورويل "ابنة رجل الدين" (1935)، التي وجدت "هذا النوع من الأشياء" مقيتة بشكل استثنائي بعد مشاهدة "بعض المشاهد المروعة بين والدها وأمها" عندما كانت طفلة:

... ثم بعد ذلك بقليل كانت خائفة من بعض النقوش الفولاذية القديمة للحوريات التي يتبعها ساتير. بالنسبة لعقلها الطفولي، كان هناك شيء لا يمكن تفسيره، شرير بشكل فظيع في تلك المخلوقات القرنية شبه البشرية التي تكمن في الغابة ... على استعداد للخروج في مطاردة سريعة مفاجئة...بقي ساتير معها كرمز ... [من] هذا الشعور الخاص بالرهبة، والأمل أقل هروبًا من شيء أكثر من مخيف عقلانيًا - ختم الحوافر في الغابة الوحيدة، والفخذين الهزيلين الفروبين من الساتير. لم يكن شيئًا يمكن تغييره، لا يمكن مناقشته.

يضيف أورويل مع لمسة من السخرية - وربما ذكريات حية من الإحباط الشخصي: "علاوة على ذلك، من الشائع جدًا في الوقت الحاضر، بين النساء المتعلمات، أن يحدث أي نوع من المفاجأة".

يشير أرطميدورس (الذي يشير اسمه إلى وجود صلة مع عبادة الإلهة آرتميس)، مترجم الأحلام في أواخر القرن الثاني، بقوة إلى أن بان يظهر بشكل منتظم في أحلام البشرية، وغالبًا ما يلمح في الليل. كتب الشاعر الكلاسيكي هوراس بفخر وامتنان أن بان كان يحمي مزرعته، وأحيانًا حتى يزوره، على الرغم من أنه لم يره أبدًا بشكل صحيح 63 تقول التقاليد الغامضة أن بان يُنظر إليه في أماكن وأوقات "التقاطع" - حافة الخشب عند الظهر أو منتصف الليل، على سبيل المثال - ولا ينبغي استحضاره أبدًا بعد وقت الغداء مباشرة، لأنه سيستمتع بقيلولة بعد الظهر، ولسوء الحظ، سيكون متقاطعًا إلى حد ما.

في كتابه "بان: إله الطبيعة العظيم" (1993)، يذكر الباحث الغامض "ليو فينشي" أن

"في النسخة المعتمدة من إشعياء، يتم استخدام كلمة" satyr "لجعل se 'rim العبرية (" تلك المشعرة ") شيطانًا أو كائنًا خارقًا للطبيعة... يعيش في أماكن غير مأهولة بالسكان."64 يستشهد بإشعياء: "لكن وحوش الصحراء سترقد هناك ؛ وستكون منازلهم مليئة بالمخلوقات الكئيبة ؛ وسترقد البوم هناك، وسيرقص الساتير هناك".65 مرة أخرى، يكرر إشعياء فكرة الساتير/الخراب. "ستلتقي وحوش الصحراء البرية أيضًا بوحوش الجزيرة البرية، وسيبكي الساتير لزميله".66 يشير فينشي إلى أن الإشارة إلى "الشياطين" في المقطع التالي من سفر اللاويين تشير إلى الساتير: "ولا يقدمون ذبائحهم بعد للشياطين الذين زناوا وراءهم".161

كما هو الحال في الأسرار السنوية لتموز، كان مشيعو بان يندبون "مات بان العظيم!"، ولكن سرعان ما تم أخذ هذه العبارة الطقسية للاحتفال ليس فقط بنهاية عام آخر، ولكن الفصل الأخير في عصر ديني كامل، وفاة سيادة بان - وبالتالي، جميع الآلهة الوثنية العظيمة - مع ظهور المسيحية. كما قال ستيفن ماكينا الغامض "السيد الغريب" في كتابه غير المعروف، الإله الأكبر (1926):

العالم ... خجول للغاية... بالنسبة للوثنية ؛ وهكذا تظل البشرية معلقة في الجو، أعلى من الوحوش وأقل من الملائكة، بائسة في الفراغ بين الرضا الحيواني والنعيم السماوي... انتهت قاعدة بان في اليوم الذي بشر فيه أحد المتعصبين بأن بان اللطيف والفرح والوحشي كان في الحقيقة تجسيدًا للخطيئة الأصلية!"

عندما يغادر الغريب، "رحلت رائحة الحيوان المحيرة" 68

إن المفهوم العميق والمزعج لكائن عظيم كان "لطيفًا" و"وحشيًا" في نفس الوقت،

عادة ما يكون أقوى من أن يستوعبه الناس المعاصرون، وغالبًا حتى أتباع العصر الجديد الذين يتبعون شكلهم الخاص من الوثنية الجديدة. (يصبح بان نوعًا من حانة منحط، بينما يتحول المدمرون القدامى الذين لا هوادة فيهم مثل سخمت إلى شخصيات ودودة مهتمة، مثل الحيوانات الأليفة ذات الفراء تقريبًا. في حين أن القليل من الناس يرغبون في تدمير مدينتهم بواسطة إلهة مصرية شرسة برأس لبؤة تتنفس النار، فإن النسخة الحديثة المحببة غير أصلية لدرجة أنها ستكون غير قابلة للتعريف من قبل مريدها القدماء.

ومع انهيار الإمبراطورية الرومانية ــ التي كانت في كل الأحوال متشككة وملحدة بشكل متزايد ــ لم يتبق سوى عدد قليل من الآلهة القديمة التي تتمتع بشعبية. ومع ذلك، تحول إلى شيطان ذو قرون في شكله المظلم كتيس منديس، وتحول جميع أتباعه الساتير إلى شياطين من الحفرة، ومن المفارقات أن بان ظل في الصدارة في المسيحية. وكما ذكر جيفري آش في روايته الكلاسيكية العذراء (1976): "خلال فترة الانحدار الطويلة لروما، كان آخر المؤمنين المفكرين بالآلهة القديمة تقريباً هم أعداؤهم المسيحيون. قد يضحك الوثني على أبولو باعتباره أسطورة. "إن المسيحي سوف يرتجف منه وكأنه روح شريرة."

وبعيدًا عن غاباته الأركادية، أصبح بان الشيطان، وكما سنرى، اتُهم أتباعه الأوروبيون في العصور الوسطى بعبادته في أعماق الريف. وفي أوروبا، كان إله الغرب المحبوب، سيرنونوس، رب الخصوبة والعالم السفلي - المشابه في المظهر والخصائص لبان - يشبه الشيطان أيضًا، في حين كان ثور النوردي، يرتدي اللون الأحمر الشيطاني، يقود عربة تجرها الماعز - وهو ما يوحي كثيرًا بالمسيحيين. ولم يكن لدى القديس بولس أي شك في أن جميع الآلهة الوثنية كانت في الواقع شيطانية، فكتب إلى أهل كورنثوس:

هل أقصد... أن الذبيحة المقدمة للصنم هي أي شيء أو أن الصنم هو أي شيء؟ لا، ولكن ذبائح الوثنيين تقدم للشياطين، وليس لله، وأنا لا أريدكم أن تكونوا مشاركين مع الشياطين.

لا يمكنك أن تشرب كأس الرب وكأس الشياطين أيضًا، ولا يمكنك أن يكون لك نصيب في مائدة الرب ومائدة الشياطين معًا.

ويضيف بولس بشيء من التوتر: "فهل نحاول أن نثير غيرة الرب؟" هل نحن أقوى منه؟7' ولعل بولس كان يعلم أنه يجب أن يكون حذراً بشكل خاص من بان، لأنه كان يحكم الريف، الوثني، الذي أعطى اسمه للوثنيين المكروهين. ولا يمكن لارتباطه بالإلهات الشهوانية الحازمة إلا أن يزيد من تشويه صورة بان في عيون بولس، لو كان ذلك ممكناً.

وإلى جانب المايناد، كانت أرتميس واحدة من أبرز زميلات بان، "غير المصابة، الشافية، القوية"، التي "تمنح الصحة والقوة الاخرين".72 وكانت معروفة أيضًا لعابديها في أفسس، في تركيا، تحت اسمها اللاتيني ديانا - "الإلهة آنا" - حيث كان تمثالها الذهبي الضخم مغطى بالثديين، ليرمز إلى نجدتها للجميع. ومع ذلك، كان لها أيضًا جانبٌ مظلمٌ ومرعب، إذ عُرفت في إسبرطة باسم أرتاميس، "الجزارة"، وهي مُدمِّرةٌ شبيهةٌ بكالي، غضبها يُشبه غضب يهوه. ومن تجسيداتها الحيوانية العديدة دبّةٌ، يُطلق عليها الكلتيون اسم "آرت"، زوجة آرثر العظيم، الذي كان حيوانه الطوطميّ هو الدب. كان ملك السحرة في العصور الوسطى يُعرف باسم "روبن، ابن آرت". وبمزيجهم المعتاد من الخوف والخرافات والاحترام المتردد، ندد المسيحيون بأرتميس باعتبارها شيطانة وأعلنوها قديسة أورسولا، من اسمها الساكسوني، أورسيل.73

(كما لاحظت ليز جرين في روايتها المؤثرة والمهمة عن الأسرار المزعومة للميروفنجيين في فرنسا، حالم الكرمة [1980] "... كم كانت هذه الآلهة مختلفة ... ما يطلبه أحدهما يكرهه الآخر. ورغم أن عقولنا الفقيرة لا تستطيع استيعاب ذلك، فإنني غالباً ما أشك في أن هذه الآلهة هي نفس الشيء. ثم تضيف بحكمة: "أعتقد أن

الكثير من أي إله يمكن أن يدفع الإنسان إلى الجنون".)74

لقد خيمت الخطوط العريضة المشعرة لإله الماعز على سنوات محاكمات الساحرات: والآن بعد أن تجسد الشيطان، أصبح لديه حرية كاملة في اصطياد الغافلين - وخاصة النساء - والاستيلاء على أرواحهم.

حتى "الغابات والفون" اللطيفين في أركاديا المفقودة كان يُعتقد - من قبل محاكم التفتيش وحتى إخوانهم في الدين في وقت لاحق بكثير، وليس أقلهم المتعصب الكاثوليكي القس مونتاجو سامرز (الذي توفي في عام 1948)، والذي ذكر المزيد عنه في وقت لاحق بكثير - أنهم "يُطلق عليهم عادةً اسم الحَضُون"، أو الشياطين الجنسية.75 في هذا، كما في الكثير من الأشياء الأخرى، يسير سامرز على خط الحزب الراسخ منذ فترة طويلة: في الواقع، تم إدراج الساتير والفون وأرواح الطبيعة الغالية التي تسمى دوسي (من ديوس، "الله") في الدليل الرسمي لمحاكم التفتيش باعتبارهم الحَضُون:

الذين مارسوا الجنس مع السحرة أمام شهود ... يبدو أن النساء على استعداد بشكل غير مبرر للتزاوج مع شياطينهن تحت أعين

"المارة"؛ حيث أفاد الأخيرون أنه في حين ظل الشيطان غير مرئي، "فقد أصبح من الواضح من تصرف تلك الأطراف والأعضاء التي تتعلق بالفعل الجنسي والنشوة الجنسية، [أنهم] ... كانوا يتزاوجون مع شياطين الحَضُون".76

يُظهِر سامرز تناقضاته الغريبة عندما يناقش الشيطان كما تم تمثيله على المسرح في العصور الوسطى: "إنه في الواقع ساتير المواكب الديونيزية القديمة، روح الطبيعة، جوهر الحرية المبهجة والبهجة غير المقيدة، بلا خجل إذا شئت، لأن اليوناني القديم لم يعرف الخجل". من الغريب أن سامرز يبدو معجبًا على مضض بـ "الحرية المبهجة" للساتير، "بل ويستمر في ذلك: "... باختصار، كان تجسيدًا للوثنية، وكانت الوثنية ألد أعداء المسيحيين؛ لذلك أخذوه، ذلك المحتفل بباخوس، وضربوه من قرنه إلى حافره، وظل ألد أعداء المسيحيين، الشيطان". ويبدو أن القس سامرز يتجاهل حقيقة أن الجزء الأكبر من كتابه مخصص لوصف الشيطان ذي القرون والظلف المشقوق باعتباره حقيقة واقعة. على أية حال، فإنه يلاحظ أنه في مسرحية يوربيديس الكلاسيكية ميديا التي يرجع تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، هناك المقطع التالي: "لقد بدت، كما أعرف، وكأنها مصابة بجنون شديد، مستوحاة من بان أو أحد الآلهة الآخرين"،77 مضيفًا "كان يُعتقد أحيانًا أن الجنون قد أرسله بان لأي إهمال لعبادته".78

على الرغم من أن بان لم يمت حقًا بالنسبة لبعض مجموعات سكان الريف، إلا أنه مع صعود الحركة الرومانسية في أوائل القرن التاسع عشر شهد عودته، ولو مرة أخرى، ربما بشخصية مخففة قليلاً. أصبحت أراضي عدد لا يحصى من المساكن الريفية مليئة بالتحف في شكل معابد أو حتى مقابر كلاسيكية، وتماثيل تذكرنا ببان - الساتير، والحوريات، والإله نفسه. انتشرت أفكار حول أركاديا المفقودة منذ زمن طويل، والعصر الذهبي المليء بالأشجار، في المجتمع بأكمله.

ربما كان الشاعر شيلي يفكر في الصور الرومانسية الأكثر عاطفية وحيوية عندما كتب إلى صديقه توماس جيه هوج: "يسعدني أن أسمع أنك لا تهمل طقوس الدين الحقيقي". لقد أيقظت رسالتك إخلاصي النائم، وفي نفس المساء صعدت وحدي إلى الجبل العالي خلف منزلي، وعلقت إكليلًا من الزهور، ورفعت مذبحًا صغيرًا من العشب لبان الذي كان يمشي على الجبل.79 ويبدو أن تبجيل شيلي لبان الوثني للغاية قد ملأ الفجوة التي خلفها رفضه للمسيحية. في رسالة تم اكتشافها مؤخرا من الشاعر إلى رالف ويدجوود - والتي يرجع تاريخها إلى حوالي عام 1811 عندما تم طرد شيلي من جامعة أكسفورد لنشره مقالا بعنوان "ضرورة الإلحاد" -

كتب: "المسيح لم يكن موجودًا أبدًا... سقوط الإنسان، وكل نسيج الخرافات الذي يدعمه لم يعد قادرًا على الحصول على ثناء الفلاسفة". ومن المثير للاهتمام أن شيلي شعر براحة أكبر مع النموذج الأولي النهائي للإله الوثني مقارنة بالإله المسيحي. لقد كتب رئيس كهنة الانحطاط، اللورد بايرون -الذي كانت له علاقة حميمة مع أخته ضمن عدد لا يحصى من العلاقات العابرة- بأسف:

صامتون على شواطئهم، قدامى الآلهة منذ أن مات بان العظيم، ومن خلال هدير المياه الأيونية انكسر صوت مخيف معلنًا: "مات بان العظيم".

كم مات معه! سواء كان كذبًا أم صدقًا - كان الحلم جميلًا، الذي ملأ كل جدول بأكثر من مستأجرين، وزين الغابات والمياه بحوريات خجولات احتقرن الآلهة المطاردة، أو في أحضان الآلهة أنجبن السلالة البطولية السامية التي أسماؤهم على التلال وفوق البحار.

ربما كان أوسكار وايلد صادقًا، أو ببساطة مدركًا تمامًا لسمعته بالإفراط والانحراف - بعد كل شيء، أصر على لعب دور سالومي في مسرحيته التي تحمل نفس الاسم في ليلتها الأولى والوحيدة - رثى قائلاً: "يا إله أركادي ذي القدم الماعز!" إن هذا العالم الحديث يحتاج إليك! 181

وعلى نحو أقل توقعاً، يظهر بان بشكل مجهول في رواية الأطفال الكلاسيكية العظيمة "الريح في الصفصاف" (1908) لكينيث جراهام، عندما يهمس رات، في رهبة، "كما لو كان في غيبوبة": "هذا هو مكان حلمي الغنائي، المكان الذي عزفت فيه الموسيقى لي... هنا، في هذا المكان المقدس، هنا إن كان في أي مكان، بالتأكيد سوف نجده!

لوسيفر وكل قبيلتها

لقد رأينا كيف أطلق أفلاطون على لوسيفر اسم "أستر"، والذي يعني ببساطة "نجم"، بعد تعريفه بنجم الصباح الساطع. لكن أفلاطون وعدد لا يحصى من الآخرين في العالم القديم عرفوا أن نجم الصباح له تجسيد آخر - يتحرك في السماء كنجم المساء، أو الزهرة (فينوس). في روايته الكلاسيكية "الغصن الذهبي" (1922)، كتب ج. ج. فريزر:

كان سيريوس هو نجم إيزيس، تمامًا كما اعتبر البابليون كوكب الزهرة نجم عشترة. بالنسبة للشعبين، بدا النجم الساطع في سماء الصباح وكأنه إلهة الحياة والحب جاءت لتندب حبيبها أو زوجها الراحل وإيقاظه من الموت.82

وكما هو الحال مع أستريا الأقل شهرة أو "النجمة الواحدة"،83 إلهة القانون الليبية التي كانت مسؤولة عن مصير الإنسان، كان يُعتقد أن جمال وحقيقة الإلهة فينوس كانت مرئية في نجم المساء، وهو النقيض والمساوي لنجم الصباح، لوسيفر. ولكن هذا التمييز كان دقيقاً للغاية بالنسبة لأعداء الوثنيين المسيحيين الجدد، وسرعان ما حدث طمس كبير بين المبدأ الأنثوي والشيطان، وخفف من ذلك ميل الرومان إلى الإشارة إلى فينوس باسم "لوسيفيرا"، المستنيرة. فينوس، الإلهة النموذجية لفنون الحب وأسرار المرأة، الإلهة الجنسية بلا خجل، أعطت اسمها ليس فقط لـ "الأمراض التناسلية" و"الجنس"، ولكن ربما، كما يدعي البعض، أيضًا بشكل أكثر لطفًا لمدينة البندقية، مدينة عنصرها باعتبارها "ستيلا ماريس" (نجمة البحر، وهو اللقب الذي

شاركته مع إيزيس، وبعد ذلك بكثير، مريم العذراء). في الأصل، مثل ديانا، كانت الزهرة صيادة، "سيدة الحيوانات"، وكان زوجها ذو القرون هو أدونيس - "الصياد والأيل المخصص للتضحية - أصبح لحم غزال، وهو ما يعني "ابن فينوس"." مرة أخرى يصبح الخط الفاصل بين الآلهة المنزلية وأزواجهم غير واضح. ومرة أخرى ترتبط الإلهة بالحيوانية، والأسرار الجنسية، والشهوة - ولوسيفر. تصف باربرا ووكر رد الفعل المتوقع:

لقد استنكر آباء المسيحية الأوائل المعابد "المخصصة للشيطان القذر الذي يدعى فينوس - مدرسة الشر لجميع أتباع الفجور".85 ما يعنيه هذا هو أنهم كانوا مدارس لتعليم التقنيات الجنسية، تحت وصاية فينيري أو الكاهنات العاهرات.86 لقد علموا نهجًا للنعمة الروحية، يسمى فينيا، من خلال التمارين الجنسية مثل تلك الموجودة في التانترا [العبادة الشرقية للجنس المقدس] 87

لم يكن هذا الجانب من عبادة فينوس غير شائع بين عبادة الآلهة: كما رأينا، كان لدى زوجة الله آشيرات "عاهرات معبد" من الإناث والذكور - على الرغم من أن هذا مصطلح مهين استخدمه لأول مرة علماء العصر الفيكتوري الرافضون وغير المتفهمين. بالنسبة للثقافة نفسها، كان هؤلاء العاملون في الطقوس الجنسية المقدسة معروفين باسم "خدم المعبد"، وهو الدور الذي كان يتم الاعتراف به باحترام. كان كل من الإناث والذكور الذين يرتدون ملابس نسائية موجودين لإعطاء الرجال متعة غامرة تتجاوز مجرد ممارسة الجنس: كان يُعتقد أن لحظة النشوة الجنسية تدفعهم لفترة وجيزة إلى حضور الآلهة، لتقدم لهم تجربة متعالية من التنوير. كان الرجال فقط يذهبون مع خدام المعبد لأنهم كانوا يعتقدون أن النساء مستنيرات بشكل طبيعي وبالتالي لم يكن لديهن حاجة إلى مثل هذه الطقوس - وهو موقف معاكس تمامًا للكراهية القمعية للنساء في اليهودية الأبوية والمسيحية.

بالنسبة لهذه الديانات التي يهيمن عليها الذكور، كان الجنس شريرًا لأن النساء يغرين الرجال بالشهوة تجاههن - في كثير من الأحيان، كما زعموا، ضد حكمهم الأفضل: كان الرجال غير الراغبين "مسحورين" حرفيًا بـ "سحرهم" (حرفيًا قدرتهم على التسبب في الهلوسة أو تغيير الشكل بالفعل). كانت النساء شريرات بطبيعتهن بسبب حواء، التي سمحت للشيطان بدخول العالم وتسببت في طرد البشرية من الفردوس.

والأسوأ من ذلك أن الآلهة كانت ترتبط في كثير من الأحيان صراحة بالثعابين - في الواقع، كان الثعبان المصري، الذي كان يرتديه الفراعنة في أغطية الرأس، رمزًا هيروغليفيًا

للإلهة 88- أخذت كليوباترا لقب "أفعى النيل" نسبة إلى كل الملكات المصريات اللاتي مثلن الإلهة، اللاتي أخذن الملك في أحضانهن المانحة للحياة. كانت إلهة الثعبان المصرية ميهن المغلفة تغلف عوف رع - قضيب إله الشمس رع - كل ليلة، أثناء سفره في العالم السفلي، رمزًا لاتحادهما الجنسي. ارتبطت إيزيس وجانبها المظلم نفتيس بالأم الثعبانية للحياة المادية والآخرة، وكانت معرفتهما تساعد بشكل خاص المسافر بعد الوفاة في منطقة الثعابين الشرسة. في جزيرة كريت القديمة، قبل العصر البرونزي، كانت الأشياء التي يتم تبجيلها هي النساء والثعابين. حتى مع هيمنة عبادة الثور في وقت لاحق، كان الكاهن أدنى من الكاهنة التي تحمل الثعابين. التفسير الحرفي للكلمة الأكادية القديمة التي تعني "كاهن" هي "ساحر الثعابين".89

ربما يكون هذا الارتباط عقليًا للغاية، فبالنسبة لرجال الدين كانت الآلهة الوثنية شريرة بطبيعتها، وذلك لأنهم كانوا وثنيين وإلهات. لقد شجعوا بشكل واضح الرجال والنساء على عبادة المبدأ الأنثوي لدرجة أنهم جسدوا بشكل رائع وصارخ وعلموا أتباعهم من الإناث أسرار الحياة والموت والجنس ومنع الحمل والإجهاض. وكما كانت الحال مع زوجة آدم الأولى ليليث، كانت الآلهة تستمتع بشكل سيء مع أزواجها في المكانة العليا، وهو ما كان يعتقده رجال الدين اليهود والمسيحيين بأنه شرير للغاية باعتباره انقلابًا متعمدًا على شريعة الله.

(بالنسبة لهم، كانت الطريقة التقية الوحيدة للتواصل هي "فينوس أوبزرفا"، أو "وضع التبشير" - سمي بذلك لأن المبشرين المسيحيين أصروا على أن يستخدمه المتحولون الأصليون حصريًا في حياتهم). اعتقد السكان الأصليون أن الأمر مضحك.)

على الرغم من أن البظر هو العضو البشري الوحيد الذي وظيفته الوحيدة هي إعطاء المتعة، إلا أن المتعة الجنسية كانت محل استنكار، وخاصة بالنسبة للنساء، حيث كان هدفهن الجنسي الوحيد هو التكاثر. إن إيزيس، وديانا لوسيفر، وأرتميس، وأشيرا، وفينوس، وجميع المظاهر الأخرى للإلهة العظيمة، قد تجد صعوبة في فهم هذا: فبالنسبة لهم، كل جانب من جوانب الأنوثة كان هناك ليتم تجربته والاحتفال به، من العذرية إلى الأمومة إلى الشيخوخة الكريمة والحكيمة، مع كل شيء بينهما من الملكة المحاربة والعاهرة المقدسة. لقد كانت النساء الوثنيات، اللاتي ترعرعن في مثل هذا الموقف، في كثير من الأحيان حازمات ومستقلات بشكل غير مفاجئ - وخاصة في مصر، حيث سُمح لهن في القرن الأول بامتلاك الممتلكات والبدء في الطلاق. كما تم الاحتفال بالنساء المتعلمات: حيث يشير نقش يعود تاريخه إلى الأسرة الرابعة (حوالي 2600-2500 قبل الميلاد)، وهو تاريخ متزامن تقريبًا مع بناء أهرامات الجيزة، إلى امرأة في معبد تحوت باعتبارها "سيدة بيت الكتب". 90 كانت هيباتيا، أول عالمة رياضيات وفيلسوفة عظيمة، من مواليد الإسكندرية، مزقتها حشود غاضبة في عام 415 م، ويقول البعض أن ذلك كان بدافع الحسد من الأسقف المسيحي كيرلس.

لقد تصرفت حواء بمبادرة منها، وسخرت ليليث من الله وملائكته، واتخذت أشيرا لوسيفر كحبيب. من الواضح أن النساء شيطانيات، وذرية الشيطان، ويجب منعهن بأي ثمن من التفكير أو التصرف إلا تحت أوامر الذكور. وتشير باربرا ووكر إلى وجود رابط تاريخي آخر بين الآلهة والمفاهيم الغربية للشر:

كان الرقم ستة الثلاثي، 666، هو الرقم السحري لأفروديت (أو عشتار) في هيئة القدر. وقد أطلق عليه سفر الرؤيا "عدد الوحش" (رؤيا 13: 18)، وهو على ما يبدو الوحش ذو الظهرين، خنثى الحب الجسدي. عقد سليمان الملك الساحر زواجًا مقدسًا من الإلهة وحصل على 666 وزنة من الذهب (1ملوك 10: 14). يطلق المسيحيون عليه عادة اسم رقم الشيطان، إلا أن تكرار هذا الرقم في التقاليد الباطنية غالباً ما يكون مفاجئاً. على سبيل المثال، تم التخطيط لمتاهة كاتدرائية شارتر بحيث يبلغ طولها 666 قدمًا بالضبط.91

يرى الأصوليون المسيحيون المتشددون الذين يؤيدون الجحيم واللعنة، وعدد كبير من منظري المؤامرة، أن الرقم الشيطاني "666" في كل شيء، هو دليل على النفوذ الشيطاني في الحكومة والماسونيين وغيرهم. والأمر الأكثر حزناً وإزعاجاً هو أنه حتى لو علموا بالخلفية الحقيقية لأشهر شخصية في المسيحية، فإنهم مثل أسلافهم سوف يظلون يعتبرونها شراً. بالنسبة لهم، باعتبارها إلهة وثنية، كانت أفروديت شيطانية بشكل واضح، ولكنها في الواقع كانت لوسيفرية حقًا - بمعنى كونها مستنيرة لأتباعها، تمامًا كما كانت إلهات شقيقاتها. كانت بعض أعمال أفروديت قوية للغاية حتى بالنسبة للإغريق القدماء التقليديين، الذين اعتبروا أن حياة المرأة تقتصر على حياة منزلية ضيقة. عندما طلبت الشاعرة المثلية سافو من الإلهة المساعدة في كسب ود فتاة معينة، أجابت: "من/يا سافو، من ينصفك؟"/فإن هربت فسوف تلاحقك قريبًا/ ورغم أنها لا تتلقى هداياك، فإنها ستقدمها/ وإذا لم تحب الآن، فسوف تحب قريبًا/ حتى ضد إرادتها.92 بطريقة ما، يمكننا أن نكتشف يد سافو نفسها في هذه الاستجابة المريحة من الإله.

وكما رأينا، فإن بعض الآلهة الوثنية، مثل الصيادة ديانا، أخذت لقب "لوسيفر/لوسيفيرا"، حاملة النور إلى ظلام البؤس البشري.

سبب آخر لكون الإلهات القديمة مرادفة للشيطان هو أن العديد منهم تم تصويرهم وهم يرتدون قرون القمر.

ترتدي إيزيس حتحور زوجًا من قرون البقر الرائعة، كما يليق براعي هذا الحيوان، ولا بد أنها بدت شيطانية حقًا بالنسبة للمسيحيين الأوائل حيث استمرت عبادتها في أوروبا كمنافسة حتى القرن الرابع الميلادي - حتى القرن الخامس في أجزاء من إيطاليا. أعطت زوجة الله، عشتاريث، اسمها لعشتاروث-قرنايم في جلعاد، أو

`عشتاروث/عشاريت القرون`. ويعتقد الباحث الأمريكي ديفيد لانس جوينز أن قرون الآلهة ليست قمرية على الإطلاق، بل تعكس ارتباطها بالزهرة، وهو كوكب ينتج أيضًا شكل هلال مرئي في السماء الليلية. 93 وإذا كان الأمر كذلك، فإن هذا يعزز فقط الشعور بأن المسيحيين الأوائل ربطوا المبدأ الأنثوي بالقرون والزهرة - الشيطان المتجسد.

لا شك أنه من المفترض أن المسيحية، مثل يسوع نفسه، نشأت من حالة إلهية من العفة دون أي نسمة من التلوث الجنسي المكروه. ولكن مثل يهوه مع أشيرا، وفينوس مع أدونيسها، وأوزوريس مع إيزيس، كان للمسيح أيضاً زوجته المقدسة، وهي امرأة تلقت لقب "لوسيفر" من أتباعها - والتي، على ما يبدو، علمت أسرار الجنس المقدس ليس فقط للشخص المختار، ولكن أيضاً لأتباعه ...

الفصل الثالث

امرأة تُدعى لوسيفر

في الغرب في القرن الحادي والعشرين، كل أفكارنا حول الصواب والخطأ، والخير والشر، تأتي من التقاليد اليهودية المسيحية في ثقافتنا. ولكن، كما رأينا، فإن مؤهلات يهوه باعتباره إلهاً نبيلاً أو حتى ذكياً بشكل خاص لا تضاهي قدرته على الغيرة والضرب، وقصة سقوط البشرية من النعمة - وإخضاع النساء بعد ذلك - هي قصة حزينة من الأساطير المشوهة والتحيز الصارخ. ولكن لا شيء من هذا يقارن بإعادة صياغة القصة المسيحية الأصلية عمدا، والتي غالبا ما كانت في معارضة مباشرة لرغبات المسيح نفسه. سيتناول هذا الفصل وجهة نظر مختلفة تمامًا للمسيحية، تم تجميعها من نصوص محظورة منذ فترة طويلة، وهويات غامضة، وإعادة إدراج مقاطع من الأناجيل المحررة بشكل صارخ. وستكون النتيجة صادمة ومثيرة للتفكير، وتعكس ضمناً العديد من الافتراضات المسيحية حول الشخصيات المقدسة، وحتى حول فهمهم الأساسي لما هو شيطاني وما هو صالح.

في عام 1958، تم اكتشاف من قبل الدكتور مورتون سميث (الذي أصبح فيما بعد أستاذًا للتاريخ القديم في جامعة كولومبيا، نيويورك) في مكتبة جماعة أرثوذكسية شرقية مغلقة في مار سابا بالقرب من القدس. كانت نسخة من رسالة من أحد آباء الكنيسة في القرن الثاني، إكليمندس الإسكندري، والتي، كما سنرى لاحقًا، تتضمن مادة قابلة للانفجار مأخوذة من "إنجيل مرقس السري"، وهو على ما يبدو نسخة باطنية من الإنجيل الكتابي، ولكن للمتأهلين فقط. رسالة إكليمندس هي رد على مسيحي يُدعى ثيودور الذي أراد أن يعرف كيفية التعامل مع مجموعة زنديقية تُدعى الكاربوقراطيين الذين مارسوا نسختهم المتطرفة من طقوس الجنس المقدس القديمة المشار إليها في الفصل السابق، والتي يُزعم أنها تستند إلى إنجيل مرقس السري.

كان الكاربوقراطيون من الغنوصيين في القرن الثاني الميلادي بقيادة كاربوقراطس، الذي وصفه المؤلف مايكل جوردان في كتابه المنقح للغاية "ماري: السيرة الذاتية غير المصرح بها" (2001) بأنه "رائد مسيحي بذل الكثير من أجل تقدم قضية الغنوصية". إن الباحث المعاصر المتميز في الغنوصية، توبياس تشيرتون، يصف كاربوقراطس بأنه "شيوعي بدائي... فوضوي فكري، صاغ المثل القائل "الملكية سرقة".12 ومع ذلك، فإن هذا الإعجاب الحديث، وإن كان مكتوماً، بعيد كل البعد عن رعب القدماء مما اعتبروه ميلاً من جانب الكاربوقراطيين إلى السلوك الفاسق الجذري. وكما كان متوقعًا، أطلق الأسقف إيرينيئوس من ليون، المتعصب والمتشدد، هجومًا حادًا على هؤلاء الفاسقين الهجوميين، وخص بالذكر زعيمهم ماركوس:

"ماركوس، أنت صانع الأصنام، ومفتش العلامات، الماهر في استشارة النجوم، والغارق في فنون السحر السوداء، دائمًا ما تؤكد من خلال حيل مثل هذه عقائد الخطأ، وتقدم إشارات لأولئك المتورطين في الخداع، عجائب القوة المنفصلة تمامًا عن الله والمرتد، والتي يمكّنك الشيطان، أبوك الحقيقي، من إنجازها، بواسطة عزازيل، الملاك الساقط والقوي، مما يجعلك بذلك رائدًا لأفعاله الشريرة.3

لا يترك لنا إيرينيئوس أي شك فيما يتعلق بآرائه حول ماركوس، الذي يعلن أنه "المبشر الحقيقي بالمسيح الدجال". يهاجم الأسقف زعيم الكاربوقراطيين بسبب سلسلة من الخطايا والجرائم، بما في ذلك "الإدمان على المستحضرات، وجرعات الحب [المخدرات]، و"الشياطين المألوفة"، والنبوءات، وتدنيس النساء، وعلم الأعداد ... والشيطانية".1 ومع ذلك، سرعان ما يترك إيرينيئوس5 الهراء حول النار والكبريت ويركز على اتهامات محددة. وليس من المستغرب أن تتعلق هذه القضايا بسوء السلوك الجنسي المزعوم - "تدنيس النساء" - وهو الاتهام المعتاد ضد الطوائف المتنافسة عبر العصور، والذي قد يكون له أساس في الواقع أو لا يكون. ويعلن بيقين الناقد، إن لم نقل المتعصب،6:

يكرس ماركوس نفسه بشكل خاص للنساء، وأولئك اللاتي يتمتعن بسمعة طيبة، ويرتدين ملابس أنيقة، ويملكن ثروة كبيرة، واللواتي يسعى في كثير من الأحيان إلى جذبهن إليه، من خلال مخاطبتهن بهذه الكلمات المغرية... تزيني كعروس تنتظر عريسها، لكي تكوني ما أنا عليه، وأكون ما أنتِ عليه. أقِمِ بذرة النور في حجرة زواجك. هلّ تستقبلي مني زوجًا وتصبحي متقبلة له، بينما هو يستقبلك؟

على الرغم من أن إيرينيئوس يبدو أنه سمع شائعات فقط وليس معرفة مباشرة بهذه الممارسات، إلا أنه ربما كان محقًا تمامًا بشأن قيادة ماركوس، حيث كانت هناك بالفعل مبادرة غنوصية مبكرة معروفة صراحة باسم

"غرفة الزفاف"، شكل من أشكال الجنس المقدس. ولكن الجنس بأي شكل من الأشكال كان يثير استياء المسيحيين الأوائل – حتى الكاثوليكية الحديثة كانت تتسامح معه بالكاد حتى في الزواج – وكان الكاربوقراطيون مشهورين بفجورهم واستخدامهم للأنبياء من النساء اللاتي استغللن قدراتهن على الاستبصار والإلهام الإلهي لصالح الطائفة. ومع ذلك، كما كتب بنيامين ووكر:

أدت هذه الممارسة حتما إلى الإساءة. اتُهم ماركوس بإغواء العديد من "أنبيائه" الشابات. يكتب إيرينيئوس أنه من خلال اقتراحات مختلفة يجعل ضحيته الموهومة تعتقد أن لديها قوة النبوءة. مليئة بالكبرياء الكاذب، ومتحمسة لتوقع استخدام موهبتها، تغامر بكلام نبوي. بقلب ينبض بقوة، تتحدث عن أي هراء سخيف يخطر ببالها. من الآن فصاعدًا، بدافع من الغرور، تعتبر نفسها بجرأة عرافًة حقيقيًة ".

(لا شيء جديد تحت الشمس: كان من الممكن كتابة المقطع أعلاه عن طوائف توجيه فيلق العصر الجديد، والتي غالبًا ما يديرها زعيم ذكر شبه روحي بجدول أعمال شخصي شهواني).

بمجرد أن تأسست النبوة وأقنعها غرورها بالاستمرار في دورها الجديد، قام ماركوس بخطوته وأغواها - أو هكذا ادعى إيرينيئوس وآباء الكنيسة الآخرون. ربما كانوا على حق وكان ماركوس يساعد نفسه ببساطة في امتيازات زعيم الطائفة التقليدية، أو ربما كان هناك بالفعل جانب طقسي خطير لاقترانهم، كما يبدو بالفعل أن هذا هو الحال من الكلمات التي من المفترض أن يكون ماركوس قد نطق بها، كما اقتبس إيرينيئوس أعلاه.

في الواقع، أسس مؤسس المجموعة، كاربوقراط الإسكندرية (78-138 م)، ما كان في الأساس دينًا هجينًا وثنيًا ومسيحيًا على عبادة إيزيس، واستوعب الطقوس المعقدة للتأهيل - كاملة بكلمات مرور سرية ومصافحات - والمعمودية كطقوس مهمة. وعلى الرغم من أنه قد يبدو للمسيحيين أمرًا لا يصدق، إلا أن ممارسات كاربوقراط قد لا تكون مختلفة تمامًا عن ممارسات يوحنا المعمدان، كما سنرى...

سافر كاربوقراط مع امرأة تدعى إلكساندريا، التي أنجب منها ابنًا، إبيفانيس (" المصور ")، مؤلف الرسالة المؤثرة في العدالة. توفي إبيفانيس في أواخر سن المراهقة، وتم تبجيله على أنه "إيون" معرفي مع معبده الخاص ومجمع المتاحف. كانت معتقدات الكاربوقراطين مزيجًا من تعاليم كل من الأب والابن.

بصرف النظر عن عبادة الآلهة المصرية العظيمة (مع التركيز بشكل خاص على الثالوث القديم لإيزيس وأوزوريس وحورس)، احترمت الطائفة أيضًا الفلاسفة اليونانيين المشهورين، مثل أفلاطون وفيثاغورس، إلى جانب يسوع الذي رأوه إلهيًا جزئيًا. بالنسبة لهم، لم يكن هناك ولادة عذراء معجزة ولا تصور طاهر لمريم نفسها: لقد ولد المسيح بشكل طبيعي. كانت هناك شائعات بأن الكاربوقراطين امتلكوا رسمًا تخطيطيًا ليسوع بناءً على أوامر بيلاطس، حيث بنوا عليه التمثال الذي حملوه في موكب مقدس - ليصبحوا أول مسيحيين معروفين يبجلون صورة عبادة للمسيح .10

لقد أثارت هذه الطائفة فضيحة بين المسيحيين الأكثر زهدًا على كل المستويات تقريبًا: حيث أنكرت مفهومي الزنا والملكية - فقد كان كل شيء مشتركًا بينهم، بما في ذلك الشركاء الجنسيين - كما حظرت الإنجاب. من الواضح أن هذا الحظر كان نظريًا أكثر منه عمليًا، كما أثبت وجود الأبيفانوس المقدس. ومع ذلك، كان الجنس من جميع الأنواع إلزاميًا، و طريقة لتكريم الآلهة، حيث كان السائل المنوي هو قوة الحياة الإلهية - جانب من جوانب إبليس (بأي اسم آخر) الذي كان يفترض أن يتخذ أشكالًا مختلفة على مر القرون. يجب تكريم الحكة الفطرية للرغبة الجنسية: "من خلال الخطيئة، تم تزويد النور الإلهي لنعمة الله بفرصة للعمل، وهي حقيقة كانت ترضي الله بشكل بارز. وهكذا أصبحت الخطيئة وسيلة للخلاص ". (ومع ذلك، من المثير للاهتمام، أن الكاربوقراطين كانوا لا يزالون تقليديين بما يكفي للتفكير في الجنس على أنه خطيئة). بعد الوجبة الجماعية الفخمة للمجموعة، غرقت الغرفة في الظلام وتبع ذلك طقوس عربدة عشوائية: كما عبّر أب الكنيسة، إكليمندس عبّر عن استيائه المتهكم: ""متحدين كما شاءوا ومع من شاءوا"

رعد القس مونتاج سمرز الذي لا يمكن كبته: "ذهب كاربوقراط إلى حد... [جعل] أداء كل نوع من أنواع الخطيئة المحرمة في العهد القديم واجبًا رسميًا، لأن هذا كان أكمل طريقة لإظهار التحدي للخالق الشرير وحاكم العالم" 3 (ديميورج الغنوصيين أو ريكس موندي - أو يهوه العهد القديم).

ومع ذلك، فإن سمرز يفتقد هذه النقطة - ربما عن قصد -، على الرغم من أنه حتى لو كان قد أدركها تمامًا، إلا أنه بالكاد وافق عليها. كما كتب توبياس تشيرتون بصراحة:

يمكن استخدام الجنس إما مجازًا أو في الواقع كجزء من الاحتفالات الغنوصية. يمكن اعتبار السائل المنوي مادة مقدسة، كصورة لـ logos spermatikos (الكلمة المنوية المدلى بها في العالم) أو الشرارة pneumatic: شظايا الروح الهاربة، المنتشرة في الطبيعة. كان يُنظر إلى الخصوبة على أنها استعارة للنمو الروحي. (هذه هي الطريقة التي فسر بها بعض الغنوصيين المسيحيين مثل المسيح عن الزارع الذي زرع البذور في الأرض القاحلة)."

بالطبع كان هذا سيبدو وكأنه نسخة فكرية من صنع محفظة حريرية من أذن البذر لآباء الكنيسة. كان بإمكان الكاربروقراطيين والمدافعين عنهم أن يلبسوه كما يحلو لهم، لكنهم كانوا لا يزالون متطرفين مهرطقين قذرين يتخبطون في الخطيئة.

اعتقد الكاربروقراطيون أن مفاهيم الخير والشر اخترعها البشر، وأن كل شخص يجب أن يعاني أو يستمتع بسلسلة كاملة من التجارب الإنسانية، بما في ذلك أسمى وأنبل الأعمال وأكثرها إهانة ودناءة. سيتم تناسخ كل فرد حتى ينهي العدد الهائل من التبديلات المحتملة للحياة البشرية. تم تعيين ملاك تسجيل لكل شخص ولكل فعل، ويجب الاستناد إليه بوعي أثناء أدائه من أجل ضمان الاحتفاظ بسجل كارمي عادل.

زلة إكليمندس المثيرة

ومع ذلك، فإن الجانب الأكثر أهمية في معتقدات الكاربوقراطين هو أنهم ادعوا أنهم يمتلكون إنجيل مرقس السري الذي بشر بالطقوس الجنسية باسم يسوع. كانت الإشارات المساومة للغاية إلى هذا هي ما وجده البروفيسور مورتون سميث في المكتبة في دير مار سابا في عام 1958. ومن المفارقات في إدانته للكاربوقراطيين، أن إكليمندس قد حافظ عن غير قصد على المواد التي تمتلك القدرة على تقويض مفهوم المسيحية بأكمله على محمل الجد - ناهيك عن صورة المسيح العفيف إلى الأبد.

بالطبع يجب أن يتعلق الاعتراض الأول بصحة أو عدم صحة نسخة رسالة إكليمندس، التي وجدها سميث مكتوبة على الأوراق النهائية لكتاب يعود تاريخه إلى عام 1646 - وهي ممارسة شائعة في ذلك الوقت عندما بدأت المجلدات تتفكك مع تقدم العمر. 15 من المفهوم، في حالة مثل هذا الاكتشاف المثير المحتمل، ستكون هناك دائمًا شكوك في أن سميث قد تم خداعه، ربما من قبل رهبان مار سابا، أو أن ناسخًا ساخطًا من القرن السابع عشر كان يتمتع فقط بقليل من الفكاهة الكئيبة - أو حتى أن الأستاذ نفسه ارتكب خدعة فظيعة. ومع ذلك، فقد أثبت علماء الحفريات من تحليل الرسالة أنها كتبت بالفعل من قبل إكليمندس، الذي خصوصياته الأسلوبية معروفة جيدا. وكما لاحظنا أنا وكلايف برينس في رؤيا فرسان الهيكل لعام 1997: الحراس السريين للهوية الحقيقية للمسيح:

هناك أيضًا خصوصيات في مقتطفات من "الإنجيل السري" المقتبس في الرسالة تجعل من المحتمل أنها حقيقية. (على سبيل المثال، يصف يسوع بأنه يغضب. من بين الأناجيل الكنسية، ينسب مرقس فقط المشاعر الإنسانية الطبيعية إلى يسوع - استأصل الآخرون مثل هذه العناصر من رواياتهم، وهو بالكاد شيء كان سيخترعه آباء الكنيسة مثل إكليمندس.) 16

في الواقع، من المستبعد للغاية أن يتخيل أي مسيحي تقليدي ما ادعاه إكليمندس، لأنه ذكر أن الطقوس الجنسية "القذرة" للكربوقراطيين جاءت عبر القديس مرقس من مريم المجدلية - وفي النهاية من يسوع نفسه. كما هو متوقع، ينفخ إكليمندس - الذي تم تقديسه لاحقًا - وينفث بغضب أن الطائفة "لوثت كلمات الكتاب المقدس النقية لتتوافق مع عقيدتهم التجديفية والجسدية، وبفعل ذلك ضلت من الطريق الضيق إلى هاوية الظلام"،" ومع ذلك فهو يعترف أيضًا بأن إنجيل مرقس البديل كان أصيلًا ... لذلك وافق ضمنيًا على أن المسيحية في الأصل كانت تمارس الطقوس الجنسية، على الرغم من أنه يبدو أنها كانت محجوزة لدائرة داخلية من المتأهلين الكبار.

بطبيعة الحال، فإن الآثار المترتبة على هذا الأمر بالغة الأهمية وتشكل ضربة مزدوجة للمسيحية: فلم تكن فكرة الطقوس الجنسية بغيضة فحسب، بل كان يُعتقد دائمًا أن الدين مفتوح في المقام الأول لأي شخص، ولا يحتوي على أسرار أو ألغاز خفية، ولكن هنا يوجد دليل على وجود شيء مثل النخبة من المريدين الذين بدأوا في ممارسة الجنس.

بالتأكيد، اعتقد البروفيسور سميث نفسه، إلى حد كبير على أساس هذه الوثيقة المفقودة منذ فترة طويلة، أن يسوع ربما ترأس "دائرة متحررة". ما دفعه إلى الإدلاء بمثل هذا البيان الرائع هو مقطع آخر من رسالة إكليمندس، وهو نسخة مختلفة من قصة نشأة لعازر، شقيق مارثا ومريم من بيت عنيا (المعروفة أيضًا باسم مريم المجدلية)" الذي يضع بشرة مختلفة تمامًا على حركة يسوع الأصلية. توجد هذه الآية في إنجيل يوحنا في العهد الجديد، وتروي كيف تلقى يسوع رسالة مفادها أن صديقه الحبيب لعازر كان مريضاً بشدة في منزله في بيت عنيا، وهي قرية تبعد ميلين فقط عن أورشليم. لكن يسوع انتظر عمدًا أربعة أيام، وفي ذلك الوقت لم يكن لعازر ميتًا فحسب، بل كان نتنًا في قبره الصخري. بمجرد وصول يسوع إلى مكان الحادث، سقطت مريم عند قدميه، وهي تبكي: "يا رب، لو كنت هنا، لما مات أخي" - والذي ربما يحتوي على أكثر من تلميح من الاتهام المرير. قال يسوع لمرثا: "أنا القيامة والحياة. من يؤمن بي سيعيش، على الرغم من أنه

يموت ؛ ومن يعيش ويؤمن بي لن يموت أبدًا ".20 ثم يأمر بإزالة الحجر من فم القبر، ويرفع صوته، ويأمر لعازر بالخروج. لا بد أنها كانت لحظة رائعة عندما خرجت الجثة على الفور، لا تزال في "لفافات الكتان" التي شكلت ضماداته في القبر. كان هذا الحدث هو الذي دفع اليهود أخيرًا إلى اتخاذ إجراءات ضد يسوع، لأنهم كانوا سيرون هذا كمثال واضح على استحضار الأرواح، والتعامل الشيطاني مع الموتى. (أي شيء مرتبط بالقبر كان ولا يزال بغيضًا لليهود الأرثوذكس). بعد ذلك أيضًا، اقتحمت امرأة منزلًا في بيت عنيا ودهنت يسوع - في واحدة من أغرب الطقوس وأكثرها سوء فهمًا في العهد الجديد، والتي ستتم مناقشتها أدناه.

ومع ذلك، فإن رفع لعازر في إنجيل مرقس السري الذي يملكه الكاربوقراطين والذي نقله إكليمندس، "امرأة معينة" تقترب من يسوع للحصول على المساعدة لأن شقيقها قد مات. ولكن عندما يصل يسوع إلى القبر، يسمع صرخة عالية من الداخل، مما يشير بوضوح إلى أن الشاب لم يمت، على الأقل ليس بالمعنى المادي الحرفي. ثم يدحرج يسوع الحجر ويقيم الشباب من الأرض. "فنظر إليه الشاب وأحبه وبدأ يلتمس منه أن يكون معه".

ذهبوا معًا إلى المنزل، حيث مكث يسوع لمدة ستة أيام، وأرشد الشاب في طرق ملكوت السماوات. في اليوم الأخير، قضى الرجلان ليلة بلا نوم معًا، "[رجل] عارٍ مع [رجل] عارٍ ".22

ربما كان هذا السيناريو المساوم على ما يبدو من اختراع المؤلف الحقيقي غير المعروف لإنجيل مرقس السري، والذي ربما كان قد خرج لتشويه سمعة المسيحية بتلميحات ثقيلة حول الممارسات الجنسية. ومع ذلك، يبدو أن هناك بعض التأييد الظاهري لهذا المقطع المخالف، ومن المفارقات في العهد الجديد نفسه. هذه الحلقة موجودة في الآيات الغامضة في إنجيل مرقس المصرح به حول "شاب لا يرتدي شيئًا سوى ثوب الكتان" الذي اتبع يسوع بعد قيامته - عندما فر جميع الآخرين لإنقاذ جلودهم. ثم عانى من إحراج مؤلم: "عندما أمسكوا به، هرب عارياً، تاركاً ثيابه وراءه" 24

لكن هل قضاء الليل عاري الصدر مع معلم ديني يعني تلقائيا حدوث نوع من النشاط المثلي؟ بالطبع لا، ولكن البروفيسور سميث نفسه لم يكن لديه أي شك بشأن "دائرة التحرر" ليسوع، وإمكانية قبول أتباعه، "فردياً وفي الليل، في سر المملكة، من خلال طقوس معينة مستمدة من السحر الإيروتيكي القديم" 25 بناءً على معرفته بهذا التقليد، يفترض سميث أن الشاب قد تم خلع ثوبه الكتاني الرقيق وغمر جسده العاري في حوض معمودية أو حمام على خلفية الصلوات "ونوع من طقوس التلاعب" - ربما الاستمناء، ربما قبل طقوس جنسية أخرى - مصحوبة بتقنية التحكم في التنفس التي تسبب النشوة، وربما هلوسة النعيم السماوي. "كان التلميذ ممسوسًا بروح يسوع ومتحدًا معه."26 افترض البروفيسور سميث أن "التحرر من القانون [اليهودي] ربما أدى إلى إكمال الاتحاد الروحي عن طريق الاتحاد الجسدي".27

ولعل من المهم، كما تشير مارلين يالوم في كتابها "تاريخ الزوجة" (2001): "بالنسبة للمسيحية، لم يقل يسوع شيئًا عن موضوع المثلية الجنسية - وهذا على النقيض من الإدانات العديدة للزنا".28 (أثناء مناقشة الضغط على السيد بوتيليوني للتنحي عن المفوضية الأوروبية في نوفمبر 2004 بسبب قيمه التقليدية، أشار كاتب عمود ديلي ميل أندرو ألكسندر أيضًا: "بالنسبة لي، سأسعد بمناقشة صديقنا الإيطالي لماذا لا يتم تمييز المثلية الجنسية للإدانة في الأناجيل. هل كان ذلك بسبب فشل مؤلفي الأناجيل في تدوين الملاحظات المناسبة، أم عدم الكفاءة الإلهية أم ماذا ؟')29 يشير يالوم إلى أن انتقاد النشاط الجنسي من نفس الجنس نشأ في الحركة المسيحية مع القديس بولس، الذي "أدان صراحة كل من المثلية الجنسية للذكور والإناث (رومية 1 :26-27، كورنثوس الأولى 6 :9، وتيموثاوس الأولى 1: 10Y.11

بالطبع، سينكر المسيحي المتحمس ببساطة صحة هذا الإنجيل السري ويستمر في الإيمان كما لو أنه لم يتم لفت انتباهه إليه أبدًا. وبعد كل شيء، هناك بنية مميزة للإيمان: يتم إنشاء هياكل مهمة تحيط بشخصية المسيح وتقاليده؛ عقيدة تصبح بعد ذلك غير قابلة للتعديل، والدرع كله يتصلب مع الوقت والإيمان. ولكن ماذا لو كانت الآثار المترتبة على الإنجيل السري سليمة ؟ ماذا لو كانت حركة يسوع تستند حقًا إلى التأهيل والأسرار - بما في ذلك الطقوس ذات الطبيعة المثيرة بقوة أو حتى المثلية الجنسية؟ فجأة، أصبح ما كان يُعتبر شيطانيًا، عفريتيا، إبليسيا، مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بيسوع المسيح، الذي كان حتى ذلك الحين تجسيدًا حرفيًا للعفة النبيلة. ومن المؤكد أن هذا لا يمكن تصوره.

في الواقع، هناك المزيد من الأدلة، وإن كان ذلك لأسباب ظرفية واضحة بعد كل هذا الوقت، على أن يسوع والمتأهلين له كانوا متورطين في هذا النوع من السلوك الطائفي الذي لن يدينه المسيحيون المعاصرون على أنه قذر وغير أخلاقي فحسب، بل سيسعون بنشاط إلى حظره من مجتمعهم. هذا هو المكان الذي تصبح فيه المفاهيم المستقطبة للخير والشر، التقوى ولوسيفران، أو الشيطان الصريح، مجرد أشياء من التحيز وبالتالي لعبة عادلة للنقاش.

كان لدى لعازر، الشاب الذي شارك في نوع من إعادة الميلاد الطقسي أو التأهيل الجنسي في أسرار المملكة، شقيقتان - مارثا الفخورة بالمنزل ومريم الغامضة، والمعروفة أيضًا باسم المجدلية، التي نوقشت شخصيتها

ودورها بالتفصيل في كتابي السابق، مريم المجدلية: إلهة المسيحية الخفية (2003) 31 إنها "غامضة" لأنها نادراً ما تظهر بالاسم في العهد الجديد، كما تم حجب هويتها باسم "مريم بيت عنيا"، "امرأة معينة" أو "مذنبة في المدينة".

على الرغم من أن أي مرتاد للكنيسة سيسارع إلى وصفها بأنها العاهرة التي تم إصلاحها والتي تخلت عن طرقها الشريرة لاتباع يسوع، إلا أن مسيرتها المزعومة كبائعة هوى كانت من اختراع البابا غريغوري الأول في عام 691 م، بناءً على الوصف الكتابي لها بأنها "آثمة". لقد وضع ببساطة اثنين واثنين معًا وجعل خمسة: الكلمة اليونانية الأصلية كانت هارمارتولوس، وهو مصطلح مأخوذ من الرماية يعني "الشخص الذي لا يرقى إلى العلامة" وتم تطبيقه على أولئك الذين، لأي سبب من الأسباب، فشلوا في الحفاظ على القانون اليهودي. أحد الأسباب الرئيسية لعدم القيام بذلك، بالطبع، لم يكن كونه يهوديًا - أجنبيًا - أو ربما تابعًا لنوع آخر من اليهودية. كما نوقش في كتابي السابق، هناك أدلة تربط مريم المجدلية في المقام الأول بمصر، وربما مع طوائف الإلهة القديمة في إثيوبيا.

لم تشوه الكنيسة سمعتها كعاهرة فحسب، بل إن كتّاب الأناجيل الكنسية شرعوا بوضوح في تهميشها. في الأناجيل الكنسية، لا تأتي حقًا إلا إلى صلبها، عندما ترأس فريقًا من تلاميذ يسوع الإناث الذين يأتون لإظهار تضامنهم وحبهم لزعيمهم المنكوب، عندما هرب الرجال المشهورون - باستثناء القديس يوحنا الشاب. وهي أيضًا تلعب دورًا رئيسيًا في قصة القيامة، حيث تلتقي بيسوع القائم من الموت في إعادة تمثيل دقيقة تقريبًا لمسرحيات الغموض المصرية لإيزيس وأوزوريس. ومع ذلك، فإن ظهورها المفاجئ كلاعب مهم في الدراما العظيمة يبدو غريبًا حتى يتم إدراك أنها قد تم تحريرها عمدًا من القصة حتى وصلت إلى النقطة التي كان عليها أن تأخذ فيها مركز الصدارة، ربما ببساطة لأن دورها في القصة كان معروفًا جدًا بحيث لا يمكن استبعاده. ولكن لماذا تم تخفيض دورها وتدهوره بهذه الطريقة ؟ ماذا كان لدى كتّاب أناجيل القديسين متى ومرقس ولوقا ويوحنا ضد امرأة واحدة غير ضارة ومتدينة على ما يبدو ؟

كان الكثير من الناس يجيبون بأن رجال الكنيسة الأولى كانوا متحيزين للغاية ضد عاهرة سابقة للسماح لها بتسليط الضوء عليها، أو أنهم، لكونهم لا يزالون يهوداً أبويين، كانوا متحيزين للغاية. في الواقع، من المؤكد أن الإجابة مختلفة إلى حد ما - وهي بعيدة المدى إلى حد كبير. لقد ارتكبت مريم المجدلية ما كان من الممكن اعتباره عملاً من أعمال التجديف في نظر الرجال المسيحيين الأوائل في يهودا، وذلك بالنسبة لأي شخص، ناهيك عن امرأة ربما كانت أجنبية وربما سوداء (كما أشرنا سابقاً،32 لم تخترع الإمبراطورية البريطانية العنصرية). لقد مسحت يسوع. حدث ذلك في بيت عنيا في منزل رجل معروف في التاريخ ببساطة باسم سيمون المجذوم - ربما وهمي - كما هو موضح في إنجيل مرقس:

جاءت امرأة مع جرة من المرمر تحتوي على عطر باهظ الثمن للغاية، مصنوع من ناردين نقي. كسرت الجرة وسكبت العطر على رأسه.

كان بعض الحاضرين يقولون بسخط لبعضهم البعض، "لماذا هذا الهدر للعطور ؟ كان من الممكن بيعه مقابل أكثر من عام من الأجور والمال الممنوح للفقراء ". وانتهروها بقسوة 33

في إنجيل لوقا، مسحت المرأة غير المسماة رأسه وقدميه وجففتهما أيضًا بشعرها. 34 ولكن إذا كان اعتراض الرجال يهدف إلى إثارة الثناء والامتنان من يسوع، فقد فشل تمامًا. وبدلاً من تهنئتهم على حكمتهم واهتمامهم بالفقراء، يقول قائدهم بشدة:

دعوها وشأنها... لماذا تضايقونها؟ لقد فعلت شيئًا جميلًا لي. الفقراء الذين سيكونون معكم دائمًا، ويمكنكم

مساعدتهم في أي وقت تريدونه. لكن لن يكون لديكم أنا دائمًا. لقد فعلت ما استطاعت. سكبت العطر على جسدي مسبقًا للتحضير للدفن ...35

تحتوي الجملة الأخيرة على دليل على الأهمية الحقيقية لعملها. لم يكن، كما تم اقتراحه، مجرد نوع من العلاج العطري المخصص، وهو شيء رحيم وممتع تقوم به سيدة المدينة لإظهار إخلاصها ليسوع. كان مسحة طقسية وعلى هذا النحو له أهمية هائلة: لأن لقب يسوع لكريستوس/المسيح يعني "الممسوح" - وبما أن المسحة الوحيدة المذكورة في العهد الجديد بأكمله تؤديها امرأة، فمن المؤكد أنه يجب الاحتفال بها كطقوس رئيسية للمسيحية. في الواقع، يقول يسوع بقوة، "سكبت العطر على جسدي للتحضير لدفني"، لكن هذا الدفن، كما يعتقد المسيحيون، كان على عكس أي دفن آخر، لأن يسوع انتصر على الموت والقبر لتحقيق مصيره كإله متجسد، الملك الذبيحة القائم من الموت. وعندما مسحته عمّدته، ووضعت له علامة على موته المشؤوم. فُقد المعنى الحقيقي للطقوس تمامًا على التلاميذ الآخرين، لكن يسوع حاول جاهداً إقناع أهمية مريم المجدلية عليهم، قائلاً بصرامة: "أقول لك الحقيقة، أينما تم التبشير بالإنجيل في جميع أنحاء العالم، سيتم أيضًا إخبار ما فعلته في ذكراها".36

ببساطة، فلماذا الأمر ليس كذلك؟ لقد فشلت نبوءة يسوع بشكل مأساوي: حتى التلاميذ الأوائل الذين سمعوا هذه النبوءة كان عليهم التأكد من أنها لن تتحقق أبدًا. من الواضح أن ما أراده المسيح نفسه لم يكن له أي أهمية في غيرتهم على إنشاء كنيسة على صورتهم، أو بالأحرى على صورة الإنجيل الذي اختاروا الموافقة عليه. لن يكون هذا هو المثال الوحيد حتى للمسيحيين الأوائل الذين أعادوا صياغة رسالة المسيح لتتوافق مع أجندتهم الخاصة، خاصة عندما يتعلق الأمر بالمجدلية.

وبعيدًا عن الاحتفال بالمسحة - فليس هناك عيد كاثوليكي مخصص لهذا الحدث - فقد حرص كتاب الأناجيل حتى على إخفاء اسم من يقوم بهذه الطقوس. ومع ذلك، يوضح إنجيل يوحنا 37 أن المسحة حدثت بالفعل في بيت مارثا ولعازر ومريم في بيت عنيا وكانت الأخيرة هي التي أدت الطقوس. وبينما يحرص لوقا 31 على وصف مبادرتها بأنها "خاطئة مجهولة الاسم"، فإنه يمضي على الفور في تقديم المجدلية لأول مرة، كما لو كان ارتباط الأفكار قويًا جدًا بحيث لا يمكن تفسيره.

ربما لم تكسب مريم المجدلية عيشها من العمل في شوارع اليهودية كما يعتقد على نطاق واسع حتى الآن - على الرغم من حقيقة أن البابا تراجع رسمياً عن هذه

"الحقيقة" في عام 1969، ولو بصوت هامس وليس صراخاً - ولكنها كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنوع آخر تماماً من "الزنى". كان عطر الناردين، العطر الباهظ الثمن الذي استخدمته لتعميد يسوع، يستخدم على نطاق واسع في الزيجات المقدسة وغيرها من الطقوس الجنسية في الأنظمة الشرقية القديمة للطاوية والتانترا، حيث كان مخصصًا بشكل خاص لدهن الرأس والقدمين. كما يعترف بيتر ريدغروف في كتابه "الإلهة السوداء" (1989)، في مناقشته للطاوية:

ومن المثير للاهتمام مقارنة هذا بالممارسات الدينية في الشرق الأوسط، وصورهم التي ورثناها. ماري عشتار، الزانية العظيمة، مسحت زوجها تموز (الذي تم التعرف على يسوع به) وبالتالي جعلته المسيح. كان هذا استعدادًا لهبوطه في العالم السفلي، والذي سيعود منه بناءً على طلبها. كانت تسمى هي أو كاهنتها بالعاهرة العظيمة لأن هذا كان طقسًا جنسيًا يسمى الهوراسيس، وهو الوصول إلى النشوة الجنسية في الجسم بالكامل والذي من شأنه أن يأخذ الزوجة إلى استمرارية المعرفة الرؤيوية. لقد كانت بمثابة طقوس العبور، والتي سيعود منها متحولاً. وبنفس الطريقة قال يسوع أن مريم المجدلية مسحته لدفنه. يمكن للنساء فقط أداء هذه الطقوس باسم الإلهة، ولهذا السبب لم يحضر أي رجل إلى قبره، فقط مريم مجدلين ونسائها. كان الرمز الرئيسي للمجدلية في الفن المسيحي

هو جرة الزيت المقدس - العلامة الخارجية للمعمودية الداخلية التي جربها الطاوي ..."

"هوراسيس"، النشوة الجنسية المقدسة التي تشمل الجسم كله، تم ذكرها مرة واحدة فقط في العهد الجديد، في أعمال الرسل، على الرغم من أن ريدغروف يعتقد أنها تُرجمت بشكل خاطئ إلى "رؤى"، في مقطع يقتبس فيه الكاتب من النبي يوئيل: "في الأيام الأخيرة، يقول الله، سأسكب روحي على كل الناس. فيتنبأ أبناؤكم وبناتكم، ويرى شبابكم رؤى.

."وسوف يعطي هذا نكهة مختلفة بشكل ملحوظ لسفر أعمال الرسل إذا تمت ترجمته على النحو التالي: "يجب على شبابك أن يتمتعوا بالطقوس الجنسية المقدسة في هوراسيس ...."

في الشكل التقليدي للزواج المقدس، hieros gamos، تقوم الكاهنة/الملكة/الإلهة أيضًا بمسح الكاهن/الملك/الإله بالزيت على الأعضاء التناسلية كتحضير لطقوس الهوراسيس. فهل كان هناك سبب آخر وراء قلق التلاميذ الذكور على الأموال المهدرة وحالة الفقراء، لعدم رغبتهم في هذه الطقوس؟ من الواضح أن مسح قدمي يسوع - اختيار الملك الذبيحي - حدث أمامهم، ولكن ذروة الاحتفال ربما كانت مسألة أبواب مغلقة (وكثير من التخمينات المتضاربة). ربما كانت المرأة التي تحمل جرة المرمر تصنع ملكًا مقدسًا، لكنها كانت تصنع لنفسها أيضًا بعض الأعداء الأقوياء.

رسول الرسل

في أحدث ترجمات الكتاب المقدس، يتم تقديم "مريم المجدلية" على أنها "مريم تدعى المجدلية"، وهو شكل مختلف تمامًا من الكلمات على سبيل المثال، من "سمعان القوريني" أو "شاول الطرسوسي"، مما يعني شيئًا فوق مكانها الأصلي. (على الرغم من أنه حتى لو كانت "المجدلية" تشير إلى مسقط رأسها، فمن غير المرجح أن تكون "المجدلية" على شاطئ بحيرة الجليل التي يتم الاستشهاد بها عادة، لأنه وفقًا ليوسيفوس كانت تسمى تاريشيا في عصرها. ولكن، من المثير للاهتمام أنه كان هناك مجدلوم عبر الحدود في مصر، ومجدل في إثيوبيا.)42 "المجدلية" - كما هو الحال في "المجدلية" - من المؤكد أنها لقب، يعني "السيدة العظيمة"، ربما نشأت في لقب ملكة سبأ ماجدة، الممنوحة لها لتفانيها في إلهة القمر.

حتى كتاب العهد الجديد يعترفون ضمناً (وعلى مضض) بمكانة المجدلية، ويذكرونها دائماً تقريباً أولاً في أي قائمة من أتباع يسوع من الإناث - على الرغم من أن لوقا لم يعطهم اهتماماً كافياً، حيث يُظهر ازدراءًا.

"الاثني عشر كانوا مع [يسوع]، وكذلك بعض النساء اللائي شفين من الأرواح الشريرة والأمراض: مريم (تدعى المجدلية) ..."43 على عكس معظم النساء الأخريات في الكتاب المقدس - بما في ذلك مريم العذراء - لم يتم تعريفها أبدًا من خلال علاقتها برجل. في حين أنهم يميلون إلى أن تكون "أم المخلص" أو

"جوانا زوجة خوزا"، هي ببساطة "المجدلية"، وكأنها مهمة جدًا ومشهورة ومستقلة لدرجة لا تسمح لها بأن تكون غير ذلك. في الواقع، هناك شعور واضح بأنه لو كان بوسع كتاب أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا أن يفلتوا من العقاب، لكانوا قد استبعدوها تماما، وذلك لحرصهم الشديد على تهميشها أو طمسها عندما تظهر في القصة، على الرغم من إصرار يسوع المطلق على الاحتفال بدورها في مسحته عبر التاريخ.

ومع ذلك، وكما يعرف كثير من الناس اليوم ــ باستثناء المسيحيين عادة، الذين يبقون في الظلام عمداً من قبل

رجال الدين التابعين لهم ــ فإن كتب العهد الجديد ليست الأناجيل الوحيدة الموجودة. قبل أن يتبنى الإمبراطور قسطنطين المسيحية كدين للدولة في الإمبراطورية الرومانية المتهالكة في القرن الرابع الميلادي، كانت هناك مئات من "الأناجيل" والقصائد والأغاني والرسائل المتنوعة المنتشرة. ومع ذلك، بعد أن قرر مجمع نيقية الذي عقده قسطنطين في عام 325 م ما هي الكتب التي يجب أن تدرج في العهد الجديد الجديد، تم على الفور إعلان العشرات من المرشحين الآخرين لعنة، إلى جانب أي شخص أحمق بما يكفي ليدعي أن لديهم الحق المساو في أن تكون "أصلية". أعلن كيرلس من أورشليم (315-386 م) بشكل عقائدي:

"من العهد الجديد هناك أربعة أناجيل فقط، لأن البقية لها عناوين كاذبة وهي ضارة... تلقي أيضًا أعمال الرسل الاثني عشر؛ وبالإضافة إلى هذه الرسائل السبع الكاثوليكية ليعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا؛ وكختم على كل منهم، وأحدث عمل للتلاميذ، رسائل بولس الأربعة عشر [والتي يعترف الآن بأنها الأولى من حيث الترتيب الزمني لهذه الكتابات المسيحية]. ولكن دعونا نضع كل ما تبقى جانباً في المرتبة الثانوية. وأما الكتب التي لا تقرأ في الكنائس فلا تقرأها حتى وحدك، كما سمعتني أقول عن أسفار العهد القديم المنحولة 46.

يشير ديفيد تريسيمر ولورا ليا كانون إلى كيفية ظهور العهد الجديد في مقدمة عام 2002 لترجمة جان إيف ليلوب عام 1997 لكتاب العهد الجديد.

إنجيل مريم المجدلية:

... مجمع نيقية ... قرر أي النصوص التي ستصبح مقبولة للكنيسة ... وأي التي سيتم قمعها. أولئك الذين لم يتم اختيارهم كمعيار تعرضوا للهجوم - بعنف في بعض الأحيان - لسنوات عديدة. في الواقع، تم نفي الأساقفة في مجمع نيقية الذين اختلفوا مع اختيارات قسطنطين على الفور 47

ويتساءل المرء عما كان كيرلس وزملاءه آباء الكنيسة خائفين منه إلى هذا الحد. ربما يكمن الدليل في حقيقة أنه على الرغم من أن أناجيل العهد الجديد تذكر المجدلية على مضض، فإن دورها في العديد من الكتب المحرمة كان رئيسيًا لدرجة أنه كان نجميًا للغاية. ونحن نعلم على الأقل عن بعض هذه الكتب الأخرى لأنها كانت مخفية عن رجال الدين المنتقمين لدى قسطنطين، فقط لكي تظهر على السطح في أوقات أحدث بكثير - على سبيل المثال، تم العثور على إنجيل مريم (المجدلية) (الذي يعتقد أنه قد كتب في القرن الثاني الميلادي) في القاهرة في خمسينيات القرن التاسع عشر، في حين تم العثور على مخبأ كبير من الأناجيل المفقودة في نجع حمادي في مصر في عام 1945، بما في ذلك إنجيل توما وإنجيل فيليب. إن هذه النظريات يتم رفضها بشكل روتيني من قبل معظم علماء الكتاب المقدس المعاصرين على أنها ذات صحة لاهوتية أو قيمة مشكوك فيها، وهذا هو السبب المزعوم وراء عدم ذكرها أبدًا على المنابر أو في مجموعات دراسة الكتاب المقدس. لكن الحقيقة هي أنه على الرغم من أن العديد من الأناجيل المستعادة مجزأة أو غير مفهومة، فإن البعض الآخر يقدم صورة متماسكة ومتسقة عن يسوع ومريم المجدلية، وهي صورة غير مقبولة على الإطلاق بالنسبة للكنائس، وإذا أخذت نسبة ضئيلة من جماعاتهم هذه الأناجيل على محمل الجد بما يكفي لقراءتها بعناية، فسوف تُطرح أسئلة خطيرة حول السلطة التاريخية للدين المسيحي.

في حين أن الكتب الكنسية هي مما يمكن أن نطلق عليه المسيحية السائدة، أو نسخة القديس بولس، فإن هذه الأعمال الأخرى هي في الغالب غنوصية في الأصل والنظرة. تحاول الأناجيل الكتابية جاهدة أن تبدو أصلية، من خلال إضافة تفاصيل كثيرة عن جدول سفر المسيح، والأشخاص الذين التقى بهم وشفائهم، واتهامات منتقديه، وتسلسل اعتقاله وتعذيبه وموته. عادةً ما تكون الأناجيل الغنوصية أكثر اهتمامًا بالتعاليم والأسرار، مع شعور متسامٍ وبديهي واضح بها. ولعل الأهم من ذلك هو أن النصوص الكتابية ذكورية للغاية في لهجتها ووجهة نظرها، في حين أن النصوص الغنوصية أكثر أنوثة إلى حد كبير ــ ويرجع هذا إلى حد كبير إلى احترامهم

لبطلتهم مريم المجدلية. ويصبح دورها أكثر وضوحًا: في الواقع، حتى نظرة سريعة على أناجيل فيليب وتوما ومريم، وبيستيس صوفيا (الإيمان والحكمة) في وقت لاحق سوف تقدم صورة مختلفة تمامًا عن يسوع ورسالته.

تبدو مريم وكأنها شخصية شرسة، ذكية، وربما حازمة أكثر من اللازم وحتى مسيطرة على نفسها من أجل مصلحتها. في "بيستيس صوفيا" تصر - بشكل مضحك تقريباً - مراراً وتكراراً على احتلال مركز الصدارة في جلسة الأسئلة والأجوبة الطويلة التي عقدها يسوع مع تلاميذه، حيث طرحت 39 سؤالاً من أصل 42 سؤالاً. وعلى الرغم من أن نساء أخريات مثل سالومي ومرثا ومريم الأم يشاركن من حين لآخر، فإن النص مليء ليس فقط بعبارة "وتستمر مريم أيضًا"، ولكن أيضًا بالشكاوى المريرة بشكل متزايد من الرجال، الذين يشعرون بالإهانة والغضب من تفوقها. يشعر أحد التلاميذ على وجه الخصوص بالغضب الخطير. فينفجر بطرس في وجه يسوع: "يا سيدي، لا نستطيع أن نتحمل هذه المرأة، لأنها تغتصب منا الفرصة ولم تدع أحداً منا يتكلم، لكنها [تأكيدي] تتكلم مرات عديدة". إن أي شك بسيط في أن بطرس ربما كان يكره المجدلية في الواقع يتم تعزيزه بشكل كبير من خلال مقطع آخر من كتاب بيستيس صوفيا حيث تقول مريم نفسها ليسوع:

سيدي، عقلي قادر على الفهم دائمًا، في كل وقت، أن يأتي ويقدم حل الكلمات التي نطقت بها: لكنني خائفة من بطرس، لأنه هددني ويكره جنسنا 48 [تأكيدي].

من الواضح أن بطرس، "الصياد الكبير" الحاد الطباع، يكره مريم بشدة، قائلاً ليسوع: "يا سيدي، دع مريم تتركنا، لأن النساء لا يستحقن الحياة"49 - على الرغم من أن رد فعل المسيح نفسه، كما سنرى، ربما لم يكن للوهلة الأولى ودودًا تجاه النساء كما كان من الممكن أن يكون. ولكن هل يكره بطرس (وربما الرجال الآخرون في المهمة) المجدلية لمجرد أنها امرأة؟ ورغم زواجه، لم يشعر بطرس بأي تأنيب ضمير في التخلي عن زوجته ليتبع يسوع - ربما كان سعيداً بالهروب من حياة منزلية غير سعيدة - على الرغم من أن كراهية النساء كانت في كل الأحوال أسلوب حياة بالنسبة لليهود في عصره ومكانه.

لقد مضت أيام الخمر والورود والأشيرات منذ زمن طويل، وتم تعقيم الشكينة، وحكم الرب بقضيب ذكوري مثير للإعجاب من حديد. كانت الإلهات ينمين إلى الأجانب غير الأتقياء، مثل - أو ربما بشكل خاص - المصريين المتطورين، وبالتالي كن رجسًا للرب. (وعندما حاول الإغريق فرض إله الموت والقيامة الجديد سيرابيس عليهم، لم يترسخ هذا الدين الجديد إلا عندما أعيدت إيزيس المحبوبة لدى الشعب إلى السلطة ووضعت عن يمينه، وهو الوضع الذي تردد صداه، ولو بشكل ضعيف، عندما جعل المسيحيون مريم إلهتهم العذراء.)

بالنسبة لأمثال سمعان بطرس، يجب على النساء أن يعرفن مكانهن: في المنزل خلف القدر أو غسل ملابس الرجال، ويمارسن أعمالهن بخضوع وصمت وشعرهن مربوط بشكل متواضع ومغطى. من ناحية أخرى، كانت المجدلية معروفة بانتهاكها للشريعة اليهودية (كونها هارماتولوس) والعرف، حيث كانت ترتدي شعرها غير مربوط في الأماكن العامة - وهو ما كان يمثل عبئًا اجتماعيًا وخطيئة دينية كبيرة يجوز للرجل أن يطلق زوجته بسببها. (ربما كان شعرها غير المربوط، الذي جففت به قدمي يسوع، هو السبب الرئيسي وراء اشمئزاز التلاميذ الذكور من المسحة.) لقد تحدثت دون تردد، حتى في صحبة الرجال "المتفوقين"، وكانت واحدة من النساء اللواتي مولن مهمة يسوع. كانت المجدلية غنية بشكل واضح، ومستقلة، وواضحة، وتمتلك أسرارًا لم يكن بإمكان بطرس الغامض سوى تخمينها، وكانت تتمتع بمكانة عالية بين أعضاء الطائفة. وفي "بيستيس صوفيا" تسمح لنفسها بما يعادل لفظيًا غمزة خبيثة ليسوع عندما تقول بشيء يقترب من التواضع الساخر: "لا تغضب مني إذا سألتك عن كل شيء". يقول يسوع "اسألي ما تريدين"، لذا، فهي تستحوذ على نقطة معينة من اللاهوت، وتقول بنبرة لا لبس فيها من الاستغناء ، كمأهلة للمتأهلين: "سيدي أظهر لنا ... حتى يفهمه إخوتي أيضًا [التأكيد مني]".51 لم يكن بطرس مجهزًا للتعامل مع امرأة من الواضح أنها كانت

على دراية جيدة بأسرار يسوع واستسلمت أحيانًا لإغراء الاستفزاز. ولكن الأسوأ من ذلك، أنها كانت المفضلة لدى يسوع - وليس بطرس بالتأكيد، كما هو موضح في العهد الجديد. وكان دورها في القيامة بمثابة حجر عثرة للكنيسة، التي - بشكل لا يصدق - تدعي سلطتها من "حقيقة" أن مؤسسها، بطرس، كان أول شخص يرى المسيح القائم من الموت. حتى نظرة موجزة على القصة في العهد الجديد ستكشف أن هذا هراء، على الرغم من أن الحقيقة كان من الأسهل بكثير إبعادها عن القطيع في الأيام التي سبقت محو الأمية على نطاق واسع.

يقول إنجيل مرقس بوضوح: "وعندما قام يسوع في الصباح الباكر في اليوم الأول من الأسبوع، ظهر أولاً لمريم المجدلية". ولا يزال الفاتيكان يحاول التهرب من هذا من خلال توضيح أن يسوع لم يكن لديه تلميذات: كانت مريم المجدلية في الأساس امرأة أدنى روحياً، وليس لها أي اعتبار. وبينما يستمر الجدل حول الأساقفة الإناث على نحو غير بناء في صفوف الكنيسة الأنجليكانية، فإن التحيزات القديمة تظهر بدرجة معينة من الشراسة - بطبيعة الحال لا ينبغي للنساء أن يكن أساقفة، أو حتى كاهنات، لأن من المعروف أن يسوع اختار تلاميذه من بين السكان الذكور فقط.

ومع ذلك، فإن العهد الجديد الموجه نحو الذكور لا يسرد النساء في المهمة فحسب - ويبدأ دائمًا بالمجدلية - بل يصفهن أيضًا بأنهن "التلاميذ"، على الرغم من أن هذا المصطلح الدال قد تم ترجمته تقليديًا إلى "تلاميذ" الرجال، إلا أن المصطلح الأكثر ازدراءً ودونيةً هو 'الاتباع' في سياق أنثوي. في الواقع، إنها نفس الكلمة لنفس الدور. على أية حال، وفقًا لإنجيل لوقا، كانت النساء "يساعدن في دعم [يسوع والرجال] من مواردهن الخاصة"، أو في الأساس تمويل مهمة الرجال. (لا بد أن النساء قد اندهشن إلى حد ما من تعليم يسوع:

"تأملوا كيف تنمو الزنابق". إنهم لا يتعبون ولا يدورون، 54 ولا يقلقون بشأن المستقبل لأن الله سوف يوفر لهم ذلك. (فإن فعل ذلك، فإن فضله كان على شكل أكياس بنات أشيرا.) لقد احتفظت المجدلية والنساء الأخريات بالرجال بشكل أساسي، وأثبتن ولائهن حتى النهاية، بينما سكر بطرس، وأنكر ثلاث مرات أنه يعرف يسوع، ومثل إخوته في الإنجيل (باستثناء الشاب يوحنا) لم يكن موجودًا في أي مكان أثناء الصلب. من المؤكد أن النساء قد اكتسبن الحق في أن يطلق عليهن لقب تلميذات.

ومع ذلك، فإن الأناجيل الغنوصية توضح ما كان مختبئًا ضمناً في العهد الجديد بشأن وضع النساء، وخاصة مريم المجدلية. إن هذه الكتب المحرمة والمرفوضة تجعل من الواضح جدًا أن المسيح لم يرحب بالنساء في رسالته فحسب، بل كن أيضًا أعضاءً في دائرته الداخلية من المتأهليت وليس الرجال الأبطأ عقولًا وغير المبدعين، الذين لم يعرفوا مرارًا وتكرارًا ما يعنيه، ولم يظهروا حتى أي علامة على فهم أهمية موت المسيح. الانطباع هو أن بطرس على وجه الخصوص لم يكن لديه أي فكرة عما كان يحدث: كل ما كان يعرفه هو أنه كان يحب يسوع وكان يقضي الكثير من وقته في شغف ملتهب بالحسد والغضب بسبب الوضع غير المفهوم للمجدلية بالنسبة له. ومن بين كل النساء، حصلت ماجدالين، السيدة العظيمة وكاهنة المسح، على لقب "رسولة الرسل"، وهو ما يعني أن يسوع اعترف بأنها تقف فوق كل الرسل الآخرين.

في إنجيل مريم، حتى بطرس اضطر إلى الاعتراف بقربها من يسوع، قائلاً "إن المخلص أحبك أكثر من باقي النساء"،56 ولكن ليس قبل أن يقترح أنها اخترعت قصة لقاء المسيح القائم، وهو يصرخ في عدم تصديق: "كيف يمكن للمعلم أن يتحدث بهذه الطريقة مع امرأة عن أسرار لا نعرفها نحن أنفسنا؟" هل حقا اختارها وفضلها علينا؟' عندما يصف بطرس رؤيتها بأنها كذبة، فمن الطبيعي أن:

... تبكت مريم وأجابته: يا أخي بطرس، ماذا تفكر؟ هل تعتقد أن هذا مجرد خيالي، وأنني اخترعت هذه

الرؤية؟ أم تعتقد أني أكذب بشأن معلمنا؟ وعند هذا تحدث ليفي:

"يا بطرس، لقد كنت دائمًا سريع الغضب، والآن نراك تنكر امرأة، تمامًا كما يفعل خصومنا. فإن كان المعلم قد اعتبرها مستحقة فمن أنت حتى ترفضها؟ بالتأكيد كان المعلم يعرفها جيدًا، لأنه أحبها أكثر منا ... فلننمو كما طلب منا، ولنتقدم لنشر الإنجيل، دون أن نحاول وضع أي قواعد أو قوانين أخرى غير تلك التي شهدها.58

وعلى النقيض من الأناجيل القانونية، فإن العديد من النصوص الغنوصية تجعل محبة يسوع للمجدلية واضحة تماما. على الرغم من ميل بيستيس صوفيا إلى الانغماس في الهذيان الغنوصي المفرط في الغموض المعتاد حول عوالم الجنة والجحيم المعقدة، تقرأ المقاطع المتعلقة بالعلاقات الشخصية بين التلاميذ بوضوح غير عادي وثقة تشير بقوة إلى تقليد واحد - ربما يبدأ بذكريات حقيقية للأفراد في مهمة يسوع. يقول المسيح هذا التصريح الواضح للمجدلية، والذي لابد أنه جعل بطرس الغاضب يغلي: "يا مريم، أنت المباركة، التي سأكملها في جميع أسرار الأعالي [الأسرار العليا]، تحدثي بصراحة، أنت الذي ارتفع قلبك إلى ملكوت السماوات أكثر من جميع إخوتك". 59 وفي وقت لاحق في نفس النص الغنوصي، يعلن المسيح: "حيث أكون، سيكون هناك أيضًا اثنا عشر خادمًا لي". "ولكن مريم المجدلية ويوحنا العذراء سوف يعليان على جميع تلاميذي وعلى جميع الناس الذين يتلقون الأسرار..." ويكونون عن يميني وعن يساري. وأنا هم وهم أنا.60

مريم ويوحنا الصغير هما أقرب رسل يسوع اللذين سيجلسان عن يمينه ويساره إلى الأبد - وسوف يكون ليوحنا الحبيب/الإلهي/الإنجيلي دور خاص يلعبه في هذا التحقيق. ولكن مريم هي على نحو أكثر وضوحًا المفضلة لدى يسوع، إذ أطلق عليها لقب "الكل" أو "المرأة التي تعرف كل شيء". يمكننا أن نجد دليلاً على عمق علاقتهما في هذا المقطع الصريح من إنجيل فيليب الغنوصي:

... ورفيقة المخلص هي مريم المجدلية . لكن المسيح أحبها أكثر من جميع التلاميذ، وكان يقبلها كثيرًا على فمها. أما بقية التلاميذ فقد استاءوا... فقالوا له: "لماذا تحبها أكثر منا جميعا؟" فأجابهم المخلص وقال لهم: "لماذا لا أحبكم كما أحبها؟" 61

اقترح التقليديون المسيحيون أن يسوع كان يقبل مريم فقط بروح من الحب الروحي - في الواقع، احتفل الغنوصيون بدينهم في "أعياد الحب"، والتي كانت عفيفة إلى حد ما اعتمادًا على المجموعة. (بالطبع كانت أعياد حب الكاربوقراطيين أكثر سخونة إلى حد ما). ولكن إذا كان يقصد فقط إعطائها نقرة روحية حنونة، فلماذا اختار يسوع تقبيلها على الشفتين، ولماذا "أساء" إلى الآخرين بشكل صارخ ؟ في الواقع، لا أحد يعرف أين قبلها يسوع لأنه، بشكل محبط، يفتقد الإنجيل القديم هذا الجزء المعين من ورق البردي. "على الفم" هو مجرد تكهنات علمية، ولكن بالطبع من المثير للاهتمام للغاية أنه حتى العلماء اعتقدوا أنه من المناسب اقتراح الفم وليس اليد أو الخد. بالطبع قد يكون الأصل قد قال شيئًا مختلفًا تمامًا، مثل "في يوم السبت" أو

"على بحر الجليل"! مقطع آخر من إنجيل فيليب أكثر إثارة للاهتمام:

اعتادت ثلاث نساء دائمًا على السير مع الرب - مريم أمه وأخته والمجدلية، التي تدعى رفيقته. لأن "مريم" هي اسم أخته وأمه، وهي اسم شريكه [تأكيدي] 61

كلمة "رفيق" هي koinonos الآرامية، وهي كلمة يونانية مستعارة تعني "الشريك". في السابق 63 عندما زعمت أن هذا يعني "شريك جنسي"، كان هناك عواء من الغضب من بعض الأوساط. أبقى غير نادم. أعتقد أن

كلمة koinonos تعني "شريك" بالمعنى الدقيق للكلمة الحديثة في يومنا، والتي تعتمد بشكل كامل تقريبًا على السياق للحصول على التعريف الأقرب لها. إذا تم تقديم شخص ما باعتباره "شريكًا" في مكتب، فسيتم افتراض أن هذا يعني شريكًا تجاريًا. إذا كان في حفلة، فمن المرجح أن يكون "الحبيب" هو المناسب 6' هنا لدينا المجدلية، التي تم وصفها في مكان آخر من نصوص نجع حمادي بأنها تعرضت للتقبيل بشكل متكرر، ويفترض على فمها، من قبل يسوع. ربما كانت تسيطر على خيوط الأمور المالية، ولكن بطريقة أو بأخرى فإنها لا تبدو كشريكة عمل - ولا يتناسب وصف "الصديقة الجيدة" البريطانية الحديثة مع السياق. (في هذه الحالة ربما كان من الممكن وصفها بأنها "تلميذة" أو "تابعة"). Koinonos، في هذا السياق، لا يمكن أن تعني إلا الحبيب.

إن عبارة "من تسمى رفيقته" متكلفة بعض الشيء أيضًا، ربما كما لو كانت نوعًا من الكناية، كما في "من يقولون إنها رفيقته"، ومريم تسمى على وجه التحديد شريكته.

وعلى الرغم من الاعتقاد الذي روج له فيلم الإثارة الضخم "شفرة دافنشي" لدان براون على مستوى العالم بأن يسوع والمجدلية كانا زوجاً وزوجة ـ وهو المفهوم الذي وصل إلى الجمهور الأنجلو ساكسوني لأول مرة في عام 1982 في كتاب "الدم المقدس والكأس المقدس" لمايكل بايجنت وريتشارد لي وهنري لينكولن ـ فإن هناك القليل مما يدعم هذا الرأي، سواء في الكتاب المقدس، أو، وهو الأمر الأكثر دلالة، حتى في الكتابات الغنوصية. إن معجزة تحويل الماء إلى خمر في حفل زفاف قانا الجليل، الذي قيل أنه كان حفل زفاف يسوع ومريم، جاءت في الأصل - كما رأينا - من أساطير إله الخمر ديونيسوس الذي كان يموت ويقوم. 65 والدليل الأكثر أهمية على عدم زواجهما هو إغفال صارخ: ببساطة، لا يوجد ذكر لـ "مريم، زوجة المخلص" أو "مريم زوجة المسيح" إما في العهد الجديد أو في أي من الكتابات الغنوصية المعروفة. ورغم وجود مؤامرة لتهميشها في أناجيل القديسين متى ومرقس ولوقا ويوحنا، إلا أنه يبدو أنها لم تمتد إلى محو حالتها الزوجية. في الواقع، فإن الاشمئزاز الواضح الذي يشعر به التلاميذ الذكور تجاهها قد ينشأ جزئيًا من حقيقة أن علاقتها مع يسوع لم تكن معتمدة في الشريعة اليهودية.

على أية حال، كان ممنوعاً على تلاميذ يسوع الزواج - على الرغم من أن أتباع يوحنا المعمدان لم يكونوا ممنوعين - وهناك اعتبارات أخرى محتملة قد تؤثر على هذا.

من شأنه أن يمنع المسيح من أن يجعلها امرأة صادقة. على الرغم من أن مثل هذه الاعتبارات قد تكون غير مقبولة وغير واردة، إلا أنه من الممكن أن يكون أحدهما أو كلاهما متزوجين بالفعل، أو ربما كانا قريبين من بعضهما البعض - قريبين جدًا لجعل حبهما قانونيًا. أو ربما كان أحدهما أو كلاهما مكرسًا للعفة، على الأرجح ككاهن أو كاهنة في طائفة أجنبية. (حتى "عاهرات" المعبد

أو الخادمات كان من المتوقع أن يظلوا غير متزوجين ويمارسوا الطقوس الجنسية فقط داخل جدران المعبد.) لقد مات مواطنو بيزييه في جنوب فرنسا في القرن الثالث عشر - كلهم البالغ عددهم 20 ألف نسمة - طواعيةً شهداءً بدلاً من التراجع عن اعتقادهم بأن مريم كانت "محظية" يسوع، والذي ربما استقوه من الأناجيل الغنوصية التي كانت متداولة في المنطقة في ذلك الوقت، ولكنها فقدت منذ ذلك الحين.

إن قرب المجدلية من يسوع، وعلاقتها مع "يوحنا الحبيب"، وكراهية بطرس، كلها عوامل مهمة في ظهورها كـ "مريم لوسيفر" - للأفضل أو الأسوأ في أذهان الناس. ولكي نتمكن من تجميع حقيقتها، علينا أن ننتقل سريعًا إلى أواخر القرن الخامس عشر، حيث كانت إحدى أشهر الشخصيات في العالم تبتكر أعمالًا من أكثر أعمال التجديف فظاعة.

اكتشاف الشفرة

في أوائل تسعينيات القرن العشرين، كنت أنا وكلايف برينس نبحث بجدية في أسرار الفنان الفلورنسي العظيم ليوناردو دافنشي، وهو ما أصبح فيما بعد كتابنا المشترك الأول، كفن تورينو: على صورة من؟ الحقيقة المذهلة التي تم كشفها (1994)، أصبح عنوانها الفرعي أكثر وضوحًا: كيف خدع ليوناردو دافنشي التاريخ للنسخة الورقية الصادرة عام 2000. ستتم مناقشة اكتشافنا لمجموع من الأدلة الظرفية التي تشير بقوة إلى أنه صنع كفن تورينو المقدس الذي يُزعم أنه تم تصويره بأعجوبة باستخدام تقنية تصوير بدائية لاحقًا، عند تحليل الأوراق اللوسيفيرية ليوناردو. في الوقت الحالي، يكفي أن نقول إنه عندما أصبحنا مقتنعين بالارتباط الوثيق بين ليوناردو و"الكفن"، اختفت منازلنا بسرعة تحت كومة من نسخ ليوناردو، والتي كنا نتفحصها بدقة شديدة عادة بحثًا عن أي أدلة تشير إلى ما يمثله حقًا. ومع ذلك، ومهما ركزنا، فإن اكتشافاتنا النهائية بدت دائمًا وكأنها تعمل على مستوى اللاوعي - بشكل عفوي على ما يبدو - كما لو أن زنبركًا ملفوفًا تم إطلاقه بشكل متفجر في أذهاننا كرد فعل لساعات من التحديق المكثف. لقد رأينا فجأة أشياء مذهلة في ما هي، بعد كل شيء، الأعمال الفنية الأكثر شهرة، وبالتالي الصور الأكثر شهرة، في العالم. ولكن هذه لم تكن ببساطة معادلة لتخيل الوجوه في النار أو أشكال الحيوانات في تشكيلات السحاب: فبالتدريج، جاءت الملامح التي لاحظناها واكتشافاتنا حول العلامة الخاصة بليوناردو من الهرطقة معًا كوحدة متماسكة ومتسقة تمامًا.

من المؤكد أنه كان ينوي أن يلاحظ الأجيال القادمة خيوطه المخفية، وهو ما يعكس موقفه، كما يتجلى في ازدرائه للشاعر النموذجي لأنه "ليس لديه القدرة على قول عدة أشياء في نفس الوقت". 67 لقد ثبت أن أحد الرموز "المخفية" الأولى التي اكتشفناها في العشاء الأخير كانت صارخة بشكل مذهل، ومع ذلك، مثل أي شخص آخر لمدة 500 عام، استسلمنا لغطاء الافتراض الذي حجب أعيننا. وفي عام 1994 كتبنا:

انظر إلى صورة يسوع بثوبه الأحمر وعباءته الزرقاء وانظر إلى اليمين حيث يوجد ما يبدو للوهلة الأولى أنه شاب يميل إلى الأمام. يُعتقد عمومًا أن هذا هو يوحنا الحبيب - ولكن في هذه الحالة، ألا ينبغي له أن يتكئ على "صدر" يسوع كما في الكتاب المقدس؟ أنظر عن كثب. هذه الشخصية ترتدي صورة طبق الأصل من ملابس يسوع: في هذه الحالة رداء أزرق وعباءة حمراء، ولكن بخلاف ذلك فإن الملابس متطابقة ... [و] ... بقدر ما كان يسوع كبيرًا وذكوريًا للغاية، فإن هذه الشخصية جنية وأنثوية بشكل واضح. الأيدي صغيرة، وهناك قلادة ذهبية معروضة ... هذا ليس يوحنا الحبيب: هذه مريم المجدلية. وتقطع يد حلقها، في تلك الإشارة الماسونية المرعبة التي تشير إلى تحذير خطير 68

ومع ذلك، إذا كنا نعتقد أننا نستطيع أن نترك العشاء الأخير خلفنا بأمان، فقد كنا مخطئين للأسف. لقد ثبت أن رمزيتها كانت محورية لعملنا المشترك التالي، "كشف فرسان الهيكل: الحراس السريون للهوية الحقيقية للمسيح" (1997)، وكانت ذات أهمية هائلة بالنسبة لكتابي "مريم المجدلية: إلهة المسيحية الخفية" (2003): مع كل كتاب كان لدينا شيء جديد ومثير ومزعج - مثل كل أسرار ليوناردو - لنقدمه. ويستمر هذا الاتجاه هنا، مع الكشف الجديد الكبير. ولكن أولاً، الخلفية الأساسية:

وفي العشاء الأخير، انحنى "القديس يوحنا" الشاب قدر الإمكان بعيدًا عن يسوع ليشكل معه شكل حرف "M" عملاقًا، مشيرًا إلى الهوية الحقيقية للشخصية، وقد ظهر هذا في كتابنا الثاني، كما وصل إلى جمهور دولي ضخم من خلال "شفرة دافنشي"، التي استخدمت عملنا كمصدر إلهام لمفهوم رموز وأسرار ليوناردو بالكامل. نعم، من الواضح أن هذه هي مريم المجدلية، حيث تكشف ملابسها التي تشبه المرآة عن كونها النصف الآخر للمسيح، وهي تتخذ ما كان يعتقد العديد من الهراطقة أنه مكانها الشرعي إلى جانبه عندما بدأ

الأسرار المسيحية العظيمة حيث يمثل الخمر دمه الذبيح والخبز جسده. وكما أشرت في قصة مريم المجدلية، فإن اليد التي تحرك حركة التقطيع الوحشية عبر رقبة المرأة تنتمي إلى القديس بطرس، الذي توضح الأناجيل الغنوصية أنه كان قد هددها بالفعل... ولكن كيف كان لرسام إيطالي في القرن الخامس عشر أن يعرف عن هذا الصراع؟

العلاقة بين هذين التلميذين الميتين منذ زمن طويل؟ هل كان لديه القدرة على الوصول إلى الكتب المحرمة التي كانت متداولة في جنوب فرنسا قبل عدة قرون من ولادته؟ (من المؤكد أنه كان يدرك قيمة الأسرار، فكتب عن

الحقيقة وقوة المعرفة".) ولماذا اعتقد ليوناردو أنه ينبغي لها أن تجلس عن يمين يسوع أثناء العشاء الأخير؟

وربما كان يعرف شيئاً عن الأناجيل الأصلية التي لا تزال غامضة حتى القرن الحادي والعشرين. في كتابهما "يسوع والإلهة: التعاليم السرية للمسيحيين الأصليين" (2001)، يزعم تيموثي فريك وبيتر غاندي أن إنجيل القديس يوحنا الكتابي، "إذا كان له أن يحمل أي اسم على الإطلاق، فيجب أن يكون إنجيل مريم المجدلية". ويوضحون أنه على الرغم من ادعاء أن النص قد كتبه "تلميذ محبوب" غير محدد، فإنه يُنسب إلى يوحنا فقط على أساس ... زعم إيرينيئوس في نهاية القرن الثاني أنه كان لديه ذكريات طفولية عندما قيل له أن الإنجيل كتبه التلميذ يوحنا."69 ويشير الغنوصيون في أواخر القرن الأول إلى أن هذه القصة قد نسبوها إلى معلمهم سيرينثوس، ويضيفون

أن الأبحاث الحديثة تشير إلى أن "التلميذ الحبيب" الذي جعله الراوي للقصة ليس يوحنا، بل مريم المجدلية... لقد تم تعديل إنجيل "التلميذة الحبيبة" ... من أجل تحويل "التلميذة الحبيبة" مريم إلى شخصية يوحنا الذكورية، والتي كانت أكثر قبولاً لدى الحرفيين الكارهين للنساء.70

في هذا السياق ـ مهما كان افتراضياً ـ فإن المقطع التالي الذي يصف العشاء الأخير في الكتاب المقدس بعد أن أعلن يسوع أن أحد أتباعه سيخونه له أهمية خاصة، إذا تم استبدال "مريم" بـ "التلميذ الذي أحبه يسوع":

وكان متكئا بجانبه واحد منهم، وهو التلميذ الذي كان يسوع يحبه. فأشار سمعان بطرس إلى هذا التلميذ وقال له: اسأله من يعني؟

فاتكأ على يسوع وسأله: "يا سيد، من هو؟"

ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ أن بطرس يعترف ضمناً بمكانة الحبيب من خلال مطالبته له/لها بطلب معلومات من يسوع ـ تذكر كيف استولت مريم على الساحة خلال جلسة الأسئلة والأجوبة المذكورة في بيستيس صوفيا، وكيف استمتعت هي ويسوع بوضوح بأسرارهما المتبادلة والحميمة بلا شك. وفي هذه النسخة من الآيات، يتكئ الحبيب بشكل مألوف على المسيح على طاولة العشاء. (ولكن لو كانت هذه هي المجدلية حقاً، فإن هذا التباهي بعلاقتها الحميمة مع يسوع كان ليتعارض تماماً مع ما كان يعتبر سلوكاً لائقاً في ذلك الوقت والمكان. (وبعيدًا عن التقارب مع يسوع أمام جميع زملائه الذكور، كانت حتى الزوجة الشرعية ستحافظ على مسافة وتشرف بشكل متواضع على إعداد الطعام في المطابخ.)

إن صاحب هذه الفرضية المثيرة للاهتمام، رامون ك. جوسينو (الذي يعتمد إلى حد كبير على أبحاث ريموند إي. براون،72 على الرغم من أن الاستنتاج المثير للجدل هو لجوسينو نفسه) يزعم أنه بما أن "هناك جهدًا متضافرًا من جانب القيادة الذكورية للكنيسة المبكرة لقمع معرفة أي مساهمات كبيرة قدمتها التلميذات" ... "فقد سقط الكثير من إرث مريم المجدلية ضحية لهذا القمع"، وينسب تأليف الإنجيل الرابع المزعوم إلى

يوحنا الإنجيلي إلى العمل الماكر لـ "المعدل" (أو محرر) المبكر الذي قام في الأساس بحذف اسمها، وتغيير الجنس النحوي. ويعلق قائلا

"هناك المزيد من الأدلة التي تشير إلى أنها مؤلفة الإنجيل الرابع أكثر من أي دليل يشير إلى أن يوحنا هو المؤلف" 73

يستشهد جوسينو ببعض التناقضات البنيوية المثيرة للاهتمام في إنجيل القديس يوحنا كدليل على إعادة صياغة أجندة مناهضة للمجدلية. ربما يكون المثال الأكثر إقناعًا هو المقطع التالي، الذي يظهر مريم والتلميذ الحبيب المجهول معًا عند سفح الصليب: "وكانت واقفة عند صليب يسوع أمه، وأخت أمه مريم امرأة كلوبا، ومريم المجدلية". فلما رأى يسوع أمه هناك، والتلميذته التي كان يحبها واقفة بجانبه، قال..."

وفجأة يظهر الحبيب الغامض، رغم أنه غير مدرج مع مريم عند الصليب، مما يعني أنه في الواقع واحد منهم. إن عالم الكتاب المقدس الأمريكي ريموند إي. براون، على الرغم من عدم موافقته على الاستنتاج الجذري الذي توصل إليه جوسينو، يعترف بأن والدة يسوع "تم ذكرها على وجه التحديد في التقليد الذي وصل إلى الإنجيلي [يوحنا] ... ولكن الإشارة إلى التلميذ الحبيب ... لم تكن واضحة في التقليد الذي وصل إلى الإنجيل [يوحنا]".

"إنها إضافة إلى التقليد"، مضيفًا أن "التلميذ الحبيب" يبدو غريبًا وغير متجانس في هذا الإطار.

ربما يكون الأمر الأكثر إثارة للاهتمام، باتباع سلسلة أدلة جوسينو، هو أنه يمكننا الآن مقارنة بعض المقاطع في إنجيل القديس يوحنا التي تصور شعورًا واضحًا بـ "التفوق" بين بطرس ومريم مع تلك التي ناقشناها أعلاه من الأناجيل الغنوصية. وكما رأينا في إنجيل مريم، فإن بطرس يغار من رؤية مريم ليسوع، مدعياً أنها اختلقتها؛76 وفي إنجيل توما يطلب من يسوع أن يقول: "لتتركنا مريم، لأن النساء لسن جديرات بالحياة"؛ وفي إنجيل فيليب يتم مقارنة العلاقة الوثيقة بين المجدلية ويسوع بعلاقته مع التلاميذ الآخرين - على حسابهم.78 يذكر جوسينو خمس حلقات في إنجيل القديس يوحنا تتطابق مع المقاطع الغنوصية. كما رأينا، "التلميذ الحبيب يتكئ على صدر يسوع بينما كان على بطرس أن يطلب من التلميذ أن يسأل يسوع سؤالاً له"؛79

"التلميذ الحبيب لديه حق الوصول إلى قصر رئيس الكهنة بينما بطرس لا يستطيع ذلك"؛ "التلميذ الحبيب يؤمن على الفور بالقيامة بينما "بطرس وبقية التلاميذ لا يفهمون"؛ 81 "التلميذ الحبيب هو الوحيد الذي تعرف على المسيح القائم بينما كان يتحدث من الشاطئ إلى التلاميذ في قارب صيده"، 82"وسأل بطرس يسوع بغيرة عن مصير التلميذ الحبيب".83

ومع ذلك، ورغم الاعتراف بأنه كانت هناك بالطبع مؤامرة لتهميش المجدلية من جانب كتاب الأناجيل، إلا أنه حتى بالنسبة للعقل المنفتح لا بد أن تظل هناك اعتراضات على نظرية جوسينو. وكما لاحظنا، إذا كانت مريم هي التلميذة "الحبيبة" التي استندت إلى يسوع في العشاء الأخير، فإن سلوكها كان استفزازيًا بشكل غير عادي، حتى بالنسبة لكاهنة مدربة في مصر ذات شخصية حازمة بشكل خاص! (ورغم أنها كانت حاضرة إلى جانب يسوع في عمل ليوناردو العظيم، إلا أنها في الواقع كانت تميل بعيدًا عنه قدر الإمكان - رغم أن هذا قد يكون مجرد ضرورة مدفوعة بالتكوين، لخلق دليل على شكل الحرف "M"). ولكن مرة أخرى، حتى في النصوص الغنوصية، حيث قد يتوقع المرء أن يكون للرقابة الكتابية تأثير أقل بكثير، هناك إشارات إلى "الشاب الذي أحبه يسوع" - لعازر، مريم من بيت عنيا/شقيق مريم المجدلية - والذي يبدو أن آيات مار سابا المسيئة المتعلقة ببعض أنواع التأهيل الجنسي مع يسوع قد كتبت عنه. من الواضح أن هناك شيئًا ما في كلا

الشقيقين اعتبره كاتبو الأناجيل مثيرًا للاشمئزاز إلى درجة أنهم كلما استطاعوا كانوا يختصرونهما قدر الإمكان في عبارات غامضة ورافضة مثل "امرأة معينة"، "خاطئ مجهول الاسم"، "الشاب الذي أحبه يسوع". ولكن في لوحة ليوناردو فإن يوحنا ومريم هما من تم تصويرهما كشخص واحد، وليس لعازر والمجدلية، وكأن كليهما كانا بطريقة أو بأخرى "النصف الآخر" ليسوع في العشاء الأخير.

ربما تكون الإجابة بكل بساطة، بالنسبة إلى ليوناردو، أن الأمر كان حرفيًا: لقد شاركت المجدلية والقديس يوحنا الشاب في طقوس جنسية مقدسة سرية مع يسوع، والتي مُنع التلاميذ الآخرون من المشاركة فيها، وربما لم يكن لديهم سوى أدنى فكرة عنها. يمكن للمرء أن يتخيل أنهم كانوا يعرفون شيئًا جنسيًا يحدث خلف الأبواب المغلقة مع الاثنين المفضلين، وكانوا في أعماقهم يكرهون ذلك، ولكن احترامهم وحبهم للمعلم الروحي الكاريزمي الواضح يعني أنهم كانوا على استعداد لتحمل ذلك، ولو على السطح فقط. ونحن نعلم ما كان يفكر فيه الرجال - وخاصة بطرس - بشأن المجدلية، وفي إنجيل يوحنا يمتد هذا الانزعاج أو العداوة الصريحة إلى الشاب يوحنا. ورغم أن لعازر لم يظهر في الصورة مرة أخرى، فإن الوضع يصبح أكثر منطقية عندما ندرك أن هناك أدلة على أن يوحنا ولعازر كانا في الواقع شخصًا واحدًا...

في الواقع، كلمة "لعازر" هي كلمة يونانية تعني "إليعازر"،84 وهي نسخة من "إيليا" أو "إلياس"، نبي العهد القديم المرتبط بقوة في يهودا في ذلك الوقت بيوحنا المعمدان - في الواقع، كثير من الناس العاديين اعتقدوا أنه كان إيليا / إلياس المتجسد. في هذا السياق، يُطلق كاتبو الأناجيل على لعازر اسم "يوحنا" مرتين، على الرغم من حرصهم على إخفاء علاقته الحقيقية بيسوع. كان اسم "يوحنا" في كثير من الأحيان يُستخدم كاسم معمودية لتكريم المعمدان، وكان عادةً يشير إلى أحد تلاميذه: إحدى النساء اللاتي تبعن يسوع كانت يُوَنّا، زوجة خادم هيرودس، والتي كانت على الأرجح في الأصل "يوحناوية" - من أتباع يوحنا المعمدان: "يوحناوية" عادةً ما تكون من أتباع يوحنا الإنجيلي.

وهناك أيضًا دليل على وجود آية أخرى من إنجيل مرقس السري، والتي أشار إليها إكليمندس في رسالته الغاضبة عن الكاربوقراطيين الأشرار، وهي الفقرة التي تسببت على ما يبدو في استياء شديد بين آباء الكنيسة لأنها، لسبب ما، أثارت اهتمامًا هائلاً في تلك الطائفة المشينة. ولكن ظاهريًا يبدو هذا الكلام غير ضار على الإطلاق، بل بلا معنى، على الرغم من أنه يوفر الرابط المفقود بين مقطعين غير مرتبطين ظاهريًا ولكنهما متسلسلان زمنيًا في إنجيل القديس مرقس القانوني، والذي ينص على: "ثم جاءوا إلى أريحا". "وفيما كان يسوع وتلاميذه خارجين من المدينة مع جمع كثير، كان رجل أعمى اسمه برتيماوس جالساً على الطريق يتوسل..."85 يبدو هذا المقطع تافهًا تمامًا - يذهب يسوع إلى أريحا ثم يغادر فجأة: من الواضح أن شيئًا مثيرًا للاهتمام لابد وأن حدث في هذه الأثناء، وهو الأمر الذي وجده الكاربوقراطيون الهراطقة مثيرًا للاهتمام بشكل خاص. ولكن الحلقة المفقودة تقول ببساطة: "وكانت هناك أخت الشاب الذي كان يسوع يحبه، وأمه وسالومة، فلم يستقبِلهن يسوع". قد يبدو هذا المقطع مملًا بعض الشيء للوهلة الأولى - ولا يستحق التمهيد له - لكنه يحتوي على دلالات من النوع الأكثر إغراءً. فإنه يشير بالاستدلال إلى أن لعازر كان "حبيب" يسوع الذكر، وبالتالي فهو كان يوحنا أيضًا. لاحظ أيضًا أن "سالومي" هنا، مثل المجدلية، لا يتم تعريفها من خلال علاقتها برجل، كزوجة أو ابنة أو أخت. لماذا؟ هل لأنها كانت معروفة جدًا، أم أن مكانتها كانت مثيرة للإعجاب لدرجة أن الكاتب لم يكن بحاجة إلى شرحها بأي تفاصيل؟ وسنعود لاحقًا إلى السؤال المثير للجدل الذي طرحته سالومي.

ولكن إذا كان لعازر هو الشاب الذي أحبه يسوع، وكانت أخته مريم هي المرأة التي أحبها، وكلاهما عاشا في بيت عنيا مع أختهما مرثا، فلماذا كان كل شيء في ذلك المكان محاطًا بالتعتيم والخداع من قبل كتاب العهد الجديد؟ فهل كان الأمر يتعلق بالطقوس الجنسية، التي لابد وأن التلاميذ الآخرين كانوا مترددين حتى في

التفكير فيها، إما بسبب شعورهم بالإهانة الأخلاقية أو مجرد شعور مرتبك بالغيرة لعدم كونهم من الدائرة الداخلية المحظوظة؟

تتميز رواية القديس لوقا عن المسحة عن الأناجيل الثلاثة الأخرى في العهد الجديد لعدة أسباب مقنعة. على عكس الروايات في إنجيل متى ومرقس و إنجيل يوحنا، تدور أحداث إنجيله في كفرناحوم، وليس في بيت عنيا، وفي بداية مهمة يسوع، وليس نهايتها. تظل المرأة مجهولة الهوية وغير مهمة. ويبدو أن الحادثة قد أُدرجت فقط للتأكيد على قدرة المسيح على مسامحة الخطاة، كدفاعه عن ماسحة صاحب البيت، سمعان:

"هل ترى هذه المرأة ؟ جئت إلى منزلك. لم تعطيني أي ماء لقدمي، لكنها بللت قدمي بدموعها ومسحتها بشعرها.

"أنت لم تعطيني قبلة، لكن هذه المرأة منذ أن دخلت لم تتوقف عن تقبيل قدمي. لم تضع الزيت على رأسي، لكنها سكبت العطر على قدمي.

"لذلك، أقول لكم، لقد غفرت خطاياها الكثيرة - لأنها أحبت كثيرًا. وأما الذي غُفر له قليلًا، فيحب قليلًا.'86

الجملة الأخيرة - كما اعتقدت العديد من الطوائف الغنوصية الفاسقين بقوة - تبدو وكأنها توافق ضمناً على أولئك الذين لديهم الكثير مما يجب أن يغفروه، مثل المرأة المجهولة التي "أحبت كثيراً". كلما عظمت الذنوب عظمت المغفرة. ولكن لماذا يتردد لوقا في تقديم أي تفاصيل من شأنها أن تربط الحدث المهم لمسح مريم المجدلية بالمجدلية أو حتى الجزء الأخير والهام من مهمة يسوع؟ ولماذا يصر على تسميتها بقرية معينة؟ من الواضح أن كاتبي الأناجيل الآخرين كانوا يعرفون أنها كانت بيت عنيا، ومن المفترض أن لوقا كان يعلم ذلك أيضًا، على الرغم من أنه فعل كل ما في وسعه باستثناء استبعاد الحلقة تمامًا لإخفاء الحقيقة. لماذا؟

يعترف بعض العلماء، مثل هيو جيه شونفيلد، بأن هناك شيئًا ما يتعلق ببيت عنيا والعائلة التي زارها يسوع هناك يبدو أن كتاب الأناجيل أخفوه عمدًا. ولكن هذا يبدو غريباً، لأن "عائلة بيت عنيا" قامت فعلياً بالترتيبات اللازمة - وبعبارة أكثر تشاؤماً، قامت بإدارة المسرح - التي أدت إلى الصلب. على سبيل المثال، كما يشير شونفيلد في كتابه "مؤامرة عيد الفصح" (1965)، فإن هؤلاء هم الشخصيات الرئيسية التي وفرت الحمار الذي ركبه المسيح منتصراً إلى القدس، مما يعني على ما يبدو ضمان تحقيق نبوءات العهد القديم عن المسيح. ولكن إذا كان هذا هو سبب وجودهم، فإن اعتقال يسوع وتعذيبه وصلبه بعد ذلك لابد وأن كان بمثابة صدمة شديدة، لأن المسيح اليهودي لم يكن من المتوقع أن يموت على الإطلاق ــ على الأقل ليس قبل تحرير شعبه من الرومان المحتلين. ولم يكن من المفترض على الإطلاق أن يعاني من الموت المخزي كمجرم عادي، مصلوبًا على الصليب في مكان عام، مكروهًا ومبصوق عليه من قبل حثالة المجتمع.

ولكن مهما كان الدافع الأساسي وراء مشاركة عائلة بيت عنيا في تعزيز المهمة، فقد كان هناك رابط آخر قد يفسر لماذا تجنب لوقا ذكر القرية بالاسم، ولماذا شعر التلاميذ عمومًا بالاشمئزاز الشديد منها ومن كل ما تمثله. وهذا يوفر أيضًا رابطًا رئيسيًا مع "شفرة دافنشي" الحقيقية والتيار "اللوسيفراني" الحاسم الذي دفع العديد من الهراطقة، حتى يومنا هذا.

إرث ليوناردو

ربما يشعر المسيحيون بالفزع حين يعلمون المدى الحقيقي للبدعة التي اكتشفناها أنا وزميلي كلايف برينس في اللوحات "التقية" المزعومة لليوناردو دافنشي. أولاً، كان هناك شكل حرف "M" عملاق في لوحة العشاء الأخير، تم رسمه بواسطة شخصيتي يسوع و"الحبيب"، مما يشير إلى أنه "هو" في الواقع هي: ليست سوى مريم المجدلية.

وهناك أيضًا نبرة جنسية مثلية واضحة في لوحة القديس يوحنا المعمدان، وهي واحدة من عملين فقط من أعماله كان لهما مكانة فخرية في الغرفة التي توفي فيها عام 1519 ـ واللوحة الأخرى هي الموناليزا.

لا يحظى القديس يوحنا الغريب بشعبية كبيرة بين مؤرخي الفن، ومن السهل أن نفهم السبب. يحدق الشاب بنظرة ثاقبة إلى المراقب، وهو صبي وسيم ذو تجعيدات كثيفة وفراء يتدلى بإهمال من كتف مصقول، ويبدو أنه حارس الأسرار العميقة والمظلمة على الأرجح - انطلاقا من ابتسامته الشريرة، فإن المعرفة قديمة قدم الخطيئة. (وهناك عمل آخر أقل شهرة إلى حد كبير، وهو رسم تخطيطي لباخوس، وهو بلا شك يركز على الذكورة: شاب آخر يبتسم بسخرية للمراقب، لكنه عارٍ، وعضوه الذكري مثار بشكل لا مفر منه - ومثير للإعجاب. وكما رأينا، ارتبط باخوس بديونيسوس وبانٍ، آلهة الغابات البرية وطقوس الجنس الوقحة، وفي تصوير ليوناردو الأكثر اكتمالاً لهذا الإله الوثني، كان التشابه مع يوحنا المعمدان مذهلاً. في الواقع، ربما كان كلا العملين مستندين إلى الفنان نفسه عندما كان شابًا: كان ليوناردو يحب أن يدرج نفسه في أعماله الخاصة.

يبدو القديس يوحنا المعمدان وكأنه يخيم، بينما يرفع إصبعه السبابة اليمنى عبر جسده نحو السماء، فيما أطلقنا عليه أنا وكلايف "إشارة يوحنا". على الرغم من أن هذا يظهر في العديد من الأعمال في العصور الوسطى وعصر النهضة للإشارة إلى أهمية السماء أو بشكل عام "الأشياء العليا" للروحانية، إلا أنه في أعمال ليوناردو يشير دائمًا، أو تصنع بالفعل بواسطة، يوحنا المعمدان - الذي يبدو أنه يحترمه بشدة. يتم الترويج لتفاني ليوناردو للمعمدان من خلال التلميحات الماكرة والرموز شبه المخفية، حتى على حساب العائلة المقدسة. وعلى الرغم من أنني وكلايف قمنا بتفصيل رمزية ليوناردو الهرطوقية - "اليوحانية" - في مكان آخر، فسوف أقدم هنا ملخصًا لتوضيح حجتي.

في العشاء الأخير، يرفع أحد التلاميذ إصبعه في وجه يسوع بحركة يوحنا الواضحة، بكثافة شديدة، على الرغم من أن المسيح يتجاهله وينظر بهدوء إلى يديه الممدودتين - اللتين لا يوجد بينهما كأس من النبيذ، كما قد يتوقع المرء، ولا "الكأس المقدس". ماذا تعني هذه الإشارة هنا؟ هل هي، كما اقترح كلايف وأنا، عبارة عن "تذكر يوحنا ..." موجزة وحتى عدائية؟ ولكن لماذا يحتاج يسوع إلى تذكيره بسابقه، الرجل البري من البرية - ابن خالته - الذي سقط على ما يبدو عند قدميه وأعلن أنه "خروف الله"؟ ولماذا يوجد التحذير الضمني في هذه الإشارة؟ وإذا كنت تعتقد أننا نبالغ في تفسير هذا الأمر، فإن فحصنا لأعمال ليوناردو الأخرى أثبت أنه مفاجئ، وحتى صادم.

"الرسم الكاريكاتوري (أو الرسم الأولي) للعذراء والطفل مع القديسة آن ويوحنا المعمدان، والذي يُعرض الآن في المعرض الوطني بلندن، يُظهر القديسة آن، التي تبدو ذكورية، وهي ترفع إشارة يوحنا الضخمة إلى ابنتها العذراء، التي تبتسم قليلاً، غافلة تمامًا. (وقد قيل أن القديسة آن كانت في الحقيقة تهدف إلى تصوير القديسة إليزابيث، والدة المعمدان.) ينظر القديس يوحنا الصغير دون تعبير إلى الطفل يسوع، الذي يبدو وكأنه يتلوى إلى الأمام بين ذراعي أمه، من أجل أن يباركه، على ما يبدو. ومع ذلك فإن الطفل المسيح لديه جسم غريب يشبه الثعبان أو اليرقة (مكتمل بجذع مقسم) ويبدو أنه امتداد لذراع أمه، مثل دمية القفاز تقريبًا. ورغم أنه من المفترض أن يضرب يوحنا تحت ذقنه بيد واحدة بينما يباركه باليد الأخرى، فلا يحتاج المرء إلى أي خيال ليلاحظ أن اليد الأولى كانت قادرة بنفس القدر على تثبيت رأس الصبي لتلقي الضربة. بالنسبة

لأولئك الذين لا يملكون الصبر مع هذا النوع من التفسير الهرطقي، اسمحوا لي أن أنصح بالحذر، والعقل المنفتح، وكتاب مفتوح - بقدر الإمكان - من نسخ ليوناردو. ومن المدهش ما قد يجده المؤرخ "غير المتعلم" وغير المتخصص في الفن - مثل ما يلي، اكتشاف جديد.

بعقل خالٍ من الأفكار المسبقة قدر الإمكان، انظر بوضوح طفل غير متطور إلى الرسوم المتحركة، وتحديدًا إلى تلة مغطاة بالأشجار في الزاوية اليمنى العليا، فوق رأس يوحنا المجعد. في الواقع، يخدم "التل" غرضًا مزدوجًا، حيث تشكل أوراقه المزخرفة أيضًا الخطوط العريضة المميزة للرأس المقطوع لرجل ملتحٍ ذو عيون مغلقة. (بمجرد رؤيته، لا يمكن أبدًا أن يختفي: يعترف بعض الأصدقاء بأنهم يتوقعون باستمرارٍ أن يفتح الرجل في تكاثرهم عينيه فجأة في أي يوم الآن.) لماذا يصور ليوناردو رأسًا مقطوعًا ؟ يكمن الدليل في موقعه على يوحنا الشاب - وفقًا للرواية الكتابية، تم قطع رأس يوحنا المعمدان أثناء وجوده في سجن الملك هيرودس. تم اعتقاله بسبب إدانته للزواج غير القانوني للدمية الرومانية، وعانى من الموت لأن زوجة هيرودس هيرودياس أقنعت ابنتها - التي لا تزال مجهولة في العهد الجديد - أن تطلب من الملك رأس يوحنا.

إن موضوع الكارتون المذهل والمخفي جزئيًا يظهر أيضًا في أعمال ليوناردو الأخرى، كما سنرى - حتى في اللوحة النهائية المستندة إلى الكارتون، على الرغم من اختفاء الرأس الطافي في الانتقال. حتى نظرة سريعة تكشف أن لوحة العذراء والطفل مع القديسة آن تغيرت بشكل كبير منذ رسمها الأولي المثير للقلق. لا تزال مريم تجلس في حضن أمها بطريقة محرجة إلى حد ما، ولكن يوحنا المعمدان اختفى تمامًا، ليحل محله حمل. ولكن في العهد الجديد فإن يسوع، وليس يوحنا، هو الذي يرمز إليه بالحمل، والمعمدان هو الذي يحييه على هذا النحو. في لوحة ليوناردو يبدو الحمل في خطر وشيك، حيث يعلق الطفل يسوع على أذنيه بقوة - كما لو كان عازمًا على سحب رأسه - بينما يقطع أحد الأطراف الممتلئة رقبة الحمل، مما يخلق الوهم البصري بقطع الرأس. ولكن لماذا يريد يسوع في أي وقت من حياته أن يؤذي القديس الذي أعلن ألوهيته للعالم؟

هناك أمثلة أخرى أكثر إساءة لهذا النص الفرعي اليوحناوي في أعمال ليوناردو. في عبادته غير المكتملة للمجوس، تحتل العذراء والطفل المقدمة السفلى، حيث يتم تكريمهما بزيارة المجوس، كما يشير العنوان. ومع ذلك، وكما هو الحال مع جميع أعمال هذا الزنديق الفلورنسي العظيم، فإنها تستحق التدقيق فيها عن كثب. إن المصلين الذين يعبدون العائلة المقدسة بشعون، نحيفون، قبيحون، وقديمون - بأعينهم المنكمشة ورؤوسهم التي تشبه الجمجمة - لدرجة أنهم يبدون وكأنهم أشباح أو مصاصو دماء من القبر يهاجمون مريم ويسوع. ومن بين الهدايا الثلاث الشهيرة، لا يتم تقديم سوى اللبان والمر: الذهب، رمز الملكية المقدسة والكمال، مفقود.

وتشغل مجموعة ثانية من المصلين النصف العلوي من الصورة، خلف رأس العذراء. إنهم يتناقضون بشكل واضح مع "الموتى الأحياء" من حولها والطفل المسيح - نشيطون، شباب، جذابون، ويبدو أنهم يعبدون جذور شجرة. ورغم أن هذا قد يبدو غريباً، إلا أن هناك رسالة هنا: الشجرة هي شجرة الخروب، التي ترتبط تقليدياً في الأيقونات الكاثوليكية بيوحنا المعمدان - وكما لو كان لتعزيز هذه النقطة، يرفع شاب إشارة يوحنا بالقرب من جذع الشجرة. رجل آخر يتربص في أسفل يمين الصورة، وهو يبتعد بوحشية تقريبًا عن مريم ويسوع. ومن المعترف به أن هذه الصورة هي صورة ذاتية للفنان، وهنا يتجاهل بشكل تجديفي الله المتجسد والحبل بلا دنس. وباعتباره نموذجًا للقديس يهوذا في عشاءه الأخير، كان ليوناردو أيضًا يدير ظهره للمسيح. هناك نكتة ساخرة هنا - جود هو شفيع القضايا الخاسرة!

هناك تجديف أسوأ بكثير في لوحة "عذراء الصخور" (نسخة متحف اللوفر: اللوحة الموجودة في المعرض الوطني بلندن أقل هرطقة بشكل واضح)، والتي تم تكليفها في الأصل من قبل أحد الرهبان.

لقد حصلوا على أكثر مما كانوا يتوقعونه، على الرغم من أنهم لم يدركوا تمامًا ما حصلوا عليه. تُظهر اللوحة مشهدًا من إحدى أساطير الكنيسة، حيث يلتقي الطفل يسوع بالطفل يوحنا في مصر خصيصًا لمنحه السلطة التي يعمده بها في وقت لاحق من حياته. إن حقيقة أن أداء أي طقس على يسوع المسيح يعني سلطة أعظم من سلطته كان لابد من تفسيرها بهذه الطريقة المعقدة (بالرغم من أن كتاب الأناجيل في حالة المجدلية التي مسحت بالزيت قاموا ببساطة بحذف هويتها وجعلوها تتصرف بشكل عشوائي، بلا معنى تقريبًا).

وتظهر اللوحة العذراء على ما يبدو وهي تضع ذراعها حول يوحنا، الذي يركع خاضعًا أمام يسوع، الذي يباركه بدوره. ويبدو أن المسيح تحت رعاية رئيس الملائكة أوريبل. ولكن هناك شيء خاطئ هنا: إن أوريبل هو تقليديا حامي يوحنا، وليس يسوع، ومن الواضح أن مريم يجب أن تحمل ابنها، وليس يوحنا. ولكن لنفترض أن الأطفال كانوا مع أولياء أمورهم المعتادين، فجأة أصبح كل شيء منطقيًا وظهرت روحانية ليوناردو المتحمسة مرة أخرى. لأنه حينئذ يكون يوحنا (الذي هو الآن مع أوريبل) هو الذي يبارك يسوع

(الذي هو الآن مع مريم)، التي بدورها تجثو بخضوع...

كما أوضح ليوناردو أيضًا مشاعره تجاه وضع مريم بشكل واضح. السبب في تسمية هذه اللوحة بـ "عذراء الصخور" هو أن الجزء العلوي بالكامل تقريبًا من اللوحة يتكون من أشكال عشوائية من الحجارة الداكنة الضخمة. ولكن لا يوجد شيء عشوائي حقًا في أعمال ليوناردو، خاصة عندما أتيحت له الفرصة للسخرية من المسيح وأمه. فمن بين الصخور، تقريباً من رأس العذراء، ينبثق زوج رائع من الخصيتين يعلوهما قضيب ضخم منتصب - يمتد حتى الأفق - مع وريد مركزي منتفخ ونفث وقح من الأعشاب الضارة. ومن الواضح أنه بمجرد النظر إلى العذراء الصخرية في هذا الضوء، فإنها لن تتمتع أبدًا بتلك الهالة التقية مرة أخرى. من المفترض أن هذا الاستيفاء المذهل كان المقصود منه أن يكون هجومًا وحشيًا على الوضع العذري المزعوم لمريم الأم، وربما كان مستوحى من المنظمة التي كلفت برسم اللوحة - جماعة الحبل بلا دنس.

ولكن لماذا كان ليوناردو يعبد المعمدان بوضوح، بينما كان يحتقر يسوع وأمه؟ ما هو الأمر في يوحنا الذي ألهم هذا القدر الكبير من التفاني - ولماذا يجب أن يكون هرطقة؟

المعمدان: وراء الأسطورة

ومن الغريب أن يوحنا المعمدان لا يتم الاحتفال به باعتباره أول شهيد مسيحي - فقد ذهب هذا الشرف إلى القديس الشاب ستيفن. حتى عندما ألقي القبض على يوحنا من قبل هيرودس ثم قطع رأسه بناءً على رغبة هيروديا وابنتها التي لم يذكر اسمها، فالعهد الجديد صامت بشأن ما إذا كان قد استشهد بيسوع المسيح كملهم ومخلص له في أنفاسه الأخيرة. ولم يُخبرنا أحد باسم من عمد يوحنا ...

إن هذا التحفظ الغريب ولكن الضمني من جانب يوحنا في الاعتراف بتفوق يسوع يتناقض بشكل كبير مع المشهد الصريح في العهد الجديد حيث يحاول يوحنا على ما يبدو فهم حياته كلها من خلال السقوط عند قدمي المسيح، معلناً أنه حمل الله المختار، الذي لا يستحق أن يحل حذائه. تم تعميد يسوع في الأردن، وظهر الله في شكل حمامة، معلنا ألوهية ابنه. هذا شيء رائع وملهم، ولكن لسوء الحظ فهو بالتأكيد هراء تام.

إذا كان يوحنا قد تغلب عليه حقًا هذا الشعور بمجرد رؤية يسوع، فقد كانت تلك مرحلة عابرة، لأنه بعد فترة وجيزة، بينما كان يتلوى في السجن أرسل إليه رسالة يسأل فيها: "هل أنت هو الآتي أم ننتظر شخصًا آخر؟" ولكن بينما تتم قراءة المشهد على ضفة الأردن بحماس من على منابر العالم، فإن رجال الدين يلتزمون الصمت تكتيكياً بشأن مسألة شكوك يوحنا اللاحقة.

في الواقع، نحن نعلم الآن أنه على الرغم من أن يسوع لابد وأن يكون قد تعمد على يد يوحنا - لأن الآلاف تدفقوا للانضمام إلى الحركة للتوبة والمعمودية - إلا أنه في الواقع لم يكن من الممكن أن يكون هناك أي من تلك العبارات المقززة مثل "يا إلهي، أنت رائع للغاية وأنا لا أستحق ذلك" التي ألقاها المعمدان. فمن المعترف به الآن أن يسوع ويوحنا كانا متنافسين، وكان أعضاء طائفتهما متنافسين أيضًا. في الواقع، وعلى الرغم من تصوير يوحنا في الكتاب المقدس على أنه نوع ناسك صحراوي مجنون الذي يدخل القصة لفترة وجيزة لتعزيز صورة يسوع، ولكن بصرف النظر عن ذلك فإنه لا يثير ضجة، إلا أنه وحركته كانا قويين للغاية. امتد أتباع المعمدان من مصر، حيث كان مقره في ميناء الإسكندرية، إلى أفسس في تركيا. في الواقع،

قد يكون من الأفضل أن نسميها كنيسة. في الواقع، كان وجوده في حد ذاته بمثابة مفاجأة لبولس في زيارته الأولى إلى أفسس وكورنثوس، وخاصة عندما أخبره بعض اليوحنانوية أنهم لم يسمعوا قط أن يوحنا تنبأ بمجيء أي مسيح، ناهيك عن هذا المسيح. كانت جماعة يسوع تشبه إلى حد كبير طائفة، وربما كانت حركة منشقة عن جماعة يوحنا. وكان يسوع هو الذي لم يُذكر قط في السجلات العلمانية الوحيدة في ذلك اليوم، والتي كتبها اليهودي الروماني فلافيوس يوسيفوس في كتابه "آثار اليهود"، في حين أن شهرة المعمدان قد أُعطيت لمحة من الشهرة. في الواقع، هناك الآن مقطع متدفق إلى حد ما يحتفل بيسوع في الآثار، ولكنه كان إضافة من العصور الوسطى قام بها راهب، اخترعها خصيصًا لتغطية عدم ظهور المسيح المحرج.

من الواضح أن يوحنا لم يكن لينحني عند قدمي يسوع: فالعهد الجديد في الواقع ليس أكثر من مجرد دعاية لصالح طائفة يسوع المنتصرة، لقد كان هذا اختراعًا جريئًا. ولكن بما أن كُتاب الأناجيل لم تكن لديهم الرغبة في إضاعة الكثير من الجهد على يوحنا أو تعزيزه بأي شكل من الأشكال، فقد توقفوا عن جعله شهيدًا مسيحيًا بالفعل، أو حتى منحه الترحيب الحار في إنجيل يوحنا.

ومع ذلك فقد بذلوا بعض الجهد في إعادة كتابة المعمدان، ولكن لسوء الحظ تسببوا في ارتباك دائم في هذه العملية: فالعلماء الآن مقتنعون بأن بعض المقاطع من العهد الجديد التي نشأت في الأناجيل مخصصة ليوحنا، وليست ليسوع على الإطلاق. لقد قاموا، على سبيل المثال، بعزل المقطع الافتتاحي لإنجيل يوحنا (على الرغم من أن الاسم ربما يكون مجرد مصادفة) باعتباره ينتمي إلى "أدب يوحنا". والترنيمة الشهيرة التي غنتها العذراء مريم لتمجيد الله عندما اكتشفت أنها حامل بالمسيح والمعروفة باسم "التعظيم" كانت في الأصل ترنيمة إليزابيث - والدة يوحنا المعمدان. وعلى نحو مماثل، كانت مذبحة هيرودس للأبرياء تهدف في الأصل إلى التخلص من التهديد الذي يشكله يوحنا النبيل الذي يكبر ويتحدى سلطته (على الرغم من أنها لم تكن كذلك إلا في الخيال). وبعبارة أخرى، استولى أتباع يسوع في أواخر القرن الأول على أناجيل المعمدان وقاموا بشكل أساسي بتغيير اسم البطل. لكن إنجيل يوحنا هو أيضًا الذي يُزعم أن المجدلية هي مؤلفته ...

دعونا نعود إلى تلك القرية الغريبة والمزعجة، قرية بيت عنيا، حيث عاش "حبيبا" يسوع - المجدلية ولعازر/يوحنا الشاب - مع أختهما مارثا. على الرغم من أن مارثا ترتبط عادة بالأعمال المنزلية الدنيوية، إلا أن الرسالة المحرجة التي عثر عليها البروفيسور مورتون سميث في مار سابا عام 1958 تنص على أن الكاربوقراطيين كانوا يعتقدون أن طقوس الجنس المقدس كانت أسرارًا تمارسها وتناقلتها "مريم ومرثا وسالومي". ولكن إكليمندس الإسكندري، الذي كان يهاجم بشدة الهراطقة القذرين، كان يشير بقوة إلى أنه كان يعلم أن يسوع وحاشيته مارسوا هذه الطقوس بالفعل. كان إكليمندس يعمل على إخفاء كل ذلك تحت السجادة وتغيير المبادئ الأساسية للمسيحية عمدًا لتتفق مع وجهة نظره الخاصة حول ما كان ينبغي أن تكون عليه، وبالتالي يجب أن تكون إلى الأبد - حتى لو كان هذا يعني في الواقع تحويل كل من الرسالة المسيحية وشخصية يسوع نفسه.

كان هناك شيء آخر عن بيت عنيا سعى كاتبو الأناجيل إلى طمسه. كان هذا هو المكان الذي جرت فيه معموديات يوحنا المعمدان الجماعية، على الرغم من أن العهد الجديد يحاول جاهدا أن يشير إلى أن قاعدة يوحنا في بيت عنيا في اليهودية كانت في بيت عنيا الأخرى، "عبر الأردن".90 فهل كانت هذه محاولة لفصل "يسوع" بيت عنيا عن منافسه المعمدان؟

ولكن هل كان المعمدان مرتبطًا بطريقة ما بعائلة بيت عنيا؟ إن مثل هذا الارتباط ما كان ليجعل هذا المكان محبوباً لدى تلاميذ يسوع، الذين كانوا على خلاف دائم مع أتباع يوحنا، على الرغم من أن المسيح نفسه كان منجذباً إلى هذا المكان مثل المغناطيس، ولو فقط لأن حبيبيه كانا يعيشان هناك. ومع ذلك، فإن الروايات الكتابية عن إقامة لعازر ومسحه حدثت بعد وفاة يوحنا بوقت طويل، عندما تولى يسوع مسؤولية جزء كبير من أتباعه.

هل كان المسيح قد استولى أيضًا على المجدلية ولعازر/يوحنا لطائفته الخاصة؟

قد يعترض البعض، عند القراءة بين السطور، بأن المعمدان لم يكن أقل من مجرد رجل مقدس خائف من أي شيء مرتبط بالخطيئة، وبالتالي لم يكن ليلوث نفسه أبدًا بالاتصال بالكهنة الأجانب. لكن يوحنا الحقيقي، أيضًا، يثبت أنه مدهش جدًا.

وعلى الرغم من الإشارة الواردة في رواية العهد الجديد إلى أن المعمدان كان مجرد رجل مقدس محلي، قضى أيامه ولياليه وحيداً في برية اليهودية يعيش على ما تقتات به الأرض من الجراد والعسل، فإنه كان في واقع الأمر متمركزاً في ميناء الإسكندرية المصري العظيم ــ وربما في مستعمرتها اليهودية المزدهرة. وقد تم نقل حركته، التي وصفت بأنها "حركة دولية"، إلى أفسس بواسطة رجل إسكندري يدعى أبولس. وكما لاحظنا في سفر كشف فرسان الهيكل، كان هذا "الإشارة المشبوهة الوحيدة إلى الإسكندرية في العهد الجديد بأكمله" 92 وكانت تلك المدينة أيضًا موطنًا للسرابيوم العظيم، وهو مجمع المتحف والمعبد المخصص للإله الجديد سيرابيس، الذي كانت زوجته إيزيس الأكثر احترامًا. كان سيرابيس إلهًا نهريًا، ويرتبط عادةً بديونيسوس/باخوس/بان - وهم جميعًا آلهة البرية، ويبدو أنهم قابلون للتبادل تقريبًا في أعمال ليوناردو مع المعمدان. (في عام 395 تم دفن الرماد المزعوم لجسد يوحنا بدون رأس في البازيليكا الجديدة الرائعة في الإسكندرية، في موقع المعبد القديم الشهير لسرابيس.)

الصورة المعتادة للمعمدان هي أنه شخص متذمر متشدق بنهاية العالم ــ مثل الذي قد يظهر في المنتدى المجنون للمتعصبين الدينيين الذي صورته فرقة مونتي بايثون في فيلم "حياة برايان" (1978) ــ ومتشدد على غرار الواعظ الاسكتلندي المتعصب جون نوكس، الذي ظهر بعده بكثير، والذي كان يهاجم "فوج النساء الوحشي". من المؤكد أن المعمدان، بأرديته المصنوعة من شعر الإبل، ورحلاته الصحراوية، ودعواته المستمرة للجماهير للتوبة عن خطاياهم والمعمودية، يبدو نموذجًا للمعلم الصالح، الذي يرفض كل الملذات الدنيوية والعلاقات الإنسانية الطبيعية. ولكن هذا سيكون خطأً فادحاً، رغم أن الحقيقة عنه لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال تجميع الأدلة غير الكتابية عن حياته.

وفقًا لطائفة يوحنا الباقية، فإن المندائيين الغنوصيين - الذين سنتحدث عنهم لاحقًا - كان المعمدان رجلاً متزوجًا ولديه أطفال، وكان زعيمًا لدين تعرض للاضطهاد كثيرًا وكان به كهنة وكاهنات. وبما أنه يبدو أن الشاب يوحنا/لعازر كان في الأصل تلميذاً للمعمدان، فمن المفترض أنه كان كاهناً رسمياً للطائفة. ومن المفترض أيضًا أن أخته كانت كاهنة مندائية رفيعة المستوى ...

وتروي كتبهم المقدسة قصة الصدام بين العملاقين المسيحانيين، يوحنا ويسوع، على ضفاف نهر الأردن. يزعمون أن يسوع كان عليه أن يتوسل إلى يوحنا ليعمده، وعندما وافق، ألقت الإلهة المظلمة روح (التي تشبه الروح القدس اليهودي) صليبًا أسود على الماء للإشارة إلى عدم موافقتها. يوحنا يرسل يسوع مع التبرؤ، "لتكن عصاك مثل عصا الروث". ومن الواضح أن الحب لم يكن موجودًا بين الاثنين، على الرغم من الصورة المرسومة في العهد الجديد للمعمداني المتذلّل المثير للاشمئزاز، الذي يزحف عند قدمي المسيح. لقد شعرت طائفة يسوع المنتصرة بالثقة ليس فقط في اختطاف الأناجيل المخصصة للمعمدان، كما رأينا، بل وأيضًا في إعادة كتابة علاقته بيسوع بحيث يظهر المسيح باعتباره أعظم شخص على الإطلاق. لكن في الحياة الواقعية، لا يبدو الأمر كذلك - بل على العكس تماما.

إعادة تأهيل الساحر

إذا كانت هناك شخصية واحدة في العهد الجديد كرهتها الكنيسة الأولى، فلم تكن يوحنا أو المجدلية، بل كانت "هرطوقهم الأول"، سمعان الساحر، الذي قيل إنه قلد المسيح. ولكن إذا كان هذا صحيحا، فإن نجاحه في التقليد يستحق الاعتراف. وفقًا للمؤرخ الفرنسي المتخصص في العلوم الغامضة أندريه ناتاف، "باعتباره منافسًا للمسيح، فإن سيمون الساحر هو شخصية تاريخية لا مثيل لها".93؛ يلاحظ ناتاف "لقد حقق مكانة أسطورية خلال حياته: "لقد جعل التماثيل تمشي، وكان بإمكانه التدحرج في النار دون أن يحرق نفسه، وكان بإمكانه حتى الطيران" ...94

في سفر أعمال الرسل، وفي محاولته الواضحة للحد من الأضرار، يحاول يسوع شراء الروح القدس من بطرس، ثم يفقد حياته في معركة سحرية درامية. لقد جسد كل ما كرهه المسيحيون (وما زالوا يحتقرونه حتى يومنا هذا)، وادعى أنه قادر على شفاء الموتى وإحياءهم تمامًا مثل يسوع. وبما أنه كان بوضوح طاردًا للأرواح الشريرة ومعالجًا ماهرًا، فقد يُغفر للمرء أن يعتقد أنه ربما حصل على قواه من الشيطان ...

كان الساحر يُعرف أيضًا باسم "فوستوس" - "المفضل" - في روما، حيث أعطى اسمه لأسطورة عصر النهضة الطموحة للغاية الدكتور فاوستوس، الذي انتهى عهده مع الشيطان بشكل غير متوقع، حيث انزلق صارخًا إلى الجحيم في الساعة المحددة له لدفع ثمن نجاحه المادي بروحه. مثل الساحر، كان فاوستوس يعاشر هيلين طروادة الجميلة (أو بالأحرى، اعتبر سيمون سيدته بمثابة تناسخ لها، انظر أدناه). ومع ذلك، كان الجانب الأكثر أهمية في العهد الفاوستي هو أنه لم يكن الهدف الأساسي منه هو الثروة أو الجنس، بل المعرفة - وبالتالي السلطة. وكما سنرى، فإن البحث عن الثمار المحرمة للعقل كان، ولا يزال، هو اللوسيفرانية الحقيقية.

إن النظرة المسيحية المعتادة لسمعان الساحر تلخصها رواية رولو أحمد على النحو التالي: "لقد قلد المسيحية بالمعنى المعاكس، مؤكداً على الحكم الأبدي للشر" 95 كما ادعى أنه إله - وهو ما أُخذ على محمل الجد في أماكن بعيدة مثل روما، حيث أقيم له تمثال. والأسوأ من ذلك أن "طائفته رحبت بالنساء واعتبرت أن القوة التي تخلق العالم هي أنثى بقدر ما هي ذكرية".96

وبحسب ما ذكره إبيفانيوس،97 فقد كان ممارسًا غير نادم للسحر الجنسي، أو الجنس المقدس، وكان يسافر مع امرأة سوداء تدعى "هيلين العاهرة"، والتي كان يعتقد أنها تجسيد ليس فقط لجمال طروادة الأسطوري ولكن أيضًا للإلهة العظيمة أثينا - تمامًا كما ارتبطت المجدلية بإيزيس - و"الفكر الأول" الغنوصي.

ولكن سمعان السامري، أو الساحر (الماجوس)، كان له دور آخر يلعبه، والذي تجنب كتاب الأناجيل ذكره بعناية بينما كانوا في نفس الوقت يشوهون اسمه بأقصى ما يستطيعون. ومع ذلك، فإن الاعترافات الكليمنتينية في القرن الثالث تقدم لنا مرة أخرى، وإن كان ذلك ببراءة، اعترافًا مذهلاً:

وفي الإسكندرية أكمل سمعان دراسته للسحر، وكان من أتباع يوحنا ... الذي من خلاله جاء ليتعامل مع العقائد الدينية. وكان يوحنا هو السابق ليسوع...

... من بين جميع تلاميذ يوحنا، كان سمعان هو المفضل، ولكن عند وفاة معلمه، كان غائبًا في الإسكندرية، لذلك تم اختيار دوسيثيوس، أحد تلاميذه، رئيسًا للمدرسة [تأكيداتي] .98

وهنا نجد التلميذ المفضل لدى يوحنا المعمدان، والذي يبدو أنه متزمت، وهو سمعان الساحر، الرجل الوحيد الذي كرهته الكنيسة بشدة حتى أنها اعتبرته نموذجًا للهرطقة. ومشعوذ وساحر جنس... ومن المثير للاهتمام

أن الإشارات إلى الدائرة الداخلية ليوحنا تشمل تلميذة تدعى هيلين - من المفترض أنها كوينونوس سفر سمعان أو رفيقته الجنسية. وفجأة، ومرة أخرى، يبدو أن عرض العهد الجديد للمعمدان معيب إلى حد التشويه المتعمد.

لقد كانت سمعة سنعان ولا تزال غير مرغوب فيها حقًا. وبطبيعة الحال، كان لدى المتعصب الكاثوليكي الشهير مونتاجو سامرز الكثير ليقوله بأسلوبه المعتاد الذي لا يقبل المساومة، حيث وصفه بأنه "أحد أشهر الشخصيات في تاريخ السحر بأكمله"، والذي تم التراجع عن "ممارساته الشيطانية"، وهو أمر غير مفاجئ، على يد القديس بطرس. باعتباره الرجل الذي حاول شراء الروح القدس بشكل سيء السمعة، أعطى الساحر اسمه لـ الخطيئة وجريمة السمعانية، أو محاولة شراء التفضيل الروحي - ومن المفارقات أنها طريقة مفضلة لفساد كهنة كنيسة بطرس. ولكن ربما كانت جريمته الأعظم هي كونه خليفة يوحنا المعمدان الرسمي وساحرًا جنسيًا ومعجبًا بالأنوثة. ويبدو أيضًا أنه حديث إلى حد ما في كثير من النواحي. كما لاحظ توبياس تشورتون في كتابه "الفلسفة الغنوصية" (2003): "... يبدو أن سمعان كان شخصية فكاهية مثل الساحر أليستر كراولي بعد ألفي عام، مع ذوق الساحر للرمزية الساخرة".

ولكن سمعان الساحر كان مكروهًا أيضًا لأنه كان مخيفًا. كما ذكر كارل لوكرت في كتابه الرائد "النور المصري والنار العبرية" (1991):

وباعتباره "أبو كل بدعة" فلابد من دراسته الآن ليس فقط باعتباره خصمًا، بل أيضًا كمنافس واضح للمسيح في الكنيسة المسيحية المبكرة - وربما حتى كحليف محتمل ...

ومن حقيقة تراثهم المصري المشترك ربما تستمد قوة التهديد الذي يشكله سمعان الساحر. وكان الخطر يتلخص في إمكانية الخلط بينه وبين شخصية المسيح نفسه. 99

وكما كان الحال مع يسوع والمجدلية، بدا سمعان راغبًا في إعادة اليهود إلى شكل من أشكال عبادة الآلهة، استنادًا إلى النظام المصري. ويتابع لوكرت: "لقد رأى أن مهمته هي إصلاح ما ... لابد أنه كان خطأ؛ أي اغتراب البعد الأنثوي تيفنوت-ماهيت-نوت-إيزيس بأكمله عن الإله الذكوري".100

ومن المفترض إذن أن معتقدات سمعان كانت تعكس، على الأقل جزئياً، معتقدات سيده المعمدان ــ وهي فكرة تكاد تكون غير معقولة عندما ننظر إليها على خلفية الدعاية المسيحية الحتمية. وقد كتب سمعان نفسه في سفر الرؤيا العظيم:

من بين الدهور الكونية هناك فرعان ... أحدهما يتجلى من الأعلى، وهو القوة العظمى، العقل الكوني الذي ينظم كل الأشياء، ذكر، والآخر من الأسفل، الفكر العظيم، أنثوي، الذي ينتج كل الأشياء. ومن ثم يتزاوجون مع بعضهم البعض، ويتحدون ويظهرون المسافة المتوسطة ... في هذا هو الأب ... هذا هو الذي وقف ويقف وسيقف، قوة ذكر وأنثى في القدرة اللامحدودة الموجودة مسبقًا...101

وفي ضوء مبدأ المساواة بين الجنسين على الطريقة المصرية عند سمعان - حيث تعلم السحر لأول مرة في الإسكندرية - فمن المثير للاهتمام بشكل خاص أن خصمه الأعظم كان القديس بطرس، الذي كان يكره أيضاً مريم المجدلية و"كل جنس النساء"، والذي استمر في تأسيس كنيسة روما المعادية للنساء.

إن الطبيعة الحقيقية لحركة المعمدانيين - مرة أخرى، رغم ذلك، ربما الدائرة الداخلية المختارة فقط - تدفعنا إلى التفكير مرة أخرى حول الشاب يوحنا الحبيب/ لعازر، الذي تشمل ألقابه اللاحقة يوحنا الإنجيلي ويوحنا الإلهي (أو المقدس). كما أشار مؤرخ العلوم الغامضة الراحل فرانسيس إكس كينج في مقدمته لكتاب كراولي عن

المسيح:

وبالمناسبة، فإن الكلمة العبرية "قديش" التي تُطلق على القديس يوحنا، والتي ادعى [أليستر] كراولي بسخرية أنه ينبغي ترجمتها إلى "الإلهي" وأنها "أُسيء ترجمتها بشكل صارخ" في الماضي، تُترجم عادة إلى الإنجليزية على أنها "لواط".102

(حتى الساحر الطقسي والممثل المتعصب أليستر كراولي، الملقب بـ "الرجل الأكثر شراً في العالم"، يمكن الاستشهاد به عادةً بثقة. على الرغم من أنه قيل عنه أنه كان قادرًا على أشياء كثيرة، معظمها مستحيلة جسديًا، إلا أنه كان عالمًا بارعًا في اللغات والعادات القديمة.

كما رأينا في الفصل السابق، كان "القيديسيم" عبارة عن عاهرات ذكور يرتدون ملابس نسائية ويضعون المكياج بشكل متقن، ويعرضون خدماتهم للحجاج عند أبواب معبد القدس العظيم، مثل النساء. على الرغم من أن الكلمة تحمل أيضًا معنى "مقدس/إلهي"، فمن الواضح أن التفسيرين لابد وأن يكونا قد نشأا من نفس العادة. وبما أن يوحنا الشاب يرتبط باسم لعازر مع أخته المتأهلة في العلاقات الجنسية، فإنه يقع في مشاكل مع بطرس بشكل متكرر في إنجيل يوحنا، وربما كان أيضًا الشاب العاري في مقاطع مار سابا، ومن المثير للاهتمام أن نتكهن بأنه كان قديسًا بكل معاني الكلمة. ما مدى كره بطرس للأخ والأخت.

ومع ذلك، لا بد أن المشاكل كانت موجودة قبل ظهور بطرس على الساحة. ليس من الصعب أن نتخيل التوترات في مجموعة يوحنا بين الزعيمين المحتملين الموهوبين والطموحين، يسوع وسمعان الساحر. في الواقع، فإن حقيقة ارتباط سمعان بحركة المعمدان لابد وأن كانت قد أثارت قلق وإشمئزاز أتباع المسيح المخلصين أنفسهم مع تصاعد التنافس بين الطوائف. ربما لا يكون من المبالغة أن نقول إن مسحة يسوع، وتحوله إلى المسيح المختار، كانت مدبرة لتكون علنية جزئيًا على الأقل حتى تصل أخبارها بالتأكيد إلى العالم. إن تسمية شخص ما بـ "المسيح" في الأيام التي كان حتى المسؤولون الرومانيون الصغار فيها يتم مسحهم أو "تعميدهم" في وظائفهم، هو بيان هائل إلى حد ما للنية - ناهيك عن الأنا. وبعيدًا عن "تقليد" المسيح، ربما "قلد" المسيح سمعان الساحر، وهو على الأرجح الأكبر سنًا من بين الاثنين، والمفضل لدى يوحنا بالتأكيد ــ ربما كان قدوة مبكرة.

المنافسين القاتلين

ربما بدأ يسوع المسيح حياته الدينية كواحد من تلاميذ يوحنا، لكنه سرعان ما أصبح منشقًا ساخرًا. قد يبدو هذا تصريحًا متطرفًا، ولكن من المذهل أن الدليل موجود في العهد الجديد، حيث نقرأ أن يسوع ينطق بالتصريح التالي المتناقض ظاهريًا: "الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الذي هو الأصغر في ملكوت السماوات هو أعظم منه".103 من ناحية، يبدو أن يسوع يقول أنه لا يمكن لأحد أن يكون أعظم من يوحنا، ولكن من ناحية أخرى فإن الأقل إثارة للإعجاب من أتباع يسوع هو أعظم منه. ومع ذلك، بمجرد إدراك أن عبارة "المولود من النساء" لا تعني "الجميع"، كما قد يفترض الغربيون اليوم، ولكنها إهانة قديمة في الشرق الأدنى تعني

"بدون أب"، "لقيط" (بالمعنى الحرفي والمهين)، وربما "ابن عاهرة"، فإن المقطع يصبح منطقيًا - وإن كان غير مريح إلى حد ما. (ويتعزز معناها بحقيقة أن أتباع يوحنا، المندائيين، يستخدمون إهانة مماثلة للمسيح المكروه، فيطلقون عليه لقب "ابن المرأة"). إن يسوع يسخر من المعمدان علناً بأبشع الطرق - ربما من

مصدر عميق للأذى الشخصي، لأنه كان معروفاً هو نفسه بأنه ممزر أو طفل غير شرعي. في مناسبة أخرى، عندما قال المسيح "لا يضع أحد خمراً جديدة في زقاق قديمة" - وهي حقيقة تبدو غير ضارة إلى حد ما - ربما كان في الواقع يسخر من عمر يوحنا الكبير وضعف تعليمه الديني، لأن زجاجات النبيذ كانت مصنوعة من جلود الحيوانات، مماثلة لتلك التي كان المعمدان يرتديها. وبعبارة أخرى، كان من المستحيل على يوحنا أن يعلم أي شيء جديد ومثير للاهتمام - وهذا يعني ضمناً أنه، يسوع، قادر على تقديم ذلك فقط.

ما لا يمكن تصوره

لماذا كان ليوناردو يكره العائلة المقدسة إلى درجة أنه خاطر بموت رهيب كزنديق من خلال دمج رموز شنيعة وتجديفية في أعماله؟ لماذا صور يسوع الصغير وهو ينزع آذان الحمل الذي يمثل المعمدان، وصوّر طرف يسوع وهو يقطع عنق الحمل الضعيف؟ وهناك أيضًا التلميذ في العشاء الأخير الذي يدفع بإشارة يوحنا إلى وجه المسيح الغافل وكأنه يهمس "تذكر يوحنا".

ربما يكون هناك دليل في أحد المقاطع المقتطعة من إنجيل القديس مرقس، والتي ظهرت مرة أخرى في رسالة إكليمندس البريئة التي وجدت في دير مار سابا. إنها الآية التي يبدو أنها تشير إلى هوية حبيبة يسوع الأنثى: "وكانت هناك أخت الشاب الذي كان يسوع يحبه، وأمه وسالومة، فلم يستقبِلهن يسوع".

ومع ذلك، قد يكون هناك استنتاج ثانٍ أكثر أهمية يمكن استخلاصه من هذه الأسطر الثلاثة. تم ذكر "سالومي". من المعروف أن يسوع كان لديه تلميذة بهذا الاسم: في الواقع في إنجيل توماس الغنوصي تظهر في مشهد صغير غريب حيث تتبادل هي ويسوع الأفكار الدينية بينما يرقد كلاهما مع بعض الألفة على أريكتها.105 يظهر اسمها أيضًا في قائمة التلميذات في العهد الجديد، ولكن مرة واحدة فقط.

من المؤكد أن هناك سالومي أخرى مرتبطة بالأحداث الكتابية، على الرغم من أنها، على عكس الرأي السائد، تظل مجهولة الهوية تمامًا في الأناجيل. في واقع الأمر، فإن ابنة هيرودس غير الشرعية التي ترقص رقصة الحجب السبعة وتطلب رأس المعمدان لم يتم ذكر اسمها إلا في كتاب يوسيفوس "آثار اليهود" - وهو أمر غريب، لأنه إذا كان يوسيفوس يعرف هويتها، فإن كتاب الأناجيل لابد وأن يكونوا قد عرفوها أيضًا. ولكن لسبب ما، لم يكتفوا بتجاهل ذكر اسمها، بل إن محرري العهد الجديد فكروا في إزالة الآية البريئة التي انتهت في يدي البروفيسور مورتون سميث في مار سابا، والتي ورد فيها اسمها كجزء من الدائرة الداخلية ليسوع، وصديقة أمه والمجدلية. ولكن لماذا اعتبرت هوية سالومي ذاتها كارثية بالنسبة للقضية المسيحية إلى درجة أنه تم حذفها من العهد الجديد؟

ربما نجد صدى لها في رقصتها الأسطورية (ولكنها للأسف غير كتابية) "رقصة الحجب السبعة". كما تشير باربرا ووكر، "... رقصة الحجب السبعة كانت جزءًا لا يتجزأ من الدراما المقدسة، والتي تصور موت الملك البديل، ونزوله إلى العالم السفلي، واستعادته من قبل الإلهة، التي خلعت أحد ملابسها السبعة عند كل من بوابات العالم السفلي السبعة". 106 يتكرر هذا الارتباط بالسبعة المقدسين في "الشياطين السبعة" التي تحدثت عنها مريم المجدلية، والتي يُزعم أن يسوع طردهم منها - والتي يحرص كتاب الأناجيل على ذكرها في أي فرصة سانحة. لكننا رأينا كيف أنهم، والتلاميذ الذكور، لم يكن لديهم أي فكرة عن أهمية المسحة أو الممسوح، وهكذا أصبحت الدراما المقدسة، مرة أخرى، مشوهة ومستهجنة جنسياً. لأنه يتعلق بالقوة الأنثوية، يتم تحويل السبعة المقدسة إما إلى تعري أو مس من قبل الشياطين. لقد فهم يسوع ذلك، ولكن متى سمح أمثال

القديس بطرس لرغبات سيدهم أن تقف في طريق طموحاتهم في خلق الله؟

ولكن مفهوم القتل الطقسي ليوحنا يثير عدة أسئلة رئيسية، وتشير الإجابات عليها، مرة أخرى، إلى انقلاب صادم لما يعتبره المسيحيون الخير والشر. فهل كان يوحنا نفسه متورطاً إلى الحد الذي جعله يعرف طبيعة دوره ونهايته الحتمية؟ إذا كان الأمر كذلك، فهل قبل هذا المصير غير المرغوب فيه؟

لقد رأينا كيف يقترح العلماء الآن أن المشهد الكتابي حيث يسقط المعمدان عند قدمي يسوع، ويحييه باعتباره "حمل الله"، من غير المرجح أن يحدث لأن الرجلين كانا معروفين بأنهما كانا متنافسين. وبما أن العهد الجديد هو في الأساس دعاية لصالح طائفة يسوع، فمن الواضح أنهم يريدون تصوير يوحنا على أنه زعيم الطائفة الخاضع والدوني - بغض النظر عن مدى كرامته وتفوقه. ولكن هناك تفسير آخر، ربما يكون صحيحا بنفس القدر.

في هذا السيناريو الافتراضي، سقط يوحنا عند قدمي المسيح ليعترف به باعتباره "الذي سيأتي" - وهي عبارة غامضة مثل نظيرتها الحديثة، والتي تعني إما الشخص المتنبأ عنه أو الشخص الذي سيأتي. ومن بين آلاف أتباعه، اختار المعمدان يسوع المسيح باعتباره الشخص الذي سيواصل عمله بين اليهود والأمميين، وربما يدير المنظمة الدولية من مقرها القديم في الإسكندرية، في مصر. يعمد الرجل الأصغر سناً ليضع الختم على بداية مهمته، وهو يعلم أن المجدلية سوف تحدد بالمثل اللحظة التي تقترب فيها النهاية من خلال مسحه بالمسيح. في هذا السيناريو، ربما استفز الرجل الأكبر سناً هيرودس عمداً بطريقة ما من أجل حبس نفسه وقتله طقسياً على أيدي العائلة الحاكمة، أو ربما قامت سالومي بترتيب كل هذا ببساطة. ولكن بعد ذلك يحدث شيء ما. شيء صادم ومؤثر.

أثناء وجوده في السجن، يبدو أن يوحنا قد غيّر رأيه فجأة بشأن يسوع، فأرسل رسالة تقول: "أنت هو الذي يأتي أم ننتظر آخر؟"107 ولكن من الجدير بالملاحظة أنه يبدو أنه قد استوحى هذه الشكوك من شيء سمعه عن أفعال يسوع، لأن كلماته تسبقها "ولما سمع يوحنا في السجن أعمال يسوع أرسل اثنين من تلاميذه [ليسألا يسوع] ..."108 وبعد ذلك مباشرة - وردًا عليه - أكد يسوع تفوقه على المعمدان قائلاً: "ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا؟ ... 109 نبيًا؟" نعم، أقول لكم، وأفضل من نبي... وهنا يوجه تلك الإهانة الماكرة إلى يوحنا كما ذكرنا آنفًا، وهي الإهانة المباشرة التي لا تصدق تقريبًا: "لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان..." 109 وكما رأينا، فإن عبارة "المولود من النساء" كانت ولا تزال إهانة شائعة في الشرق الأوسط، وتعني اليتيم أو "اللقيط" - بكل معاني الكلمة، كما هو الحال في الاستخدام البريطاني الحديث. مع وجود النبي العجوز في السجن، والملك المقدس الأخير على وشك أن يُذبح، هل كان الخليفة يغتنم الفرصة الذهبية لإهانته وإذلاله؟ هل كان يسوع يجعل يوحنا المعمدان مادة للسخرية؟ لقد رأينا أيضًا كيف سخر المسيح من عدم وضع النبيذ الجديد في الزجاجات القديمة - حيث كانت الزجاجات مصنوعة من جلود الحيوانات مثل تلك التي كان المعمدان معروفًا بارتدائها، وهذا هراء آخر على حسابه. فهل كان يوحنا يقبع في السجن، على وشك أن يواجه مصيره المخطط له مسبقًا، مع اليقين المفاجئ القاتل بأنه اختار الخليفة الخطأ؟ وكما سنرى، فإن خليفته المختار كان مختلفًا تمامًا عن يسوع المسيح...

هناك العديد من الأسئلة الأخرى، ومعظمها مزعجة للغاية. لماذا، أو من، أرادت سالومي في الحقيقة الحصول على رأس يوحنا؟ ويبدو أن موت النبي العجوز لم يكن نهاية حياته بأي حال من الأحوال، وحتى بقاياه الجسدية عانت من تاريخ متقلب.

شكوك خطيرة

من المؤكد أنه من الصعب للغاية تجميع الأحداث الدرامية التي وقعت قبل 2000 عام، ولكن بعض جوانب وفاة يوحنا لا تزال تثير الشكوك. كان سجينًا سياسيًا ذا مكانة عظيمة، ولكن على ما يبدو تم إعدامه بناءً على نزوة راقصة عارية طلبت رأسه على وجه التحديد. وبما أن قطع الرأس لم يكن أسلوباً شائعاً للإعدام في يهودا - كان اليهود يميلون إلى رجم المجرمين والخارجين عن القانون بينما استخدم الرومان أسلوب الصلب الأكثر قسوة - فإن هناك شعوراً واضحاً طقوسيا في موت المعمدان. لأي غرض أو لمن أرادت سالومي رأس يوحنا في الحقيقة؟

بعد وفاة يوحنا، بدأت مهمة يسوع على محمل الجد، ولكن مع انتشار شهرته كطبيب وطارد للأرواح الشريرة، خاف الملك هيرودس من أن يكون ممسوسًا بروح يوحنا، قائلاً "... لقد قام يوحنا المعمدان من بين الأموات، ولهذا السبب تعمل فيه القوى المعجزية. ومن الغريب والمثير للصدمة أن هيرودس ربما كان على حق - على الأقل فيما يتصل بمعتقدات يسوع نفسه. وكما كتب الباحث في الكتاب المقدس كارل كريلينج في الخمسينيات من القرن العشرين، "استغل منتقدو يوحنا مناسبة وفاته لتطوير فكرة أن روحه المجردة كانت تخدم يسوع كأداة لأداء أعمال السحر الأسود، وهو ما لا يشكل في حد ذاته تنازلاً صغيراً لقوة يوحنا". 12

بالنسبة للمسيحيين فإن مجرد ذكر السحر يعد أمرا بغيضا. لقد جاء المسيح لكي يهدم كل مظاهر التجديف والتفاهة في العلوم الخفية، والتي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالعبادات الوثنية. ومع ذلك، فإن هذا التفسير هو إسقاط حديث: فالمسيحيون الأوائل، في حين أنهم كانوا بالطبع يهاجمون أعدائهم الوثنيين، كانوا منخرطين في العلوم الخفية بنفس القدر - وربما أكثر، إذا نظرنا إلى الأمر من منظور آخر. خارج عالم الإيمان المريح، فإن الحقيقة القاسية هي أن المسيحيين الأوائل كانوا يمارسون التعويذات باسم يسوع، وأن المسيح نفسه لم يكن رافضًا للممارسات التي من شأنها أن تؤدي بالتأكيد إلى الطرد من قبل الجماعات الأصولية الحديثة.

الأمر الأكثر أهمية هو أن الزعيم الكاربوقراطي ماركوس (انظر بداية هذا الفصل) وصفه الأسقف إيرينيئوس المذهول بأنه:

بارع تمامًا في الخدع السحرية، وبهذه الوسيلة يجتذب عددًا كبيرًا من الرجال، وليس عددًا قليلًا من النساء، ويحثهم على الانضمام إليه فهو كما لو كان يمتلك أعظم المعرفة والكمال، وقد تلقى أعلى قوة من المناطق غير المرئية وغير القابلة للتعبير عنها في الأعلى.13

نتذكر أن الكاربوقراطيين كانوا يزعمون أنهم يمتلكون أسرارًا تأهيلية ذات طبيعة جنسية، والتي زعموا أنها نشأت مع مريم المجدلية ومرثا وسالومي - والتي اعترف بها إكليمندس الإسكندري ضمناً بأنها طقوس يسوع نفسه الأصيلة. إذا كانت الطقوس الجنسية قد تمت الموافقة عليها في الأصل وحتى تشجيعها من قبل المسيح، فماذا عن السحر الذي مارسه ماركوس وأتباعه؟

يزعم مورتون سميث في كتابه يسوع الساحر (1978) أن شعبية يسوع كانت تكمن في استخدامه الذكي للسحر المصري. كان أولاً يثير اهتمام سكان أي قرية يمر بها من خلال تقديم عرض درامي لطرد الشياطين وشفاء المرضى، ثم ينتقل إلى تعليمه ويجذب الناس. ويؤكد سميث أن كتابته على الرمال، والمشي على الماء وما إلى ذلك، كانت من الركائز الأساسية للسحرة المصريين المتجولين، الذين استخدموا أيضًا تقنيات التنويم المغناطيسي - وربما المخدرات. ولكن هل كان طموح يسوع يتجاوز مجرد جمع تأييد وترحيب عدد قليل من الفلاحين في المناطق النائية؟ وهل كان يتطلع أيضًا إلى إمبراطورية يوحنا المعمدان الدولية الضخمة؟

وبحسب متى 11: 18، اعتقد اليهود أن يوحنا "كان به شيطان"، على الرغم من أن هذا ربما لم يكن يشير إلى كونه ممسوسًا بشيطان، بل كان لديه واحد كان لديه سلطة عليه باعتباره "خادمًا" غامضًا، على غرار الجن في الشرق الأوسط.14 مرة أخرى، فإن ممارسة ما يعادل السحر الأسود ليست شيئًا يتناسب بشكل مريح مع الصورة المقبولة للمعمدان، ولكننا نعلم الآن أن الرجل الحقيقي كان مختلفًا تمامًا - رجل متزوج ولديه أطفال، ومنافس مرير ليسوع، وكان المفضل لديه هو سمعان الساحر، ساحر الجنس الشهير، الذي تكرهه الكنيسة.

وفي هذا الضوء ربما لا يكون من المدهش أن يكون لدى يوحنا "شيطان" أو روح عبد، على الرغم من أن الوسيلة التقليدية للحصول على هذا العبد المشكوك فيه كانت الحصول على جزء من جسد رجل مقتول، على الرغم من أن القوة المثلى من الناحية السحرية يتم تحقيقها عن طريق قتل الرجل نفسه... وهذا مثير للاهتمام بشكل خاص في حالة إعدام المعمدان نفسه. هل كان ذلك نوعًا من طقوس القتل، أو تضحية بالدم ضرورية لإفساح الطريق للملك التضحيوي القادم؟ ما هو الدور الحقيقي لسالومي الغامضة في المطالبة برأس يوحنا؟

يعيد مورتون سميث تعريف كلمات هيرودس أعلاه على النحو التالي: "لقد قام يوحنا المعمدان من بين الأموات [بفضل شعنذة يسوع؛ الآن يمتلكه يسوع]. ولذلك [بما أن يسوع-يوحنا يستطيع السيطرة عليهم] فإن القوى [الأدنى] تعمل [عجائبها] "بأمره"

لم يكن يسوع معارضًا لما قد يحدده الآخرون دون تردد على أنه سحر أو استحضار للأرواح: فقد أدان اليهود بشدة إقامته لعازر باعتبارها تجارة مع الشياطين. حتى لو كانت مجرد طقوس وليست تذكيرًا حرفيًا بالحياة، فإنها كانت تحدث في قبر - وهو أمر بغيض وغير قابل للتصور بالنسبة للأرثوذكس. وبعد هذا الحدث مباشرة خطط اليهود لسقوط يسوع.

هل قام يسوع (الذي كان يُعتقد لفترة طويلة أنه تجسيد للحب الإلهي والبر) أو على الأقل أتباعه بترتيب قتل المعمدان؟ من المؤكد أن عالمة اللاهوت الأسترالية باربرا ثيرينغ تعتقد ذلك، لأن طائفة يسوع كانت المرشحة الواضحة الوحيدة للاستفادة من وفاته. 16 ولكن هل كان الأمر مجرد اغتيال سياسي، لإفساح الطريق أمام يسوع لتولي السلطة؟ وبعد كل هذا فإن طائفة يوحنا، المندائيين، لا تزال تدعي أن المسيح "اغتصب" وحتى

"أفسد" أتباع المعمدان. ولكن إذا كانت أيضًا جريمة قتل طقسية، فهل من الممكن أن يكون دافعها الرغبة المظلمة في استعباد روحه من خلال امتلاك جزء منه؟ من المفترض أن اتصال المسيح في القصر كان من خلال سالومي، على الرغم من أنه ربما تلقى المساعدة والتحريض من تلميذة أخرى مدرجة في العهد الجديد، وهي يُوَنّا، زوجة شوزا، كبير خدم هيرودس. بناء على أوامر هيروديا، طالبت سالومي برأس يوحنا - على الرغم من أن هويتها كانت غامضة بشكل مثير للريبة من قبل كتاب الأناجيل.

إن مجرد تفكير أي شخص في مثل هذا السيناريو - أن يكون يسوع المسيح متورطًا، ربما عن علم، في قتل المعمدان، ناهيك عن احتمال تورطه بشكل عميق في ما يعادل السحر الأسود - سيكون بلا شك صادمًا للغاية لكثير من الناس حتى خارج المجتمع المسيحي. ولكن من الغريب أن الكثير من هذه النظرية كان متاحاً للعامة لسنوات: على سبيل المثال، نُشر كتاب مورتون سميث "يسوع الساحر" لأول مرة في عام 1978، كما طرحت باربرا ثيرينج فكرتها بأن حركة يسوع ربما كانت وراء وفاة يوحنا في أوائل التسعينيات. ولكن لم ينتشر شيء من هذا إلى ما هو أبعد من الدوائر الطائفية من "الباحثين عن البدائل" أو ربما علماء اللاهوت الأكثر انفتاحاً (الأميركيين عادة) إلى العالم الأوسع، على الرغم من أن كتاب السيدة ثيرينج الغريب إلى حد ما قد تعرض لوقت عصيب، حيث تم رفضه إلى حد كبير باعتباره "خيالاً".

ويحيط نفس جدار الجهل الحجري بالمجتمع المسيحي فيما يتعلق بموضوع الأناجيل الغنوصية، والتي لا يزال المؤمنون العاديون يعيشون في الظلام بشأنها. ولكن لماذا يجب أن يهتموا بهذه النصوص المفقودة منذ زمن طويل، عندما يسخر علماء اللاهوت من صحتها "المشكوك فيها" ويرفضون حتى التفكير في أسئلة مركزية مثل تصويرهم للعلاقة بين المجدلية ويسوع، والخلاف مع بطرس، ووضع المرأة كرسول في الحركة المسيحية المبكرة؟ من الواضح أن من مصلحة أتباع اليوم أن يتجاهلوا الصورة غير المريحة للنصوص الغنوصية، ولكن لن يتمكنوا من الحفاظ على هذا الموقف الرفيع إلا لفترة محدودة مع قيام المزيد من الناس بقراءتها بأنفسهم.

إذا كان الاعتقاد السائد هو أن يسوع المسيح هو الله المتجسد، فلن يكون لأي دليل على العكس أي تأثير، باستثناء التسبب في الاشمئزاز. لا يمكن الجدال حول الإيمان، وفي كثير من النواحي، وبغض النظر عن حقيقة يسوع التاريخي، فقد حقق الآن مثل هذه المكانة النموذجية باعتباره الخير المطلق، وربما ينبغي لنا ببساطة أن نتجنب الانخراط في مثل هذه الحجج. ورغم أن المرء قد يتفق مع جيفري بيرتون راسل الذي كتب: "إن أي دين لا يتصالح مع الشر لا يستحق الاهتمام"، إلا أنه عندما نواجه حقيقة وجود اليوحنانوية المناهضين ليسوع مثل المندائيين، الذين دأبوا على التنديد بالمسيح بألفاظ غير معتدلة، فلابد من طرح أسئلة صعبة. ولكن هذا لا يتعلق بالشرور العالمية مثل التعذيب والجوع، بل بمفهوم صلاح المسيح برمته، والذي تم قبوله على نطاق واسع حتى بين غير المسيحيين في الغرب لدرجة أنه يعتبر حقيقة مقدسة محفورة في الحجر. ولكن بالنسبة للمسيحي السائد فإن أتباع يوحنا هم الأشرار و"المنحرفين"، تماماً كما تم التشهير برجل المعمدان المفضل، سمعان الساحر، منذ أقدم العصور المسيحية.

ولكن من المؤكد أنه من الأهمية بمكان أن نكشف الأخطاء التاريخية الكبرى - مهما كانت غير مريحة ليقينياتنا الثقافية والدينية - لأنه من خلال القيام بذلك فقط يمكن للبشرية أن تعترف بخطئها. وإذا كان هذا يستلزم إعادة النظر في شخصية ودوافع وأعمال يسوع المسيح ومراجعتها جذريًا، فيجب أن يتم ذلك دون تردد، لأنه سيتعين مراجعة الأحكام المسبقة القديمة وحتى المفاهيم الأساسية للصواب والخطأ. وبما أن المسيحيين الأوائل كانوا مولعين بإدانة منافسيهم باعتبارهم أدوات للشيطان، فربما حان الوقت لتصحيح هذا التوازن ــ خاصة وأن اضطهاد أولئك الذين كانت معتقداتهم مختلفة يظل ندبة لا تمحى على النفسية البشرية.

الجزء الثاني

إرث السقوط

الفصل الرابع

معابد سيتن

بعد أن أدى مرسوم قسطنطين في ميلانو إلى حرمان كل أشكال المسيحية باستثناء الكنيسة الرومانية الجديدة، أصر الهراطقة مثل الكاربوقراطيين على اتباع ضمائرهم إما بشجاعة هائلة أو بتهور يصل إلى حد الجنون، اعتمادًا على مدى تعاطف الشخص مع الاستشهاد. لقد تم القضاء على معظمهم بسرعة وبلا رحمة، ولكن مع تقدم الأعوام، نجحت بعض المعتقدات غير التقليدية في التلاشي، من خلال وجودها الذي قضم أمن روما ورضاها. ولعله ليس من قبيل المصادفة أن هذه "الشرور" عادة ما تنطوي على قدر من التبجيل للأنثى، الأمر الذي أثار غضب منظمة بطرس الذي لا يزال يتردد صداه في العار حتى يومنا هذا. وعلى وجه الخصوص، كانت هناك منطقة واحدة من شأنها أن تشكل صداعاً شديداً للبابا ــ جنوب فرنسا، المنطقة التي تضم إلى حد كبير منطقتي لانغدوك وبروفانس.

إنها منطقة مليئة بالكهوف، وسماؤها الزرقاء العالية التي تشقها قمم الجبال الحادة المغطاة بالثلوج، وهي منطقة جميلة ولكنها لا ترحم، والتي وفرت في العصور الوسطى ملاذا آمنا للعديد من ذوي الآراء الدينية غير التقليدية، مثل الكاثار، الذين كانت اجتماعاتهم معروفة لدى الكنيسة باسم

"معابد سيتن". وكما علق جان ماركال في كتابه "مونتسيجور وسر الكاثار" (1986)، فإن "هناك شياطين في الكهوف يحتفلون بأيام السبت هناك بصحبة السحرة". هؤلاء هم الكائنات الوحيدة التي ليس لديها خوف من دخول مثل هذه الأماكن. تمثل الكهوف العالم المحظور. "ومن ثم فهو عالم جذاب أيضًا." إن معرفة ما إذا كان هناك بالفعل ساحرات في تلك الكهوف أمر غير ذي صلة: فالأرض ككل كانت لها سمعة الوثنية والهرطقة حتى قبل الأحداث الرهيبة في القرن الثالث عشر، ولكن بعد ذلك الوقت لم تكن أقل من أرض سنين (الشيطان) بالنسبة للكنيسة.

وهنا نشأت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر طائفة مسيحية كان أعضاؤها، على الرغم من أنهم معروفون باسم les bonshommes ("الرجال الطيبون" أو "الناس الطيبون") لدى السكان المحليين، إلا أنهم كانوا في نظر الرومان "لوسيفرون". حاول خلفاء البوغوميليين الغنوصيين في بلغاريا، الكاثار2 (بمعنى "الطاهرين") إعادة اختراع ما اعتبروه أسلوب حياة بسيطًا وعبادة بدأها المسيح، ونبذ الكنيسة باعتبارها "زانية بابل" الفاسدة، إلى جانب كل ما فيها من تنوع وتسلسل هرمي. لقد تجنبوا استخدام المباني المخصصة للكنائس، واختاروا العبادة في العراء أو في المنازل الخاصة - بعد كل شيء، لم يبنِ المسيح الكنائس ولم يحث أتباعه على القيام بذلك - واعتمدوا أسلوب حياة زاهد، وتناولوا نظامًا غذائيًا بسيطًا، "صيد الأسماك"3، وحتى باعتدال من ذلك. كان هدفهم أن يصبحوا كاملين أو مثاليين ("كاملين")، رجال ونساء تخلوا عن كل الملذات الأرضية، بما في ذلك الجنس - وكان الإنجاب بغيضًا بشكل خاص بالنسبة لهم لأنه يطيل اتصال الروح بالعالم المادي المكروه.

وباعتبارهم غنوصيين، كان الكاثاريون يكرهون العالم المادي بشدة، وهذا هو المكان الذي سيختلف فيه معظم القراء المعاصرين معهم (باستثناء أتباع العصر الجديد ذوي العقلية الصوفية الذين يميلون إلى تبجيلهم باعتبارهم نوع من المسافرين المريحين). على الرغم من أن الزنادقة كانوا بلا شك في مجتمع مليء بالفساد والنفاق الأكثر شناعة، إلا أنهم أخذوا كراهيتهم للوجود الأرضي إلى أقصى حد. لقد أسسوا في الأساس لفقدان الشهية في شكل "الصمود"، وهو صيام بطيء حتى الموت، والذي اعتقدوا أنه موت "جيد" تقريبًا مثل الاستشهاد - على الرغم من أنهم سرعان ما حصلوا على فرصة كافية لتلبية شوقهم إلى هذا النمط الأخير من الانتقال إلى العالم الروحي. (بدون موت "جيد"، اعتقد الكاثاريون أنهم محكوم عليهم بالعودة إلى الحياة حتى يمكن استشهادهم ثم الهروب في النهاية إلى عوالم الروح النقية والنور.)

بطبيعة الحال، كان عدد قليل نسبيًا من الكاثاريين الذين وصلوا إلى درجة "الكمال": فقد طور أفرادهم، أو المؤمنون، نسختهم الخاصة من الصلاح. فضل بعض الناس ممارسة الجنس خارج إطار الزواج، على سبيل المثال، لأنهم في هذه الحالة يرتكبون خطيئة واحدة وهي الجماع، وليس خطيئتي الجماع و(ربما) الإنجاب. كما أشار ماركال:

بالنسبة للكاثار ... الخطيئة هي الخضوع للعالم. لم يكن هناك فرق بين الخطايا المميتة والخطايا الفاسدة؛ فكل الخطايا كانت مميتة.

... إن كل اتحاد جنسي يتضمن الجسد ويهدد بإطالة عمل الشيطان إلى أجل غير مسمى ... ولم يفرقوا بين الاتحادات الشرعية وغير الشرعية، والحب الحر، والمثلية الجنسية، والزنا، وزنا المحارم، أو حتى العلاقات الجنسية مع الحيوانات.

انتشرت شائعات كثيرة حول الانتهاكات الجنسية التي ارتكبها أصحاب هذه الشهادات - ففي نهاية المطاف، إذا كان المرء محكوما عليه بالفشل بسبب الارتباط الجنسي المعتاد بين الجنسين أو لقاء مثلي أو حتى علاقة عابرة مع عنزة، فلماذا لا ينغمس في كل هذه الأمور؟ من الأفضل أن يتم شنقهم من أجل خروف أو حمل (أو ماعز). وإذا كان خلق الأطفال شرًا، فلماذا لا نستخدم اللواط كوسيلة لمنع الحمل؟ في حين أن القصص المثيرة تنتشر دائمًا حول أي طائفة مستقلة وغير تقليدية، سواء كانت مبررة أم لا، وبما أن الطبيعة البشرية هي ما هي عليه، فمن المؤكد أن هناك بعض الحقيقة في هذه الشائعات.

وبما أن أي شيء مادي كان محرماً بالنسبة لهم، فقد كان لدى الكاثار نسختهم الخاصة من صلاة الرب، حيث استبدلوا عبارة "أعطنا اليوم خبزًا يتجاوز المادة" "أعطنا خبزنا كفاف يومنا هذا". كان التلاعب بكلمات الصلاة الوحيدة التي كان يُعتقد أن يسوع نفسه أعطاها لنا خارج نطاق المسيحية الأرثوذكسية (على الرغم من وجود أدلة على أن صلاة الرب نشأت في الواقع مع يوحنا المعمدان، وليس المسيح على الإطلاق).

من الواضح أن هذا كان سيئًا بما فيه الكفاية بالنسبة للكنيسة القوية - كانت النباتية نفسها تُعرف باسم "وليمة الشيطان"، وبطبيعة الحال فإن رفضهم لتسلسل الكنيسة جعلهم يعتبرون زنادقة على أي حال - ولكن معتقدات الكاثار وأسلوب حياتهم ذهبت إلى أبعد من ذلك بكثير.

وباعتبارهم غنوصيين، كانوا يعتقدون أن يسوع هو ابن النور، وليس ابن الله. وكان هو والشيطان كلاهما ابنا الله الآب، وهما ظاهرتان للألوهية التي هي الخير والشر. لقد كان هناك اثنان من يسوع: واحد من المادة، الذي كان عاشق مريم المجدلية، وواحد من الروح النقية الذي لم يكن من الممكن أن يصلب أبدًا - وهذا هو السبب في أن الكاثار رفضوا قبول الرمز التقليدي للصليب، على الرغم من أن لديهم شكلهم الخاص للصليب، الوردة، "يدل على المسيح الشمسي" في الواقع، ووفقًا لجان ماركال، هناك أدلة تشير إلى أن

الكاثار بنوا قلاعهم على ارتفاعات مذهلة على قمم الجبال الشبيهة بالإبر لأنهم سعوا إلى أن يكونوا قريبين من الشمس والنجوم - وهو ارتباط مثير للقلق بالطقوس الوثنية القديمة للكنيسة. كما رفضوا مفهوم الجحيم الأبدي، والذي كان التهديد به لفترة طويلة أقوى سلاح في يد الفاتيكان للحفاظ على رعيته: كان الكاثاريون يعتقدون أن الشيطان نفسه يمكن إنقاذه.

ومع ذلك، وفوق كل ذلك، فإن أيام الهراطقة بالنسبة للعديد من رجال الدين لابد وأن تكون معدودة لأنهم كانوا يمتلكون إنجيل يوحنا السري، الذي زعموا أنه يحتوي على تعاليم المسيح التأهيلية. إن وجود مثل هذا الكتاب كان يعني خطرًا شديدًا على منظمة اعتقدت نفسها لفترة طويلة أنها في مأمن من تأثيرات الأناجيل الغنوصية. ولكن ما يعادل كل ما سبق من درجات الرعب بالنسبة لغالبية رجال البابا كان بالتأكيد حقيقة أن الكاثاريين كان لديهم واعظات - والأسوأ من ذلك أنهم كانوا ينتشرون في نفس الأرض حيث، وفقًا للأسطورة، لم تكن سوى ما علمته مريم المجدلية نفسها.10

هل هم "لوسيفرون" حقًا؟

وكما كان متوقعًا للغاية، شن القس المتعصب مونتيجو سامرز هجومًا حادًا على "الكاثار"، مدعيًا أنهم "عبدوا الشيطان علانية، ونبذوا القداس الإلهي والآلام، ورفضوا المعمودية المقدسة من أجل بعض الطقوس القذرة الخاصة بهم"، مستشهدًا بمحقق مجهول كدليل على عبادتهم للشيطان. من الواضح أن سامرز لا فائدة منه كمصدر موضوعي، ولكن حتى في القرن العشرين فقد قدم لنا نظرة ثاقبة إلى عقلية أولئك الذين سعوا إلى إبادة الكاثار. (كما أنه يندد بهم باعتبارهم "مُحرِّضين" و"إرهابيين"، وهو ما يتناقض بشكل مذهل مع وجهة نظر حتى معظم غير الكاثار العاديين في ذلك الوقت، الذين أعجبوا بهم ودعموهم حتى في الكنيسة. علاوة على ذلك، كان الكاثاريون مسالمين أقسموا على السلام.) ولكن هل كان اتهام سامرز مبنيا على نسخة مشوهة من الحقيقة؟ هل الكاثار ليسوا شيطانيين بل كانوا في الواقع لوسيفريين؟

إن المشكلة الرئيسية في تقييم الحقيقة حول البدعة هي أن القليل من السجلات الباقية بخلاف روايات أعدائهم، ولكن الباحثين المتفانين تمكنوا من تجميع المعتقدات التي بالتأكيد لم تكن لتكسب الكاثار الكثير من الود في ظل العقيدة الأرثوذكسية. وكما أشار يوري ستويانوف في كتابه الكلاسيكي "التقاليد الخفية في أوروبا" (1994):

تظهر في السجلات الكاثوليكية أوصاف لطوائف "لوسيفر" التي كان معتقدها تقليديًا ... ظهرت ثنائية الكاثار بين الديميورج الشرير للعالم المادي والإله الصالح المتعالي في شكل معكوس، حيث كان يتم تبجيل لوسيفر وتوقع إعادته إلى الجنة، بينما يتم إرسال ميكائيل ورئيس الملائكة إلى الجحيم."

ومع ذلك، يحرص ستويانوف على الإضافة، "سواء كانت هذه الثنائية "لليد اليسرى" موجودة بالفعل كمشتق من أشكال منحطة من الكاثارية أو تم صياغتها في خيال محاكم التفتيش، فهذا لا يزال غير واضح". وبطبيعة الحال، لوسيفر يعادل الشيطان هنا.

كان أحد الباحثين الذين لم يكن لديهم أي نقاش - وكان لديهم فهم مختلف تمامًا لـ "لوسيفر" - هو أوتو ران الغامض، الذي أصبح مهووسًا بالمعقل الأخير للكاثاريين في مونسيجور، في سفوح جبال البرانس، حيث لقي حوالي 200 من المثاليين حتفهم حرقًا في عام 1244 بعد الصمود في وجه الصليبيين لمدة عشرة أشهر. لقد

أمضى ران عدة أشهر في الخمسينيات من القرن العشرين وهو يمشط المنطقة بحثًا عن أدلة قد تربط الكاثار بالكأس المقدس، وتكوين صداقات مع السكان المحليين ــ رغم أنه لم يثير إعجابهم جميعًا بالتأكيد ــ وربما قام بتعديل الحقائق لتتناسب مع فرضياته الخاصة.

في كتابه "محكمة لوسيفر" الصادر عام 1937، يزعم ران أن ما يُنظر إليه على أنه مجموعات مترابطة - الكاثار، وفرسان الهيكل، وحركة التروبادور، وما إلى ذلك - كانت جميعها جزءًا من دين غنوصي يركز على لوسيفر، والمعروف أيضًا لديهم باسم "الوسيبيل"، أو ما يعادله في أوروبا مثل أبولو، الإله الشمسي. كما ربط ران بين ازدهار "محكمة لوسيفر" في العصور الوسطى والأساطير الإسكندنافية، محاولاً خلق دين مستمد من جذور أوروبية، وليس من جذور الشرق الأوسط.في فرضية ران، ما يربط كل هذه المجموعات معًا هو الكأس المقدس، حيث تم ربطها بشكل منفصل بكل من الكاثار وفرسان الهيكل.

كانت أطروحة ران الجامعية حول موضوع الشاعر فولفرام فون إيشينباخ، مؤلف قصيدة بارسيفال، الذي عاش في القرن الثالث عشر. على الرغم من كونه الشاعر الألماني الرئيسي في روايات الكأس المقدسة، إلا أنه زعم أنه استخدم مصادر من جنوب أوروبا - لانغدوك وإسبانيا. إن الكأس المقدس بالنسبة له ليست رمزًا مسيحيًا يمكن التعرف عليه، مثل الكأس العظيمة المملوءة بدم المسيح كما في الحكايات اللاحقة، ولكنها حجر مرتبط، إن لم يكن مع لوسيفر بشكل مباشر، فعلى الأقل بالملائكة الساقطين، على الرغم من أن ولفرام نفسه ليس صريحًا بشأن هذه النقطة.

في البحث عن الكأس المقدس

في أوائل ثلاثينيات القرن العشرين، أصبح ران صديقًا لموريس ماجري،19 أحد أعضاء الجمعية السرية الغامضة، جماعة البولاريس، وهي جماعة غامضة حريصة على الارتباط بثقافة نوردية قديمة. وزعموا أنهم على اتصال بـ "سادة" مجهولين في أغارثا، "مركز التأهيل غير المرئي"،20 لكن ماجري استقال من المجموعة بشكل دراماتيكي. يعتقد البعض أن ران كان بولنديًا، وربما كان هذا صحيحًا لأنه في البداية راهن على ماجري، الذي حثه في البداية على إجراء أبحاث موسعة "على الأرض" في لانغدوك، بدلاً من دفن رأسه في المكتبة الوطنية.

قدم ماجري صديقه الألماني إلى العديد من السكان المحليين، وكان من بينهم آرثر كاسو - "حكيم أرييج القديم" - الذي أخبره بأسطورة البطلة الكاثارية الأرستقراطية إسكلارموند، مدعيًا أنها أخفت الكأس المقدس في مكان آمن قبل سقوط مونسيجور.

يعتقد ران أن إيشينباخ استلهم فكرة كتابة رواية الكأس المقدس من قصة الكاثار، مشيرًا إلى أوجه التشابه بين بطله بارسيفال، الذي يعني اسمه "ثقب البئر" والفيكونت البطل من كاركاسون، ترينكافيل - "قطع البئر". تم ربط شخصيات أخرى بأشخاص حقيقيين من ذلك الوقت والمكان، بما في ذلك فيشر كينج أنفورتاس 22 مع رامون روجر دي فوا. وبالطبع، ما الذي يمكن أن يكون عليه "مونتسالفاجي" الخيالي (جبل الملاذ أو الجبل الآمن) غير مونتسيجور؟ علاوة على ذلك، فإن مونتسالفادج محمية بموجب

"نافورة الإنقاذ"، التي ربطها ران بنافورة فونتيسوربيس، في حين أن الغابة المحيطة بمونتسالفيج، "بريسيليان" في الحكاية، يجب أن تكون الغابة المعروفة باسم بريسيليان. وأشار ران منتصرا: "نعم: فقط

قلعة الكاثار في مونسيجور، في جبال البرانس أريجوا، يمكن أن تكون معبدًا لا يمكن المساس به للكأس المقدسة".23

بالنسبة لران، كانت الكأس المقدس واحدة من عدة ألواح حجرية منقوشة عليها كتابة رونية، على الرغم من أنه أوضح أن "الكأس المقدس ثلاثية: إنها كتاب المعرفة، وكأس رمزية تحتوي على تلك المعرفة، وكأس روحية". كان يعتقد أنها حجر أخضر، يشبه حجر الزمرد الأسطوري للمعلم الهرمسي هرمس ثلاثي العظمة والذي نقشت عليه أعظم الأسرار الخفية. رأى ران أنها زمرد مكون من 144 وجهًا (اثنا عشر × اثني عشر، رقم الكمال)، أو 144 حجرًا أصغر محفورًا في الزمرد. لقد سقط هذا الحجر من تاج لوسيفر عندما سقط على الأرض - على مونتسجور.

كما كتب أرنو دابريمونت في مقدمة الطبعة الفرنسية لكتاب محكمة لوسيفر:

الآن، إذا كان لوسيفر بالنسبة للبشر العاديين مرادفًا للشيطان، مع سيتن، لم يكن الأمر نفسه بالنسبة لران. بالنسبة للأخير، كان لوسيفر هو لوسيبيل، حامل النور، وأبيليو، وبيلينوس، وبالدور، وأبولو... شخصية نقية للغاية ومضيئة. ران ... أراد أن يرى نفسه معترفًا به باعتباره "حامل النور"، لوسيفر.14

ويضيف: "لا يوجد شيء هنا لا يمكن أن يكتبه ران الكاثاري أو ران الوثني". لقد ادعى ران نفسه أن الكنيسة طالبت بالحجر الذي سقط من تاج لوسيفر "من أجل تنصيره".25 ويُعتقد أن الحجر يمنح الخلود تقريبًا: ربما كان ران صاحب العقلية الحرفية يبحث عنه كهدية لرئيسه - وفي هذه الحالة يجب أن نكون ممتنين للغاية لحقيقة أنه فشل على ما يبدو في العثور عليه.

يعتقد ران أن:

العهد القديم والعهد الجديد، حتى لو تحدثا عن "آلهة مضادة" مختلفة، فإنهما يمتلكان معرفة واحدة وفريدة من نوعها. العهد القديم يلعن "نجم الصباح الجميل"؛ العهد الجديد يكشف لنا في سفر الرؤيا [غير القانوني] ليوحنا، أن "ملكًا وملاكًا للهاوية" يحمل "باليونانية اسم أبوليون".

ويوضح: "أبوليون، ملاك الهاوية وأمير هذا العالم، هو أبولو المضيء". يربط بين الاثنين من خلال الاستشهاد بحقيقة أن الاسم اليوناني لنجم الصباح هو فوسفوروس (أو "حامل الضوء")، والذي "كان بمثابة الرفيق الأمين والمعلن وممثل أبولو، الذي يبدو أنه الشمس،26 أعظم حامل للضوء، وأن أبولو نفسه كان يخلط بينه وبين "نجم الصباح" الجميل، الشمس". وبطبيعة الحال فإن الكنيسة تعتبر إله الشمس القديم مرادفًا للشيطان في كل الأحوال.

اعتقد ران أن الحملة الصليبية ضد الكاثار تمثل الحرب بين "الصليب والكأس"، وأن المثاليين يحملون قوة لوسيفر في شكل الحجر الأخضر. من المفترض أن هذا نتاج خيال رومانسي مفرط في الحماسة، ولكن هناك سبب للاعتقاد بأن الكاثاريين كانوا يمتلكون "الكأس المقدس"، على الرغم من أنه ربما لم يكن حجرًا ولا كأسًا...

كأس غير مقدس

ما هو الكأس المقدس (أو كان كذلك) وفقًا للروايات في العصور الوسطى؟ أقدم هذه القصص هي قصة كريتيان دي تروا غير المكتملة "بيرسيفال" (أو Le conte del Graal)، والتي كتبها في ثمانينيات القرن

الثاني عشر، ولكن من غير المعروف ما إذا كان قد مات أم استسلم ببساطة. يتعلق الأمر بكأس (أو جرة)، تم تقديمها في هذا المشهد: "ظهر شابان آخران يحملان الشمعدانات تتبعهما فتاة جميلة تحمل كأسًا ذهبية مرصعة بالجواهر في كلتا يديها". يصبح فقط الكأس مع تطور القصة، والأهمية الوحيدة للمادة المحددة هي أن هذه الكأس الخاصة هي في مركز الأحداث. كما أنه ليست كأسًا مقدسا: على الرغم من أن القصة تدور حول خلفية مسيحية (كيف يمكن أن تكون غير ذلك ؟)، لا يُعطى كأس كريتيان أي أهمية دينية، وبالتأكيد لا يرتبط بيسوع. إنه ببساطة شيء ذو خصائص سحرية.

هناك القليل من الغموض حول طبيعة كأس كريتيان. على الرغم من أن الكتاب اللاحقين يبدو أنهم لم يكونوا على دراية بمعنى المصطلح، إلا أن كريتيان شعر بوضوح أنه ليس بحاجة إلى التفصيل لأنه افترض أن جمهوره سيكون على دراية بالمقولة. من الناحية غير الرومانسية، ربما تكون الكلمة عبارة عن شكل مختلف من الكلمة الفرنسية القديمة gradal، والتي تعني نوع من أطباق التقديم. ويصفها على وجه التحديد بأنها scutella lata et aliquantulum profunda - "طبق واسع وعميق قليلاً" - بعبارة أخرى، شيء مثل طبق أو صينية، وهو الاستنتاج الذي تدعمه حقيقة أنها تنتج الطعام بطريقة سحرية (في هذه النسخة فقط للملك الصياد، ولكن في الإصدارات اللاحقة للبلاط بأكمله). إن خصائصه السحرية أو الغامضة هي ما يجعله مهمًا، وليس حقيقة أنه الكأس مقدس. (تمامًا كما تكمن أهمية قصة عن إبريق الشاي السحري في حقيقة أنه كان سحريًا، وليس أنه كان إبريق شاي).

كانت حكاية كريتيان شائعة وغير مكتملة، حيث قدمت تحديًا لا يقاوم للشعراء الآخرين لتأليف نسخهم الخاصة، لذلك خضعت القصة - والكأس المقدس - لعملية تطور سريعة. تحول التركيز بعيدًا عن بيرسيفال، بطل السعي وراء الكأس ليصبح غاوين (ربما لأن قصة كريتيان تنقطع في وسط حبكة فرعية يظهر فيها) ثم جالاهاد، شخصية مثالية مزعجة تم اختراعها حديثًا والتي تبدو في الأساس مثل يسوع المقنع.

حدث تطور الكأس إلى كأس المسيح بسرعة. في استمرار مجهول لبيرسيفال، مكتوب في غضون عقد أو نحو ذلك من أصل كريتيان، قام المؤلف بدمجها مع أساطير منفصلة تمامًا - والتي، وفقًا للكاتب البريطاني أندرو كولينز، 27 يعود تاريخها إلى القرنين الثامن أو التاسع - ليوسف الرامي يجلب كوبًا يحتوي على دم يسوع إلى بريطانيا. من المفترض أن هذا مستوحى من مفهوم الكأس المقدس كسفينة، حيث يلقي المؤلف بشيء مشابه لربطه بيسوع.

تبع هذا الخط روبرت دي بورون في يوسف الرامي، الذي كتب في 1190s أو أوائل 1200s. هذا عندما يصبح الكأس المقدسة - سانجريال: كان روبرت على دراية بتورية "San greal" و "21 "Sang real على الرغم من أن الأخير في روايته كان يعني "الدم الحقيقي". كان السرد الرئيسي والمؤثر لهذه النسخة من قصة الكأس المقدسة هو Queste del San Graal، وهو جزء من دورة آرثرية واسعة تتألف من رهبان سيسترسيين بين عامي 1215 و 1235 (حيث ظهر جالاهاد لأول مرة).

من الواضح أن كل هذا يمثل تنصير الكأس المقدسة، وتطوير قصة الكأس المقدس إلى حكاية أخلاقية مسيحية. سواء كانت هذه محاولة متعمدة لتقويض العناصر الهرطقية للأصل، أو ببساطة نتيجة لتغلغل الفكر المسيحي في جميع الفنون والأدب في العصور الوسطى، فمن المستحيل معرفة ذلك. (لم تكن أساطير يوسف الرامي خالية تمامًا من نفحة الهرطقة، حيث ادعت الأسطورة أيضًا أن يوسف كان يحمل تعاليم سرية ليسوع، والتي نقلها إلى عائلته. إلى جانب ذلك، لم يفقد السعي وراء الكأس نكهته الغنوصية أبدًا، حيث وجد البطل طريقه إلى الإله من خلال مساعيه الخاصة ؛ ولكن ربما كان هذا الحد من الضرر من قبل الكنيسة.) كان هذا الخط هو الذي استمر في التأثير على رواية مالوري La Morte d'Arthur وحتى رواية ستيفن شبيلبرغ/هاريسون فورد الكلاسيكية، إنديانا جونز والحملة الصليبية الأخيرة.

ومع ذلك، كان هذا مختلفًا تمامًا عن الخط المتخذ في إعادة الرواية الرئيسية الأخرى لقصة الكأس المقدسة، بارسيفال لفولفرام فون إيشينباخ، المكتوبة بين عامي 1200 و 1210، وبالتالي بالتوازي مع مفهوم "كأس المسيح". سيكون من المثير للاهتمام معرفة ما إذا كان ولفرام على دراية بالاستمرارات المسيحية لحكاية كريتيان وتجاهلها عمدًا.

تم إنشاء تموج طفيف من قبل بيرلسفاوس المجهول، الذي كتب بين 1190s و 1220s، حيث ادعى المؤلف - وهو رجل دين من نوع ما - أنه وجد القصة في كتاب في دير غلاستونبري، على الرغم من أن معظم العلماء يعتقدون أن هذا كان مجرد محاولة لاكتساب المصداقية. يقع هذا الكتاب بين النسخة المسيحية ونسخة ولفرام، وهو مبني بوضوح على نسخة روبرت دي بورون من قصة الكأس المقدس/يوسف الرامي، وعلى السطح، يتبع نفس القصة الأخلاقية المسيحية، لكنه يحتوي على بعض العناصر الهرطقية المثيرة للاهتمام للغاية - التركيز على الرؤوس المقطوعة، والإشارات الخيميائية، والسعي الموازي لجواين للحصول على السيف الذي قطع رأس يوحنا المعمدان.

في بارسيفال، يوصف الكأس بأنه حجر. لماذا قام ولفرام بتحويل طبق كريتيان أو طبق صيني بهذه الطريقة غير معروف - فقد اقترح أنه ببساطة أساء فهم الكلمة الفرنسية (ارتكب أخطاء أخرى في الترجمة، على سبيل المثال تحويل "طبق النحت" إلى "سكاكين النحت "). ومع ذلك، فإن الكأس المقدس له خاصية إنتاج الطعام والشراب بأعجوبة، لذلك لا يزال هناك اتصال مع طبق التقديم. يمنح ولفرام الكأس المقدس العديد من القدرات السحرية الأخرى - أولئك الذين يرونها لا يمكن أن يموتوا لفترة زمنية معينة، وتظهر تعليمات من السماء عليها.

ومع ذلك، إذا كان سبب ولفرام لجعل الكأس المقدس حجرًا لا يزال غير معروف، فنحن نعرف على الأقل من أين نشأت فكرته: القصيدة الألمانية في العصور الوسطى ألكسندر، المستمدة نفسها من الأساطير الشعبية للإمبراطور ألكسندر، والتي انتشرت العديد من متغيراتها في العصور الوسطى. من المعروف أن ولفرام كان على دراية بالإسكندر، ومن الواضح أن العديد من عناصر بارسيفال مستوحاة منه. الأهم من ذلك كله، أن الإسكندر حصل على حجر معجزة - يتغير وزنه وفي بعض النسخ لديه خصائص تجديدية - والذي تم وصفه حتى في بعض النسخ اللاتينية باسم lapis exilis ("حجر صغير")، والذي من المفترض أنه تم تحريفه إلى مصطلح ولفرام للكأس المقدس، lapsit exillis. لذا قام ولفرام أيضًا بدمج قصة الكأس المقدس لكريتيان مع أسطورة منفصلة.

يربط ولفرام أصول الكأس المقدس - جلبها إلى الأرض - بـ "الملائكة المحايدين"، أي أولئك الذين لم يتخذوا أي جانب في الحرب بين الله ولوسيفر، على الرغم من وجود بعض الغموض حول ما إذا كانت الملائكة المحايدة أو مجموعة أخرى مسؤولة عن جلبها إلى الأرض (انظر أدناه). على أية حال، منذ رحيل الملائكة، أصبح محميا من تنظيم الفرسان، الموصفون صراحةً بأنهم فرسان الهيكل، وسلالة من ملوك الكأس المقدس.

لقد ادعى ولفرام ليس فقط أنه يعرف النهاية الصحيحة للقصة، بل إنه كان لديه أيضًا إمكانية الوصول إلى نسخة أكثر أصالة من كريتيان - على الرغم من أن إذا كان كريتيان قد أسس قصته على بيريدور، فإن هذا الادعاء كاذب بشكل واضح. يذكر ولفرام أن نسخته مستمدة من أعمال "الوثني" فليجيتانيس، عبر كيوت من بروفينس:

كان هناك رجل وثني اسمه فليجيتانيس وكان مشهورًا جدًا بمكتسباته. هذا العارف نفسه ينحدر من سليمان، المولود من أقارب إسرائيليين منذ العصور القديمة حتى أصبحت المعمودية درعنا ضد نار الجحيم. كتب عن عجائب الكأس. كان فليجيتانيس، الذي كان يعبد العجل كما لو كان إلهه، وثنيًا حسب رأي والده. كيف يمكن للشيطان أن يسخر من هؤلاء الناس الذين يعرفون مثل هذا الأمر، في حين أن من أعظم قدرته والذي يعرف كل العجائب لا يفصلهم عن جنونهم ولا يفرقهم عنه؟ بالنسبة لفليجيتانيس الكافر تمكن من تحديد لنا ركود كل كوكب وعودته، وكم من الوقت يدور كل منهم في مداره قبل أن يقف عند علامته مرة أخرى. يتأثر كل الجنس البشري بدورات الكواكب. بأم عينيه، رأى فليجيتانيس الوثنيون - وتحدث عنها بتبجيل - أسرارًا مخفية في الأبراج. أعلن أن هناك شيئًا يسمى الكأس، الذي قرأ اسمه في النجوم دون مزيد من اللغط.

"تركها جيش على الأرض ثم ارتفع عالياً فوق النجوم، إذا كانت براءته قد جذبتهم مرة أخرى. وبعد ذلك أصبح من واجب النسل المسيحي الذي نشأ على حياة نقية أن يحافظ عليها. أولئك البشر الذين يتم استدعاؤهم إلى الكأس يستحقون ذلك دائمًا ". وهكذا كتب فليجيتانيس عن هذا الموضوع.

شرع المعلم الحكيم كيوت في البحث عن هذه الحكاية في الكتب اللاتينية من أجل اكتشاف المكان الذي قد يكون فيه أشخاص مناسبون للحفاظ على الكأس واتباع حياة منضبطة. قرأ سجلات مختلف الأراضي في بريطانيا وأماكن أخرى، في فرنسا وأيرلندا ؛ ولكن في أنجو وجد الحكاية 29

كما رأينا، كان الكأس الأصلي طبقًا كبيرًا أو صينية، ولكن ما الذي ألهم كريتيان بهذه الفكرة ؟

تم تصميم بيرسيفال على غرار الحكاية الشعبية الكلتية بيريدور، ابن إفراوغ، وهي جزء من المجموعة الشهيرة من الحكايات الويلزية المعروفة باسم مابينوجيون. الكأس نفسه مشتقة من رأس الذكر المقطوع الذي يحمله على طبق يظهر في تلك الحكاية.

يحتفى ببيريدور من قبل سيد القلعة، فارس أعرج، الذي تبين أنه عمه:

عندئذٍ استطاع أن يرى شابين قادمين إلى القاعة، ومن القاعة يتجهان إلى غرفة، ومعهما رمح كبير الحجم، وثلاثة تيارات من الدم معها، يمتد من التجويف إلى الأرض. ولما رأوا جميعهم الشباب مقبلين على ذلك، أقام كل واحد منهم صراخاً ونحيباً، حتى لم يكن من السهل على أحد أن يتحملهم. لم يقاطع الرجل محادثته مع بيريدور. لم يخبر الرجل بيريدور بما كان ذلك، ولم يطلب منه ذلك. وبعد صمت قصير، إذا بفتاتين قادمتين، وبينهما صينية كبيرة، ورأس رجل على الصينية، والدم غزير حول الرأس. ثم صرخ الجميع وصرخوا، بحيث كان من الصعب على أي شخص أن يكون في نفس المنزل معهم. في النهاية امتنعوا عن ذلك، وجلسوا طالما أرادوا، وشربوا ".

إن حقيقة أن حكاية كريتيان تفتقر إلى نهاية تكشف أن كتاب التتمة لم يكونوا على دراية ببيريدور، حيث أضاف كل من الكتاب المسيحيين وولفرام نهايات مختلفة تمامًا عن الأصل الكلتي. في الواقع، فإن الكثير من الغموض التقليدي لرومانسيات الكأس المقدس مستمدة من محاولة تقديم تفسيرات للعناصر المعجزة التي، في الحكاية الويلزية الأصلية، غير ضرورية على الإطلاق. على وجه الخصوص، هناك سر طبيعة الكأس، والسؤال الذي سيرفع السحر على الملك الصياد.



الثعبان - الذي يعتبر تجسيدًا للشر - يغري آدم وحواء بنجاح بأكل الفاكهة المحرمة. ومع ذلك، عند اكتشاف الشر، اكتشفوا أيضًا الخير، واشتعلت روح التحقيق اللوسيفرية، مما أدى إلى كل التقدم البشري.

يشمل كتاب ويليام بليك جلاد ديف فرحة كونك إنسانًا، مع الاعتراف بالتحديات التي لا نهاية لها والتي يستمتع بها لوسيفر الحقيقي.



الإله المصري القديم ست، المدمر والمنتقم - ولكن هل كان أيضًا نموذجًا ليهوه بني إسرائيل؟





الإله الطفل السحري المصري حورس، المتحدي لمجموعة الشر، حورس هو أقرب معادل مصري لـ "ابن الصباح" اللامع، لوسيفر، الذي تحدى يهوه وخسر - أو هكذا قيل لنا...

الإلهة الرومانية ديانا لوسيفيرا - المنورة أو المستنيرة. كانت الكنيسة تكره وتخشى الآلهة الوثنية لقوتها والإلهام الذي قدمته للنساء العاديات.

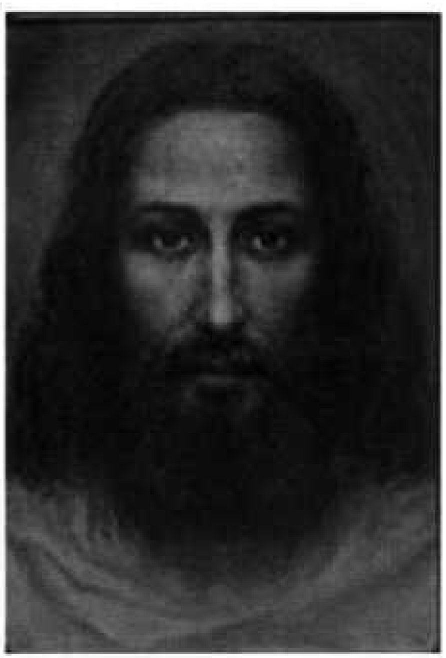




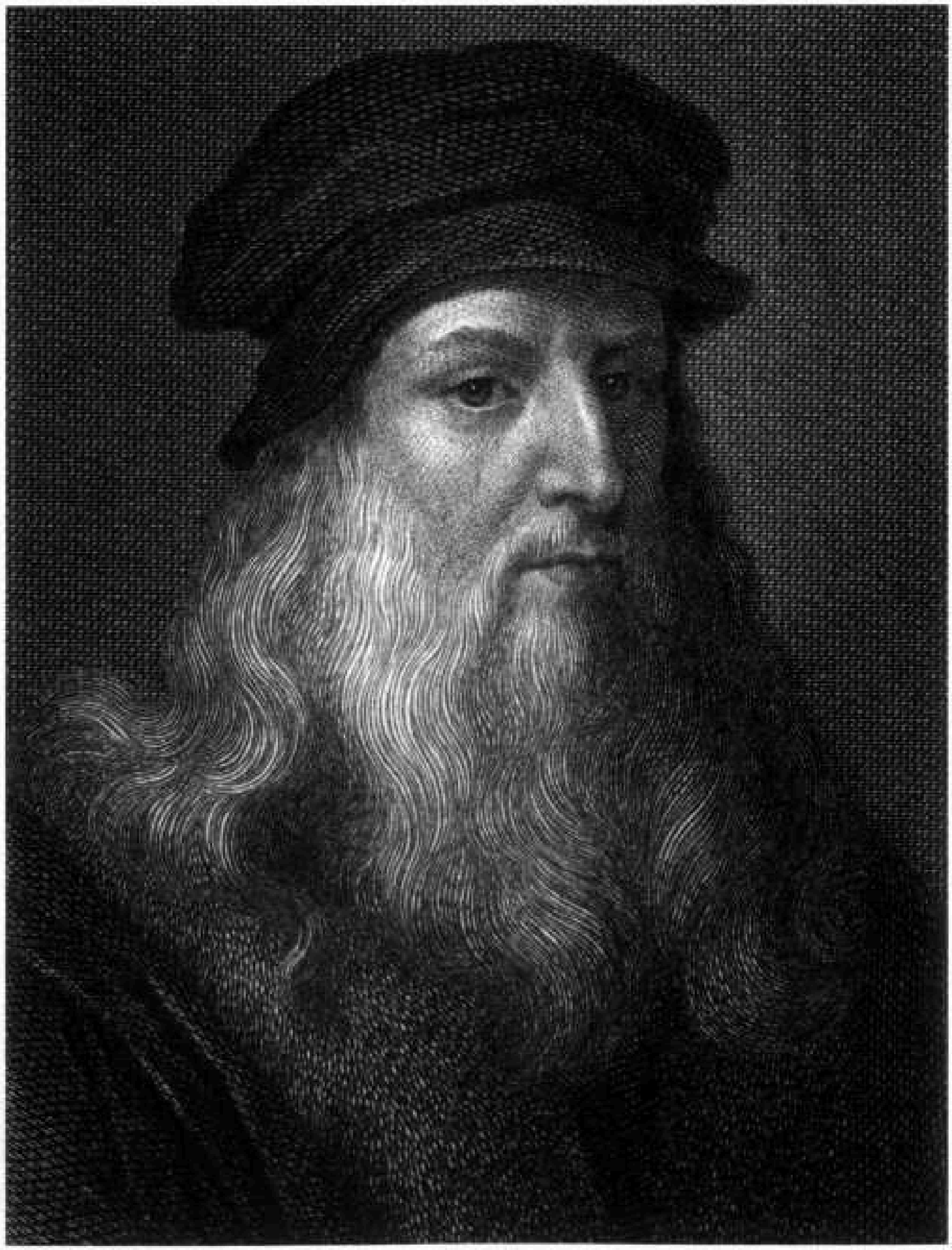
بان، إله الطبيعة الجميل، يداعب ثعبان الحكمة المقدس. في مظهره الناضج من القرون والحوافر، أصبح نموذجًا للمسيحيين للشيطان.



وجه الرجل على الكفن، ينظر إليه في صورة فوتوغرافية سلبية مفصلة بشكل غير عادي. هل تتصرف الصورة مثل صورة فوتوغرافية لأن هذا هو ما هي عليه؟



صورة الرجل على الكفن. ولكن هل هذا حقًا يسوع المسيح، أم وجه الفنان اللوسيفري العظيم ليوناردو دا فينشي كما هو موضح أدناه؟





رسم دافنشي الأولي للعذراء والطفل مع القديسة آن. هل الطفل يسوع يبارك يوحنا، أم أنه يثبّت رأسه لتلقي ضربة؟ قام ليوناردو اللوسيفري بتشريب العديد من أعماله برسائل هرطقة عميقة حول تفوق المعمدان. لاحظ الرأس المقطوع المخفي في المنظر الطبيعي في الزاوية اليمنى العليا.



يُظهر تصوير د. ج. روسيتي لمريم المجدلية جمالاً سلبياً بشعر أحمر. كانت معروفة لدى أتباعها في فرنسا باسم "ماري لوسيفر" - حاملة الضوء - كان شعرها الأحمر يدل على الطاقة الجنسية، وربما كان السبب الرئيسي وراء الاعتقاد بأن النساء ذوات الشعر الأحمر ساحرات.



تستحضر لوحة "سبت الساحرات" الشهيرة للفنان غويا بشكل رائع الرعب الشرير الذي ينشأ عن عبادة جماعة من السحرة للشيطان الذي يشبه الماعز. ولسوء الحظ، جاءت معظم الروايات الأكثر بشاعة عن السبت من خيال "السحرة" تحت التعذيب.



لا أحد يعرف بالضبط عدد ما يسمى "السحرة" الذين تعرضوا للتعذيب والحرق في أوروبا على مدى 300 عام على الأقل. تختلف التقديرات بشكل كبير بين 5 ملايين ومائة ألف! لكن معظم المتهمين كانوا أبرياء تمامًا من الاتجار مع الشيطان.



يسعى مساعد الدكتور دي المنشق إدوارد كيلي وشريكه إلى تعلم المستقبل من جثة تم إحياؤها بطريقة سحرية. يمكن أن تؤدي جرأة لوسيفيران في كثير من الأحيان إلى أنشطة خطيرة أو بغيضة - الثمن الذي ندفعه مقابل تأسرنا بالإمكانيات القصوى.



السير إسحاق نيوتن، الكيميائي والعالم الرائد، تجسيد لعصر التنوير، عندما بدأ نور لوسيفر أخيرًا في إزالة ظلام الخرافات.

في بيريدور، تشكل هذه الأجزاء أجزاء متماسكة من الحبكة الشاملة. في تلك المناسبة الأولى في قاعة عمه، فشل بيريدور في سؤاله عن هوية الرأس المقطوع وما يدور حوله الموكب، وبالتالي يفتقد (مؤقتًا) طريقه المقصود. بعد أن خاض العديد من المغامرات غير ذات الصلة (التي تشكل أساس المخاطر التي واجهها في مهام الكأس المقدس)، زارته في بلاط آرثر امرأة سوداء البشرة بشعة - وهي الأصل لـ "الآنسة البغيضة" في قصص الكأس المقدس - ووبخته:

بيريدور، أنا لا أحييك، لأنك لا تستحق ذلك. لقد كان القدر أعمى عندما أنعم عليك بالفضل والشهرة. "وعندما أتيت إلى بلاط الملك الأعرج، ورأيت هناك الفارس يحمل الرمح الحاد، ومن طرف الرمح قطرة دم، والتي كانت تجري كما لو كانت سيلاً حتى وصلت إلى قبضة الفارس - وأشياء أخرى عجيبة إلى جانب ذلك رأيتها هناك، ولكنك لم تسأل عن معناها ولا سببها. ولو سألت ذلك لكان الملك في صحة جيدة وكانت مملكته في سلام. ولكن من الآن فصاعدًا، الصراع والمعركة، وخسارة الفرسان، والنساء الأرامل، والفتيات بلا عون، وكل ذلك بسببك3

في بيريدور، "المعنى والسبب" الذي فشل البطل في إثباته له أهمية كبيرة.

أهمية هذا النص أكثر مباشرة من تلك الموجودة في روايات الكأس المقدس: الرجل الميت الذي يحمل رأسه على الصينية هو ابن عم بيريدور، الذي قتلته ساحرات كاير لوي، اللاتي ألقين تعويذة أيضًا على المملكة. مهمة بيريدور هي الانتقام له. ولقد تنبأ البعض أنه سيفعل ذلك، ولكن لأنه فشل في اكتشاف أن الرجل قريب له، فقد أصبح تحقيق النبوءة موضع شك. عندما يكتشف ذلك ويقتل الساحرات، يتم رفع سحرهن. من وجهة نظر القصة نفسها، كل هذا يبدو منطقيًا تمامًا.

ومع ذلك، في قصص الكأس المقدس، أصبحت هذه العناصر منفصلة عن الحبكة واتخذت طابعًا متعاليًا. ويصبح "السؤال غير المطروح" بحثًا صوفيًا في حد ذاته، ومجرد التحدث عنه يرفع السحر. (في "بيرسيفال" السؤال هو: "من يخدم الكأس المقدس؟" - لأن هذه الحكاية غير مكتملة، لم نكتشف أبدًا ما هي الإجابة - وفي "بارسيفال" السؤال هو: "عمي العزيز، ما الذي يزعجك؟")

إن الشيء الموجود في بيريدور والذي استند إليه كريتيان دي تروا في كتابه "الحفريات" هو الرأس المقطوع الموضوع على صينية. ويتم دعم ذلك من خلال الاستنتاج بأن طبقه كان عبارة عن نوع من أطباق التقديم المسطح. ومع ذلك، اختار كريتيان حذف الجزء الأكثر أهمية من "الكأس النموذجية" - الرأس - وتسليط الضوء على الجزء العادي، الطبق. ومن الواضح أن كريتيان اختار عمداً تغيير أو إخفاء هذا الجانب من الكأس المقدس، ولكن لماذا؟

كان شكل الرأس المقطوع شائعًا جدًا في الأساطير والفولكلور الكلتي، لذا فإن العثور عليه في بيريدور ليس أمرًا ذا أهمية كبيرة. ومع ذلك، في السياق المسيحي، فإن الرأس المقطوع على الطبق يرتبط بشكل واضح بيوحنا المعمدان، ويبدو أن هذا الارتباط هو الذي جذب انتباه كريتيان. ولكن من الغريب أن يحجب نفس الجانب من الحكاية الذي يبدو أنه جذبه في المقام الأول والذي من شأنه أن يجعل الطبق مفهوما.

وإذا كان كريتيان قد سعى عمداً إلى إخفاء الرأس المقطوع، فإن الصلة بالمعمدان ووجود بدعة يوحنا التاريخية قد تقدم تفسيراً لهذا. (إذا كان كريتيان يوحنايًا، وصمم بيرسيفال على غرار بيريدور خصيصًا لإنتاج عمل يوحنا، فإن السؤال يظل حول أين تعلم عن طائفة يوحنا الهرطوقية. نشأ كريتيان، كما يوحي اسمه، في مدينة تروا في شمال فرنسا، والتي لم تكن مركزًا للتعلم فحسب، بل كانت أيضًا محكمة كونت شامبانيا، الذي "رعى" تأسيس فرسان الهيكل. كانت مدينة تروا هي موقع أول مدرسة لفرسان الهيكل في أوروبا.)

لقد أصبحت المنظمة العسكرية لفرسان المسيح الفقراء، أو فرسان الهيكل، غنية وقوية ومتغطرسة بشكل هائل، وخاصة في فرنسا، ونتيجة لذلك تم قمعها بلا رحمة في أوائل القرن الرابع عشر، وسط اتهامات واعترافات - تم انتزاعها منهم على ما يبدو من خلال تطبيق التعذيب البشع - بالتجديف. قيل إنهم كانوا يعبدون، من بين أصنام أخرى، رأسًا مقطوعًا ملتحًا يسمى بافومت، وأنهم يبصقون ويدوسون على الصليب. وفي كتاب كشف فرسان الهيكل، قمنا بالتحقيق في هذه الادعاءات وذهلنا عندما اكتشفنا أنه قد يكون هناك بالفعل أساس في الواقع. بالنسبة لفرسان الهيكل، على ما يبدو، واجهوا "كنيسة يوحنا في الشرق" - أتباع المعمدان، أو المندائيين، الذين ناقشناهم بالفعل. وفقًا لأمثال سمرز، "أصابوا" الفرسان المسيحيين بدعوتهم، على الرغم من أنه يبدو أن الدائرة الداخلية فقط كانت ملوثة للغاية. كان القادة والاعضاء - الغالبية العظمى من فرسان الهيكل - ببساطة رهبان محاربين مسيحيين لديهم فكرة قليلة أو معدومة عما يعتقده التسلسل الهرمي العلوي أو يمارسه. في سياق "التلوث" المندائي، فإن الشائعات حول البصق والدوس على الصليب، ناهيك عن تبجيل رأس مقطوع ملتح، تصبح فجأة منطقية تمامًا، سواء كانت من خلال اعترافات التعذيب أم لا.

وعندما ننظر إلى الأمر من منظور يوحنا، فإن اختيار كريتيان لبيريدور كنموذج له يصبح أكثر أهمية. إن "سر" الكأس المقدسة يكمن في هوية الرجل المقطوع الرأس، وموته هو الذي جلب الخراب والعقم للمملكة، والتي سوف يتغير مسارها عند التعرف على هويته الحقيقية والانتقام لموته. (ربما يكون هناك أهمية أيضًا في حقيقة أن الرجل الميت هو ابن خالة بطل الرواية الرئيسي: قيل أن يوحنا ويسوع كانا أبناء خالة.)

لم يكن من الواضح لجمهور كريتيان أي شيء من هذه السلسلة من التفكير ما لم يعرفوا مصدره، وبالتالي فهي تصبح طريقة أنيقة لنقل رسالة يوحنا في شكل "مشفر". ولعل هذا هو السبب في فشل كريتيان في إنهاء القصة، أو ربما لأنه أزال الرأس المهم للغاية، فقد ظل عالقاً في النهاية. في بيريدور، يتمحور الأمر حول معرفة من هو صاحب الرأس.

لقد ضاعت كل هذه البدعة اليوحناوية في "الفرع" المسيحي: أصبح الكأس المقدس رمزًا مسيحيًا صريحًا، وأصبح البحث عملية روحية مسيحية. لقد أصبح هذا الفرع هو النسخة الأكثر شهرة. ومع ذلك، ظل ولفرام وفياً إلى حد كبير للخط اليوحاني.

ومع ذلك، وعلى الرغم من وجود إشارات محددة إلى يسوع باعتباره المسيح، وإلى التعاليم والعقائد المسيحية التقليدية، فإن قصة ولفرام، وفقاً لمعايير العصر والثقافة، قليلة بشكل ملحوظ - ربما الحد الأدنى فقط لتجنب إثارة الشكوك. وقد لاحظ العديد من العلماء أن ولفرام قلل عمدًا من دور الكنيسة ورجال الدين، إلى درجة إزالة بعض الشخصيات والمواقف التي تظهر في بيرسيفال. تقليديا، يتم تفسير ذلك من خلال فكرة أن غرض ولفرام كان كتابة حكاية أخلاقية تستهدف على وجه التحديد الطبقة الفرسان (التي ينتمي إليها هو نفسه)، وتشجيعهم على روحانية أعظم. لذلك حاول إظهار كيف يمكنهم تغيير طرقهم دون اللجوء بالضرورة إلى رجال الدين. ولكن في حين أن هذا قد يكون صحيحا أو غير صحيح، فإن النقطة المهمة هي أن تهميش ولفرام للكنيسة كان واضحا للغاية لدرجة أن العلماء يشعرون بالحاجة إلى تفسيره (على الرغم من أنه، بطبيعة الحال، ليس لديهم سبب للاشتباه في أن ولفرام كان يحاول توصيل رسالة هرطقية).

ومن ناحية أخرى، هناك العديد من الإشارات التي تبدو مسيحية، ولكنها أكثر منطقية في المصطلحات اليوحناوية: الاستخدام المتكرر لمصطلح

"الرجال المعمدين" لوصف حراس الكأس (على الرغم من أنهم يطلق عليهم أحيانًا اسم "المسيحيين"، كما في الاقتباس أعلاه بشأن فليجيتانيس)؛ والنداء المراوغ إلى حد ما إلى "ذلك الذي لا يزال الرسامون يصورونه على أنه الحمل، والصليب بين حوافره"، وما إلى ذلك.

جادل توبياس تشورتون لتأثير الصابئة "العرب" على عمل ولفرام 32

- حتى أن اسم أحد علماء الصابئة الكبار، ثابت بن قرة، يظهر فجأة في بارسيفال. لا بد أن هذا التأثير جاء من خلال إسبانيا المغاربية، لذا فإن استحضار ولفرام لفليجيتانيس وطليطلة أمر منطقي. إذا تم قبول مساواة الصابئة في تلك الفترة مع المندائيين (وهو الرابط الذي يرفضه تشيرتون)، فإن مصدر العناصر اليوحناوية يصبح واضحًا.

ولكن إذا كان ولفرام على علم باليوحناية الخفية في قصة الكأس المقدس، فلماذا قام بتحويل الكأس المقدس نفسه من طبق إلى حجر (على الرغم من أنه، كما أشرنا أعلاه، احتفظ بالارتباط بتوفير الطعام)؟ هل هذا أيضًا مفتوح للتفسير اليوحناية؟

جعل ولفرام تريفريزنت يشرح أصول الكأس إلى بارسيفال:

"عندما بدأ لوسيفر والثالوث في الحرب مع بعضهما البعض، كان على أولئك الذين لم ينحازوا إلى جانب، ملائكة نبيلة، أن ينزلوا إلى الأرض إلى ذلك الحجر غير القابل للفساد إلى الأبد. لا أعلم هل غفر الله لهم أم لعنهم في النهاية: لو كان ذلك من حقه لأخذهم. ومنذ ذلك الوقت أصبح الحجر في رعاية أولئك الذين عينهم الله عليه وأرسل إليهم ملائكته.33

ولكن بعد ذلك، في نهاية القصة يعترف تريفريزنت:

لقد كذبت كوسيلة لتشتيت انتباهك عن الكأس وكيف كانت الأمور بشأنه. دعني أكفر عن خطأي [...]. لقد سمعت مني أن الملائكة المنفيين كانوا في الكأس بدعم كامل من الله حتى يتم قبولهم مرة أخرى في نعمته. لكن الله ثابت في مثل هذه الأمور: لم يتوقف أبدًا عن الحرب ضد أولئك الذين سميتهم هنا كمغفور لهم. من أراد الأجر من الله فعليه عداوة هؤلاء الملائكة. لأنهم ملعونون إلى الأبد واختاروا هلاكهم.

لذلك انتقلت من "غفر الله لهم" إلى "لا أعرف ماذا حدث لهم" إلى "لعنهم الله". وقد اقترح أن هذا الانعكاس كان نتيجة لوم ولفرام من قبل كهنوته المحلي للتعليقات السابقة. (يُعتقد أن بارسيفال قد تم تأليفه على أجزاء، والتي تم تداولها عند اكتمالها، لذلك كان لا بد من إصدار تصحيح لأي "خطأ عقائدي" تم اكتشافه في جزء مبكر.)

مهما كان السبب، فإن هذا التحول يجعل الكأس المقدس كائنًا ينتمي إلى ملائكة محكوم عليهم بالإعدام وملعونين، والذين "يجب أن يكون لديهم عداوة" مع الناس المتدينين - ربما ليسوا سيئين مثل لوسيفر وجحافله، ولكن قريبًا من ذلك.

لذا، على الرغم من أن ولفرام فشل في ربط الكأس المقدسة بلوسيفر بشكل مباشر، يمكن القول أنه فعل ذلك بشكل غير مباشر، من خلال الارتباط بالملائكة الساقطين (الذين، إذا كان الله قد لعنهم، فلا بد أنهم انتهى بهم الأمر في الجحيم وبالتالي يكونون خاضعين للوسيفر في وضعه الشيطاني على أي حال).

لا شك أن يوحنا المعمدان كان مرتبطًا بنجم الصباح في الرمزية في العصور الوسطى، على الرغم من أن التفكير وراء هذا واضح ومتعارف عليه - فنجم الصباح يبشر بقدوم الشمس كما بشر المعمدان بقدوم المسيح. في القرن الثالث عشر كتب جاكوب دي فوراجين في أسطورته الذهبية (بترجمة جرينجر رايان وهيلموت ريبرجر) عن يوحنا المعمدان:

لأن الآب يدعوه ملاكاً ويقول عنه: ها أنا أرسل ملاكي فيهيئ الطريق أمام وجهي. ولكن الملاك هو اسم وظيفة وليس طبيعة، ولذلك يُدعى ملاكًا بسبب وظيفته، لأنه مارس وظيفة جميع الملائكة. أولاً، السيرافيم. السيرافيم عادة ما يتم تفسيرها على أنها نارية لأن السيرافيم يشعلوننا بالنار، ويحترقون أكثر بحرارة بمحبة الله؛ وفي سفر سيراخ يقول عن يوحنا: "قام إيليا النبي كالنار، واشتعلت كلمته كمصباح"؛ لأنه جاء بروح وقوة إيليا. ثانيا، الْكَرُوبِيمِ. الْكَرُوبِيمِ تفسر على أنها ملء المعرفة، ويوحنا يسمى نجم الصبح لأنه أنهى ليل الجهل وجعل بداية نور النعمة. [ويستمر في مقارنة يوحنا بمجموعات مختلفة من الملائكة ...]34

هناك إذن ارتباط ضعيف بين الأفكار التي تربط بين يوحنا ولوسيفر، من خلال نجم الصباح، ولكن هذا الارتباط لا يصل إلى حد المساواة الفعلية بين الاثنين، كما فعل البعض في العصور الوسطى. ومع ذلك، في كتابه عن فرسان الهيكل، يقتبس ميشيل لامي الجملة الأخيرة لجاكوب دي فوراجين على النحو التالي: "يُدعى يوحنا لوسيفر أو نجم الصباح"....'

وفي هذا السياق، فإن رواية لامي تبدو منطقية. يقارن جاكوب يوحنا بالملائكة، وبدون الإشارة إلى الملاك

فإن الصلة بين الكروبيم ونجم الصباح غير منطقية. وهناك ارتباط آخر، وإن كان مثيرا للاهتمام، بين الأفكار المذكورة آنفا: إن نجوم الصباح والمساء هما، بطبيعة الحال، نفس الشيء - وبشكل أكثر دقة، كوكب الزهرة. لقد ارتبط نجم الصباح بالوسيفر ونجم المساء بكوكب الزهرة، والذي ربطه الهراطقة بمريم المجدلية.35 لذا إذا قبلنا ترجمة لامي الغريبة لكون يوحنا هو لوسيفر، فربما لا تكون قصة الحجر الذي سقط من رأس لوسيفر بعيدة عن الصواب.

على أية حال، وفقًا لمحاكم التفتيش، كان الكاثاريون يمتلكون رأس يوحنا المعمدان ... من بين كل أنواع الكأس المقدس الممكنة، هذا هو النوع الذي كانت الكنيسة ترغب حقًا في انتزاعه من الهراطقة.

كانت وجهة نظر الكاثاريين عن يوحنا مشوشة إلى حد ما: فقد أخذوا الفكرة من أسلافهم البوغوميليين بأن المعمدان كان "شيطانًا"، أي "سابقًا للمسيح الدجال".36 وفي الكتاب المقدس للكاثاريين، كتاب يوحنا (Liber Secretum أو الكتاب السري)، يعلن يسوع أن يوحنا المعمدان هو مبعوث الشيطان، سيد العالم المادي، أرسل إلى الأرض لتخريب مهمته. ولكن من المؤكد أن هذا مجرد نسخة مبالغ فيها لما هو موجود بالفعل في العهد الجديد القياسي: كما رأينا، يبدو أن يسوع أهان المعمدان بشدة مرتين على الأقل. من الواضح أن الكاثاريين أدركوا أن الرجلين كانا أعداء لدودين، لكنهم افترضوا - كما يفترض أغلب المسيحيين بالفعل - أن يسوع يجب أن يكون بشكل لا لبس فيه وإلى الأبد على جانب الحق.

مهما كانت معتقداتهم بشأن المعمدان، فمن المحتمل أنهم ورثوا رأسه من مجموعة غنوصية أخرى، واحتفظوا به للحفاظ على عبوديته السحرية. وربما كان هذا أيضًا جزءًا من "كنز الكاثار" الأسطوري الذي يُزعم أن أربعة من أفراد المثاليين حملوه معهم في الليلة التي سبقت تسليم الآخرين أنفسهم للصليبيين. إذا كان الأمر كذلك، فقد قاموا أيضًا بإزالة "الكأس" الأكثر قدسية لدى يوحنا: وربما هذا هو السبب في أن العديد من فرسان الهيكل كانوا ودودين للغاية تجاههم، على الرغم من حث البابويين على العكس.

ومع استشهاد الكاثاريين في مونسيجور، أصبح المشهد مهيئا لتحول في الفكر البابوي: إذ أصبحت البدعة مرتبطة ارتباطا وثيقا بعبادة الشيطان، وبفظائع السحر. لم تكن هناك حاجة إلى أن تقف محاكم التفتيش المشكلة حديثًا مكتوفة الأيدي الآن بعد أن أصبح المجال مفتوحًا على مصراعيه لحملة صليبية أعظم.

يبدأ الرعب

يعلق كولن ويلسون في كتابه "الخفي" (1973): "كانت المسيحية وباءً وليس دينًا". لقد أثارت الخوف والهستيريا والجهل. ومع ذلك، فإن هذا التعريف يعتمد إلى حد كبير على المظهر الخاص للمسيحية المعنية. لقد كان الهدوء والنزاهة والقدرة الفكرية للوعاظ الكاثاريين المتجولين متعارضين بشكل ملحوظ مع نمط الحياة المنحط لرجال الدين الكاثوليك الأعلى، والجهل المذهل الذي كان يتسم به كهنة الرعية، المجهزين لفعل القليل أكثر من قول القداس ورئاسة المكاتب المعتادة مثل دفن الموتى. ولكن بعد ذلك جاء دومينيك دي جوزمان، رجل الدين الإسباني المتعصب الذي كان يهدف إلى استخدام أساليب الكاثار ضدهم - وفي قيامه بذلك، أطلق العنان لنهاية العالم الافتراضية على ما لا يقل عن 100 ألف من الفقراء البائسين، وتسبب في المعاناة والصعوبات لملايين عديدة من الناس العاديين لأجيال. تحت راية رهبنته الجديدة، الدومينيكان، أنشأ المكتب المقدس، المعروف أيضًا باسم محاكم التفتيش، وهي الكلمة التي ينبغي لها - ولكنها نادرًا ما تفعل ذلك هذه الأيام - أن تثير نفس الرعب الشديد في أذهان كل الناس المحترمين كما يفعل المصطلح الرهيب "الجيستابو". إنهم ليسوا مختلفين، باستثناء أن الأخير كان مظهرًا قصيرًا جدًا من مظاهر الشر مقارنة بالحكم الطويل لمحاكم التفتيش - في الواقع، لا يزال يعمل اليوم، ولكن تحت الاسم الأقل إثارة للعاطفة وهو مجمع عقيدة الإيمان.

يكشف هذا الخطاب الذي ألقاه دومينيك لشعب بلاد الكاثار، والذي يعود تاريخه إلى القرن الثالث عشر، عن لمحة عن الأهوال القادمة:

لقد غنيت لك كلمات حلوة لسنوات عديدة الآن، وعظت، وتوسلت، وبكيت. ولكن كما يقول أهل بلدي، حيث لا تنفع البركة، فإن العصا ستنتصر. "والآن سوف نستدعي ضدكم القادة والأساقفة الذين، للأسف، سوف يجتمعون ضد هذا البلد... وسوف يتسببون في موت العديد من الناس بالسيف، وسوف يدمرون أبراجكم، ويقلبون ويدمرون أسواركم، ويستعبدونكم جميعًا... وسوف تسود قوة العصا حيث لم تتمكن الحلاوة والبركة من إنجاز أي شيء 39"

وعلى الرغم من قسوة هذا التحذير، فإن "الموت بالسيف" لا شك أنه سيصبح بمثابة ترف مطلق مقارنة بأساليب الموت الوحشية التي ارتكبها أتباعه ضد الآلاف.

كان دومينيك متورطًا بشكل عميق مع سيمون دي مونتفورت، وأخيرًا استقر في تولوز (حيث أثبتت كاركاسون أنها معادية للغاية)، حيث أسس رهبنة الرهبان الواعظين، أو النظام الدومينيكي، في ديسمبر 1216. وبعد ثلاث سنوات بدأ هو ورهبانه في التحرك مرة أخرى: إذ أثبتت تولوز أن الطقس حار للغاية بحيث لا يمكنهم تحمله. وعلى الرغم من أن لانغدوك كانت مهمة سيئة للغاية، فقد انتشر الدومينيكانيون في أماكن مختلفة، بما في ذلك باريس، وبالطبع إسبانيا. وبحلول وقت وفاة دومينيك في عام 1221، كانت حركته في أوجها، إذ بلغ عدد أفرادها مائة بيت ــ وكان نجاحها مضموناً عندما بدأ البابا المؤيد للدومينيكيين، جريجوري التاسع، حكمه في عام 1233.

وبعد مرور عام واحد تم تعيين اثنين من المحققين رسميًا في تولوز، مركز بلاد الكاثار ــ التي كانت في السابق معادية للغاية للدومينيكيين لدرجة أنهم لم يتمكنوا من جعلها قاعدة لهم. والآن عادوا، وأصبحوا مسؤولين، بصلاحيات جديدة ورهيبة من البابا نفسه. ولكن لم يحظ المحققون بأي نجاح كامل، كما اكتشف غيوم بيلهيسون بعد أن أحرق العديد من الهراطقة الأحياء، بالإضافة إلى "استخراج بعض الموتى وحرقهم"

40. تمرد الناس وانقضوا على المحقق وضربوه بشدة. وقد أبدى غيوم غضبه الشديد، وعلق بذهول: "لقد ضربوا وجرحوا وقتلوا أولئك الذين طاردوهم... وحدثت أشياء شريرة كثيرة في الأرض ضد الكنيسة والأشخاص المؤمنين".41

قصة غير بناءة توضح التعصب وإزالة الإنسانية من قبل سادة الأجساد الجدد، إن لم يكن النفوس. في عام 1234 تم إعلان دومينيك قديسًا - كما ذكر مايكل بايجنت وريتشارد لي في كتابهما "محاكم التفتيش" عام 1999: "لا يمكن لقلة من القديسين أن تكون أيديهم ملطخة بهذا القدر من الدماء"42 - وبينما كان الدومينيكان في تولوز يستعدون للاحتفال بهذا الحدث، وصلت أنباء عن بدعة امرأة تحتضر. وبينما كانت مستلقية على فراش موتها، يبدو أنها تلقت نسخة الكاثار من الطقوس الأخيرة، التعزية الروحية. هرع المحققون، ومن بينهم أسقف تولوز، إلى سريرها، حيث وجدوها غارقة في الكاثارية ومتشددة في هرطقتها. "فقام الأسقف على الفور... بحكم يسوع المسيح بإدانتها باعتبارها زنديقة. علاوة على ذلك، حملها القس على السرير الذي كانت مستلقية فيه إلى مرج الكونت وأحرقها على الفور.43 وكما ذكر بايجنت ولي بجفاف، 'وهكذا توج الدومينيكان في تولوز احتفالهم بعيد القديس دومينيك الجديد بتضحية بشرية.'44

وبعد فترة وجيزة، طُرد الدومينيكان من تولوز على يد شعب غاضب، لكن انتقامهم من تلك المدينة، ومن الريف المجاور، كان فظيعًا لدرجة أن تداعياته لا تزال تتردد حتى يومنا هذا في أرض فقيرة لا تزال تشك في كنيسة روما. أولاً، لإثبات أن قوتهم تتجاوز حتى ملاذ القبر الآمن، قامت محاكم التفتيش بسحب العظام والأجساد المتعفنة لبعض الزنادقة البارزين من قبورهم وحرقها "لتكريم الله والسيدة العذراء مريم، والدته، والقديس دومينيك، خادمه [الذي] ... أنجز بكل سرور هذا العمل للرب".45

كان أحد أكثر محققي التفتيش الأوائل حماسة (وبالتالي أكثرهم وحشية) هو الراهب الدومينيكي روبرت "لو بوجري" ("البلغار")، المعروف أيضًا باسم "مطرقة الهراطقة". أرسل آلافاً عديدة إلى المحرقة في كل من فلاندرز وفرنسا، وفي عام 1239 أرسل 183 من إخوانه السابقين في الدين إلى النيران في مون إيم بشكل جماعي "كفارة نارية لله". (ولكن ربما حتى الرب في أشد حالاته مرارة يتوقف عن المطالبة بمثل هذه العروض. ولا يوجد سجل يشير إلى أن الشيطان فعل ذلك أيضًا.) إن هذا الرعب الخاص جدير بالملاحظة لحقيقة أن الأسقف المحلي عرض عليهم عزاء التعزية الروحية قبل وفاتهم 46

ورغم وجود حالات معزولة لإعدام (أو نفي) الزنادقة في الماضي، فقد أثبتت محاكم التفتيش الآن أنها آلة تعزل بكفاءة وفعالية عالية ومكرسة للغاية، وحزام ناقل لدفع مجتمعات بأكملها إلى الجحيم. ومع ذلك، وبسبب التقليد الكنسي القديم المتمثل في عدم التسبب فعليًا في سفك دماء الهراطقة، فقد تم ابتكار طرق أكثر أو أقل إبداعًا لتعذيب المتهمين وإرسالهم إلى السجن من شأنها أن تبقي سفك الدماء إلى الحد الأدنى، مثل لولب الإبهام وأداة السحب. وكما قال بايجنت ولي باختصار: "يبدو أن مثل هذه الأجهزة كانت عبارة عن فوضى مفتعلة".كان الحد الأدنى للحرق هو الإجابة على صلوات المحققين. ومن وجهة نظر الكنيسة فإن الألم له عدة مزايا رئيسية. إنه بلا دم نسبيًا. إنها تمتلك قدرة فريدة على إثارة الرعب: إن مجرد التفكير في وجود ألسنة اللهب بالقرب من لحم الإنسان الضعيف يثير خوفًا بدائيًا فوريًا، والشيء الحقيقي مؤلم بشكل مرضي - خاصة إذا تم إنتاجه عن طريق إشعال الخشب الأخضر ببطء، أو إشعال النار على مسافة كبيرة أسفل الزنادقة. وفي نهاية المطاف، فهو تطهير حقيقي، وتطهير من قذارة البدعة. كفكرة لاحقة، يمكن القول أن النار تطهر روح الكافر، على الرغم من أنهم في الغالب كانوا يعتقدون أن مصيرهم الوحيد المحتمل هو نار الجحيم الأبدية. كان من المفترض أن يتبع المعاناة التي تفوق التصور في الحياة معاناة أسوأ بكثير - بما في ذلك احتمال الخراب الروحي بسبب البعد الأبدي عن محبة المسيح. حتى النازيون أو أتباع بول بوت اكتفوا بالآلام المميتة.

ومع ذلك، تم القضاء على الكاثاريين بسرعة نسبية، كما رأينا، الأمر الذي بلغ ذروته في حريق 210 مثالي تحت قلعة مونسيجور في عام 1244. ورغم أن جيوباً من الكاثارية نجت - وربما تستمر في البقاء على قيد الحياة بطريقة أو بأخرى حتى يومنا هذا - فإن محاكم التفتيش فعلت أسوأ ما في وسعها وانتصرت. ولكن على الرغم من ذلك، فإنها لم تصل إلى المستوى المطلوب. كان لدى رجال دومينيك عدو أقدم وأكثر انتشاراً في مرمى بصرهم، وهو خصم أكثر كراهية وضراوة يتمتع بمكانة بدائية حقيقية - النساء.

ولعل من غير المفاجئ أن يقوم كهنة كنيسة بطرس بحملات لا تعرف الكلل وبصورة متعصبة ضد الإناث ــ ففي نهاية المطاف، اشتكت المجدلية إلى يسوع من أنه "يكرهني ويكره كل جنس النساء" ــ ولكن الشراسة والجنون اللذين كانا متورطين في هذا الأمر لا يزالان يمتلكان القدرة على هز القلب والروح.

كان عذرهم، بطبيعة الحال، هو السحر، ليس فقط الشر والهرطقة، ولكن أيضًا عبادة الشيطان - الفعل المتعمد المتمثل في التحالف مع الشيطان، في كثير من الأحيان، كما يزعم، من خلال التوقيع على ميثاق مع أمير الظلام نفسه.

إن قصة كيفية تعامل المحققين مع المتهمين ليست مخصصة للأشخاص الذين يشعرون بالخجل، ولكن لا بد من مواجهتها إذا كنا نريد أن نفهم بشكل كامل طبيعة الاضطهاد والإمكانات الخطيرة للتعصب والكراهية. ورغم أن حكم النازيين الإرهابي ضد اليهود وفظائع ستالين ضد عشرين مليوناً من شعبه48 كانت حقيرة إلى أقصى حد، فإنها لا تقدم سوى جزء من صورة وحشية الإنسان تجاه أخيه الإنسان. إن انتهاكات الكنيسة في العصور الوسطى توفر الحلقة المفقودة في تاريخ السادية - وحشية الرجل تجاه المرأة.

وهنا يدخل القس ألفونس جوزيف ماري أوغست مونتاجو سامرز إلى القصة الحقيقية - كأنها حكاية تحذيرية عن القدرة اللامحدودة حتى للمتعصب المتعلم والذكي على تصديق أكثر الهراء صحة وخطورة. ولكنه ليس شخصية من شخصيات محاكم التفتيش في العصور الوسطى، رغم أنه لا شك أنه كان يجب أن يكون كذلك: لقد توفي سامرز في عام 1948، وكان خصماً لا يرحم ومتعصباً لأي شيء أو شخص يتسم بالهرطقة أو يتحدى أصغر تفاصيل المعتقد الكاثوليكي. وسوف يتم الاستشهاد به على نطاق واسع، فرغم أن القراء المعاصرين المتوازنين قد يميلون إلى الانغماس في الضحك لمجرد أسلوبه المتغطرس والمرضي لذاته، فإنه في الواقع درس جدي للغاية. لقد امتلك سامرز في القرن العشرين نفس العمليات الفكرية والاستجابات العاطفية التي امتلكها إخوته في الروح، الرهبان والكهنة في محاكم التفتيش في العصور الوسطى، مع عدم وجود أي اختلاف يذكر. ومن المثير للرعب أن الغلاف الخارجي لنسخة الستينيات من كتابه سيئ السمعة "تاريخ السحر" (1925) ينص على ما يلي:

لم يكن يخجل من التجاوزات الكبرى التي ارتكبت في القرنين السابع عشر والثامن عشر، بل على العكس من ذلك، دافع بقوة عن كل ما فعلته الكنيسة على الإطلاق للقضاء على السحر والبدعة.

ومن المثير للاهتمام أن سامرز يلاحظ: "إن كل البدع، والجمعيات السرية للهرطقة، التي انتشرت في أوروبا خلال العصور الوسطى كانت غنوصية..."49 تمامًا مثل مريم المجدلية ويوحنا المعمدان. تمامًا مثل يسوع نفسه، في الواقع.

ليس من قبيل الصدفة أن أول "ساحرات" اتُهِمْنَ بحضور السبت الشيطاني ووقعنَ في فخ محاكم التفتيش كنّ في الواقع من الكاثار وخادماتهم من منطقة تولوز وكاركاسون. في عام 1335 تعرض ثلاثة وستون شخصًا للتعذيب لانتزاع اعترافات منهم: وكان من بينهم آن ماري دي جورجيل، التي أعلنت - على ما يبدو أنها كانت تتحدث نيابة عن الآخرين أيضًا - أنهم يفهمون أن هذا العالم هو ساحة معركة بين إله السماء ورب هذا

العالم، وبما أنهم يعتقدون أن الأخير سوف ينتصر، فقد دعموه. ربما بدا هذا الأمر وكأنه شيطاني بالنسبة لرجال الدين المتهمين، لكنه كان، بطبيعة الحال، مجرد غنوصي - على الرغم من أنه بالنسبة لهم، ولعائلة سامرز في وقت لاحق، لم يكن هناك فرق كبير بين الاثنين. اعترفت شابة أخرى بجريمة وخطيئة خدمة "الكاثاري" في العشاء،

وهي نجسة بطبيعتها

من خلال التنقيب تحت قصة صائدي الساحرات الأصليين وأفكار سامرز، يتم الكشف عن الرعب الكامل لعالم أصبح مجنونًا. لكن الأمر أكثر من ذلك: إنه كابوس حي حيث يفعل المعذبون والقتلة ذلك باسم الخير الأعظم، والمتهمون "الأشرار" هم، في معظمهم، أبرياء تمامًا من كل خطأ عظيم. لقد كان هذا حقًا وقتًا حيث كان الشيطان يسير على الأرض - متخفيًا في هيئة إله الحب.

في حين أن هناك بلا شك كثيرين يعترضون على تصوير محاكمات الساحرات على أنها في المقام الأول غضب مستمر ضد النساء، فليس هناك أدنى شك في أن هستيريا الساحرات "وفرت التركيز للكراهية الجنسية في المجتمع الذي يهيمن عليه الذكور". ولم يفلت من انتباه محاكم التفتيش أن الكاثار المكروهين مارسوا شكلاً فريدًا تقريبًا من أشكال المساواة الروحية بين الجنسين، وأن نفوذهم ساعد في تعزيز ازدهار الفنون العلمانية في جنوب فرنسا، بما في ذلك الأغاني الفنية للشعراء الغنائيين، وطائفة السيدة - وهي بوضوح إحياء لعبادة الإلهة القديمة. (كان إصرار التروبادور على حب النساء بشكل فردي أمرًا جديدًا تمامًا بالنسبة لمعظم الناس - لم يكن هناك شيء مشابه في العالم الكلاسيكي ولو قريب.) في كل مكان نظروا إليه في لانغدوك وبروفانس، لا بد أن رجال الكنيسة قد أصيبوا بالذعر من أصداء عبارة "رسول الرسل" الغير مقبولة.

- مريم المجدلية، التي كانوا حريصين على تشويه ذكراها، وكانوا عازمين على تدمير طائفتها.

لا ينبغي أن ننسى أن النساء، سواء اتُّهمن بممارسة السحر أم لا، كان يُعتقد على نطاق واسع - وخاصة من قبل سلطة الكنيسة - أنهن نجسات بطبيعتهن. وفي هذا، قبلوا التقليد الحاخامي الذي زعم أن حواء لم تحيض إلا بعد أن زنت مع الثعبان - وكان يُنظر إلى ابنها البكر، قابيل، على نطاق واسع على أنه ابن الثعبان، وليس آدم. اليوم يرفض اليهود الأرثوذكس مصافحة المرأة إذا كانت في فترة الحيض، في حين لا تزال المجتمعات الريفية في جميع أنحاء أوروبا تعتقد أن المرأة في فترة الحيض ستحول الحليب أو النبيذ إلى حامض وستصبح السكاكين غير حادة. قال القديس جيروم بصوت عالٍ: "لا يوجد شيء أكثر نجاسة من المرأة في فترة حيضها، فهي تجعل كل ما تلمسه نجسًا". في القرن السابع، منع الأسقف ثيودور من كانتربري النساء في فترة الحيض من تناول القربان المقدس أو حتى دخول الكنيسة - كما فعلت المجمع الفرنسي في مو. حتى في القرن العشرين استشهد أحد الكتب الطبية الاسكتلندية بالقافية القديمة: "أوه! "المرأة الحائض، أنت شيطان/ ويجب حماية الطبيعة بأكملها من هذا الشيطان."كما تشير باربرا ووكر، فقد أُمرت النساء المتدينات بشكل خاص بكراهية أجسادهن، مستشهدين بقاعدة النساء العاهرات: "ألست مصنوعة من طين فاسد؟" "ألا تكوني دائمًا ممتلئَة بالنجاسة؟"

لقد تم تعزيز الارتباط بين دناءة "السحر" والحيض فيما يتعلق بعائلة مونتاجو سامرز في هذا العالم

من خلال الطقوس المتطرفة التي تمارسها الجماعات الغنوصية مثل الأوفيتيين والكاربوقراطيين (الذين ناقشناهم سابقًا). عند قراءة المقطع التالي الذي كتبه إبيفانيوس، من المفيد أن نتذكر أن الكاربوقراطيين زعموا أنهم تلقوا أسرارًا جنسية (مشابهة لتلك التي لدى الأوفيتيين) من سالومي ومرثا ومريم المجدلية - وأن القديس إكليمندس اعترف بأنه يعرف أن هذا صحيح.

... يختلط الأشقياء مع بعضهم البعض ... بعد أن اختلطوا معًا في فجور عاطفي ... تأخذ المرأة والرجل مني الرجل في أيديهما، ويقفان ... ويقدمان إلى الآب، الكائن الأصيل لكل الطبيعة، ما هو على أيديهما، مع الكلمات، "نقدم لك هذا القربان، وهو جسد المسيح نفسه".

... فيتناولونه، ويزيلون عنهم عارهم، ويقولون: "هذا هو جسد المسيح، الذبيحة الفصحية التي من خلالها تتألم أجسادنا وتضطر إلى الاعتراف بآلام المسيح". وإذا كانت المرأة في حيض فعلوا مثل ذلك في حيضها. وأما الدم النجس الذي يجمعونه فيأخذونه بنفس الطريقة ويأكلونه معاً. وهذا، كما يقولون، هو دم المسيح. "فعندما قرأوا في سفر الرؤيا: ""رأيت شجرة الحياة وثمرها اثني عشر نوعًا، وتعطي ثمرها كل شهر""،54 فسروا هذا على أنه إشارة إلى حدوث الدورة الشهرية لدى الإناث شهريًا.55

من الواضح أن صلاة العشاء كانت ذات يوم أكثر تنوعًا مما هي عليه اليوم. ومع ذلك، وكما سنرى، فقد أحيا أتباع القداس الأسود سر السائل المنوي ودم الحيض، على الرغم من أنهم ربما لم يدركوا في الواقع أنهم كانوا يعيدون ترسيخ طقوس مسيحية أصلية (إذا كان الكاربوقراطيون، وسمعان الساحر وإكليمندس الإسكندري على حق). ربما أرادوا فقط إحداث صدمة. على أية حال، هذا النوع من الطقوس موجود أيضًا في التانترا، حيث كان يُعتقد أن استهلاك المواد الحية للجنس والتكاثر هو من نوع أعلى من الروحانية من أكل الإله الميت، حتى عندما يتم تحويله إلى الخبز والنبيذ أو تمثيلهما بهما - "على الرغم من أن رمزية اللون كانت هي نفسها" 56 (ومن المثير للاهتمام أن الكاثوليك والبروتستانت في وقت لاحق نددا بالساحرات باعتبارهن آكلي لحوم البشر).

بالنسبة للتانترا، كانت الكاهنات الرسميات، اللاتي كان من المتوقع أن يعانين من الدورة الشهرية للاستفادة من التدفق الإضافي للقوة القمرية، يرمز إليهن باللون الأحمر. هل هذا هو السبب وراء تصوير مريم المجدلية تقليديا بأنها تتمتع بشعر أحمر كثيف، على الرغم من حقيقة أن شعرها كان داكنا للغاية لكونها مصرية أو إثيوبية - أو حتى، كما يفترض على نطاق واسع، يهودية؟ ولا يجب أن ننسى أنه في العصور الوسطى كان يُعتقد أن النساء ذوات الشعر الأحمر الرمزي هن ساحرات، وكان يتم حرقهن في كثير من الأحيان على هذا الأساس.

كان من المعتقد منذ فترة طويلة أن الشياطين تولد من دم الحيض - بما في ذلك البَاسِلِيق الأسطوري ذو المظهر المميت. ولكن لم تكن كل الثقافات تحتقر تدفق الدم الشهري: "إن كلمة "تابو" ذاتها، من كلمة "توبوا" البولينيزية، والتي تعني "مقدس، سحري"، كانت تُطبق على وجه التحديد على دم الحيض".57 وحتى بعض الفلاحين الأوروبيين كانوا يعتقدون أن للعسل قوى علاجية - وكانوا يعتقدون أن الخرق الملطخة المنتشرة في الحقول تنعم عليهم بمزيد من الخصوبة. لكن بوجه عام كانت النظرة الغربية - ولا تزال إلى حد كبير - نظرة اشمئزاز.

في أواخر القرن العشرين، جادلت كل من الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأنجليكانية ضد تعيين المرأة على أساس أن المرأة الحائض سوف "تدنس" المذبح. ويشير ووكر بسخرية إلى أن "هذا لا يمنع تعيين النساء بعد انقطاع الطمث، ولكن هناك أعذار مختلفة لذلك". وتضيف: "كان "دم الحياة" المقدس أنثويًا وحقيقيًا؛ أما الآن فقد أصبح ذكوريًا ورمزيًا".

في العصور الوسطى، كانت بعض المناطق المرتبطة بالأنوثة محظورة من قبل الكنيسة، بما في ذلك الآبار والبساتين والكهوف، والتي أصبحت جميعها مرتبطة بشكل لا يمحى بعبادة الإلهة والتي - كما هو متوقع - أصبحت مدانة باعتبارها مأوى للسحرة والشياطين. تم تصنيف أي مكان مماثل على أنه "cunnus diaboli" أو "المهبل الشيطاني"، وبالتالي تم تجنبه من قبل جميع الناس المتدينين.

بعد أن تم محو الكاثار والزنادقة المرتبطين بهم من الخريطة بشكل فعال، احتاج جنون محاكم التفتيش إلى المزيد من الوقود، وما هو أسوأ أو أكثر إثارة للاشمئزاز من السحرة والزنادقة، الذين اعترفوا بعبادة الشيطان؟ ومن الملائم أيضًا أن معظم المتهمين كانوا من النساء!! كما كتبت ماري دالي في كتابها ما وراء الله الآب (1973):

إن روح الكنيسة في احتقارها للمرأة، كما يتبين في الكتب المقدسة، وفي رسائل بولس والأسفار الخمسة، وكراهية الآباء، التي تجلت في قوانينهم الكنسية، وفي تعاليم الزهد والعزوبة والسحر، دمرت احترام الرجل للمرأة وأباحت حرق النساء وإغراقهن وتعذيبهن...

أصبحت النساء وواجباتهن موضع كراهية لدى المبشرين المسيحيين، وموضع احتقار وخوف لدى الزاهدين والرهبان المتدينين. لقد أصبحت الأم الكاهنة شيئًا نجسًا، مرتبطًا بالشيطان، وعلمها تعويذة جهنمية، وطبخها نفسه مزيج من السم، بل إن وجودها نفسه مصدر للخطيئة للإنسان. وهكذا أصبحت المرأة، كأم وكاهنة، امرأة كساحرة ...59

تخلوا عن الأمل، جميع ...

واستناداً إلى السلطة الكتابية في سفر الخروج 22: 18 "لا تدع ساحرة تعيش" - على الرغم من أن كلمة "kasaph" في النص الأصلي تعني في الواقع "رائي" أو مستبصر، ومن المفارقات أنها تنتمي إلى نفس فئة الخوارق الطبيعية مثل الأنبياء الذكور فقط - خاضت الكنيسة المقدسة المعركة الدموية، واعتقلت واستجوبت وقتلت عددًا لا يحصى من الناس.60 ولكن ما هي التهم التي اتهموا بها؟

كان العديد منهم مجرد نساء عجائز قبيحات، ولا شك أنهن كن مصابات بالخرف وغير مرغوب فيهن، أو وقعن في مشاكل مع جيرانهن. تم اعتبار تمتماتهم المستمرة بمثابة استدعاء لتعاويذ شيطانية - أو حتى صلاة مباشرة إلى نيك القديم نفسه. وعلى العكس من ذلك، كثيراً ما تُتهم فتاة جميلة بشكل خاص بممارسة السحر، غالباً من قبل أقرانها الغيورين أو عشيقها المحتمل الذي أحبطته محاولاتها، وخاصةً إذا كان كاهناً. لقد مثلت التنديدات بالسحر أقصى درجات المضايقة والتنمر: وبما أن الطبيعة البشرية على ما هي عليه، فقد كان الإغراء مأساوياً للغاية بحيث لا يمكن تفويت فرصة تصفية الحسابات القديمة عندما جاء المحققون إلى المدينة.

تم القبض على امرأة لأنها تشاجرت مع جارتها، التي رأت بعد ذلك ثعبانًا في حديقتها. إذا هربت الخيول، وفشلت المحاصيل، وظلت الزبدة حليبًا، ومرض الأطفال، وأجهضت النساء، كان هناك دائمًا ساحرة ماهرة يمكن إلقاء اللوم عليها. امرأة أخرى تم إدانتها وحرقها لأنها تشاجرت مع رجل سكير في حانة، من - كم هو غريب! - وجد نفسه مستيقظًا طوال الليل يتقيأ. ووجدت امرأة فقيرة أخرى نفسها تواجه النيران لأنها شوهدت وهي تخلع جواربها - وبعد فترة وجيزة أصبحت جارتها عرجاء. تم شنق "ساحرتين" اسكتلنديتين

لأنهما عالجتا، و وشفيا طفلاً مريضًا. كما ذكرت باربرا ووكر:

أُعدمت جوان كاسون من كينت عام 1586 بسبب وجود القش الجاف على سطح منزلها. وقيل لجارتها التي كان طفلها مريضاً... إن الطفل مسحور، ويمكن إثبات ذلك بسرقة قطعة من القش من سقف الساحرة وإلقائها في النار. إذا طقطقت وأثارت شرارات، فإن السحر مضمون. وجاءت النتيجة إيجابية . . 61

كانت النساء ذوات العيون المختلفة أو الشعر الأحمر يمكن التعرف عليهن على الفور باعتبارهن عبدة للشيطان: وبصرف النظر عن الرمزية التي ناقشناها سابقًا، ربما كان هذا بسبب أن الأشخاص ذوي الشعر الأحمر عادةً ما يكون لديهم النمش، وغالبًا ما كانت يعتبر هذا النمش "علامات للساحرة". أعلن المحققون أن السحرة يحملون علامات خاصة معينة على أجسادهم، حيث لمسها الشيطان تأكيدًا على عهدهم غير المقدس، والتي ظلت غير قابلة للألم. وكان جزء من عمل المعذبين هو تجريد المتهمين من ملابسهم وتفتيشهم بحثاً عن "حلمة الشيطان"، من خلال وخزهم بمثقب كبير في لحمهم، وهو ما لم يكن يُصنف حتى على أنه تعذيب على الرغم من أنه كان يسبب معاناة كبيرة. وبعد ذلك، وبمهارة فائقة، استبدلت "مُخْرِجَة الساحرة" المِخْرَجَ بمِخْرَجَةٍ قابلة للسحب، وإذا بالعلامة قد وُجِدَت! وبطبيعة الحال، كان وخز الساحرات يوفر الفرصة المثالية لجميع أشكال الاعتداء الجنسي العنيف، ولكن مرة أخرى، كان هذا يُعتبر امتيازًا للمعذب وليس جزءًا من "السؤال"، أو التعذيب نفسه.

في محاكمة السحرة في عام 1593، بينما كان السجان يفتش "ساحرة" - وهو ما فعله بالطبع بدقة - اكتشف "كتلة صغيرة من اللحم، بارزة بطريقة ما كما لو كانت حلمة، بطول نصف بوصة"، والتي "أدركها عند النظرة الأولى، ولم يكن ينوي الكشف عنها، لأنها كانت مجاورة لمكان سري للغاية ولم يكن من اللائق أن يُرى؛ ولكن في النهاية، ولأنه غير راغب في إخفاء مثل هذه المسألة الغريبة"، فقد أظهرها للآخرين. لقد اتفق الجميع - الرجال المتزوجون وكل شيء- على أن هذا كان جديدًا في تجربتهم، ومن المؤكد تقريبًا أنه شيطاني. تم إدانة المرأة وحرقها. كانت "حلمة الشيطان" هذه، بالطبع، بظر. حتى الأطباء اعتقدوا أنه لا توجد امرأة فاضلة تمتلك مثل هذا الشيء 62

- تطبيق مثير للاهتمام لنظرية الأقدار.

في ليل في عام 1661، اعترف تلاميذ الساحرة المزعومة أنطوانيت بورينيون:

يمنحهم الشيطان علامة، ويجددونها كلما رغب هؤلاء الأشخاص في تركه. "إن الشيطان يوبخهم بشدة، ويلزمهم بوعود جديدة، ويجعلهم أيضًا علامات جديدة للتأكيد أو التعهد، حتى يظل هؤلاء الأشخاص مخلصين له."

ويشرح القس سامرز، المحقق المحتمل في القرن العشرين، هذه النقطة دون أدنى قدر من السخرية، وهي "النقطة الأكثر أهمية"

في تحديد الساحرة ... علامة وختم الشيطان ...'65 ومع ذلك، في حرصه على إثبات قضيته، لم يقدم سامرز سوى مجموعة واسعة من المصادر، التي تحمل في طياتها رعباً غريباً بالنسبة لأولئك الذين يتمتعون بعقول أكثر توازناً. ويستشهد بروبرت هينك، "قس أبيرفويل"، في كتابه "الكومنولث السري" (1691)، الذي ذكر:

بقعة رأيتها، مثل شامة صغيرة، قرنية، وبنية اللون؛ ألقيت [كذا] العلامة، عندما تم طعن دبوس كبير (في كل من الأرداف والأنف وسقف الفم)، حتى انحنى وأصبح معوجًا، السحرة من الرجال والنساء، لم يشعروا بألم ولم ينزفوا، ولم يعرفوا الوقت المحدد عندما حدث هذا لهم ...

يخبرنا سامرز في لهفة أن "هذه العلامة كانت في بعض الأحيان الشكل الكامل لضفدع أو خفاش؛ أو ... شق أرنب، أو قدم ضفدع، أو عنكبوت، أو جرو مشوه، أو فأر". 66 لاحظ "قدم الضفدع" - وهو وصف غامض إن كان هناك وصف على الإطلاق - أو "الجرو المشوه"، والذي قد يكون بأي شكل أو حجم: في الواقع، بما أن العديد من الناس قد حملوا نوعًا من علامة الولادة أو العيب على أجسادهم، فمن الذي يمكن أن يخرج بلا لوم؟

(ويزعم سامرز أيضًا أن الزنادقة كانت لديهم رائحة كريهة بشكل خاص، وهو ما حدث بالفعل على الأرجح ـ فالإرهاب يولد نوعًا لاذعًا من العرق. علاوة على ذلك، فإن قضاء ليلة واحدة فقط في سجون محاكم التفتيش من شأنه أن يجعل أكثر الأشياء عطراً ذات رائحة كريهة إلى حد ما. ولكن من المؤكد أن القساوسة الكاثوليك بالنسبة لسامرز كانوا غالباً ما يفوح منهم رائحة القداسة، كدليل على ذلك يلاحظ بمنتهى الجدية: "لقد عرفت بنفسي كاهناً ذا إيمان متحمس كان في بعض الأحيان ينشر رائحة البخور". 67 ومن المؤكد أنه سيكون من الغريب للغاية ألا تكون رائحة البخور في أغلب القساوسة "في بعض الأحيان"! قد يضحك المرء، ولكن هذا النوع من الطفولة ـ الناس الطيبون رائحتهم طيبة ولكن الناس الأشرار رائحتهم كريهة ـ يتفق تماما مع دعاية الدكتور جوبلز المعادية للسامية، التي يتقبلها ملايين الألمان العاديين الأذكياء، إلى حد أنها لا يمكن أن تكون أكثر من مخيفة.

يقتبس سامرز "نفس السلطة" حول موقع "علامات السحر" هذه: "في الرجال قد تظهر غالبًا تحت الجفون، وتحت الشفتين، وتحت الإبطين، وعلى الكتفين، وعلى الأساس؛ وفي النساء، علاوة على ذلك، على الثدي أو العانة".

Ah 161. ولكن تذكر أنه أينما تم العثور على هذه العلامات، فقد تم تحديد موقعها عن طريق إدخال مشرط يشبه السيخ، يبلغ طوله عادة حوالي ثلاث بوصات، في المنطقة القريبة "حتى ينحنى ويصبح ملتويا". ولم يتم تصنيف هذا رسميًا على أنه تعذيب.

يوضح سامرز أن "الحلمة الصغيرة أو النتوء" الموجودة على جسد الساحر أو الساحرة، والتي يقال إنها تفرز الحليب الذي يغذي "المألوف" - وهو مخلوق ممسوس بالشيطان مثل القطة أو الضفدع - يجب تمييزها بعناية عن علامة الشيطان غير المحسوسة. ولسبب ما، كانت هذه الظاهرة حصرية إلى حد ما في إنجلترا ونيو إنغلاند، في الأيام التي انتقلت فيها هستيريا الساحرات بسلاسة من محاكم التفتيش إلى الآباء البروتستانت الكئيبين. (من المؤكد أن مونتيجو سامرز يرفض حالات طرد الأرواح الشريرة البروتستانتية باعتبارها مجرد خيالات من أهل الريف الفقراء، في حين أن النسخة الكاثوليكية هي دائمًا إنجاز روحي حقيقي.)

في عام 1597، جردوا المرأة العجوز، إليزابيث رايت من بورتون أون ترينت ووجدوا خلف كتفها الأيمن شيئًا يشبه إلى حد كبير مؤخرة النعجة التي ترضع بحلمتين، مثل نتوءين كبيرين، أحدهما خلفها تحت ذراعها، والآخر على بعد شبر من أعلى كتفها. بعد أن طُلب منها كم من الوقت كان لديها تلك الحلمات، أجابت أنها ولدت بها.69

لقد كانت علامة الولادة أو العيب الذي أصاب المرأة العجوز المسكينة بمثابة توقيع فعلي على حكم إعدامها.

إذا لم يتم العثور على علامة ساحرة واضحة أو تم تصنيعها من خلال استخدام المخرز القابل للسحب، فلا يزال من غير المرجح أن يتمكن المتهم من الهروب. وعندما فشل صائد الساحرات البافاري يورغ أبرييل في العثور على العلامة التي تدينها، أعلن ببساطة أن المرأة تشبه الساحرة ثم عذبها حتى اعترفت.70

(يمكن رؤية علامة الشيطان - ولا شك أن سامرز وأمثاله كانوا يرون ذلك - باعتبارها استهزاءً شيطانيًا

بالجروح، علامات صلب المسيح التي شوهدت على جانب ورأس وقدمي وأيدي المتدينين الكاثوليك، وغالبًا ما ترتبط بالقداسة. على سبيل المثال، الراهب الفرنسيسكاني الكابوشي بادري بيو من بييتريلتشينا [توفي عام 1968، عن عمر يناهز واحداً وثمانين عاماً]، الذي قيل إنه كان ينزف من يديه المجروحتين بأعجوبة كل يوم لمدة خمسين عاماً وعمل العديد من المعجزات، تم تقديسه من قبل البابا يوحنا بولس الثاني في 16 يونيو 2002. ولكن ظاهرة الوصمات تثير بعض الأسئلة المثيرة للاهتمام: بما أنه من المستحيل صلب رجل عن طريق دق المسامير في راحة يده، كما هو موضح في معظم الأعمال الفنية الدينية - فإن الجلد سوف يتمزق وسوف يسقط على الأرض - فلماذا تنزف الوصمات عادة من راحة يديهم؟

ولكن بالنسبة لمحاكم التفتيش، كانت علامات الشيطان دليلاً على أعظم خطيئة على الإطلاق، وهي زيارة السبت حيث عقدوا عهداً مع الشيطان نفسه. وبحسب الحكمة المتعارف عليها في مثل هذه الأمور، فإن أعضاء الجماعة المحلية قد يتسللون في الليل - ربما تاركين زوجاتهم نائمات في فراش الزوجية، غير مدركات لضخامة أفعالهم، والآن توجد مكنسة ملقاة في مكانهم. واحدة تلو الأخرى، انحدرت الساحرات إلى مكان بعيد أو مخفي، في أعماق الغابة أو الكهف (يفضل أن يكون مخصصًا في الأصل لإلهة وثنية)، حيث اجتمعن، وتناولن الطعام، وشربن، وتمتعن في مناسبات لم تكن حتى أيام القديسين. وفقًا لكاتب فرنسي معاصر، "إن التهريج والمزاح يختلطان بظروف مرعبة للغاية؛ والطفولة والحماقة يختلطان بالأفعال البشعة المثيرة للاشمئزاز". هنا أيضًا، كان من المفترض أن يواجهوا شخصية الشيطان المرعبة نفسها، وهو ينهض من الظلال متخفيًا في هيئة ماعز كبير ذي قرون، وعادةً ما يكون معه قضيب ضخم كان يُعترف أحيانًا بأنه اصطناعي، وهو ديلدو أورفاسينوم. كان على الساحرة الجديدة، التي كانت بلا شك في حالة يرثى لها من الخوف والإثارة، أن تؤكد إخلاصها للشيطان من خلال تقبيل مؤخرته، و/أو ربما توقيع العهد الرسمي بدمائهم. وقد يتلقون بعد ذلك العلامة الشيطانية المميزة - على الرغم من أن بعضهم كان لديهم هذه العلامة بالفعل، بعد أن كانت لديهن منذ الولادة - وقد يتألف الترفيه بعد ذلك من اقتران جنسي قبل أن يتسلل أعضاء الجماعة المنهكة والمرهقة إلى المنزل وينزلقون مرة أخرى بين ملاءات الزوجية. لكن الفعل الشرير كان قد حدث، ولم تعد روحهم ملكًا لهم حرفيًا.

في بعض الأحيان، إذا كان السبت - وحتى سامرز حريص على القول بأنه "غير مرتبط على الإطلاق بالمهرجان اليهودي" 72 على الرغم من أنه في نظر العديد من الناس في العصور الوسطى كان مرتبطًا على الأرجح، حيث كانت معاداة السامية منتشرة - بعيدًا، فإن الساحرات كن يركبن على المكانس. يعترف سامرز بأن الوهم بالطيران كان يحدث في كثير من الأحيان بسبب استخدام مرهم مهلوس، يتم فركه على الساقين قبل الجلوس على عصا المكنسة. ربما لم تذهب الساحرة إلى أي مكان إلا في خيالها، لكن هذا كان جيدًا بما فيه الكفاية بالنسبة لمتهميها. وفي حالات أخرى قيل إنها كانت تركب "على بعض الوحوش برفقة الإلهة الوثنية ديانا"،73 وهو ما يلخص الأمر برمته.

لقد كان العهد الشيطاني (الذي سنتحدث عنه لاحقًا) دائمًا، كما نُقنع أنفسنا، انتصارًا للأمل على التجربة - تجربة السحرة الآخرين، بالطبع. قد يقدم الشيطان أي وعد براق، ولكن من الأفضل أن ندرك أنه أيضًا "أبو الأكاذيب" وسوف يفشل دائمًا حتى في مساعدة أتباعه الأكثر ثباتًا - في النهاية، عندما يكون الأمر أكثر أهمية.

ومع ذلك، لم يكن الشيطان وحده في ذلك. لقد وعدت محاكم التفتيش العديد من المتهمين بالسحر بأنه إذا اعترفوا فسوف يتم إطلاق سراحهم مقابل غرامة. عندما حكم عليهم بالإعدام صرخوا بأنهم قد تعرضوا للخداع. مرة أخرى لم يكن هناك الكثير للاختيار بين الكنيسة والشيطان نفسه.

الرعب

من المستحيل أن نعرف كم عدد المتهمين من منافسي الشيطان للوضع الراهن أو الشيطانيين الحقيقيين: من الواضح أن بعضهم كانوا مجرد "نساء حكيمات" أو"رجال ماكرين"، وعشّابين محليين ومُلقِين تعويذات، في حين كان آخرون على الأرجح من أتباع شكل من أشكال ديانة الإلهة القديمة أو إلهة الخصوبة: في الواقع، تبدو أوصاف السبت النموذجية، كما هو موضح أعلاه، وكأنها تردد صدى احتفالات القدماء بديانا أو بان. ربما كانت بعض حفلات "السبت" تعادل حفلات المتبادلين المعاصرين - المرح والابتهاج وشرب الخمر وتبادل الزوجات - أو حتى على نحو أكثر براءة، مجرد مكان للرقص والاحتفال بعيدًا عن أعين رجال الدين المتطفلين، أو هكذا كانوا يأملون. كانت الحياة قاتمة وقصيرة وقاسية بما فيه الكفاية في تلك الأيام، على أية حال، فلماذا لا ننفس عن غضبنا في أعماق الغابة ليلاً؟

ومع ذلك، فإن المنطق السليم يملي أن بعض المتهمين كانوا من عبدة الشيطان، وكانوا متورطين في إلقاء التعويذات لإيذاء الآخرين، ولو لسبب أفضل من أن مثل هؤلاء الأشخاص موجودون دائمًا، في كل مكان. إن الحقد والخرافة معًا سوف يؤديان دائمًا إلى ظهور "السحرة"، وإن لم يكن ذلك بالضرورة على المستوى المنظم. ومن المفارقات أنه مع تعمق هوس السحر وانتشاره، لا شك أنه كان هناك زيادة هائلة في عدد عبدة الشيطان الحقيقيين. فكيف يمكن لنيك العجوز نفسه أن يكون أسوأ من محاكم التفتيش؟ من لا يميل إلى الانضمام إلى المعارضة مع اقتراب الجنون أكثر فأكثر ويمكنك أن تشعر تقريبًا بشرارات النيران العظيمة على بشرتك؟ وعلى الرغم من الشائعات التي تشير إلى العكس، فإن الشيطان قد يثبت أنه سيد مخلص، فيكافئ المؤمنين بالدعم المادي - وحتى الإفراج السحري المهم من السجن، والضرب، والحرق.

لن يعرف أحد على الإطلاق على وجه التحديد عدد المتهمين الذين بلغ عددهم مؤخراً 100 ألف شخص، والذين كانوا مجرد سحرة حقيقيين، ومن كانوا في المكان الخطأ في الوقت الخطأ فحسب ــ على الرغم من أن سجلات الحالات الفردية توضح بشكل مروع ومثير للشفقة أن معظمهم كانوا مجرد ضحايا. إن اعترافاتهم حتى بعبادة الشيطان الأكثر بشاعة ووضوحًا لم تعني شيئًا على الإطلاق.

وكتب أحد شهود العيان، واير، أن المحكوم عليهم "كانوا يُذبحون بأشد أنواع التعذيب التي يمكن للطغاة أن يخترعوها، والتي تتجاوز القدرة البشرية على التحمل". وتستمر هذه القسوة حتى يتم إجبار الأبرياء على الاعتراف بذنبهم.في عام 1637، في آيخستات، ألقي القبض على امرأة بتهمة التعامل مع الشيطان، فضحكت في البداية "ضحكة عالية"، معلنة أنها تفضل الموت على الاعتراف بمثل هذا الهراء، وأنها عاشت حياة كريمة مع زوجها وثمانية أطفال لأكثر من عشرين عامًا. "بعد ثلاثة أسابيع توفيت تحت التعذيب، معترفة بأنها كانت تحب الشيطان، وأنها قتلت أحد أطفالها بأمره، وأن ما لا يقل عن 45 من جيرانها كانوا من عبدة الشيطان" 75

في العادة كان يتم قتل الزنادقة الفقراء أولاً، بينما - كما هي العادة - كان المتهمون الأثرياء قادرين على شراء طريقهم للخروج من المتاعب، كما يوضح القصة المعاصرة التالية للاضطهاد في فرنسا عام 1459:

في هذا العام، في مدينة أراس وبلد أرتوا، نشأت، من خلال فرصة رهيبة وكئيبة، فكرة تسمى، لا أعرف لماذا، ديانة فودواز. يقال إن هذه الطائفة كانت تتألف من أشخاص معينين، من الرجال والنساء، الذين، تحت سحابة الليل، بقوة الشيطان، توجهوا إلى مكان منعزل، وسط الغابات والصحاري، حيث ظهر لهم الشيطان في شكل بشري - باستثناء أن وجهه لم يكن مرئيًا لهم تمامًا - قرأ على المجتمعين كتابًا من قوانينه، وأخبرهم كيف يمكن طاعته؛ ووزع القليل من المال ووجبة وفيرة، واختتمت بمشهد من الفجور العام؛ وبعد ذلك تم نقل كل فرد من المجموعة إلى منزله.

وعلى إثر اتهامات بالوصول إلى مثل هذه الأعمال الجنونية، تم القبض على العديد من الأشخاص المحترمين في مدينة أراس وسجنهم إلى جانب بعض النساء الحمقاء وأشخاص غير مهمين. لقد تعرضوا لتعذيب رهيب حتى أن بعضهم اعترفوا بصحة التهمة كلها، وقالوا، علاوة على ذلك، إنهم رأوا وتعرفوا في اجتماعهم الليلي على العديد من الأشخاص ذوي الرتب العالية، من الأساقفة والنبلاء وحكام المقاطعات والمدن، وهي الأسماء التي اقترحها الفاحصون على الأشخاص الذين تم فحصهم، بينما أجبروهم تحت التعذيب على اتهام الأشخاص الذين ينتمون إليهم. وقد تم القبض على العديد من الذين تم إبلاغهم بذلك، وتم إلقاؤهم في السجن وتعذيبهم لفترة طويلة حتى أجبروا أيضًا على الاعتراف بالتهمة الموجهة إليهم. وبعد ذلك تم إعدام أولئك ذوي الحالة المتواضعة وإحراقهم بطريقة غير إنسانية، بينما قام الأثرياء والأقوى من المتهمين بفدية أنفسهم بمبالغ من المال، لتجنب العقوبة والعار المصاحب لها. واعترف كثيرون منهم أيضًا بأن المحققين أقنعوهم باتباع هذا المسار، حيث وعدوهم بالتعويض عن حياتهم وممتلكاتهم. "كان هناك بعض الأشخاص، في الحقيقة، الذين عانوا بصبر وثبات عجيبين من العذاب الذي فرض عليهم، ولم يعترفوا بأي شيء منسوب إلى تهمتهم؛ ولكن كان عليهم أيضًا أن يدفعوا مبالغ كبيرة للقضاة، الذين فرضوا على أولئك الذين، على الرغم من سوء معاملتهم، والذين ما زالوا قادرين على التحرك، أن ينفوا أنفسهم من ذلك الجزء من البلاد ..." لا ينبغي أن نخفي أن الاتهام كله كان خدعة من قبل رجال أشرار لتحقيق أغراضهم الجشعة، ومن أجل تدمير حياة وشهرة وثروة الأثرياء من خلال هذه الاتهامات الكاذبة والاعترافات القسرية.76

لا بد وأن احتمالات الابتزاز كانت مغرية بشكل خاص عندما وصل المحققون إلى حي المرء. لا شك أن المطالبة بالمال بدلاً من تقديم تهمة رسمية بممارسة السحر قد تبادر إلى ذهن الكثيرين خلال فترة هوس السحرة - على الرغم من أنه من غير المرجح أن يتم تسجيل مثل هذه المعاملات.

داخل غرفة التعذيب

وفقاً لدليل المحققين، فإن مطرقة الساحرات التي وضعها أحد أكثر الشراكات كابوسية على مر العصور، هاينريش كرامر (1430-1505) وجاكوب سبرنجر (1436-1495) - والذي يصفه سامرز، المترجم الإنجليزي الوحيد لهما حتى الآن، بأنه "مثقف" - كان من المقرر أن يُعرف التعذيب باسم "السؤال". كان من المقرر في البداية أن يتم استخدامه "بشكل خفيف" لانتزاع الاعتراف - وفي بعض الأحيان، كان مجرد إظهار أدوات التعذيب للمتهمين ينجح في هذا - على الرغم من أن ما قصده المحققون بـ "التعذيب الخفيف" ليس ما يفهمه الضحايا. واعترفت امرأة من كونستانس بأنها تسببت في عاصفة بسكب الماء في حفرة بعد أن "تعرضت لأول مرة لأبسط الأسئلة، حيث تم تعليقها على مسافة قريبة جدًا من الأرض من إبهامها".78

وكثيراً ما زعمت السجلات أن الاعترافات كانت تُعطى بحرية، دون اللجوء إلى التعذيب - sine tortura et extra locum torturae - "دون تعذيب وحتى بعيداً عن أنظار أدوات التعذيب". ولكن ما يعنيه هذا عملياً هو أن الضحايا كانوا يؤخذون ببساطة إلى غرفة أخرى ويُمنحون خيار الاعتراف هناك أو إعادتهم إلى غرفة التعذيب ووضعهم على "السؤال" بلا رحمة.

كتبت ريبيكا ليمب رسائل مفجعة إلى زوجها قبل وبعد التعذيب، وكشفت أنها حتى في أسوأ حالاتها كانت تشعر بالخوف على روحها. في البداية، بينما كانت تعاني في الزنزانات، بدت واثقة من نفسها، وكتبت زوجي الحبيب، لا تقلق. لو تم اتهامي بآلاف التهم، فأنا بريئة، وإلا فليأتِ كل الشياطين في الجحيم ويمزقوني إرباً إرباً. إذا سحقوني، وقطعوني إلى ألف قطعة، فلا يمكنني الاعتراف بأي شيء. لذلك لا تنزعج ؛ أمام

ضميري وأمام روحي أنا بريئة. هل سأتعرض للتعذيب؟ لا أصدق ذلك، لأنني لست مذنبَة بأي شيء .79

تعرضت للتعذيب، خمس مرات، وبعد ذلك كتبت، يا أيها المختار من قلبي، هل يجب أن أفترق عنك، على الرغم من براءتي التامة؟ فإن كان الأمر كذلك، فليتبع الله توبيخي إلى الأبد. إنهم يجبرونني ويجعلونني أعترف، لقد عذبوني كثيرًا... يا زوجي، أرسل لي شيئًا لأموت، أو سأموت تحت التعذيب ... أرسل لي شيئًا، وإلا فقد أعرض روحي للخطر 80

لاحظ أن الخطيئة الأعظم بالنسبة لهذه الروح المسكينة هي الاعتراف بجرائم السحر، رغم براءتها تمامًا، بدلاً من الانتحار. نحن لا نعرف مصيرها، ولكن من المؤكد أننا نستطيع تخمين ما حدث لها، ما لم يتمكن زوجها بطريقة ما من تهريب الوسيلة التي تمكنها من إنهاء معاناتها.

"يقال إن سجناء محاكم التفتيش الذين انتحروا أو ماتوا متأثرين بجراحهم أو بسبب أكلهم أحياء بواسطة الفئران في الزنازين - وهو ما كان يحدث في كثير من الأحيان، حيث كانت جروحهم المتقيحة تجتذب الحشرات - قد قُتلوا على يد الشيطان، "لأن هذه هي إرادة العدالة الإلهية". ومن جانبهم، تم تبرئة المحققين من كل خطيئة وإدانة: عندما ماتت ضحية تحت التعذيب، حث البابا أوربان الرابع المحققين على تبرئة بعضهم البعض. وأعلن أنهم أبرياء في نظر الله.82

على الرغم من أن معظم "الساحرات" كانوا من النساء، والنساء الفقيرات على وجه الخصوص، فقد تم توجيه الاتهام إلى بعض الرجال الأثرياء، وخاصة في المناطق التي خرجت فيها محاكم التفتيش عن السيطرة بسرعة، حيث كان كل اعتراف متتالي يورط عشرة أشخاص آخرين أو نحو ذلك، وهكذا.

في أماكن أخرى، كلما كنت أكثر ثراءً، كلما زادت احتمالية هروبك. ومع ذلك، فإن المقتطف التالي مأخوذ من رسالة عمدة المدينة يوهانس جونيوس، وهو رجل ثري تمت مصادرة ممتلكاته. إن المذكرة، التي تم تهريبها من سجن بامبرج في عام 1628، على الرغم من كونها مألوفة بدرجة كافية للباحثين، إلا أنها كانت مؤثرة للغاية:

مئات الآلاف من الليالي الطيبة، ابنتي العزيزة فيرونيكا. لقد دخلت السجن بريئًا، وتم تعذيبي بريئًا، ويجب أن أموت بريئًا. فمن يأتي إلى سجن السحرة يجب أن يصبح ساحرًا أو يتعرض للتعذيب حتى يخترع شيئًا من رأسه - رحمه الله - ويفكر في شيء ما. سأخبرك كيف كان الأمر معي ... وضع الجلاد لولب الإبهام عليّ، وكانت يديّ مقيدتين معًا، حتى سال الدم من خلال المسامير وفي كل مكان، ولم أتمكن من استخدام يديّ لمدة أربعة أسابيع، كما ترين من الكتابة... وبعد ذلك قاموا بتجريدي من ملابسي أولاً، وربطوا يديّ خلف ظهري، وسحبوني تحت التعذيب [التعليق. ثم ظننت أن السماء والأرض قد وصلتا إلى نهايتهما؛ ثم رفعوني ثماني مرات وتركوني أسقط مرة أخرى، حتى عانيت من عذاب رهيب. قال الجلاد: يا سيدي، أطلب منك من أجل الله أن تعترف بشيء، سواء كان صحيحًا أم لا. اخترع شيئًا، لأنك لا تستطيع أن تتحمل التعذيب الذي ستتعرض له، وحتى لو تحملت كل شيء، فإنك لن تفلت" . . . الآن، طفلتي العزيزة، لديك هنا كل اعترافي، الذي يجب أن أموت من أجله. وهي أكاذيب محضة وأشياء مختلقة، لذا ساعدني يا الله. لقد اضطررت إلى قول كل هذا بسبب الخوف من التعذيب الذي هددني بما يتجاوز ما تحملته بالفعل. لأنهم لا يتوقفون عن التعذيب حتى يعترف الشخص بشيء؛ حتى لو لم يكن جيدًا إلى هذا الحد، فلا بد أنه ساحر. لا أحد يفلت ... يا ابني العزيز، أبقِ هذه الرسالة سرية حتى لا يكتشفها أحد، وإلا فسوف أتعرض للتعذيب بشكل مؤسف وسوف يقطع رأس السجانون. فهذا ممنوع بشكل صارم... لقد استغرقت عدة أيام لكتابة هذا ؛ كلتا يدي عرجاء. أنا في محنة حزينة. تصبحي على خير، لأن والدك يوهانس جونيوس لن يراك بعد ذلك ... طفلتي العزيزية، لقد اعترف ستة أشخاص ضدي في وقت واحد ... كلهم كاذبون، بالإكراه، كما أخبروني، وتوسلوا

إليّ أن أغفر لهم باسم الله قبل إعدامهم.83

لاحظ أن "الجلاد" بدا وكأنه احتفظ بقدر ضئيل من الحشمة عندما توسل إلى الرجل العجوز أن يخترع اعترافًا ما، على الرغم من أنه كان من الواضح أن الهروب كان ميؤوسًا منه في أي حال. وحتى في معاناته، لم يتحدث هذا الرجل الصالح عن الخطر الذي سيواجهه هو فقط في حال وقوع رسالته في أيدي المحققين، بل تحدث أيضًا عن الخطر الذي سيواجهه سجانوه، الذين سيتم قطع رؤوسهم.

وكانت الخطة المعتادة هي تعذيب الضحايا حتى يعترفوا بالاتجار بالشيطان، ثم تعذيبهم بشكل أكبر للحصول على قائمة من المتواطئين، الذين يتم سحبهم بعد ذلك للاستجواب، وهكذا تبدأ العملية مرة أخرى - حتى سقطت مناطق بأكملها في الهستيريا. قالت إحدى النساء لمحققها:

لم أتخيل قط أن التعذيب قد يدفع شخصًا إلى قول مثل هذه الأكاذيب التي قلتها. أنا لست ساحرة، ولم أرَ الشيطان قط، ومع ذلك كان عليّ أن أعترف بالذنب تجاه نفسي وأدين الآخرين.84

وعندما حث رجل دين امرأة أخرى على سحب اتهاماتها للقرويين الأبرياء، أجابت بقوة:

أبي، انظر إلى ساقي! إنها مثل النار - جاهزة للاحتراق - لذا فإن الألم مؤلم. لم أستطع تحمل أن تلمسهم الذبابة، ناهيك عن الخضوع مرة أخرى للتعذيب. أفضل الموت مائة مرة على تحمل مثل هذا العذاب المخيف مرة أخرى. لا أستطيع أن أصف لأي إنسان مدى فظاعة الألم في الواقع 85

لقد تم تصميم الإجراء بأكمله عمدًا لتفاقم الحد الأقصى من الرعب والألم. لا شك أن بعض المتهمين المقيدين في زنزاناتهم قد يسمعون صراخ وتوسلات أولئك الذين يتلوون في غرفة التعذيب - ولكن في كل الأحوال من المرجح أن يعاني السجناء من صدمة مشاهدة معاناة زملائهم في الزنزانة بعد التعذيب عندما يعودون إليهم في الزنازين. بعد ذلك، يتم جر المتهم بعنف إلى غرفة التعذيب وإظهار الأدوات التي قد يتم استخدامها في أي لحظة، ثم يواجه السؤال نفسه أخيرًا، والذي قد يأخذ شكل التعليق (كما في حالة السيد جونيوس، أعلاه)، والذي يتضمن سحب المتهم في الهواء من ذراعيه، مثبتين خلف ظهره، ثم تركهما فجأة يسقطان على بعد قدم أو نحو ذلك فوق الأرض. كان يتم خلع الكتفين والذراعين بشكل روتيني. وإلا، كان يتم تمزيق اللحم من الجسم بالملقط، ويتم سحق القدمين والساقين إلى عجينة في "الحذاء"، ويتم كسر الأطراف وتمزيق الأوتار على جهاز التعذيب، ويتم تحميص القدمين واليدين على المواقد، بالإضافة إلى الجلد والضرب الذي يتم إجراؤه بشكل روتيني. تم وضع الكبريت المشتعل على الأعضاء التناسلية أثناء التعليق. تعرضت أغلب النساء للاغتصاب وما هو أسوأ حتى قبل وصولهن إلى غرفة التعذيب.

وكان هذا مجرد الجانب الجسدي من التعذيب. وشمل التعذيب النفسي إثارة الرعب أو الإجبار على مشاهدة اغتصاب أو تعذيب أفراد الأسرة المقربين، وربما الأطفال دون سن العاشرة (الذين يصنفون على أنهم "رضع"). عادة ما يتعرض الأطفال للتعذيب دون الكثير من التمهيد بسبب تعرضهم لعذاب التجربة بأكملها، وليس أقلها أنهم تعرضوا للتعذيب لأسباب لا يمكنهم فهمها من عائلاتهم. ولكن في العادة، كانوا بمثابة فريسة سهلة، وسرعان ما يتم إقناعهم، بطريقة أو بأخرى، بتجريم العديد من الآخرين، بما في ذلك أمهاتهم وآبائهم. لا بد وأن التعذيب الذي تعرضت له بناءً على شهادة ابنك البالغ من العمر ثماني سنوات، مع العلم أن هذا الطفل قد عانى بشدة، قد أضاف إلى معاناة الضحايا بشكل هائل. وكانت هذه الشهادة مقبولة في محاكمة السحرة، ولكن لم تكن مقبولة في أي نوع آخر من المحاكم، حتى في ذلك الوقت.

تكشف سجلات محاكم التفتيش الإسبانية سيئة السمعة، ومقرها في طليطلة، أنه تم منع بعض الضحايا من الاعتراف حتى تم إشباع شهوة جلاديهم. استمر تعذيبهم لأيام أو أسابيع بعد النقطة التي انهاروا فيها تمامًا،

وتوسلوا أن يُقال لهم ما يقولونه، حتى يتمكنوا من قوله 86

وبما أن محققي أوروبا كانوا يميلون إلى استخدام أشكال التعذيب الأكثر وحشية مقارنة بأساليب الاستجواب المستخدمة في بريطانيا، فقد يُعتقد أن صائدي الساحرات الإنجليز والاسكتلنديين كانوا أكثر تعاطفًا بشكل عام. في واقع الأمر، لم يكن هذا هو الحال على الإطلاق: ففي بريطانيا كانت أساليب التعذيب مثل الغمر في الماء ('سباحة الساحرة')، والربط بقوة بالحبال، والحرمان من النوم ('مشي الساحرة') وما إلى ذلك هي النظام السائد. في بعض الأحيان، ابتكر الغوغاء وسائل أكثر بشاعة للتعامل مع المتهمين. في كاتون، سوفولك في عام 1603، تعرضت امرأة تبلغ من العمر ثمانين عامًا للهجوم من قبل عصابة من الرجال العنيفين، الذين لكموها وألقوا بها في كل مكان، وأطلقوا البارود على وجهها، ثم ألقوها بقوة على مقعد تم بناؤه خصيصًا "حيث غرسوا الخناجر والسكاكين ذات النقاط الحادة لأعلى، [و] غالبًا ما ضربوها على نفس المقعد الذي كانت تشعر فيه بألم شديد وجرح خطير". إن الصورة الذهنية الحية التي استحضرها هذا التقرير المقتضب تستحضر صورة غير مختلفة عن فتية النازيين وهم يشعلون النار في لحى اليهود المسنين، أو يسحبون النساء العاريات في منتصف العمر عبر الشوارع من شعرهن - صور تظل تطارد لفترة طويلة بعد إزالة الصورة الفوتوغرافية أو لقطات الفيلم من الأنظار. ولكن من المذهل أن ندرك أن تلك الفظائع النازية، على الرغم من فظاعتها الشديدة - ولا تزال في أذهان الناس - لم تكن مثيرة للاشمئزاز إلى حد ما كما حدث لتلك المرأة المجهولة البالغة من العمر ثمانين عاماً في الريف الإنجليزي الهادئ في القرن السابع عشر.

إن الإبداع الصريح والسادية في عمليات التعذيب وحقيقة أن معظم المتهمين كانوا من النساء يكشفون عن الأجندة الحقيقية لمحاكم التفتيش، كما عبر عنها الثنائي الشيطاني الحقيقي، كرامر وسبرنجر. إن كتابهم "مطرقة الساحرات" يجعل الأمر واضحًا بشكل قاطع أن السحر بالنسبة لهم، على الأقل، كان جريمة مرتبطة بجنس محدد. إنهم يكتبون عن شرور النساء بعبارات عدائية صريحة، فيتحدثون عنهن بأنهن "جميلات المظهر" ولكنهن "ملوثات عند اللمس"، وأصواتهن عذبة "تغري المارة وتقتلهم ... عن طريق إفراغ حقائبهم، واستهلاك قوتهم ودفعهم إلى التخلي عن الله". بالنسبة لمؤلفي دليل التفتيش، فإن المرأة هي مصاصة دماء، و"لعنة أسوأ من الشيطان".

كان كتاب "مطرقة الساحرات" مصممًا ليبدو ذا سلطان، وكان مصحوبًا بمرسوم بابوي من البابا إنوسنت الثامن، يدعم الكتاب في حملته - والتي كانت في حد ذاتها بمثابة حملة صليبية - للقضاء على الساحرات من الجذور. هناك أيضًا رسالة داعمة من مجموعة من علماء اللاهوت من جامعة كولونيا، لكن الدراسات الحديثة تشير إلى أنها مزورة جزئيًا. وتشير التناقضات الأخرى إلى أن الصورة الأوسع لصيد الساحرات كانت مختلفة قليلاً على الأقل عن الرأي المقبول. على سبيل المثال، ادعى كرامر أنه حاكم ما يقرب من مائة امرأة في تيرول في أوائل ثمانينيات القرن الخامس عشر، ونصفهن ماتوا بسبب الحريق. لكن السجلات الباقية تحكي قصة مختلفة: وصل كرامر وبدأ في تحريض الناس على توريط جيرانهم. تمت إدانة ثماني نساء وإحراقهن، لكن كل من الأرشيدوق المحلي والأسقف ظلوا متشككين - حيث وصف الأخير كرامر بأنه "أحمق عجوز خرف" وطرده من المدينة.

وكان سبب عداء الأسقف هو أن كرامر نادراً ما اتهم النساء بالشيطانية الفعلية: ففي المجمل تمت محاكمتهن لاستخدامهن تعويذات الحب. وفي حالة هيلين شوبيرين، هاجمها على أساس علاقاتها غير الشرعية، والتي بدا متشوقاً بشكل خاص لسماع تفاصيلها حتى أمره ممثل الأسقف بالتوقف عن ذلك. لقد شعر أهل البلدة بالرعب الشديد من سبب وجوده الصارخ الفاحش والمنحرف لدرجة أنهم اشتكوا إلى السلطات التي طردته. وبعد ذلك، بدأ كرامر في تأليف دليل لصيادي الساحرات الأكثر نجاحاً، مما أدى إلى إصابة الآلاف منهم، على مدى أجيال، بنوعه الخاص من السادية والمازوخية الجنسية. ولكن هذه الرسالة وجدت جمهوراً مستعداً

بين الكاثوليك الذين تم تشجيعهم دائماً على "تقديم معاناتهم إلى الله" ولكن ليس فرحهم، والذين كانت كل زيارة لهم إلى الكنيسة توفر لهم لقاءً آخر مع صور موت المسيح الدموي والرهيب تحت التعذيب. إن الغضب الشديد ورغبة الدم لدى الإله الأبوي لم تكن واضحة في أي مكان أكثر من مطالبته بصلب ابنه.

وقد استعان كرامر بالعديد من المصادر السابقة، وخاصة كتاب يوهانس دومينيكوس "Lectiones super Ecclesiastes" (1380)، الذي يلقي باللوم على الرذائل "الطبيعية" لدى النساء بسبب انفتاحهن على تأثير الشيطان ــ الجشع، والشهوانية، وما إلى ذلك. مثل حواء، النساء خفيفات القلب وبالتالي يتأثرن بسهولة بالشياطين. لكن دومينيكوس لم يذكر السحر مطلقًا.

ومن ناحية أخرى، فإن مصدراً آخر من مصادر كرامر، وهو كتاب "فورمايكوس" ليوهانس نيدر (1435)، يربط الشيطان الصريح بالخطايا الطبيعية المزعومة التي ترتكبها النساء ــ وخاصة خطيئة العصيان، كما يتضح في المناسبات النادرة التي يرتدين فيها ملابس الرجال أو يحملن الأسلحة. كان التظاهر بالتقرب من الله محل استنكار الرجال بشكل خاص. "إن أهدافه هي الافتراض والخداع والتمرد".لكن في يدي كرامر، تم اقتباس نيدر بشكل خاطئ: النساء أنفسهن يصبحن شريرات بطبيعتهن، وخاصة ميلهن إلى الشهوانية.

وفي رغوة من الخوف الفرويدي الواضح والمحرج، يؤكد كرامر على جرائم النساء المناهضة للذكور، مثل قدرتهن على إخفاء الأعضاء الذكرية (ولو فقط عن طريق الوهم، أو سحر الساحرات ــ وهو إضافة مثيرة للاهتمام، تجعل مثل هذا الاتهام مفتوحا لتفسير ذاتي تماما). ولعل هذا الرعب البدائي من العجز كان وراء التأكيد الوارد في الدليل على ضرورة اتخاذ المحققين الاحتياطات اللازمة ضد "العين الشريرة" للساحرة، مثل إقامة حاجز بينهم وبين المجرم في قاعة المحكمة. (على الرغم من أن السلطات قد تأكدت عدة مرات من أن لديها وحدها القدرة على تحمل النظرة القاتلة للساحرات، إلا أن القليل من المتهمين شعروا بثقة خاصة في ذلك). وكانت طريقة أخرى للحماية هي ارتداء كيس من الملح مخصص ليوم أحد الشعانين؛ وتجنب التواصل البصري مع الساحرة، ووضع علامة الصليب على الذات قدر الإمكان أثناء وجودهم في السجن. كان أحد سكان برن يُدعى بيتر، وكان مهملاً، فسقط من أعلى درجات السلم الحجرية - وكان ذلك بوضوح نتيجة لسحر الساحرة، لأنه عذبها حتى اعترفت بذلك.

كانت النساء اللاتي يضايقن أو يغتصبن السلطة الذكورية على رأس قائمة أهداف هامر، لأنه كان من المفترض أن يكونوا ساحرات. وفي الوقت نفسه، كان يتم تشجيع الأزواج منذ فترة طويلة على إساءة معاملة زوجاتهم إلى أقصى حد. تقول قواعد الزواج التي وضعها الراهب كيروبينو في القرن الخامس عشر للأزواج:

وبخها بشدة، وهددها وأرعبها. وإن لم ينجح هذا... فخذ لها عصا واضربها ضرباً مبرحاً، فإنه من الأفضل معاقبة الجسد وتقويم النفس من إتلاف النفس وتجنيب الجسد... ثم اضربها على الفور، ليس من باب الغضب، بل من باب الرحمة والاهتمام بروحها، حتى يعود عليك هذا الضرب بالنفع.

لقد لاحظ القديس توما الأكويني أن الزوجة أدنى من العبد، لأنه على الأقل يمكن تحرير العبد، ولكن "المرأة خاضعة وفقًا لقانون الطبيعة، أما العبد فلا".من المفترض أن "قانون الطبيعة" يعني أنه بما أن النساء أضعف جسديًا من الرجال بشكل عام، فيجب ويجب أن يتم التنمر عليهن. حتى أواخر القرن التاسع عشر كان قانونيًا للرجل البريطاني أن يضرب زوجته طالما أن الأداة التي يستخدمها - سوط أو عصا أو قضيب - ليس أسمك من إبهامه، وهي "القاعدة العامة" الأصلية. كما تقول ووكر، "لم تكن الزوجات يحصلن على مساعدة كبيرة من القانون؛ فقد تم تصنيفهن قانونيًا مع القاصرات والأغبياء، وتم تسليمهن إلى حضانة أزواجهن".93 كانوا نساءً تحت وصاية أو إشراف الزوج، أي نساء كانت شخصياتهن "مغطاة" قانونيًا من قبل أزواجهن. في هذا

السياق، تعرضت المتمردات، أبناء لوسيفر ولكن ليس أبناء الشيطان - مهما بدت أفعالهن خفيفة اليوم - للمطاردة باعتبارهن ساحرات.

ضرر ماكر

ولكن هناك مجموعة أخرى كان يُنظر إليها على أنها تعمل على تقويض النسيج الأساسي للمجتمع التقي، ولذلك تم اختيارها لأقسى أنواع المعاملة - القابلات. لسوء الحظ، فإن الكلمة ذاتها تأتي من الكلمة الأنجلوساكسونية med-wyf، والتي تعني "امرأة حكيمة" أو "ساحرة". لقد لخص كرامر وسبرنجر موقف الكنيسة بشأن القابلات بشكل أنيق: "لا أحد يسبب ضررًا أكثر دهاءً للإيمان الكاثوليكي من القابلات"، موضحين أنهم يستولون على الطفل حديث الولادة ويعمدونه باسم الشيطان بطقوس سحرية بجانب موقد المطبخ. ومن غير المستغرب أن يتفق مونتيجو سامرز مع هذا الرأي، ولكنه لا يعبر إلا عن وجهة نظر حية ومزدهرة، وخاصة في الدوائر الأصولية الأميركية في القرن الحادي والعشرين، لأن القابلات ارتبطن دائماً ليس فقط بأسرار الولادة، بل وأيضاً تسهيل الإجهاض. إن تصريح كرامر وسبرنجر، إذا تم تعديله ليصبح: "لا أحد يسبب ضرراً للإيمان المسيحي أكثر من المؤيدين للإجهاض"، يمتلك صدى حديثًا بشكل ملحوظ.

في العالم القديم، كانت القابلات يحظين باحترام كبير: في مصر كانت تحكمهن إيزيس حتحور في تجليها السباعي، التي منحت كل طفل سبع أرواح. "إن القابلة الأرضية هي نوع من العرابة الجنية، ولها رابطة روحية مع كل طفل تجلبه إلى العالم"95 - وهي النقيض التام للقابلة المسيحية الشيطانية. في روما القديمة كان هناك ثلاثة أنواع من القابلات، جميعهن مرتبطات بمعبد النساء ومرتبطات باليونانية هوراي، خادمات المعبد على الأرض، والقابلات للآلهة في السماء. ساعدت القابلة عند الولادة ؛ علمت النوتريكس أو "الراعية" أسرار الرضاعة وشجعت الحليب على التدفق، في حين تولت كاهنات سيريس، سيراريا، مسؤولية الطقوس الدينية المحيطة بالولادة. كان الجميع أعضاء شرف في المجتمع.

في العالم المسيحي، لأنه كان يُنظر إلى النساء على أنهن أكثر قداسة أو لا يمكن المساس بهن بعد الولادة، لم يُسمح لهن بدخول الكنيسة لمدة أربعين يومًا بعد ذلك. كونهن غير نظيفات، يمكن للنساء الأخريات فقط التعامل مع احتياجاتهن الجسدية والعاطفية في هذا الوقت، لذلك كانت القابلات ضروريات لرفاهية كل من الأم والطفل. لكن رجال الدين في العصور الوسطى كرهوهم، وذلك لأنهم كانوا يعكسون عصر عبادة الآلهة، عندما كانت النساء تتمتع بالسلطة على حياتهن. لم يكن كره القابلات اللائي يقمن بالإجهاض بدافع التعاطف مع الطفل الذي لم يولد بعد، ولكن لأنه ينطوي على نوع من الماسونية الأنثوية المخولة.

كان يُشتبه دائمًا في أن النساء بشكل عام يستخدمن السحر في الحياة اليومية. ارتعد الراهب الدومينيكي يوهان هيرولت:

معظم النساء يكذبن إيمانهن الكاثوليكي بالسحر والتعاويذ، على غرار حواء أمهن الأولى، التي اعتقدت أن الشيطان يتحدث من خلال الثعبان بدلاً من الله نفسه ... أي امرأة تعرف بنفسها المزيد عن هذه الخرافات والسحر أكثر من مائة رجل 96

كانت التعاويذ والجرعات هي العلاجات الوحيدة المعروفة قبل القرن السادس عشر - في الواقع، اعتقد رجال الدين أن الطريقة الوحيدة لشفاء المرضى هي من خلال طرد الأرواح الشريرة. ومع ذلك، اعترف الطبيب الرائد العظيم باراسيلسوس بأن الساحرات علمته كل ما كان يعرفه. 17 ومع ذلك، بينما كان يُسمح للساحر الذكر بالشفاء باستخدام الفنون السحرية، كانت النساء يُحكم عليهن بالموت لقيامهن بنفس الشيء.

إلى جانب الإجهاض، اعتُبر أي شكل من أشكال منع الحمل وتخفيف آلام الولادة لعنة. في عام 1559، أمرت لجنة التحقيق البرلمانية مسؤولي الكنيسة المحليين بالإبلاغ عن استخدام "التعاويذ والسحر والشعوذة والتضرع والسحر والتنجيم" أو ما شابه ذلك "خاصة في أوقات مخاض النساء". (تأكيدي). من المدهش أنه في عام 1591 تم إعدام النبيلة الاسكتلندية يوفامي ماكالين على الوتد لمجرد بحثها عن مسكنات لآلام الولادة من قابلة. في عام 1554، مُنعت القابلات صراحةً من استخدام أي وسيلة لتخفيف معاناة الولادة باستثناء الصلوات التي "قد تتوافق مع قوانين وأوامر الكنيسة الكاثوليكية". 98

حتى القرن العشرين، كانت وجهة نظر الأبوية المسيحية هي أن الله لعن حواء حتى تلد هي وكل النساء عبر التاريخ في ألم، وبالتالي فإن أي شيء يخفف من الألم يتعارض صراحة مع إرادة الله. عندما ماتت النساء أثناء ولادتهن، اعتبرت الكنيسة هذا مثالاً على "حكم الله المستمر على الجنس" 99

عندما بدأ جيمس سيمبسون في القرن التاسع عشر استخدام الأثير والكلوروفورم في الولادة، كان هناك صرخة ضخمة في جميع أنحاء العالم المسيحي. وقد ندد رجال الدين بهذا باعتباره "إنكارًا خاطئًا

لرغبات الله"،100 بينما أكد القساوسة الاسكتلنديون أن مثل هذا التحكم في الألم من شأنه أن "يفسد اللعنة البدائية ضد المرأة".101

تشير باربرا ووكر إلى كلمات أحد قساوسة نيو إنجلاند: "الكلوروفورم هو طُعم للشيطان، يبدو أنه يقدم نفسه لبركة النساء؛ ولكن في النهاية سوف يؤدي إلى تصلب المجتمع ويحرم الله من الصرخات العميقة الصادقة التي ترتفع في أوقات الضيق طلبًا للمساعدة". 102 تعلق ووكر بسرعة: "مع السادية شبه المخفية المعتادة للأخلاق الأبوية، كان يقول في الواقع أن صراخ النساء من الألم يمنح الله المتعة، ويجب على الرجال التأكد من عدم حرمان الله من هذه المتعة". 103 (كما رأينا، لم تكن الملكة فيكتوريا سوى من أعطى الموافقة على استخدام الكلوروفورم في الولادة، الأمر الذي أدى فعلياً إلى إسكات رجال الدين البريطانيين على الأقل إلى الأبد.)

وفي هذا السياق، من المثير للاهتمام بشكل خاص أن كرامر وسبرنجر أكدا على أهمية جعل الساحرة تذرف الدموع. صراخها لم يكن كافيا، لا بد أن يراها المحقق لتبكي بشدة. إذا فشلت الساحرة في ذرف الدموع أثناء التعذيب فإنها تكون مذنبة، ويتم حثها على البكاء "بالدموع المحبة التي ذرفها المسيح على الصليب". لقد كانت مذنبة إذا فعلت ذلك، بطبيعة الحال، لأن ذلك أثبت أن الشيطان "أعطاها هدية الدموع لتضليل القضاة" 104 جولة تلو الأخرى في دوامة كافكاوية مقززة من المنطق المجنون. في مختلف أنحاء أوروبا كان "الصمت" جريمة يعاقب عليها بالحرق، على الرغم من أن كل شيء آخر يتهم به الساحر كان يعاقب عليه بالحرق أيضا، وفي إنجلترا كان يعاقب عليه بالسحق تحت لوح محمل بأوزان ثقيلة.

خسرت الساحرات كل شيء. تمت مصادرة أموالهم وممتلكاتهم على الفور للكنيسة، التي أصبحت سمينة من أرباح البؤس البشري على نطاق لم يسبق له مثيل. وكان المتهمون يضطرون إلى الاعتماد على "الصدقة المسيحية" للحصول على قطع الخبز المتعفن التي كانت تعتبر وجبات في السجن، وكان من المعتاد أن تطلب محاكم التفتيش دفع الأموال مقابل خدمات الجلاد، حتى مقابل الخشب الذي كان يتعين على المحكوم عليهم حرقه. إذا رفض المحكوم عليهم الموافقة على الانفصال عن أموالهم أو لم يكونوا في حالة مناسبة للقيام بذلك، فسيتعين على أسرهم الدفع.

حتى المسيحي العادي كان ملوثًا بانحراف الكنيسة عن الحقيقة. على الرغم من أنه كان من المقبول على نطاق واسع أن السحر كان وهمًا، إلا أنه بعد حكم البابا إنوسنت، أصبح من الهرطقة عدم الإيمان بواقعه. يجب أيضًا تصنيف أي شخص يدعي أن السحر ليس حقيقيًا على أنه ساحر. أعلن المحقق هاينريش فون شولتيس: "من يعارض إبادة السحرة بكلمة واحدة لا يمكن أن يتوقع أن يظل سالماً". 105

نيران جهنم

سواء اعترفت الساحرة أو صمدت، أو بكت أو بقيت صامتة، أو ورطت الآخرين أو رفضت اتهام جيرانها، فعادة ما كانت هناك طريقة واحدة فقط لإنهاء عذابها - مع المزيد من التعذيب، على الوتد، أمام حشد من الناس.

كان العديد من المحكوم عليهم قد أصيبوا بجروح بالغة أثناء "السؤال" لدرجة أنه كان لا بد من حملهم أو

سحبهم في عربة إلى المحرقة: الأب أوربان جراندير (الذي سيتم فحص حالته لاحقًا)، الذي عانى بشدة في "الحذاء"، تم نقله إلى مصيره المروع على النقالة واضطر إلى الزحف بساقيه المحطمتين إلى المحرقة.

وقد تم اقتلاع ألسنة البعض، وخاصة النساء، قبل إجبارهم على السير في مسيرة العار إلى حتفهم لمنعهم من الصراخ بالاتهامات ضد سجانيهم. يبدو أن القليلين يهتمون بما إذا كانوا قد تعرضوا للضرب أو الجلد، لكن نفس الناس سيشعرون بالرعب إذا علموا بالاعتداء الجنسي.

على الرغم من أنه في ظل ظروف أخرى، كان من الممكن أحيانًا أن يحظى المجرمين برحمة الخنق قبل إحراقهم في النيران، إلا أن قلة من الناس نالوا هذا العزاء عندما أدينوا بممارسة السحر. وبما أنه لا يوجد شيء أسوأ من الاتجار بالشيطان، فقد كان لزاماً على عقوبة الإعدام أن تتخذ الشكل الأكثر بشاعة الذي يمكن تخيله، مما يوفر للحشود ــ التي نجحت هيستيرياها في إخفاء الرائحة الكريهة الفريدة لشواء اللحم ــ المتعة القصوى المتمثلة في مشاهدة الجحيم الحي الذي يعيشه إنسان آخر. تم تقطيع أحشائكم قبل ربطكم على الوتد، والمثير للدهشة أنه حتى في هذه الحالة، ظلوا على قيد الحياة لفترة كافية لتحمل النيران لمدة ساعة أو نحو ذلك.

مات العديد من الأطفال في الحرائق، باعتبارهم "شياطين الشيطان"، وأحرقت امرأة لأنها أنجبت طفل الشيطان. أنجبت امرأة فرنسية طفلها وهي تتلوى وسط النيران، وتمكنت بطريقة ما من رمي الطفل الحي بعيدًا عن النار. رمى الحشد به مرة أخرى في النار.

ومع انتشار الجنون في أجزاء كاملة من أوروبا (قبل أن ينتقل عبر المحيط الأطلسي إلى العالم الجديد)، أصبحت الاتهامات أكثر سريالية. تم حرق ديك بسبب صياحه في وقت غير مناسب (على الرغم من أن الديوك تصيح في كل ساعات اليوم، وهو ما كان لابد أن يكون المتهمون قد عرفوه جيدًا)

- من الواضح أنها أداة للشيطان - ولقي حصان حتفه حرقًا لأنه تعلم العد عن طريق حك الأرض بحوافره، وهو ما كان سحرًا واضحًا. ولكن على العموم كانت الدهون البشرية النتنة هي التي غطت جدران المساكن في العديد من القرى.

في إنجلترا كانت الطريقة المفضلة للتخلص من الساحرات هي الشنق، وهو ما كان بمثابة جنون في حد ذاته حيث تولى الجنرال البروتستانتي المتحمس ماثيو هوبكنز القيادة في القرن السابع عشر. أما في اسكتلندا، فكانت الساحرات عادة ما يتم إحراقهن، وكانت آخر واحدة لقيت حتفها في عام 1727، على الرغم من وجود أمثلة غير رسمية في وقت لاحق. حتى مؤسس الميثودية جون ويسلي أعلن أن "التخلي عن [الإيمان] بالسحر هو في الواقع التخلي عن الكتاب المقدس".

وسوف يكون ويسلي سعيداً بذلك ــ فالإيمان بالسحر لا يزال حياً وبصحة جيدة، وخاصة بين الأصوليين الذين ينظرون إلى الليبراليين، والمفكرين الأحرار، ومعظم الديانات الأخرى، وبالطبع جميع الوثنيين، على أنهم ليسوا أفضل من الشيطانيين الصريحين. ولكن من الناحية القانونية تغير الوضع، على الرغم من أن نهاية الاضطهاد الجماعي للساحرات كانت مع إعدام أليس مولاند في إكستر في عام 1684، وإدانة جين والهرن في هيريفوردشاير في عام 1712. ولكن هناك ملحق محتمل مثير للاهتمام ورد في رسالة في صحيفة الديلي ميل بتاريخ 9 ديسمبر 2004 رداً على استفسار أحد القراء حول معنى نقش على شاهد قبر في ساحة الكنيسة القديمة في بيتسيا ماونت، بالقرب من باسيلدون في إسيكس، والذي ينص على: "آن فريمان، توفيت في 20 مارس 1879". هنا ترقد دودة ضعيفة وخاطئة، هي الدودة

الأكثر شراً في جنسها، والتي تم إنقاذها من خلال محبة الله المنتخبة، ونعمته المجانية والسيادية. رد رجل إسيكس نيل فيشر: "... تقول الأسطورة المحلية أن النقش المدان ... يعكس حقيقة أن آن فريمان كانت آخر ساحرة تتم محاكمتها وإعدامها في إنجلترا ..." ويضيف: "إن وضع مثل هذه الكلمات المؤثرة والقوية على مكان راحة شخص ما لابد وأن يكون شهادة على بعض الالتزامات الشريرة المزعومة". ولعل المفتاح يكمن في الكلمة البسيطة "المزعومة". على أية حال، يبدو أنها تابت و"أنقذت"، ربما في اللحظة الأخيرة، وهذا هو بلا شك سبب دفنها في أرض مقدسة. لكن هذا يطرح السؤال: كم عدد "الساحرات الأخيرات" اللاتي كن موجودات، سواء تم تسجيلهن أو عدم تسجيلهن؟ كم عدد الذين ما زالوا يعانون؟ إذا كان قصف متجر الكتب الوثنية بالقنابل الحارقة - والتي كانت تحتوي أيضًا على أعمال عن التصوف المسيحي - لو أن عمليات الإعدام التي نفذتها جماعات متطرفة في شمال إنجلترا في ثمانينيات القرن العشرين أدت إلى وفيات، فهل كانت لتكون آخر الساحرات اللاتي يتم "إعدامهن" في بريطانيا؟

في واقع الأمر، كانت آخر امرأة يتم القبض عليها بموجب قانون السحر لعام 1735 في بريطانيا هي الوسيطة الروحانية هيلين دانكان في عام 1944. لقد تحدث سامرز نيابة عن العديد من رجال الدين (حتى في القرن الحادي والعشرين) عندما أعلن: "مموه الأمر كما يحلو لكم، فالروحانية والخرافات المشابهة لها... [ليست] "ديناً جديداً"... بل هي السحر القديم".117 إن قضية السيدة دنكان، التي تعقدت بسبب الأدلة التي تورطت الاستخبارات البريطانية فيها، تقع للأسف خارج نطاق هذا التحقيق 118 ولكن يكفي أن نقول إن هجوم سامرز العنيف على "الخرافات" و"الدجل" في الروحانية لا يريح من يقبل دون شك صحة الآثار الدينية ومعجزات القديسين.

وبعد أن نظرنا في إبادة الكنيسة للكاثاريين، وإبادة السحرة على أساس الجنس على مدى ثلاثة قرون، فقد حان الوقت للتوجه إلى الرجال الذين يُعتقد أنهم عقدوا عهداً مع الشيطان، وباعوا أرواحهم من أجل المكاسب المادية والسلطة. ولكن، مثل الغالبية العظمى من السحرة، هل هم أيضًا مجرد أشخاص غير مفهومين ومشوهين؟

الفصل الخامس

غرف العهود والاستحواذ والجلسات الروحانية

في حين أن النساء الفقيرات غير المتعلمات، وليس الرجال الأثرياء المتعلمين، كن من وقعوا ضحية صائدي السحرة، فإن التاريخ مليء بالحكايات ـ كثير منها شبه ملفق ـ عن السحرة الذكور المتعلمين الذين سعوا إلى التعامل مع الشيطان. ولكن مثل النساء الأميات، وقع العديد من هؤلاء الرجال في فخ الهستيريا التي اجتاحت المذنبين والأبرياء على حد سواء، وبحتمية شديدة دفعوا الثمن في نهاية المطاف.

ولكن لا شك أنه كان هناك أيضًا باحثون جادون عن المعرفة - والتي كانت معظمها محظورة من قبل السلطات - وكان شغفهم بالمعلومات يأخذهم إلى أكثر الطرق الروحية ظلمة. وكان هؤلاء في الغالب رجالاً منعزلين يتمتعون بسمعة سحرية ولم يترددوا في استدعاء الشيطان نفسه من أجل توقيع ميثاق بدمائهم، وهو أحد الجوانب الأكثر تنوعًا في السحر والشعوذة.

ربما لا يكون تاريخ هذا العهد قديمًا كما يتصور البعض، إذ يعود إلى قصتين انتشرتا بين المسيحيين في أواخر القرنين الخامس والسادس. كان أحد آباء الكنيسة المؤثرين للغاية، القديس جيروم، مسؤولاً عن القصة الأولى، قصة القديس باسيليوس، التي أعاد سردها هينمار من ريمس في القرن التاسع، والتي تدور أحداثها على النحو التالي: رجل يشتهي فتاة جذابة يزور ساحرًا يرتب له عقد ميثاق مع الشيطان - في الأساس، تصبح الفتاة ملكه إذا باع روحه. في الوقت المناسب، يظهر رسل الشيطان ويأخذونه إلى الحضور. يسأل الشيطان في محاكاة ساخرة تجديفية لمعمودية المسيحيين: "هل تؤمن بي؟" فيرد الرجل بلهفة: "نعم، أنا أؤمن بك". ثم سئل: هل تنكر المسيح؟ فيوافق: "أنا أتبرأ منه". لكن الشيطان يرفض أن ينخدع، قائلاً: أنتم المسيحيون تأتون إليّ دائمًا عندما تحتاجون إلى المساعدة، ثم تحاولون التوبة لاحقًا، مفترضين رحمة المسيح. أريد منك التوقيع كتابيًا.

تم الاتفاق وتقع الفتاة في حب الشيطان الجديد بلا حول ولا قوة، وتطلب الإذن بالزواج منه من والدها. لسوء الحظ، لأنه يطمح لدخولها الدير، فإنه يرفض. قبل أن يشرعوا في علاقة خاطئة، يعود الشاب إلى رشده وتتسرب قصة العهد. وفي الوقت المناسب، يتدخل القديس باسيليوس ويبقى شرف الفتاة نقيًا.

كانت قصة العهد المؤثرة الأخرى - والتي وصلت إلى جمهور ضخم في مختلف أنحاء أوروبا على مدى ألف عام، "مصدر أسطورة فاوست والتأثير بشكل غير مباشر على جنون السحر في عصر النهضة" - هي قصة ثيوفيلوس، وهو كاهن من آسيا الصغرى رفض منصب الأسقفية والنتيجة أنه عانى من تخفيض رتبته على يد الأسقف القادم. غاضبًا من هذا التحول غير العادل في القدر، استشار ساحرًا يهوديًا، الذي أخذه إلى مكان بعيد لمقابلة الشيطان. وافق ثيوفيلس على دخول خدمة الشيطان في مقابل منصبه السابق في الكنيسة، ووقع على ميثاق وقبله كعلامة على طاعته. وأصبح ثيوفيلوس غنيًا وقويًا، ولكن ...

وكما يبدو أن الجميع، باستثناء الموقعين على الاتفاق أنفسهم، يعرفون دائماً، فإن الاتفاق لا يمكن أن ينتهي إلا بأشد الدموع مرارة. وكما تم الاتفاق عليه، فقد ظهر الشياطين في اللحظة المناسبة للاستيلاء على روح الرجل، على الرغم من هزيمتهم. لقد أفرزت صلواته المرعبة مريم العذراء، التي سارت بلا خوف إلى الجحيم نفسه لاستعادة العقد وإعادته إلى الخاطئ ليتم تدميره. توسلت العذراء إلى الله أن يغفر لثيوفيلوس، فأعطاها إياه، ومرة أخرى خرج الشيطان من الصفقة خالي الوفاض.

ومع ذلك، في حين أننا جميعًا بلا شك نهنئ الخاطئ على نجاته المحظوظة، إلا أن الفكرة لا تزال تخطر على بالنا أن الرجل، وليس الشيطان، هو الذي أثبت أنه عميل ماكر - أي ميثاق؟ وأيضاً، إذا كان الشيطان ماكراً إلى هذا الحد، فلماذا يتفوق عليه البشر العاديون في كثير من الأحيان؟ يبدو أن الحيلة تكمن في التوقيع على العهد، والتمتع بجميع المزايا، ثم في اللحظة الأخيرة اللجوء إلى العذراء للحصول على المساعدة. وإذا كان الشيطان يائسًا للغاية من أجل النفوس البشرية، فمن الممكن أن يتخيل أنه على الأقل سيخلق وهمًا بنهاية مغرية بشكل رائع لحياة الموقعين على العهد، بدلاً من أن يقع الوافدون الجدد إلى الجحيم في قبضة الشياطين القذرة من الحفرة.

ومع انتشار قصة ثيوفيلوس، كما أشار جيفري بيرتون راسل، "فقد أدت إلى تعزيز معاداة السامية وطائفة مريم". والأمر الأكثر أهمية هو أنها كانت بداية فكرة الميثاق.3 وقد انتشرت أساطير مشابهة: مثل قصة طالب في سانت أندروز في اسكتلندا التقى بـ "قس" ساعده في عمله الأكاديمي مقابل صفقة موقعة بالدم. ويقال أيضًا أن السير فرانسيس دريك استخدم وسائل مماثلة لهزيمة الأسطول الإسباني. في مناقشته للعنصر الهزلي في العديد من هذه الحكايات، يروي راسل قصة فارس

وعد بإعطاء الشيطان روحه إذا جاء إلى بلدة تسمى موفلي. كان الفارس واثقًا من عدم وجود مثل هذه المدينة، وشعر بالأمان التام. اتجه الفارس إلى الحياة الدينية، فأصبح راهبًا، وأخيرًا ترقى إلى منصب رئيس أساقفة ريمس. وفي نهاية المطاف زار مسقط رأسه، غنت. هناك أصيب بمرض خطير، ولشرفه ظهر الشيطان بجانب سريره.

للمطالبة به - على أساس أن الاسم الحقيقي والسري لمدينة غنت هو موفلي 4

لقد أصبح مفهوم العهد الشيطاني مرتبطًا بشكل وثيق بشيطنة المسلمين واليهود والزنادقة - الذين كان يُنظر إليهم جميعًا على أنهم عملاء واعون للشيطان. وكانت إحدى الشخصيات الساراسينية تُعرف باسم "أبسم" أو "الجحيم". واتهم المسلمون بعبادة آلاف الشياطين أو الأصنام - وهو أمر مثير للسخرية بطبيعة الحال بالنسبة للدين الأكثر تشددا في التوحيد على الإطلاق. ومع ذلك، استمرت الإهانات الجاهلة في التأثير، مما أثر بشكل خطير على معاملة المسلمين واليهود و"السحرة"، الذين اتُهموا جميعًا بقتل الأطفال المسيحيين وأكل لحومهم عادةً. كانت هناك أسطورة واحدة، أثبتت فائدتها الكبيرة لرئيس

المحققين توركيمادا، تتمحور حول "سانتو نيفلو"، "الطفل المقدس" الذي يُزعم أن اليهود قتلوا وأزالوا أحشائه بطريقة طقسية من أجل إلقاء تعويذة من شأنها إبادة جميع المسيحيين. لا بد أن هذا كان صحيحًا: ففي نهاية المطاف، اعترف معظم اليهود بذلك - تحت التعذيب، بالطبع. كانت إحدى أشكال خرافة الساحرات وقاتلات الأطفال قد عادت إلى الظهور بشكل مروع في هستيريا إساءة معاملة الأطفال من خلال الطقوس الشيطانية التي انتشرت بين العاملين الاجتماعيين الأصوليين في أواخر القرن العشرين، مما ألحق أضرارًا لا توصف بعدد لا يحصى من الأسر البريئة. (وكما كانت الحال في الاتهامات التي وُجهت في العصور الوسطى، فإن حقيقة عدم اختفاء أي طفل وعدم وجود حالات حمل غير مبررة لم تُحدث أي تأثير يُذكر على هوس المتعصبين.)

مفستوفيليس يضحك

إن العهد الشيطاني الأكثر شهرة على الإطلاق هو بالطبع عهد فاوست، أو الدكتور فاوستوس، على الرغم من أن الخيال قد حجب منذ فترة طويلة إلى حد كبير الحقيقة الصغيرة التي ربما كانت مرتبطة بالأسطورة. ومع ذلك، يبدو أن هناك دكتور فاوست حقيقي، وهو شخص مروج لنفسه ومحتال غير مثير للإعجاب، والذي - مثل سمعان الساحر الأسطوري - كان يتفاخر بأنه قادر على التفوق على معجزات المسيح. ومن بين عجائبه قدرته على إنتاج لحوم صالحة للأكل خارج موسمها، وحتى تهديد مجموعة من الرهبان باهتمامات شبحية مقابل تقديم النبيذ الحامض له. (ربما كان الأخير في يوم عطلة.) كان متفاخرًا مريضًا، ينشر بمرح شائعات عن عهده مع الشيطان، ويعزز سمعته في الفنون المظلمة من خلال الإعلان لرجل محلي معروف، "لقد اعتقدت بالتأكيد أنك صهرى، ولذلك نظرت إلى قدميك لمعرفة ما إذا كانت مخالب طويلة منحنية تبرز منهما". إما أنه كان متغطرسًا إلى حد كبير أو يمتلك رغبة في الموت، ومع ذلك فإن كل هذا التظاهر الشيطاني لم ينجح إلا في طرده من مدينة إنغوشتات. لقد كان محظوظاً. لقد مات

"بطريقة فاضحة" في عام 1537، على الرغم من أنه من غير المرجح أن يكون ذلك نتيجة تمزيقه إلى أشلاء بواسطة الشياطين.

في مسرحية "التاريخ المأساوي للدكتور فاوستوس" (1604) للكاتب المسرحي اليعقوبي كريستوفر مارلو، يتحول البطل المضاد الذي تحمل المسرحية اسمه إلى مدمن للقوة الغامضة، حيث يعلن "إنه السحر، السحر الذي ابتلعني".

لا شك أن النساء العجائز ضعيفات العقل اللاتي يعشن بمفردهن مع قطة أليفة قد يثيرن التمتمات بالسحر - وخاصة إذا أصبحن في خرفهم غير لطيفات مع جيرانهن - وبالمثل فإن الرجال المنعزلين الذين لديهم ميل إلى الكتب المتربة والتجارب العلمية قد يُنظر إليهم على أنهم سحرة. نظرًا لشعبية حكايات العهد ودراما فاوست، فإن فكرة وجود شيطان حقيقي على مشارف قريتك ستكون بلا شك مثيرة للغاية. على الرغم من أنه من المستحيل معرفة عدد هؤلاء العلماء المنفردين الذين كانوا ببساطة رجالاً مسنين مولعين بالكتب وغير اجتماعيين وما هي النسبة التي كانت مهتمة بالفعل بالسحر الطقسي، إلا أنه من المعروف أن بعض الأسماء الشهيرة كانت متورطة في بعض الفنون المظلمة للغاية.

وُصِفَ فاوستوس مارلو بأنه "... سقط في تمرين شيطاني / وأفرط في هدايا التعلم الذهبية / وأفرط في

السحر الأسود الملعون". كان السحر الأسود (من الكلمة اليونانية nekos، وتعني "الميت" وmanteria، وتعني "العرافة") أو استحضار الموتى من أجل اكتشاف أسرار الماضي والحاضر و- على وجه الخصوص - المستقبل، عملاً مروعًا ينطوي على طقوس فظيعة وغير قانونية تركز على استخراج الجثث، والتي قيل إن العديد من الباحثين عن المعرفة ينغمسون فيها (على الرغم من المشاكل العملية التي تنطوي عليها، ناهيك عن طريقة العمل المؤلمة، ربما لم يفعل الكثيرون ذلك بالفعل).

يعرف السحر الأسود باسم "الفن الأسود"، ويمكن أن يكون إما عرافة من خلال الأشباح - وسواء أحببنا ذلك أم لا، فإن بعض أشكال الروحانية تندرج ضمن هذه الفئة - أو عرافة باستخدام الجثث الفعلية، والتي تنطوي بوضوح على تدنيس القبور. كما يشير موقع إلكتروني مطلع، كممارسة

عالمية في العصور القديمة العظيمة، فإن الساحر المتأهل والشجاع والمخلص فقط لديه أي فرصة للنجاح في مثل هذه المغامرة، والتي تعتبر دائمًا خطيرة للغاية، ليس فقط لأن العهد مع الشيطان ضروري، ولكن يُعتقد أيضًا أن "الجثة النجمية" لديها رغبة شديدة في العيش مرة أخرى ويمكنها، عن طريق امتصاص طاقة الحياة من الكائنات الحية، إطالة عمرها إلى أجل غير مسمى، وبالتالي، ما لم يتخذ الاحتياطات الكافية، فقد يكون الساحر في خطر كبير.

يقوم الساحر ومساعده بإنشاء دائرتهم السحرية في مكان عاطفي مناسب مثل المقبرة أو أرض البرية المهجورة، في ليلة فلكية مناسبة، ويستدعون الموتى، باستخدام أقوى أسماء الله. ويل لهم إذا خرجوا من الدائرة الواقية، لأنه حينئذٍ قد تمزقهم الجثة المتحركة مؤقتًا وتدمر أرواحهم. حتى داخل الدائرة المقدسة، يجب أن يكونوا محصنين ضد الصراخ الكابوسي والشخصيات المتلعثمة، التي ترتدي خرقًا من الجلد الفاسد، وتومض تجاويف العين بضوء خافت وجهنمي.

إن السحر الأسود مكروه تمامًا ومحرم في الكتاب المقدس، كما كانت جميع أشكال التواصل مع الموتى - الحالة الكلاسيكية هي ساحرة إندور10 - وكان له تاريخ طويل ومتنوع، وفقًا للاختلافات في مواقف الثقافات والأجيال المختلفة.

وكما اقترحت، فمن الممكن أن تكون حركة يسوع ذاتها قد انخرطت في شكل مختلف من أشكال السحر الأسود، إذا كان الأمر كذلك بالفعل، كما تشير الأدلة، فقد استولوا على رأس المعمدان من أجل استعباد روحه لأغراض الكهانة. ربما لا تكون هذه هي الطريقة التي يعمل بها العقل الحديث، ولكن مثل هذه الممارسات السحرية لها تاريخ طويل.

إن البطل المضاد للدكتور فاوستوس، الذي تم إغراؤه بكل الجوائز البراقة في الحياة المادية والفكرية، محكوم عليه بالطبع بالخيانة في نهاية المطاف من قبل الشرير. لكن قصة هروبه من كل ما هو طيب ومقدس كانت أيضًا حكاية أخلاقية ملونة من شأنها أن تمنح أهل الأرض تسلية مثيرة، إن لم تكن مرعبة في بعض الأحيان.

تعتبر مسرحية "فاوست" للشاعر والفيلسوف الألماني العظيم (والساحر السابق) يوهان فولفغانغ جوته (1749-1832) أكثر دقة إلى حد ما. يتعين عليه أن يكافح من أجل الحفاظ على مكانه في مركز الصدارة في مواجهة ذكاء وسحر مفستوفيليس ذي الشخصية الكاريزمية الخاصة، والذي يقول لله:

عذرًا، إذا كان أسلوبي متواضعًا، فإن بلاغتي هنا لن تُقابل بالازدراء، وسيُسبب لك الشفقة مني الضحك فقط، لو لم يكن الضحك شيئًا قد أقسمت عليه.11

إن السطر الأخير يوضح ببساطة ما كان لابد أن يشتبه به مرتادي الكنيسة منذ فترة طويلة، مهما كان شعورهم بالذنب: فبناءً على العهد القديم الكئيب والمتكلف، يبدو أن يهوه قد فقد حس الفكاهة، إذا كان لديه حس فكاهة ليخسره في يوم من الأيام. إن شخصية مفستوفيليس المضحكة والساخرة تمتلك جاذبية فورية خاصة لدى الجمهور الأنجلو ساكسوني الحديث الذي يعتبر موهبة الترفيه والتوقع بالترفيه كل شيء تقريبًا. إن حس الفكاهة ــ وعلى وجه الخصوص حس العبث ــ يُنظر إليه الآن باعتباره تجسيداً للحضارة، والترياق ضد التعصب والتشدد، والهدية التي تميز البشر عن الوحوش، وغالباً ما تكون الضوء الوحيد في حياة قاتمة وكئيبة. يبدو أن يهوه يشبه إلى حد كبير مدير المدرسة الممل الذي يلقي خطابًا مطولًا حول القواعد واللوائح بينما تضحك المدرسة بأكملها على نكتة خاصة: إذا أردنا استخدام تشبيه دكنزي، فهو الرجل المستقيم والصارم، الشرير، ذو القلب البارد، السيد مردستون ضد سام ويلر المتقلب والمضحك وغير الموقر.

إن شخصية مفستوفيليس التي ابتكرها جوته ــ على الرغم من لحظاتها المظلمة ــ هي عضو لامع في هذا التقليد غير التقليدي الذي أنتج بالفعل سلسلة طويلة من المهرجين المناهضين للمؤسسة في البلاط الملكي، ولم يتضمن بعد أمثال ميل بروكس، ومونتي بايثونز، وإيدي إيزارد. وبما أن الله اختار على ما يبدو أن يقدم نفسه في صورة طالبان غير المبتسم والثرثار، فمن يستطيع أن يلوم أولئك الذين يفضلون أن يستمتعوا بل ويتلقوا المعلومات من أساتذة فن الفكاهة التخريبي؟ من المؤكد أن الفكاهة هي من بين جميع الأنشطة والمواهب البشرية الأكثر ارتباطًا بالشيطان، تليها مباشرة الاستفسارات الفكرية ــ وخاصة العلوم ــ كما سنرى.

يمكن رؤية الديناميكية بين الشيطاني الحقيقي واللوسيفراني في القصة المروعة للمرأة التي ألقي القبض عليها بتهمة ممارسة السحر، وممارسة الجنس مع الشيطان وجميع أنواع الهراء الصبياني، والتي ضحكت.12 لم يكن بإمكانها أن تتخيل أي شيء أكثر سخافة من كونها تمارس عبادة الشيطان: ولكن سرعان ما تم "إقناعها" بـ "الاعتراف" بأي شيء وكل شيء طلبه منها المحققون الشيطانيون الحقيقيون. لقد كانت بمثابة نسمة من الهواء النقي في زنزانة الساحرات النتنة حتى التهمها الإرهاب، وعلى الرغم من أننا لا نعرف اسمها، إلا أننا لا نزال نستطيع أن نغني مديحها.

مثل شيطان ميلتون، فإن ممثل الشر عند جوته هو أيضًا مثير، ومخادع، وجذاب: كما عرفت النساء منذ فترة طويلة واشتبه الرجال الطيبون، فإن الأولاد الأشرار يمتلكون جاذبية قوية ولكن مراوغة. يعلن مفستوفيليس بأسلوب غير رسمي ومتهور أنه يراقب فقط "الحالة الوبائية للرجال"، ويجد "أن تعذيبهم أمر ممل"، ولكنه مع ذلك يبحث بنشاط عن فاوست المتزمت وغير الجذاب إلى حد ما. في سطر ذكي للغاية، يذكر مفستوفيليس أن الإنسان، اليائس من اكتساب المعرفة وتلبية رغبته في معرفة ما لا يعرفه، "يخدمني بطريقة محيرة" بالفعل. يسعى مبعوث الشيطان إلى جعل فاوست يلعق الغبار، "تمامًا مثل الثعبان، ابن عمي الشهير". (مفستوفيليس يتذمر أيضًا "هل هو العليم بكل شيء؟" لا، ليس أنا، ولكن مطلع جيدا.')

يبدو أن فاوست كان بالفعل في منتصف الطريق إلى الجحيم، حيث أصيب بالجنون بسبب إحباطات الحياة الأكاديمية التي تعد بالكثير ولا تقدم سوى القليل. مثل العديد من المفكرين المنعزلين والأرواح الضائعة، فإنه يصرخ: "من هو مرشدي؟" ماذا يجب أن أتجنب؟/أو ما هي الرغبة الملحة التي تطيعها؟...' يائسًا من تحقيق النجاح الفكري والروحي، يفكر في المكان الذي سيأخذه إليه أي تقدم، ويسأل بمرارة: "هل يجب أن أكون مع الآلهة؟"

سعى السحرة إلى إصدار الأوامر للآلهة لتنفيذ أوامرهم أو القتال لتحقيق نوع من الألوهية الوهمية

لأنفسهم، ولم يتم الحفاظ عليهم إلا من خلال أقوى المعارك الشخصية وحُكم عليهم بنهاية مخزية. ومن ناحية أخرى، أدرك الغنوصيون والصوفيون أن كل فرد هو بالفعل إلهي محتمل، معتقدين أن هذه الإلهية الداخلية لن تزدهر حقًا إلا بالصدق الروحي العميق، والتفاني في سبيل المثل العليا الحقيقية للألوهية، وتسخير النشوة. لقد تجاهل فاوست حقيقة ألوهيته عندما سعى إلى ممارسة السلطة على الآلهة؛ وهي وصفة حقيقية للكارثة.

ولكن فاوست لم يكن سوى نصف القصة: بالمعنى الحرفي كان "ممسوسًا" من قبل مفستوفيليس - ولكن فقط عندما كان مستعدًا للعهد. بعبارة أخرى، وكما هي الحال في العديد من الأمثلة على الاستحواذ الشيطاني الواضح، فإن فاوست يغمره الشر فقط عندما يدعوه إلى الداخل. في عالم السحر يقال أن "المثل يجذب مثله"، وهذا هو المعنى الحقيقي للعهد الشيطاني. استسلم لإله قاسٍ لا يرحم أو لأعراف متعصبة، وهذا ما سوف يسيطر عليك إلى حد إهمال كل ما هو أكثر إشراقًا وأفضل: سوف يكون عقلك وروحك محصورين بشكل ضيق ومستهلكين بشكل انفجاري مثل المصدر الذي تبنيته. دع الشرارة الساطعة لمبدأ لوسيفر تدخل، ولن تعرف حدودًا، لأنها تدور بشكل أساسي حول تعزيز وتوسيع وإعطاء معنى للإمكانات البشرية.

بينما كان يستمتع بثمار عقله المشحون الجديد، مثل جميع الأبطال المضادين في عصر النهضة، كان فاوست يعاني من عيب قاتل - في حالته الأنانية الضخمة، والتي هي بالتأكيد الخطيئة التي تلاحق جميع السحرة المخلصين. لا شك أن الحساب سيكون رهيبًا، كما يشير مفستوفيليس بكل شرف:

اتبع قول ابن عمي الثعبان.

من أحلام المعرفة الإلهية، ستستيقظ على خوف، سترتجف فيه روحك.

ولكنه يضيف مقولته الشهيرة: "ما دامت هناك حياة، فهناك أمل"، رغم أنه ربما لا يكون هناك الكثير من الأمل في نهاية المطاف، كما يشتبه المرء، بالنسبة لفاوست. في الواقع، تم إنقاذ روحه، إلى حد كبير من خلال الحب الطاهر لامرأة طيبة، وبدلاً من الذروة الجهنمية، هناك صوت حلو لأناشيد الجوقة الصوفية وصلاة إلى "العذراء، ملكة الأمومة" "احفظينا، يا إلهة، في نعمتك".

ومع ذلك، ساهمت أعمال جوته الذكية والفكاهية في كثير من الأحيان في نشر فكرة حقيقة العهد على نطاق واسع، الأمر الذي أدى إلى تأجيج عدد لا يحصى من محاكمات الساحرات. ومن المفارقات أن العديد من حالات عبادة الشيطان، سواء كانت حقيقية أو متخيلة، ولدت في أجواء البيوت الدينية المليئة بالتوتر والعنف.

الأخوات الغريبات

في العالم القروسطي وعصر النهضة، كان عدد قليل من الذين دخلوا الأديرة لديهم دعوة حقيقية للحياة الدينية. وفي كثير من الأحيان لم يكن هناك شيء آخر يمكنهن فعله: وكانت الفتيات على وجه الخصوص يضطررن إلى ارتداء الحجاب إذا فشلت عائلاتهن في توفير المهر المطلوب لزواجهن، أو إذا كن مستقلات للغاية - قليلات العدد - بحيث لا يمكن قبولهن في العالم الخارجي. ولكن العيش في حياة مغلقة

خالية من الجنس كان في كثير من الأحيان يؤدي إلى اللامبالاة أو النوع الخاص من "اللامبالاة الشديدة"13 الشائعة في حياة الراهب أو الراهبة المنعزلة، ومن هذه التربة الخصبة نمت بعض الحلقات المذهلة من الهستيريا الجماعية، التي تركز بشكل خاص على الاعتقاد في الاستحواذ من قبل الشياطين. وليس من العجيب أن تكون البيوت الدينية التي تقتصر على جنس واحد بمثابة بؤر حقيقية لخيالات جامحة ــ وهو ما كان يعني أخباراً سيئة للغاية بالنسبة لبعض الناس.

لقد حدثت حالة سيئة السمعة من حالات الاستحواذ الشيطاني الجماعي الواضح في لودون، فيينا، في فرنسا في عام 1634، والتي أصبحت معروفة لجمهور أوسع في القرن العشرين، أولاً من خلال كتاب ألدوس هكسلي "شياطين لودون" (1952) ثم من خلال فيلم كين راسل الرائع ولكن المذهل للغاية، "الشياطين" (1971)14، والذي أظهر التعذيب والموت على الوتد بتفاصيل لا هوادة فيها.

في هذه القصة المثيرة للقلق عن الإمكانات البشرية المظلمة، انتشر الهوس الجنسي بين راهبات لودون، مما أدى إلى نوبات من الصراخ والتجديف والبذاءات جنبًا إلى جنب مع الكثير من التدحرج على الأرض وإظهار الأعضاء التناسلية. وفي هذا التحرر الكبير الذي أتاحته للنساء المكبوتات تحت ضغوطهن، خرجت الإحباطات من جميع الأنواع إلى ضوء النهار.

إن اعتراف الأخت جين دي أنج الحقيقية يكشف عن اشمئزاز عميق من حياتها الدينية، والتي عادة ما تكون مخفية تحت الخضوع المتواضع المتوقع من الراهبة، بالإضافة إلى توضيح الاعتقاد المعاصر بأن كل هذه الهستيريا كانت من عمل امتلاك الشياطين:

كان ذهني مليئًا بالتجديف في كثير من الأحيان، وأحيانًا كنت أنطق به دون أن أتمكن من التفكير في إيقاف نفسي. لقد شعرت بالنفور المستمر من الله... "لقد حجبني الشيطان بطريقة جعلتني بالكاد أميز رغباته عن رغباتي؛ كما أعطاني نفورًا قويًا من دعوتي الدينية، لدرجة أنني في بعض الأحيان عندما كان في ذهني اعتدت أن أمزق كل حجاباتي وأغطية أخواتي التي قد أضع يدي عليها؛ كنت أدوسها تحت قدمي، وأمضغها، وألعن الساعة التي أخذت فيها النذور ..." في أغلب الأحيان، كنت أرى بوضوح أنني كنت السبب الرئيسي وراء مشاكلي وأن الشيطان كان يتصرف فقط وفقًا للافتتاحيات التي أعطيتها له ... عندما قدمت نفسي للقُرْبانُ المُقَدّس، استولى الشيطان على رأسي، وبعد أن تلقيت القربان المقدس وبلل نصفه ثم رماه الشيطان في وجه الكاهن.15

ادعت الأم الرئيسة نفسها أنها مسكونة بالشياطين بالان، وإسكارون، وليفيثان، وبهيموث، في حين انفجرت الراهبات تحت رعايتها في كتلة من لحم الأنثى المحبط والمتلوّي والصراخ. ووجد طارد الأرواح الشريرة، الأب أوربان جراندير، أنه مع كل محاولة متتالية لتخليص النساء من الشياطين التي تسكنهن، أصبح تفشي المرض أقوى. في النهاية، تم القبض على جراندير نفسه من قبل محاكم التفتيش وتعرض لعذابات فظيعة من الحذاء، ثم تم إرسال جسده المشوه ولكن لا يزال حيًا إلى المحرقة. بطريقة ما، وعلى الرغم من معاناته، تمكن من الحفاظ على براءته ورفض تسمية أي شركاء، ولكن تم التوصل إلى اتفاق مزور مع الشيطان الذي حسم مصيره. وقد جاء فيه: "...

سيدي ومعلمي، أنا مدين لك بإلهي؛ أعدك أن أخدمك ما دمت حيًا، ومن هذه الساعة أتبرأ من جميع الآلهة الأخرى ويسوع المسيح ومريم وجميع قديسي السماء والكنيسة الكاثوليكية والرسولية والرومانية، وكل حسن نيه والصلوات التي قد تُقدم من أجلي. أعدك أن أعبدك وأقدم لك الاحترام ثلاث مرات على الأقل في اليوم وأن أفعل أقصى ما أستطيع من الشر وأن أقود أكبر عدد ممكن من الأشخاص إلى الشر، وأنا أتبرأ من كل قلبي من المسحة المقدسة والمعمودية وكل مزايا يسوع المسيح؛ وفي حالة رغبتي في

التغيير، فإنني أعطيك جسدي وروحى وحياتي محتفظًا بها منك، وقد كرستها إلى الأبد دون أي إرادة للتوبة.

تم توقيع أوربان جراندير بدمه.16

لم يخطر ببال مضطهديه قط أنه طالما استمرت الممتلكات بعد إحراقه حتى الموت فقد تم تبرئته فعليًا - ربما زعموا أن من يمتلكها مرة واحدة، يظل مملوكًا إلى الأبد. وربما تجاهلوا ببساطة حقيقة وفاة جراندير المزعجة.

(يروي مونتاغ سامرز رسميًا كيف جاءت نتيجة اختبار جراندير إيجابية لـ "علامة الساحرة": "تم اكتشاف علامتين، واحدة على لوح الكتف والأخرى على الفخذ، وكلاهما غير محسوسين حتى عندما تم ثقبهما بدبوس فضي حاد". كان سامرز يؤمن تمامًا بأن "اكتشاف علامة الشيطان" كان بمثابة "دليل لا يقبل الخطأ" على عبادة الشيطان، حيث كانت العلامة بمثابة علامة لا تمحى من "دليل علامات الشيطان نفسه".)

ارتفعت قوة العروض الفاحشة التي قدمتها الراهبات من قوة إلى قوة، واجتذبت جمهورًا كبيرًا ومُعجبًا. الأخت كلير

... سقطت على الأرض وهي تجدف، وتتشنج، وتظهر عورتها بلا خجل، وتنطق بكلمات بذيئة. أصبحت حركاتها غير لائقة لدرجة أن الجمهور صرف نظره عنها. صرخت مرارا وتكرارا، وهي تسيء إلى نفسها بيديها، "تعال إذن، افعل بي ما يحلو لك 19"

(لو أراد المراقبون حقًا أن يصرفوا أنظارهم، لما كانوا قد سافروا أميالًا ليكونوا جزءًا من الجمهور.)

ولكن يجب علينا أن نتوخى الحذر عند الإفراط في تناول الشكوك الحديثة. كان الأب سورين، الذي وصل إلى لودون كطارد للأرواح الشريرة، ممسوسًا، ومثل جين، وصف الإحساس الغريب بمراقبة نفسه والاستماع إليها، غير قادر على التوقف عن نطق الكلمات البذيئة والتجديف، في نوع من تجربة خارج الجسد غير المقدسة. ربما تكون الهستيريا قد نشأت من الإحباط الجنسي الشديد والفتور الرهباني، ولكنها سرعان ما اكتسبت حياة خاصة بها.

كان هناك أب معترف آخر عانى بسبب هستيريا اتهاماته، وهو لويس جوفريدي، كاهن أكيولس، بالقرب من مرسيليا، الذي سجن في عام 1611 بتهمة "السحر القذر" وأدين إلى حد كبير لأنه، هو أيضًا، اكتشف الجراحون المحليون أنه يحمل علامة الشيطان. 20 كانت متهمته المراهقة مادلين دي لا بالود، التي اعترفت في المحكمة بأن ادعاءاتها كانت "مجرد خيالات وأوهام، بدون كلمة حقيقة فيها" وأنها "أغمي عليها من أجل حب جوفريدي". وكما لاحظ كولين ويلسون، "بدأت بعد ذلك ترتجف من الجنون الجنسي، وتحركت وركاها لأعلى ولأسفل مع حركات الجماع". وأدين جوفريدي أيضًا بالاتجار بالشيطان، وحُكم عليه بالموت كزنديق. مرة أخرى، تضخمت المشاكل الجنسية الكامنة على أيدي منظمة مؤسسية عزوبية تكره الجنس.

وعلى الرغم من اعتراف مادلين، فقد تم "إقناع" جوفريدي بالكشف عن صيغة عهد الشيطان، والتي تنص على:

أنا لويس جوفريدي، أتخلى عن كل خير، روحي كان أم دنيوي، قد يمنحني إياه الله، والسيدة العذراء مريم، وجميع قديسي السماء، وخاصة شفيعي القديس يوحنا المعمدان، وكذلك القديس بطرس والقديس بولس والقديس فرانسيس، وأسلم نفسي جسديًا وروحيًا إلى لوسيفر، الذي أقف أمامه، مع كل خير قد

أمتلكه على الإطلاق (باستثناء دائمًا فائدة الأسرار المقدسة التي تلمس أولئك الذين يتلقونها). وبناءً على محتوى هذه الشروط، فقد وقعت وختمتُ 22 وقد وقعت مادلين، الضحية المزعومة لجوفريدي، على اتفاق أكثر تجديفًا ورعبًا:

"بكل قلبي وبكل صراحة وبكل إرادتي وبكل عمد، أنكر تمامًا الله الآب والابن والروح القدس؛ والدة الإله الأقدس؛ وجميع الملائكة وخاصة ملاكي الحارس؛ وآلام ربنا يسوع المسيح ودمه الثمين ومزاياه؛ ونصيبي في الفردوس؛ وكل الإلهامات الصالحة التي قد يمنحني الله إياها في المستقبل؛ وكل الصلوات التي قيلت أو قد تقال من أجلي.23

إذا لم يكن هناك شيء آخر، فإن هذه الاتفاقيات تكشف عن موهبة حقيقية من جانب ضباط محاكم التفتيش المحليين في عبادة الشيطان بشكل خيالي. كما أنهم يؤكدون على النقطة المركزية وهي أنه بدون الكنيسة لن يكون هناك عبادة للشيطان وحتى الشيطان. الواحد يتغذى على الآخر.

من المؤكد تقريبًا أن جوفريدي وجراندبير كانا بريئين من عبادة الشيطان التي اتُهموا بها والتي ماتا بسببها بطريقة مروعة، على الرغم من أنهما ربما شجعا نساء الدير على المغازلة - ربما أكثر من ذلك بقليل. ومع ذلك، فإن آخرين، مثل فاوست، لم يكونوا بالضرورة بلا لوم، على الرغم من أن مدى توزيع الشخص للخطيئة سوف يعتمد على الخلفية الروحية للشخص.

الدوس على الصليب

يوضح جيفري بيرتون راسل أن الفكرة الأولى للعهد - وهي في الأصل صفقة بين طرفين متساويين إلى حد ما - تغيرت بشكل كبير في العصور الوسطى:

لقد افترض الآن أن الشخص الذي عقد العهد قد فعل ذلك كعبد زاحف، ينكر المسيح، ويدوس الصليب، ويعبد الشيطان ... ويقدم القبلة الفاحشة ... لقد وضع الزنادقة وغيرهم من الأشرار أنفسهم تحت قيادة لوسيفر سواء كانوا قد قدموا خضوعًا واعيًا ومتعمدًا أم لا.21

بعض العناصر في تلك القائمة تعكس التجديفات المزعومة لفرسان الهيكل - وخاصة دوس الصليب والتخلي عن المسيح. يرفض جميع المؤرخين تقريبا حقيقة هذه الاتهامات، ويمكن للمرء أن يفهم السبب، نظرا لانتشار الاعترافات تحت التعذيب: فهذا في الأساس دليل غير مقبول. ولكن في هذه الحالة هل الأمر لا قيمة له حقًا؟ وكما رأينا، فإن حقيقة وجود "كنيسة يوحنا في الشرق"، المندائيين الذين واجهوا الفرسان في ما يعرف الآن بتركيا، تضيف لمسة ساخرة إلى الحكاية. إذا كانت الدائرة الداخلية، أو على الأقل مجموعة رفيعة المستوى، داخل فرسان الهيكل قد أصبحت بالفعل متحمسة (سيقول معظم الناس، مع سامرز، "مصابة بعدوى") بدعة يوحنا، فلا شك أنهم بصقوا وداسوا على الصليب ونبذوا يسوع، واعتبروه محتالاً ومغتصبًا وربما حتى شريكًا أو مساعدًا في جريمة القتل. ولكن بالنسبة للعديد من المتأهلين، الذين كانوا غارقين في ذلك الوقت في إيمان راسخ بأعراف المسيحية ــ بعد كل شيء، انضم معظم فرسان الهيكل إلى النظام لأنهم كانوا مخلصين للمسيح ــ فإن مثل هذه الأفعال لابد وأن بدت تجديفية، وحتى شيطانية. وربما كانوا في أعماق قلوبهم يعتقدون حقاً أنهم ذهبوا إلى الجانب الآخر، ليصبحوا عبدة للشيطان. هذا يردد مفهوم الكاثاريين عن المعمدان باعتباره شيطانًا: وهذا قد يكون منطقيًا إذا عرفوا أن الرجلين كانا متنافسين لدودين، لأنه بافتراض (ومن لا يفترض؟) أن المسيح هو بلا شك دائمًا وإلى الأبد الخير المتجسد - راعي البقر ذو القبعة البيضاء

كما كان، عازمًا على تنظيف المدينة - يجب أن يكون يوحنا بالتالي شريرًا، المشاكس العابس صاحب القبعة السوداء. ولكن كما تقول الأغنية، "ليس بالضرورة أن يكون الأمر كذلك".

في حين أن مساهمة فرسان الهيكل للبشرية قد لا تكون عظيمة - على الرغم من أنهم أعطونا الشيك النقدي وبعض الكاتدرائيات القوطية المذهلة - إلا أن الزنادقة الآخرين واللوسيفريين أعطونا أكثر من ذلك بكثير مما أثبت قيمته الدائمة. والواقع أنه من الصحيح أن نقول إنه لولا جهودهم الفكرية لكان من الممكن أن نظل نعيش في العصور المظلمة. على الرغم من أن الازدهار الحقيقي لهذين الشيطانيين الرسميين وغير العارفين كان من المقرر أن يأتي في وقت لاحق، في عصر التنوير، إلا أن جذوره كانت بالفعل تضرب في التربة الواعدة بشكل مؤقت في عصر النهضة، والتي تغذت في الظلام على سحر مفستوفيليس.

المسيح الدجال

عندما تأمل ليوناردو دافنشي في قوة الرسام التي رفعته إلى مرتبة "حفيد الله"،25 كان ذلك تصريحًا غريبًا وجريئًا بشكل غير عادي، لأن دلالاته ليست شيئًا إن لم تكن هرطقة بشكل فاحش. بالنسبة لمعظم الناس، سواء في ذلك الوقت أو الآن، كان ولا يزال من مقالات الإيمان غير المكتوبة أن يسوع كان عازبًا طوال حياته، بلا أطفال - لذا فإن الحديث عن أن الله لديه حفيد، مهما كان مجازيًا، هو تجديف مذهل. قد يعترض البعض على ذلك بالقول إنها كانت مجرد عبارة ذكية، لا معنى لها تقريبًا، وتشير إلى عظمة غامضة، لا أكثر - وأن محاولة تحليلها أمر لا طائل منه. وبعد كل شيء، كان الكتاب يطلقون على أنفسهم بشكل روتيني لقب "أبناء الطبيعة": ففي كتابه إيمانويل كانط عام 1914 أعلن ستيوارت تشامبرلين أن "كل الفنون، وكل العلوم، وكل الفكر هي "بنات العين"، وأضاف "وهكذا فإن الرسام هو "nipote a Dio"، "حفيد الله". ولكنه يفتقد المغزى تماما. إن كون المرء ابنًا للطبيعة هو شيء، ولكن حتى الجرأة على التلميح، مهما كان شعريًا أو مجازيًا، إلى أن يسوع كان لديه أطفال لم يكن أقل من بدعة متطرفة. ولكن على أية حال، هذا هو ليوناردو دافنشي، وهو زنديق معادي للكنيسة بشدة: في الواقع، باعتباره نوعًا من المسيح الدجال نفسه، عندما أدلى بأي تعليق حول الإله فإنه يستحق بالتأكيد الإشارة إليه.

إذن ما الذي دفع ليوناردو إلى الإدلاء بمثل هذا التصريح الخطير المثير للجدل، حتى في خصوصية دفاتر ملاحظاته الخاصة؟ ماذا كان يقصد في الحقيقة عندما ربط اسمه بـ "حفيد الله"؟ هل كان يدعي القرابة بالشخصية التاريخية المسيح؟ (على الرغم من أنه بالنظر إلى رمزيته الشريرة المناهضة ليسوع والتي تشبه يوحنا إلى حد كبير، فإن هذا يبدو غير محتمل إلى حد ما.) فهل كان يقصد بذلك أنه كان يعلم أن ليسوع ابن؟ أم أنه لم يكن يشير، ولو بطريقة غير مباشرة، إلى يسوع على الإطلاق، بل إلى يوحنا؟ من الواضح أنه رأى المعمدان، على الأقل مجازيًا، باعتباره ابن الله، وقليل من أتباع يوحنا يمكن أن يكونوا مؤهلين أكثر في إخلاصهم للقضية ليكونوا "ابنه" من ليوناردو دافنشي. ومهما كان دافعه، فإن تشبيه نفسه بحفيد الله لم يكن ليكون الاستعارة المختارة للكاثوليكي المتدين الذي يخاف الله في عصر النهضة ــ بل على العكس تماما.

على أية حال، لم يمشِ على الأرض سوى عدد قليل من الأفراد الشيطانيين أكثر من ليوناردو دافنشي، في جرأته، ورفضه وضع حدود لإمكاناته أو خياله، وتحديه المستمر للحكمة الموروثة، وخاصة

للمؤسسة الدينية في عصره.

الكفن في تورينو: على صورة من؟لقد زعم كليف برينس وأنا أن "كفن تورينو المقدس" - الذي كان من المعتقد منذ فترة طويلة أنه يحمل الصورة المعجزة المطبوعة ليسوع نفسه، كاملة بعلامات الصلب المروعة - كان تزويرًا رائعًا من قبل ليوناردو، الذي لم يستخدم وجهه فقط كوجه يسوع، بل خلق الصورة باستخدام تقنية نعرفها الآن باسم التصوير الفوتوغرافي. في الواقع، نحن نؤكد أن الكفن ليس أقل من صورة فوتوغرافية عمرها 500 عام لليوناردو دافنشي.

...

وبعبقريته الشيطانية العليا (على الرغم من أن كثيرين قد يعتبرونها مشوهة إلى حد ما)، استخدم هذه التقنية الرائدة و"الشيطانية" لإنشاء الآثار المسيحية النهائية، وبالتالي ضمان أن كهنة المنظمة التي كان يكرهها احتفظوا بها آمنة للأجيال القادمة. إن هذا المثال الخاص من المكر الشيطاني - المزحة العملية النهائية التي تهدف إلى تقويض الكنيسة ذاتها التي أبقت الكفن حياً للمؤمنين لعدة قرون - يُظهر إلهاماً حقيقياً. لا بد أنه كان يضحك. ويحتوي "الكفن المقدس" لدافنشي على شفرته الخاصة.

كان كفن تورينو بديلاً واضحاً لقطعة أثرية مزعومة سابقة، وهي عبارة عن طين مطلي بشكل واضح ومحرج تم عرضه في فرنسا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، حتى أن الأسقف المحلي أنكر ذلك وسمى الفنان المتورط.27 من ناحية أخرى، لم يستطع أحد أن يتهم نسخة ليوناردو اللاحقة بأنها مزورة بشكل صارخ: فالصورة الفوتوغرافية المتوقعة لا تحتاج إلى طلاء.

حتى لو كان معلم عصر النهضة قد تم تكليفه بإنشاء هذه الآثار التي تجذب الحشود، كما نعتقد أنا وكلايف، من قبل الفاتيكان نفسه، فإن المهمة التي وضعها لنفسه لم تكن خالية من المخاطر. كان على ليوناردو أن يتعامل مع هذا المشروع بسرية أكبر من المعتاد (على الرغم من أنه رجل شديد الخصوصية بطبيعته): لم يكن من الحكمة أن ينشر الطريقة التي استخدمها لإنشاء صورة غير مرسومة، والتي اعتقد الكثيرون أنها سحر. في الواقع يبدو أنه استخدم كاميرا مظلمة أو كاميرا ذات ثقب دبوس - أطلق عليها اسم العين الاصطناعية - ووصفها في دفاتر ملاحظاته بالمصطلحات التالية:

إذا كانت واجهة بناء أو مكان أو منظر طبيعي مضاءة بالشمس وحُفرت فتحة صغيرة في بناء مواجه لها، وهو غير مضاء مباشرة بالشمس، فإن جميع الأجسام التي تضيئها الشمس سترسل صورها من خلال هذه الفتحة وستظهر مقلوبة على الحائط المواجه للثقب.29

كان ليوناردو في خطر مستمر حتى أثناء تجربته على كاميرا ثقب الدبوس البسيطة: احتفظت الكنيسة بنفور خاص تجاه ما نعتبره التجارب المبكرة في التصوير الفوتوغرافي، ربما لأنها رأت في التقاط صورة واقعية بدون فرشاة أو طلاء أمرًا شيطانيًا. لا بد أن الأمر بدا وكأنه سحر: لم تكن "الشعوب البدائية" فقط هي التي اعتقدت أن التقاط صورة لشخص ما هو أمر سيئ الحظ، لأنه يسرق الروح. بالنسبة للسلطات في العصور الوسطى وعصر النهضة، بدا الأمر كما لو أن العلم الجديد هدد "بالقبض" على كل تفصيل بسيط في الكائن الحي، وكأن جوهرًا حيويًا قد تعرض للخطف من قبل الساحر/المصور. بما أن الشياطين كانت تسرق الأرواح بشكل مشهور، فلماذا كان المصورون مختلفين؟ كانت الصورة الواقعية في الواقع صورة سحرية، حتى أنها كانت بمثابة نسخة رسومية من العهد الشيطاني - الروح المتجمدة في الوقت، والمأسورة والممتلكة.

حتى بعد جيل واحد من ليوناردو، تم القبض على مواطنه جيوفاني باتيستا ديلا بورتا بتهمة ممارسة

السحر بعد أن أظهر قدرة فانوس سحري من خلال عرض صور الممثلين على الحائط.30 ومع ذلك، في قضية ديلا بورتا، كانت الأدلة بالفعل مكدسة ضده: فقد كان معروفًا بأنه عالم هرمسي وخيميائي، ومؤسس أكاديمية الأسرار، التي تم حلها من قبل الفاتيكان. لقد نجح في تحرير نفسه من السجن، ولكن فقط بعد بذل أقصى جهد - لقد كان الأمر قريبًا.

بالنسبة للمصور/الخيميائي نفسه، فإن مفهوم التقاط الصور الحية لابد وأن يبدو سحريًا، والعملية نفسها كانت أكثر سحرًا. في مناقشة كتاب "البيكاتريكس" أو غاية الحكمة، وهو كتاب عربي من الحكم والأقوال المأثورة في علم الفلك والسحر يعود تاريخه إلى حوالي عام 1000 ميلادي، كتب توبياس تشورتون:

يزعم بيكاتريكس أن فن السحر بأكمله يتلخص في "التقاط" وتوجيه تأثير الروح (شيء مثل أرواح العالم السماوي، تحت العقل، أو النوس اليوناني) إلى المادة. تمثلت الطريقة في صنع التعويذات: صور مرتبطة بالنجوم، منقوشة على المواد الصحيحة في الأوقات الأكثر ملاءمة (لعب التنجيم دورًا فيها)، وفي الحالة الذهنية الصحيحة.* تطلبت الممارسة معرفة عميقة بعلم الفلك والرياضيات والموسيقى والميتافيزيقيا، وشكلت نوعًا من المرآة لممارسة الخيمياء. كان السحر التعويذي يهدف إلى تحويل الروح إلى شكل مادي، في حين كان الخيمياء يهدف إلى استخراج الروح من المادة من أجل تغيير المادة وعقل المشغل.31

ويضيف تشورتون أيضًا كملاحظة (إلى * أعلاه): "ربما يكون الأصل المفاهيمي للتصوير الفوتوغرافي: "الكتابة الضوئية"، من الكلمة اليونانية photos=ضوء وgraphe=كتابة؛ إحداث انطباع".32- هل كفن تورينو هو في الواقع تعويذة سحرية، مشبعة بالحمض النووي، ليس لابن الله، ولكن للمدعي لمرتبة حفيد الله؟ هناك دم حقيقي على الكفن، على أية حال، على الرغم من أنه قد يكون مزيجًا من دم ليوناردو وبعض المختارين الآخرين. (يوجد أيضًا اقتراح للحمض النووي الأنثوي 33 في الصورة، وهو ما يتوافق مع هوس الفنان المصور بالخنثى الغنوصي/الخيميائي. يمكن رؤية ذلك أيضًا في رسم ليوناردو "الساحرة ذات المرآة السحرية"، والذي يظهر للوهلة الأولى مجرد امرأة شابة تعجب بنفسها في مرآة يدوية. ولكن انظر بعناية وستجد أن الجزء الخلفي من رأسها يأخذ شكل رجل ملتحي عجوز - من المفترض أنه ليوناردو نفسه: ليس فقط الجنس الآخر، ولكن أيضًا نهاية مقياس العمر الذي تمثل بدايته.)34

أدت تجارب ليوناردو في عمل الكاميرا المظلمة إلى ظهور سمعته المظلمة بشكل متزايد. كما كتب كاتب السيرة الذاتية موريس رودن:

في بافيا عمل على الكاميرا المظلمة، لإثبات نظريته القائلة بأن كل رؤية تتحدد بالزاوية التي يسقط بها الضوء على العين: كانت الصورة المقلوبة التي ألقيت على الحائط من نقطة ضوء الكاميرا حجة أكثر وضوحًا من الكلمات، ولم يكن من المستغرب أن يكتسب سمعة كونه ساحرًا وخيميائيًا.

وبطبيعة الحال فإن ميل ليوناردو إلى تشريح الجثث، التي استخرج بعضها خصيصا، لن يساعد كثيرا ــ ولن تساعده صداقته مع جوفان فرانسيسكو روستيتشي، وهو ساحر معروف، والذي حبس معه لعدة أشهر أثناء صنع تمثالهما المشترك، يوحنا المعمدان، الذي يقدم الآن تدريبا على الرماية للحمام خارج معمودية فلورنسا. (وهو ما يزدهر بطبيعة الحال بـ"لفتة يوحنا").

وبعيدًا عن تبجيله الشديد للمعمدان، أظهر ليوناردو نوعًا من العبادة ليس فقط للطبيعة ولكن أيضًا للعدد -

"لا ينبغي لأحد أن يقرأ أعمالي إذا لم يكن عالمًا في الرياضيات"، كما كتب بصرامة - وكل هذا لن يجعله عزيزًا على السلطات الكنسية، التي سعت إلى السيطرة الكاملة على العقل والروح. إن فكرة أن يكون الكون خاضعًا لنظام مختلف عن النظام الذي وافق عليه الفاتيكان كانت بطبيعة الحال فكرة مرفوضة. لم يتمكن أحد من السيطرة على روح ليوناردو. كان ليوناردو، كما رأينا، غير محترم إلى حد التجديف، وكان ليكون سعيدًا جدًا بتكليفه بإنشاء الكفن المقدس مارك الثاني - سرًا بالطبع - وكان كل من الزنديق الفظيع والتلميذ المشاغب بداخله سيكونان مسرورين للغاية لطلب صنع أقدس الآثار المسيحية.

ولكن كانت هناك دائمًا جوانب أكثر جدية، وعادة ما كانت أكثر عمقًا، بل وأكثر قتامة في نكاته الرائعة، كما رأينا في لوحاته. في هذا، كان يجسد مبدأ رئيسيًا من مبادئ حركة الصليب الوردي السرية، والتي كانت رسميًا لا تزال في المستقبل عندما توفي في عام 1519، ولكن يبدو أنه كان يعرفها ووافق عليها. من المؤكد أن المؤرخة الغامضة دام فرانسيس ييتس لم يكن لديها شك في أن ليوناردو أظهر "إطارًا ذهنيًا ورديًا"،36 مما يعني أنه كان يضم مجموعة هرطوقية من المساعي الفكرية التي تحدت الأرثوذكسية بشكل مباشر. وتتساءل الدكتورة ييتس أيضًا، بشجاعة بالنسبة لأكاديمي: "ألم يكن من الممكن أن يكون في نطاق رؤية الساحر أن تكون شخصية مثل ليوناردو قادرة على تنسيق دراساته الرياضية والميكانيكية مع عمله كفنان؟"37

وفي أوائل القرن السابع عشر بدأت الوثائق تنتشر بين المثقفين الطامحين إلى الفكر الحر. كانت هذه هي "بيانات الصليب الوردي" الصادرة من ألمانيا، والتي وصفت وجود أخوية سرية من المجوس مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالخيمياء (والتي يُزعم أنها ساعدت في صعود الماسونية). زعم النظام، الذي يتكون إلى حد كبير من الخيميائيين والسحرة والهيرمسيين والكابااليين، أنه نشأ مع كريستيان روزنكروتز، الذي يُزعم أنه توفي عن عمر يناهز 106 أعوام ودُفن في قبر أسطوري يُضاء بمصدر ضوء أبدي ولكنه غامض. وبما أن "روزنكريوتز" تعني

"الصليب الوردي" - والذي لا يدين بأي شيء أو لا يرتبط بالرمز المسيحي - فيبدو أن قصته كانت بمثابة استعارة لاستمرار "النور" الوردي في الأماكن السرية. لو كانت مثل هذه المنظمة موجودة في زمن ليوناردو، لكان من الممكن أن يكون عضوًا متحمسًا، ولكن كما هو الحال، فمن المحتمل أنه لم يكن وجهًا غير معروف في مجموعات غير رسمية أكثر، بل مجموعات مماثلة من السحرة والخيميائيين الذين كانوا يرغبون في الحفاظ على المعرفة السرية بعيدًا عن أعين محاكم التفتيش. لقد شارك أيضًا في صفة أخرى مع الصليب الوردي المثالي - وهي روح الدعابة والشعور بالخداع والوهم. في المقدمة التي كتبها لكتاب توبياس تشورتون "الفلسفة الغنوصية" (2003)، كتب الدكتور كريستوفر ماكنتوش:

يقول المؤرخ الهولندي هويزينجا في كتابه الكلاسيكي "الرجل المرح":

يتناول موضوع المرح وأهميته في الثقافة الإنسانية عبر التاريخ. أعتقد أن روح المرح هذه هي وريد مهم يمر عبر التقاليد الغنوصية... يذكر تشورتون مثالًا مبكرًا في شخصية سمعان الساحر 40

مع الإقرار بأن كتاب تشيرتون السابق، "البناؤون الذهبيون"،

وضع الورديين بمهارة في سياق الفجوة الناشئة بين العلم والدين، وهي الفجوة التي أرادوا منعها من خلال إنشاء نظام عالمي للمعرفة، يربط بين الدين والعلم والفلسفة والفن. جسّد الصليب الوردي هذه الرؤية في أسطورة تم إنشاؤها ببراعة مع عنصر قوي من المرح."

لذلك فإن ليوناردو كان ليكون ورديًا مثاليًا بكل الطرق: فقد تم إثراء وتعزيز حساسياته العلمية والفنية

و"الدينية" (أي اليوحناوية) من خلال فهمه الأساسي للنكات والمرح. وهذا يخلق عقلاً يرى إمكانيات هائلة ومتناقضة في كثير من الأحيان في كل شيء، ويستشعر قوة موحدة تحت كل الطبيعة - وهذا الإله الخاص هو إله الضحك، تمامًا مثل مفستوفيليس في رواية جوته، ولكنه أقوى إلى ما لا نهاية، وأكثر أملًا ومليئًا بالنور. وربما يكون من المهم أن نرى ملصقًا إعلانيًا يعود للقرن التاسع عشر لصالون وردي في باريس يصور ليوناردو باعتباره حارس الكأس المقدسة ... يتطلب فك شفرة كفن دافنشي نفس النوع من الإدراك غير التقليدي - والذي ليس له أي صلة على الإطلاق بالمكانة الأكاديمية أو المعرفة الحميمة فن استخدام الفرشاة لليوناردو - والتي سوف ترى بنفسها القضيب العملاق المصنوع من الصخور الذي يشمخ فوق رأس مريم العذراء في عذراء الصخور، أو أنوثة الشاب "القديس يوحنا" أو اليد المجردة التي تمسك بخنجر في العشاء الأخير.

بالنسبة لأولئك الذين يقتبسون بشغف أحدث التدفقات اليائسة من الأقلام اللاذعة إلى حد ما من "أكفان" الباقية (أولئك الذين، على الرغم من كل الأدلة على العكس، يصرون على الاعتقاد بأن الآثار المزعومة حقيقية)، اسمحوا لي أن أشير إلى بعض العوامل الرئيسية حول الصورة الموجودة على الكفن والتي تثبت، حتى للطفل - في الواقع، وخاصة للطفل "- أنه لا يمكن أن يكون أي شيء سوى مزيف. أولاً، طول الرجل مستحيل حرفياً. وبما أنه من المفترض أن يكون ثوب يسوع الملفوف، فإنه يحتوي على صورة أمامية وخلفية، متصلتين تقريبًا عند تاج الرأس - ومع ذلك فإن الرجل أقصر بمقدار بوصتين في الخلف مما هو عليه في الأمام، وهو ما سيكون معجزة بالفعل. يبلغ طول رجل الكفن في الواقع 6 أقدام و 10 بوصات في الأمام و 6 أقدام 8 بوصات في الخلف، على الرغم من أنه لا يوجد في أي مكان في العهد الجديد أي إشارة إلى طول المسيح المذهل (ورأسه المنحدر بشكل فريد). على الرغم من أنه من الصحيح أن الكتاب المقدس المسيحي لا يهتم كثيرًا بالمظهر الجسدي، إلا أنه إذا كان يسوع عملاقًا فمن المؤكد أن نوعًا ما من الملاحظات كان سيتسلل إليه، خاصة في العصر الذي ارتبط فيه الطول الكبير بالملكية.43

ليس هناك شك على الإطلاق في هذا: بصفتي مستشارةً لمعرض "The Unexplained" في المتحف الوطني للتصوير الفوتوغرافي والسينما والتلفزيون، أتيحت لي أنا وكلايف برينس في عام 1999 فرصة ذهبية لاختبار نظريتنا حول طول رجل الكفن. (في السابق، كنا نقوم فقط بالحسابات.) وقد قام المتحف بإنتاج نسخة فوتوغرافية كاملة الطول للكفن في مركز غرفة ضخمة خالية تمامًا، وعرضها على صندوق ضوء ضخم تم بناؤه خصيصًا على ارتفاع لا يزيد عن قدمين من الأرض. وهذا مكّن الزائر من النظر إلى الصورة، بالإضافة إلى قدرته على الوقوف على مسافة بعيدة ورؤيتها من جميع الزوايا - وهو أمر أكثر دلالة من الوقوف جنبًا إلى جنب في صف طويل من الحجاج والتحرك ببطء شديد بحيث لا يرى أكثر من بوصتين من الشيء الحقيقي على مستوى العين تقريبًا. ومن الملائم أن طول كلايف يبلغ ستة أقدام بالضبط، لذلك تمكنا من قياس ارتفاع رجل الكفن بدقة إلى حد ما، عن طريق وضعه على الأرض بجانبه، في محاذاة الجزء العلوي من الرأس. وقد حصلنا أيضًا على مساعدة من موظفي المتحف. ونعم، رجل الكفن طويل بشكل هائل، بشكل مستحيل ... بالطبع، كصورة مسقطة، كان من الممكن أن يكون بأي طول من صغير إلى عملاق، ولكن في هذه الحالة يتعين علينا أن نتساءل لماذا فشل عبقري مثل ليوناردو في تصحيح مثل هذا الخطأ. ولكن هل كان ذلك خطأ فعليًا - هل كان من الممكن أن يتم ترك هذا الطول السخيف هناك عمدًا؟

تذكروا أن هذا هو الرجل الذي وضع قضيبا ضخما على رأس العذراء مريم ونجا من العقاب لمدة 500 عام؛ الفنان الذي كان "القديس يوحنا" فيه امرأة وكان عشاءه الأخير يحتوي على يد غير مجسدة تمسك بخنجر لا يلاحظه أحد تقريبًا. كان ليوناردو عالم النفس الأعظم، الذي كان يعلم - بل ويعتمد على -

حقيقة أن الناس لا يرون إلا ما يتوقعونه أو يريدون رؤيته. لو لم يكن هذا صحيحًا، لكان قد وقع في مشكلة خطيرة حتى قبل أن يجف الطلاء على العديد من روائعه. يبدو أنه يخلق "أخطاء" من نوع معين، ولكن ليس لكي تلاحظها الجماهير، لأنه لم يكن لديه أي نية لهم أن يلاحظوها وكان واثقًا من أنهم لن يلاحظوها على أي حال، ولكن ربما ليتحدث بعمق إلى "أولئك الذين لديهم عيون يرون بها".

وهنا لم يخلق يسوع طويل القامة فحسب، بل إن رأس الرجل مقطوع على ما يبدو. في الواقع، هناك خط فاصل واضح عند قاعدة الرقبة، والذي يمكن رؤيته بوضوح، مثل العديد من التفاصيل الأخرى، عند عرضه في الصورة الضوئية السالبة. مرة أخرى، هذا لا شك فيه بشكل معقول: لقد قمنا بتشغيل الصورة من خلال برنامج كمبيوتر حولها إلى نوع من خريطة الكنتور،" مما أدى إلى اكتشاف أن الصورة تتوقف فجأة تمامًا عند الموضع الدقيق للخط، وتلتقط مرة أخرى عند الجزء العلوي من الصدر. لماذا يجب أن يكون هذا؟

لا شك أن أحد الأسباب كان عمليًا بحتًا. ومن الواضح أن صورة الرأس في المقدمة تم إنشاؤها في وقت مختلف عن بقية الجزء الأمامي والجزء الخلفي بأكمله. الوجه في الواقع مختلف في الحجم والمقياس عن الجسم،45 وهو أيضًا أضيق وأصغر نسبيًا من الرأس في الخلف (والذي يكون أيضًا بزاوية مختلفة تمامًا) 46 الأذنان مفقودتان، وتم استبدالهما بشرائط فارغة غريبة بين الوجه والشعر، مما يعطي إطارًا أنيقًا غريبًا للوجه (من غير المرجح أن يكون الجسم مستلقيًا) 47

في الواقع، اكتشفنا بسرعة كبيرة أثناء تجاربنا أن هذا الاختصار الغريب هو ببساطة أحد الآثار الجانبية لاستخدام عدسة في الكاميرا المظلمة، وهو نوع من تأثير عين السمكة. ومن المعروف أن ليوناردو صنع عدساته بنفسه، حتى أنه صنع لنفسه زوجًا رائعًا من النظارات ذات اللون الأزرق الداكن. (ولكن مرة أخرى، يتساءل المرء لماذا ؟ لماذا احتاج إلى حماية عينيه من الضوء والحرارة الشديدة ؟ هل صنع النظارات خصيصًا لعمله على الكفن، والذي - كما اكتشفنا بأنفسنا 48 - عند إنشاء صور مماثلة، يجب إبقاء كل من الحرارة والضوء عند الحد الأقصى لمدة تزيد عن 24 ساعة؟لقد قادنا السؤال حول العدسة إلى اكتشاف مثير بشكل خاص: نحن نعلم أن ليوناردو استخدم عدسة واحدة على الأقل في تصنيع وجه كفن تورينو لأنه يمكن رؤيتها بوضوح في منتصف الوجه - جسر الأنف - كدائرة داكنة على الصورة السلبية ودائرة فاتحة على الصورة الإيجابية. هذه صورة للعدسة نفسها.50

ومع ذلك، وبما أن هذا هو ليوناردو، فإن طبقة واحدة من التفسير لن تكون كافية أبدًا. وهو يطالبنا بأن نستخدم عقولنا وقلوبنا وأرواحنا (ناهيك عن إحساسنا بالعبث): فعروضه المزعجة تضرب جوهر النفس، وتمنح القلب في بعض الأحيان لمسة غريبة. وكما هو الحال في هجائه الذي لا هوادة فيه على عذرية مريم العذراء، في "عذراء الصخور"، فإن أعماله قد تكون في كثير من الأحيان مظلمة بشكل غريب بالمعنى الفني الحرفي، ولكنها أيضا بيضاء اللون بسبب الغضب - وهذا الغضب ينقل نفسه بصوت عال وواضح بعد 500 عام إلى "أولئك الذين لديهم عيون يرون بها".

وإذا نظرنا إلى كل الرمزية اليوحناوية الجريئة والمثيرة للدهشة في لوحات ليوناردو، فهل كان يقول أيضاً في تصويره لرأس منفصل بشكل واضح على كفن تورينو، أن "من قطع رأسه "انتهى" - أخلاقياً وروحياً - ممن صلب"؟ من المؤكد أن هذا سيكون الرمز الأكثر أناقة وروعة لـ "شفرة دافنشي" الحقيقية ...

من المؤكد تقريبًا أن هذا هو وجه ليوناردو نفسه (انظر الرسوم التوضيحية). كان يحب أن يضع نفسه في أعماله - كما هو الحال في الزاوية اليمنى السفلى من عبادة المجوس أو القديس ثاديوس / القديس

يهوذا في العشاء الأخير: النكتة بلا شك هي أن القديس يهوذا هو شفيع القضايا الخاسرة. ومن الممكن أيضًا أن نرى أن وجه القديس يهوذا يشبه وجه رجل الكفن إلى حد كبير، بدءًا من خط الشعر المميز وحتى الأنف الكبير المعقد.

وقد اقترح العديد من المريدين الآخرين لفكرة أن ليوناردو زور الكفن وأنه استخدم وجهه من باب الاحترام ليسوع، تقليدًا حرفيًا للمسيح. ومع ذلك، حتى لو تركنا معتقداته الهرطقية الشخصية جانباً في الوقت الحالي، فمن وجهة نظر عصره ومكانه فإن هذا الأمر لا يمكن تصوره على الإطلاق. لقد صور نفسه ملطخًا بدم المسيح المقدس، والذي كان يُعتقد أنه مقدس ومخلص: إن تزييفه سيكون بمثابة انتهاك مطلق للمقدسات. لقد كان من المستحيل على المؤمن، الابن الحقيقي للكنيسة، أن يأخذ مثل هذه الحرية الواسعة مع وجه وجسد الفادي. إن تزييف جسد المسيح المكسور والدموي لم يكن من أجل المتخوفين أو أي شخص لديه أي أمل في رؤية الجنة. ومن ناحية أخرى، كان "المسيح الدجال" المتعصب سيرحب بفرصة تصوير يسوع ليس فقط كإنسان فانٍ، بل أيضاً كشخص مصنوع على صورته - وكان ليوناردو سريعاً في اغتنام هذه الفرصة. لم يكن يعتبر نفسه حفيدًا لله فحسب، بل كان من الواضح أنه كان يطمح إلى أن يكون والده! (بالنسبة للفنان غير الشرعي الذي عانى على أيدي إخوته غير الأشقاء، وخاصة بسبب مشاكل الميراث المزعجة، فإن تقديم نفسه باعتباره ابن الله المزعوم كان ليكون أمرًا لاذعًا للغاية. لسوء الحظ، هذا الارتباط بالذات لم يتجاوز سيغموند فرويد.)

بالطبع، من وجهة نظر موضوعية، نجح ليوناردو بشكل رائع مع كفن تورينو، على الرغم من أنه لم يكن ليعرف أبدًا أنه في أواخر القرن التاسع عشر ستقفز صورته "السحرية" فجأة إلى تفاصيل لا تصدق عندما تم تصويرها لأول مرة ورؤيتها في الصورة السلبية 52 (على الرغم من أنه يبدو من غير المحتمل، هل كان لدى ليوناردو نفسه بعض الوسائل لرؤية الكفن في الصورة السلبية؟ هل كان يعلم أنه خلق مثل هذا العمل العبقري الشيطاني - أم أنه كان مجرد رصاصة في الظلام، نوع من الرسالة في زجاجة ألقيت في بحار الأجيال القادمة على أمل أن يتم الاعتراف بها يومًا ما على حقيقتها؟

أما بالنسبة لصورة الجسد المضروب والمسامير بشكل رهيب، فمن المفترض أنها جاءت من التلاعب غير المقدس بالسوط والمطرقة والمسامير خلف الأبواب المغلقة مع واحدة من الجثث العديدة التي استخدمها ليوناردو للبحث التشريحي. هذا جسد حقيقي تعرض بالفعل لانتهاكات كبيرة من الضرب، الجلد والثقب المروع في اليدين والجنب والقدمين. (يحمل الرأس علامات تاج الشوك، لكن ليوناردو المثالي كان سيتحمل الألم من أجل فنه الضال. في الواقع، كان الوجه نفسه خاليًا من الجروح بشكل ملحوظ، وبالتأكيد كان هادئًا للغاية بالنسبة لرجل يُزعم أنه تعرض للتعذيب حتى الموت.) لقد تم تثبيت الجثة بشكل مستقيم بالفعل، حيث أن جروح المسامير كانت في المعصمين وليس في راحة اليد، مما يدل على واقعية قاسية. (ومن المدهش أن بعض الباحثين عن الكفن اقترحوا أنه لا يمكن لأحد أن يعرف كيفية إعادة خلق جروح الصلب. ولكن من المؤكد أن كل ما يجب علينا فعله هو قراءة العهد الجديد، الذي يصف ما حدث ليسوع - والشروع بجرأة في بعض التجارب المروعة.) ورغم أن ليوناردو لم يرسم صلبًا قط، فهناك إشارة مثيرة للاهتمام في مذكرة حيرت كتاب السير لفترة طويلة، يرجع تاريخها إلى عام 1489 تقريبًا، وتشير إلى عينة استعارها:

.. العظم الذي اخترقه جان دي بيلينزونا واستخرج منه المسمار بسهولة ...'53 يبدو أن ليوناردو كان يجري تجارب على الصلب من أجل تحقيق غرض شرير خاص به.

ومن المهم أن نلاحظ أنه على الرغم من عدم وجود أي طلاء يمكن التحدث عنه54 على الكفن، إلا أن هناك دماء حقيقية حول مواقع الجروح. كان ليوناردو عبقريًا دقيقًا - إن لم يكن دقيقًا في اختياراته - ومن

غير المرجح أن يفسد تحفته الفنية عن طريق تلطيخها بطبقات خشنة من الطلاء بدلاً من الدم. (وبالمثل، من بين جميع المزورين، من الصعب أن يستخدم شخص مثالي بمثل عبقريته الكتان مباشرة من النول في صنع قطعة أثرية من المفترض أن عمرها 1500 عام.) لذا يمكن القول، ولو بشكل مبالغ فيه، أنه على الأقل في أحد المعاني قد تنازل عن روحه للوسيفر بالدم.

كان تزوير "كفن تورينو"، على حد قول البعض، أعظم ساعات دافنشي - بالتأكيد باعتباره لوسيفريًا، سواء كان هذا يعني عميلًا للشيطان، كما يفعل معظم الكاثوليك وجميع أتباع الكفن، أو مجرد عالم تجريبي جريء. إن التزوير عبارة عن نكتة مذهلة - كوميديا حقيقية، وتعليق خطير للغاية - ولكن في هذه الحالة، فهو أيضًا إهانة وحشية للكنيسة، وحتى لمؤسسها. كما كتب جورجيو فاساري، كاتب سيرته الذاتية الأول: "لقد أسس ليوناردو عقيدة هرطوقية إلى درجة أنه لم يعد يعتمد على أي دين"، على الرغم من أنه ربما كان من الحكمة إزالة هذه الفقرة من الطبعات اللاحقة، واستبدالها بملاحظة موجزة وغير مقنعة حول توبة ليوناردو على فراش الموت".

لم يتم اعتماد الكفن رسميًا من قبل الفاتيكان، على الرغم من أنه اقترب من ذلك مرة أو مرتين، ويتم الاحتفاظ بالكفن في معظمه مغلقًا بعيدًا عن أعين المتطفلين وانتهاكات الحياة الحديثة والهواء الملوث. من وقت لآخر يتم عرضه في كاتدرائية تورينو، حيث لا شك أن ظل المعلم القديم يتمتع بالنشوة الدينية للحجاج الذين يعبرون أنفسهم ويهمسون بالصلاة التقية فوق صورة فوتوغرافية لزنديق يوحناوي في القرن السادس عشر.

حتى بالنسبة لغير المسيحيين، فإن الجرأة الشديدة التي ينطوي عليها هذا الأمر مذهلة، ومذهلة تقريبًا بالمعنى الحرفي والمجازي. إن صورة الكفن، وخاصة في الصورة السلبية المفصلة بدقة، تثير هذا الارتعاش المفاجئ الغريب في جوف المعدة، والذي يميز لقاءً بشيء فظيع حقًا - كما هو الحال في رؤية المرء فجأة بنفسه ما فعله بالصخور المظلمة التي تلوح في الأفق فوق رأس العذراء. إن مواجهة التحفة الفنية الرائعة والمتعمدة والتجديفية التي أبدعها ليوناردو وجهاً لوجه هي لحظة حقيقية لا يرغب الكثيرون في تجربتها.

ولم يكن بوسع ليوناردو أن يتخيل تأثيرًا جانبيًا غير عادي آخر لاستخدام وجهه كنموذج للمسيح على الكفن - على الرغم من أنه بلا شك كان سينفجر من الضحك لو فعل ذلك. على الرغم من وجود صور للسيد المسيح ملتحيًا قبل عرض كفن تورينو في أواخر القرن الخامس عشر، إلا أن مظهر المسيح في الفن الشعبي تغير بعد ذلك الحدث خصيصًا ليشبه كفن تورينو. فجأة، تم توحيد المظهر الإلهي في رجل طويل القامة للغاية (على الرغم من أنه لم يصل أبدًا إلى طول رجل الكفن، لأسباب واضحة)، عريض المنكبين، ذو شعر أحمر منقسم في المنتصف، وأنف طويل وملامح منتظمة جميلة بشكل مخيف. وبعبارة أخرى، فإن تصورنا الثقافي العام لشكل يسوع لا يمكن أن يكون إلا في صورة ليوناردو دافنشي - وهو انتصار صادم آخر لإلهام شيفرة دافنشي. فكر فقط في كل تلك التماثيل الجصية، والنوافذ الزجاجية الملونة التي لا تعد ولا تحصى، والأجساد الملتوية على الصلبان، ليست صورًا لمعلم وساحر يهودي من القرن الأول على الإطلاق، بل كمثلي جنسيا إيطالي من القرن الرابع عشر والخامس عشر، كان يكره المسيح من كل قلبه اليوحناوي. مرة أخرى، هناك هذا التحول المزعج في حفرة المعدة، كما يرتفع أساس اللاوعي الجماعي لدينا مرة أخرى - ويرتجف قليلا.

في يوم من الأيام قد يتم عرض "الكفن" بشكل بارز حيث ينتمي - في متحف التصوير الفوتوغرافي أو العلوم والتكنولوجيا، حيث يمكن تقدير ثمار بدعة دافنشي بحرية على حقيقتها، بعيدًا عن الحجاج والكهنة والشموع والبخور. الكفن لا يستحق الصلاة عليه، ولكن ربما لا يستحق أي شيء الصلاة عليه.

خلف ابواب مغلقة

على الرغم من أن قمع السلطات للتجارب العلمية والبحث الفكري منذ الأيام الأولى للمسيحية وحتى عصر التنوير كان متناقضاً إلى حد ما ــ اعتماداً إلى حد كبير على موقف كل بابا من التعلم ــ فمن الصحيح أن الكنيسة كانت تعارض بشكل عام الإفراط في المعرفة والنقاش والتفكير. ومن المؤكد أنه ليس من قبيل المصادفة أن الكلمة اللاتينية واليونانية لـ "المعرفة" - scientia وgnosis على التوالي - تمثلان الجانبين من التعلم اللذين كانتا الأكثر كرهًا لهما. باعتباره مزيجًا من الكثير مما كان محرمًا، كونه أعسرًا، ومثليًا، ونباتيًا، ويوحناويًا، ومصورًا، وطيارًا، وعالم تشريح، فقد نجح ليوناردو في الإفلات من قدر هائل من المسؤولية، ويرجع ذلك في الغالب إلى الأصدقاء في الأماكن العليا، ولكن حتى هو غالبًا ما كان يعتقد أنه من الحكمة الانتقال من مكان إلى آخر بسرعة كبيرة من وقت لآخر. (ولم يتوقف ليوناردو عن تشريح الجثث في المستشفيات ومقابر الموتى إلا في نهاية حياته في عام 1513، عندما بدأ البابا ليوناردو العاشر في التعبير عن اشمئزازه من عمل ليوناردو التشريحي.)

ومع ذلك، وعلى الرغم من أن مساهمته في المعرفة الإنسانية وفي سجلات الهرطقة كانت فريدة من نوعها في كثير من النواحي، إلا أن ليوناردو لم يكن سوى ازدهار مشرق لتقليد قديم للعمل خلف الأبواب المغلقة، بعيداً عن سوء الفهم، والرفوف، والوتد. وكان هؤلاء العلماء السريون يُعرفون عادة باسم "الخيميائيين"، وهو مصطلح شامل مناسب لما نعتبره ببساطة علماء أبحاث. ومع ذلك، كانت الخيمياء نفسها عملاً معقدًا، غالبًا ما ينطوي على تمارين صوفية وروحية، ذات محتوى جنسي قوي: ومرة أخرى، نناقش أن الجنس المقدس هو الخلفية لتقليد باطني بارز 56

غالبًا ما رحب الخيميائيون الحقيقيون بسمعتهم السيئة باعتبارهم دجالين أغبياء أهدروا حياتهم بجنون في محاولة تحويل المعادن الأساسية مثل الرصاص إلى ذهب خالص. إن رفض المرء باعتباره واحداً من هؤلاء "المنتفخين" الماديين فارغي الرأس قد يعني تركه وحيداً للتركيز على أمور أكثر أهمية بكثير مثل البحث عن حجر الفلاسفة الأسطوري، وهو الإكسير الذي من شأنه أن يمنح ليس فقط الخلود تقريباً، بل أيضاً المعرفة الروحية العليا والحكمة. يعرف كل طفل في جميع أنحاء العالم اليوم أن شخصًا يُدعى نيكولاس فلاميل يُشاع أنه اكتشف هذه المادة السحرية، وذلك بفضل سلسلة هاري بوتر التي كتبتها ج. ك. رولينج، لكن قليلين هم من يدركون أنه كان موجودًا بالفعل. عاش فلاميل وعمل في باريس في القرن الرابع عشر مع زوجته الحبيبة بيرينيل، التي يقال أنه أنجز معها "العمل العظيم" في 17 يناير 1382. ونتيجة لذلك، لا تزال الشائعات تنتشر حول أنهم عاشوا لمئات السنين.

في حين أنه من غير الصحيح أن جميع الباباوات كانوا مناهضين للتعلم على حد سواء فيما يتعلق بالعلمانيين، فإن أنشطة معظم الخيميائيين كانت تعتبر خارج نطاق القانون بطبيعتها. لقد سعى العديد ليس فقط إلى تحويل المعادن الأساسية - سواء كانت أرواحهم أو كومة من الرصاص غير الملهم - إلى شيء أنقى وأفضل، ولكن حاول البعض أيضًا اختراق جميع القيود والدخول إلى عالم لوسيفر الحقيقي لخلق الحياة في المختبر. انتشرت قصص عن "أطفال الأنابيب" الأصليين، الذين قيل إنهم كانوا كائنات بشرية صغيرة غير مقدسة، تم خلقهم دون التكاثر المعتاد خصيصًا للتنقل وتنفيذ أوامر سيدهم كخدم غامضين. لا شك أن الأنيسيان كانت، على الأقل في الغالبية العظمى من الحالات المزعومة، نتاج خيالات مفرطة، ولكن هذا يكشف أن العلماء الذين أُدينوا لمحاولتهم "لعب دور الله" ليسوا فريدين من نوعهم في القرن

الحادي والعشرين.

ومع ذلك، فإن الطبيب العظيم والخيميائي/الساحر أوريولوس فيليبس ثاوفرسطس بومباست فون هوهنهايم - والمعروف أيضًا باسم باراسيلسوس (1493-1541) - أعلن بجرأة "من الضروري معرفة الأشياء الشريرة بالإضافة إلى الخير؛ لأنه من يستطيع أن يعرف ما هو الخير دون أن يعرف أيضًا ما هو الشر؟""وكان لوسيفرًا نشطًا بهذا المعنى، وادعى أنه صنع بالفعل العديد من هذه الوحوش الصغيرة باستخدام عملية وصفها على النحو التالي:"

دع السائل المنوي للرجل يتحلل من تلقاء نفسه في وعاء مغلق من القرعيات بأعلى درجة تفسخ من نبات venter equinus لمدة أربعين يومًا، أو حتى يبدأ أخيرًا في العيش والحركة والانفعال، وهو ما يمكن رؤيته بسهولة. في هذا الوقت سيكون إلى حد ما مثل الإنسان، ولكن، مع ذلك، شفافًا وبدون جسد. "إذا تم الآن، بعد هذا، تغذيته وإطعامه بعناية كل يوم بسر الدم البشري، وحفظه لمدة أربعين أسبوعًا في حرارة بطنية متساوية ودائمة، فإنه يصبح من الآن فصاعدًا طفلًا بشريًا حيًا حقيقيًا، لديه جميع أعضاء الطفل الذي يولد من امرأة، ولكنه أصغر بكثير. "هذا ما نسميه الأنيسيان؛ ويجب تربيته بعد ذلك بأقصى درجات العناية والحماس، حتى يكبر ويبدأ في إظهار الذكاء."

(لا شك أن المتشككين سيشيرون إلى أن بعض الحركة كانت مضمونة فعليًا في المادة المتفسخة بعد فترة زمنية معينة - ولكن ليس من شيء أكثر غموضًا من اليرقات.)

في عام 1658، اقترح جان باتيستا ديلا بورتا، الساحر الذي ألقي القبض عليه لعرضه صورًا باستخدام فانوس سحري (انظر أعلاه)، إظهار "كيف يمكن خلط الكائنات الحية من أنواع مختلفة ودمجها معًا، ومن خلالها يمكن توليد أنواع جديدة ومربحة من الكائنات الحية".كان هدف 59 ديلا بورتا هو إنتاج جميع أنواع الحيل المتحركة من خلال الوسائل السحرية، وكتابة تعليمات حول "كيفية توليد كلاب صغيرة جميلة للعب بها".60 ومع ذلك، رأى باراسيلسوس إمكانات عملية أكبر في الأنيسيان الصغير، فكتب:

الآن، هذا هو أحد أعظم الأسرار التي كشفها الله للإنسان الفاني والقابل للخطأ. إنها معجزة وعجب من الله، وهي سر فوق كل الأسرار، وتستحق أن تبقى سرية حتى آخر الزمان، حين لا يكون هناك شيء مخفي، بل كل شيء سوف يكون واضحا. ورغم أنه لم يكن معروفًا للبشر حتى هذا الوقت، إلا أنه كان معروفًا لأرواح الغابة والحوريات والعمالقة منذ زمن طويل، لأنهم أنفسهم خرجوا من هذا المصدر؛ فمن هؤلاء البشر عندما يصلون إلى مرحلة الرجولة ينتجون عمالقة وأقزامًا وأشخاصًا عجيبين آخرين، يحققون انتصارات عظيمة على أعدائهم، ويعرفون كل الأسرار والأمور الخفية.

حتى باراسيلسوس العظيم كان لديه بوضوح مناطق من خياله لا تزال مميزة، كما هو الحال على الخرائط القديمة، "هنا يوجد التنانين". وقيل إنه أوصى عندما يصبح عجوزًا أن يقطع إلى قطع صغيرة ويدفن في روث الخيل حتى يعود إلى الحياة شابًا قويًا. ولكن للأسف، قام خادمه بإخراجه بسرعة كبيرة، مما أدى إلى تدمير الخطة الرائعة.

وباعتباره "مسيح الطب" الذي أطلق على نفسه هذا اللقب، فقد أطلق أيضًا أحد أسمائه على كلمة "متفجر"، بسبب أسلوبه المتغطرس. درس باراسيلسوس الخيمياء والكيمياء في جامعة بازل قبل أن يقوم بالبحث في المعادن والأمراض المهنية التي تصيب عمال المناجم. لأنه كان يعتقد أن "المثل يؤثر على مثله" في جرعات ضئيلة، يُنسب إليه اكتشاف المعالجة المثلية، فضلاً عن اختراع "الأثير كمخدر

والألوفيرا كمهدئ" [و] كان أول من وصف مرض السل الرئوي، و"تتبع تضخم الغدة الدرقية إلى المعادن الموجودة في مياه الشرب".63 عندما أعلن "إذا عانت الروح، عانى الجسد أيضًا"، كان أيضًا رائدًا واضحًا لما نسميه الطب الشامل. كان له تأثير كبير على الأجيال اللاحقة من الأطباء، حتى أن أفكاره حول الأنيسيان تم أخذها على محمل الجد.

في عام 1638، أوضح لورنس دي كاستيلان هذه النقطة في كتابه Rare et Curieux Discours de

["A Plante Appelee Mandragore" على الرغم من أن معظم الناس رفضوا نظريات باراسيلسوس، إلا أن إنسانه المتحول ربما كان "نوعًا من السحر الشيطاني" - بعبارة أخرى، ربما كان حقيقيًا، ولكن تم إنشاؤه بوسائل شيطانية. في عام 1672 كتب العالم كريستيان فريدريش جارمان عن تطور البويضة البشرية، متأملاً في إمكانية حدوث الحمل خارج الرحم، في مقال عن "الأنيسيان الكيميائي لباراسيلسوس". وفي عام 1679 كتب الطبيب الاسكتلندي ويليام ماكسويل في كتابه "الطب المغناطيسي" أنه "كما أن أملاح الأعشاب قادرة على إعادة إنتاج صورة العشب في أنبوب الاختبار، فإن ملح الدم البشري قادر على إظهار صورة رجل - "الأنيسيان الحقيقي لباراسيلسوس".65

وقد يكون من المهم أيضًا أن نذكر أنه كان من الممكن أيضًا تنمية كائنات سحرية واعية داخل أرحام الأبقار. لقد تم رفض رسم ليوناردو لطفل بشري مكتمل التكوين ملتفًا داخل رحم بقرة دائمًا باعتباره نكتة دافنشي النموذجية - وربما على حساب النساء. ربما كان ذلك هجومًا خبيثًا على قدسية الأمومة، ولكن ربما كان أيضًا تعليقًا ساخرًا أو حتى معجبًا بالمفهوم السحري للأنيسيان. لقد اتخذت إبداعات ليوناردو الشبيهة بالحياة - على الأقل تلك التي نعرفها - الشكل الأقل رعباً للروبوت، وهو إنسان آلي حقيقي يعمل، والذي بناه حوالي عام 1495.11 وكان يرتدي بدلة كاملة من الدروع، وقد تم تصميمه لفتح وإغلاق فمه، وتحريك رأسه، والجلوس وتحريك ذراعيه، و"ربما أصدر أصواتاً مصاحبة للطبول الآلية". 67 ألهم عمل ليوناردو الرائد مع الروبوتات بشكل مباشر "الرجال الميكانيكيين" أو "الروبوتات البشرية" لمارك روشيم، والذي "بلغ عمله ذروته في البديل الآلي الكهربائي ذو 43 محورًا والذي تم بناؤه لمركز جونسون الفضائي التابع لوكالة ناسا والمخصص لخدمة محطة الفضاء فريدوم". وهكذا، فإن رؤية ليوناردو تمتد إلى ما وراء حدود كوكبنا لاستكشاف الكون.68

ورغم أن صنع الآلات المتحركة على شكل الإنسان ربما لم يكن يعتبر عملاً شيطانياً من قبل الرجال المتطورين في عصره، فإن الكنيسة كانت تكره كما كان متوقعاً أي شيء من هذا القبيل (انظر أدناه). أما بالنسبة لفكرة محاولة الطيران إلى الفضاء، فلم يكن لها مكان في تعليمهم، كما هو الحال مع أي بحث فلكي حقيقي. ومن حسن الحظ أن ليوناردو احتفظ بدفاتر ملاحظاته لنفسه، إذ تحمل إحدى هذه الدفاتر ملاحظة مكتوبة بخط اليد، ربما كتذكير، بـ "صنع النظارات لرؤية القمر عن قرب"، متوقعًا بذلك الجرأة الفلكية التي أظهرها غاليليو وكوبرنيكوس من قبل جيل كامل، ولم يكن أي منهما يحظى باحترام محاكم التفتيش.

ألسنة الملائكة

كان دكتور جون دي (1527-1606)، أشهر ساحر في إنجلترا، وقد اكتسب شهرة أيضًا في السحر لأنه صمم وبنى روبوتًا - خنفساء ميكانيكية لمسرحية. ولكن بحلول ذلك الوقت، كان قد أثبت نفسه باعتباره

معجزة أكاديمية - حيث التحق بجامعة كامبريدج عندما كان في الخامسة عشرة من عمره فقط، وأصبح قارئًا يونانيًا غير متخصص وزميلًا في أحدث كلياتها، ترينيتي، حيث كان يشاع بالفعل أنه منخرط في الفنون المظلمة.

وباعتباره باحثًا زائرًا في كل المعاهد الأوروبية الكبرى للتعلم، اغتنم دي كل فرصة لمناقشة النقاط الدقيقة في علم التنجيم، والرياضيات، والملاحة، واللاهوت، وحتى السحر الطقسي - ولكن كما هو الحال دائمًا، ركز على حبه الأول، علم التنجيم.69 كان عمله الفلكي هو الذي وضعه في خطر شخصي كبير.

في عام 1553، كانت الملكة المستقبلية إليزابيث الأولى تحت الإقامة الجبرية بناء على أوامر أختها الكاثوليكية المتعصبة، الملكة ماري (التي عذبتها وأحرقت طريقها للحصول على لقب "ماري الدموية").70 استدعت الأميرة إليزابيث دي لقراءة برج أختها الملكية من أجل معرفة متى قد تموت ماري، لكن الملكة ردت بإلقاء المنجم في السجن لمحاولته قتلها بالسحر. ومن الغريب أنه في مثل هذا الوقت وفي عهد مثل هذه الملكية، حتى الشخص الذي كان يُعتقد أنه يتاجر بالشياطين لأغراض الخيانة نجا: فقد أُطلق سراحه في عام 1555 بعد أن أُطلق سراحه ثم أُعيد اعتقاله بتهمة الهرطقة، والتي انتصر عليها أيضًا بأعجوبة. يبدو أن حياة دي الساحرة ستستمر - ولكن بالتأكيد ليس إلى الأبد.

عندما توفيت ماري وتولت إليزابيث العرش في عام 1558، عينت الدكتور دي منجماً لبلاطها، وربما كان حتى جاسوساً رئيسياً ــ استناداً إلى السرية التي أحاطت برحلاته الخارجية العديدة باعتباره "العميل 007"، رغم أن الأدلة القاطعة تظل بعيدة المنال، كما هي الحال دائماً عندما يتعلق الأمر بوكالات الاستخبارات. بفضل الدعم الملكي، ازدهرت مهنة دي. كما أهدى أطروحته في الخيمياء، العقل الهيروغليفي (1564)، إلى الإمبراطور المجري ماكسيميليان الثاني، وبالتالي ضمن انتشار شهرته في جميع أنحاء أوروبا. في هيئة بروسبيرو في مسرحية العاصفة لشكسبير، يقول بسعادة: "الآن يصل مشروعي إلى ذروته: سحري لا يتصدع؛ أرواحي تطيع؛ والوقت/ يسير بشكل مستقيم مع مسيرته". خلال هذا الوقت الذهبي بدأ العمل مع الوسطاء، على الرغم من أن الوسيط الأول أثبت عدم فائدته لأغراضه. أما الثاني فكان تغيير حياته بالكامل خلال شراكة غامضة طويلة وغريبة...

في عام 1581 التقى إدوارد كيلي (أو "كيلي")74، وهو عالم في علوم السحر والخيمياء والسحرة والمتنبئين بالموتى - وهو بالضبط ما يريده أي ساحر يحترم نفسه، على الرغم من أن كيلي بدا دائمًا مترددًا في استغلال موهبته في الوساطة الروحانية. ومن الغريب أنه على الرغم من أن دي كان يتمتع بموهبة فطرية في الكهانة، إلا أنه وجد أنه من المستحيل أن ينفتح بشكل كامل على العالم غير المرئي. ربما كان كيلي هو الإجابة على صلوات دي باعتباره زميلًا ساحرًا، ولكن ربما لم تتغلغل سمعته في الجرائم البسيطة إلى الجنوب مثل منزل المنجم في مورتليك، سري، على الرغم من أن أذنيه المقصوصتين، والتي تم تشويهها كعقاب على تمرير العملات المعدنية المزورة، كانت ستتم ملاحظتها حتمًا بغض النظر عن مدى قربه من قبعته السوداء فوقهما. كانت لدى كيلي خلفية غامضة كمحامٍ مارق، عندما أدين بتزوير صفقات الأراضي، وجرائم شبه مهنية أخرى. عندما قدم نفسه لأول مرة إلى دي، استخدم كيلي الاسم المستعار "تالبوت"، والذي احتفظ به من مارس إلى نوفمبر 1582، بينما كان يحاول التودد إلى عالم الفلك المتعلم في البلاط. فجأة يختفي تالبوت من مذكرات دي ليحل محله 'إي.ك'. يبدأ كتاب دي الرابع من سلسلة الألغاز "بعد المصالحة مع كيلي" - ربما أولى الخلافات والاضطرابات التي عصفت بشراكتهما.

ومع ذلك، في عام 1570 حصل كيلي على وثيقة خيميائية قديمة تتعلق بتحويل المعادن، وتقول القصة إنه بعد ثماني سنوات نجح في تحويل رطل واحد من الرصاص إلى ذهب خالص. ورغم أن هذا كان

سيظل دائمًا جائزة قوية يتم عرضها أمام أعين الملوك والأمراء الجشعين، إلا أنه كان هناك ذهب من نوع آخر قدمه إلى دي، الذي تتوق إلى الثروة الفكرية والروحية أكثر من ذلك بكثير. دخلت الفتاة البالغة من العمر سبعة وعشرين عامًا منزل دي باعتبارها مفستوفيليس بالنسبة لفاوست: ساحرة ومقنعة ومفسدة، ثعبان آخر في عدن.

استخدم كيلي مجموعة متنوعة من التقنيات للتعامل مع الاستبصار، بما في ذلك "حجر العرض"، وهو شيء يشبه الكرة البلورية. كما كتب صمويل بتلر (1612-1680) بشكل لاذع في كتابه Hudibras: "كان كيلي يقوم بكل أعماله البطولية على مرآة الشيطان، وهي حجر، حيث كان تلعب معه في المرآة، وكان يحل كل المشاكل التي لم تكن عميقة إلى هذا الحد". كان كيلي ماهرًا بشكل واضح في "التنبؤ" - باستخدام سطح مصقول، في حالته مرآة محدبة من حجر السج76 لرؤية أماكن أو أوقات بعيدة، أو كوسيلة للتواصل مع كيانات غير بشرية - مثل رئيس الملائكة أورييل.

(باعتباره الوصي التقليدي على المعمدان، ربما كان أورييل يمثل فكرة استخدام جمجمة يوحنا لأغراض الكهانة. قد يكون من المهم أيضًا أن الأولاد الصغار الذين تم استخدامهم كمستبصرين في العصر المشترك المبكر كانوا غالبًا ما يحملون اسم "أورييل" مكتوبًا على جباههم.)

أعطاه رئيس الملائكة تعليمات لصنع تعويذة وقائية، وهي أداة أساسية لأولئك الذين يشاركون في العمل الخطير المتمثل في العمل مع الكيانات التي قد لا تكون كل ما يدعونه. في السنوات اللاحقة، قام دي بتطوير "موناس هيروغليفية"، والذي كان يعتقد أنه الرمز الغامض النهائي.

على مدى السنوات السبع التالية، عمل دي وكيلي معًا بشكل مهووس. سجل الساحر محادثاته الملائكية، والتي تعلم فيها "اللغة الإينوكية القديمة" - التي يُعتقد أنها كانت تُتحدث في عدن قبل السقوط - بالإضافة إلى طقوس سحرية جديدة تمامًا. في حين أن العديد من ملاحظاته ربما تكون غامضة بشكل متعمد، وبعضها الآخر يهتم فقط بالنقاط الدقيقة في قواعد اللغة الإينوكية، فإن البعض الآخر يوضح بالتفصيل ما يبدو أنه تنبؤات حقيقية. على سبيل المثال، في 5 مايو 1583، أعطى أورييل كيلي رؤية مزعجة لأفق مظلم بأسطول ضخم من السفن، افترض فيما بعد أنها الأسطول الإسباني عام 1588، مما دفع دي على الأرجح إلى إلقاء تعويذة على سفن العدو. ومن الجدير بالذكر أن الميداليات التي سُكبت لإحياء ذكرى هروب إنجلترا من الأسطول الإنجليزي تعكس فكرة المعجزة، إذ تحمل الكلمات التالية: "هبّ الله ريحه فتشتتوا". كما منح أورييل رؤية رئيسية أخرى، عن امرأة يتم قطع رأسها على يد "رجل أسود" - على الأرجح ماري ملكة اسكتلندا - على يد الجلاد ذو القلنسوة السوداء.

على الرغم من أن "أعمالهم" كانت سحرية بامتياز، إلا أن الرغبة الشديدة التي كانت لدى دي كانت تكمن وراءها في إعادة الدين المسيحي إلى وحدة قوية - ولكن بما أنه لم يكن يرى من حوله سوى الاختلاف والانقسامات والاضطهاد والتعصب، فإن إعادة التوحيد هذه كان لابد أن تتم بطرق غير تقليدية. قال له أورييل:

"هذه هي الأيام التي قال فيها النبي: لا ينبغي أن يوجد إيمان على الأرض". ويجب استعادة هذا الإيمان مرة أخرى، ويجب على الانسان أن يمجدوا الله في أعماله. "أنا نور الله" [تأكيدي]." تتكرر النبرة الغنوصية القوية، على سبيل المثال، في كلمات الملاك ماديمي إلى دي:

وإذا ما أنزل إليك الحكمة. ولكن إلى أمه لم تولد بعد. "فإن كانت المرأة تعرف أوقات نجاتها وأوقاتها، فكم بالأولى هو [الله] الذي هو أم كل الأشياء..."

وكان الكثير من المادة الملائكية ملونة ومتكررة في طبيعتها، ونادرا ما أضاعت الفرصة للتأكيد على حقيقة أن الرجلين تم دعوتهما واختيارهما، كما في "أنتما تصبحان أنبياء، وتتقدسان لمجيء الرب". ولكن الأرواح التي ظهرت في حجر العرض لم تكن دائمًا قاسية بشكل صارم. رأى كيلي شخصية مضيئة تعلن: "هناك إله، دعونا نكون سعداء". إي. كيه [كيلي] لا يزال يرقص. هناك جنة. دعونا نكون سعداء.

إي.كي. الآن يخلع ملابسه مرة أخرى.79

لقد استولى الملائكة على حياة دي. قام هو وكيلي، برفقة عائلاتهم، بالسفر على نطاق واسع في أوروبا بناءً على اقتراحات/أوامر المرسلين، ووصلوا أخيرًا إلى مدينة كراكوف في بولندا في عام 1587. هناك تحولت القصيدة الملائكية إلى حامضة إلى حد الموت. في 17 أبريل، حث الملائكة الرجال على الانخراط في تبادل الزوجات، الأمر الذي أثار رعب الدكتور دي - الذي كان قلقًا من أن الملائكة ربما تحولوا إلى شياطين - ولكن بما أن الأمر كان بمثابة أمر، فقد امتثلوا على مضض. وربما كان هذا هو ما كسر التعويذة بكل معنى الكلمة. على الرغم من أنه كان أكبر من زوجته جين بنحو ثلاثين عامًا، إلا أن دي كان مخلصًا لها، وكان غالبًا ما يكتب ملاحظات يومية عن حالتها المزاجية وصحتها. لقد كان كلاهما مخلصين لبعضهما البعض دائمًا، وقد أثبت هذا الأمر الجديد - الذي أطاعوه على مضض - أنه كان صادمًا. على الرغم من أنه كان لا يزال على علاقة بكيلي، إلا أن عائلة دي تركته في القارة وفرت إلى إنجلترا، حيث يقال إن الدكتور دي تخلى عن السحر إلى الأبد، ومات منبوذا وفقيرا في عام 1608.

(لقد مات العديد من السحرة في العزلة والفقر، مما وفر قصة تحذيرية حتمية وسهلة للأخلاقيين والأصوليين، ولكن المرء يتساءل عما إذا كان السحرة التعساء قد أصبحوا مدمنين للغاية على ملذات وتحديات العالم الآخر في نهاية المطاف إلى الحد الذي جعلهم يكلفون أنفسهم عناء تكوين جزء كبير من حياتهم في هذا العالم.80

إن الانغماس في السحر حتى لو كان الأقل إثارة يعني في كثير من الأحيان تجاهل الفواتير - وضرورة إيجاد الوسائل لسدادها81 - والحفاظ على الروابط الاجتماعية. ولكن العديد من العلماء في تخصصات أخرى غير العلوم الغامضة قد استسلموا أيضًا لإدمان التعلم الساحر، ولكن الأخلاقيين يتجاهلون الحقيقة المزعجة المتمثلة في أنهم أيضًا ماتوا جوعًا وفقرًا، وحيدين تمامًا ودون أي عذر حتى من وجود الشياطين التي تلتهم الأرواح.)

على الرغم من حصوله على ما يعادل لقب فارس من ملك بوهيميا، إلا أن حظ كيلي السعيد انتهى بشكل مفاجئ، على الرغم من أن الظروف الدقيقة غير معروفة - كما هو الحال مع الكثير عن حياته. ربما عاد إلى مهنته السابقة كمزور، أو ربما سئم الملك من وعوده الفارغة بإنتاج الذهب. أُلقي كيلي في السجن مرارًا وتكرارًا، ومن هناك كتب - مليئًا بالسخط والغرور - إلى الملك، ملمحًا مرة أخرى إلى أنه يستطيع أن يصنع له الذهب من المعادن الأساسية. يمكن رؤية النغمة من المقطع الافتتاحي:

رغم أنني عانيت مرتين من القيود والسجن في بوهيميا، وهي إهانة لم تُعرض عليّ في أي جزء آخر من العالم، إلا أن عقلي ظل حرًا طوال هذا الوقت يمارس نفسه في دراسة تلك الفلسفة التي يحتقرها الأشرار والحمقى، ولكن يُمدحها الحكماء. كلا، لقد أصبح القول بأن لا أحد يكره الخيمياء ويحتقرها سوى الحمقى والمحامين مثلاً. وعلاوة على ذلك، وكما أنني خلال السنوات الثلاث السابقة بذلت جهدًا كبيرًا ونفقات كبيرة وموارد من أجل اكتشاف ما قد يعود عليك بالنفع والمتعة لجلالتك، فإنني أثناء سجني - وهي الكارثة التي حلت بي بسبب تصرف جلالتك - عاجز تمامًا عن البقاء عاطلاً عن العمل. ومن هنا كتبت

رسالة ... ولكن إذا كان تعليمي لا يرضيك، فاعلم أنك لا تزال تتجول بعيدًا تمامًا عن النطاق الحقيقي والهدف من هذا الأمر، وأنك تهدر أموالك ووقتك وجهدك وأمالك تمامًا.

لم يكن هذا المزيج من السخط والاتهامات غير المباشرة والكلام البذيء أمرا جيدا. أنهى كيلي أيامه محاولاً الهروب من السجن في عام 1595 .83

أما دي، فقد بدا وكأنه رجل مكسور بشكل متزايد. كان المال يشكل مشكلة خطيرة، على الرغم من أن الملكة إليزابيث كانت تطمئنه باستمرار بأنه سوف يحصل ذات يوم على معيشة مربحة. لم يأت أبدا هذا اليوم. ثم جاءت الكارثة المطلقة لمثل هذا الباحث المخلص: فقد تم تدمير مكتبته ومختبره الثمينين على يد حشد اعتقدوا أنه متحالف مع الشيطان، وعلى الرغم من رعايته الملكية، فقد كان يتمتع بسمعة غير محسودة لدرجة أنه تمكن من البقاء على قيد الحياة في سنواته الأخيرة. ثم جاءت ضربة مزدوجة: فقد توفي المستشار العظيم للملكة، اللورد بورلي (ويليام سيسيل)، وصديق دي وراعيه، في عام 1598، ثم

توفيت جلوريانا الملكية نفسها في عام 1603. لم يدوّن دي أي فكرة في مذكراته خلال السنوات الثلاث الأخيرة من حياته. يبدو أن الرجل العجوز الحزين كان يعيش فترة انحدار بروسبيرو:

الآن، كل سحري قد تلاشى، وما أمتلكه من قوة إلا قوتي الخاصة،وهو أضعف ما يكون... الآن أريد أرواحًا تُنفذ، وفنًا يُسحر، ونهايتي هي اليأس ما لم أُخفف بالصلاة...84

نهاية مبتذلة ومصطنعة لساحر عظيم. ذهب للانضمام إلى ملكته - وربما إدوارد كيلي - في 26 مارس 1609.

من السهل على قراء القرن الحادي والعشرين أن يرفضوا التعاملات الملائكية لفريق دي-كيلي باعتبارها حماقة، أو وهماً، أو نتيجة للتأثر ــ أو حتى مجرد نتيجة لإدارة مسرحية بارعة من جانب أحد المحتالين عديمي الضمير. في الواقع، ومن غير المستغرب، حثت الرسائل الملائكية الأولى دي على دفع مبلغ 30 جنيهًا إسترلينيًا سنويًا إلى كيلي كمعاش تقاعدي، إلى جانب العبارة الواضحة "لا ينبغي لأحد أن يدخل في معرفة هذه الأسرار إلا هذا العامل": وعلى نحو مماثل، تزامن الأمر بتبادل الزوجات بشكل أنيق مع ذروة شهوة كيلي للسيدة دي. ولكن كما هو الحال مع العديد من حالات ما وراء الطبيعة، فإن الشك المطلق نادرًا ما يقدم الإجابة الكاملة.

كما هو موضح في كتاب دي ليبر لوغيث، يبدو أن اللغة الإينوكية (التي تم التواصل بها عن طريق كيلي من خلال ملاك يُدعى نالفاج) هي لغة صالحة، كاملة بمفرداتها وقواعدها النحوية وتركيبها النحوي الخاص - وهو أمر صعب، إن لم يكن من المستحيل، بالنسبة لشخص غير أكاديمي مثل كيلي أن يخترعه، على الأقل بوعي. المشكلة هي أنه حتى في القرن الحادي والعشرين، لا نملك سوى فكرة ضئيلة عن قدرات العقل الباطن البشري، على الرغم من أن سجلات علم النفس غير الطبيعي تقدم لمحة عن عالم مظلم لوسيفري مليء بالإمكانيات الهائلة والمتشعبة.

ولم يكن الدكتور دي هو الشخص الوحيد الذي تلقى لغة جديدة تمامًا في ظل ما يمكن تسميته بظروف خارقة للطبيعة. في أواخر القرن التاسع عشر، أثبتت كاثرين إليس مولر، وهي وسيطة روحانية من جنيف بسويسرا، أنه أثناء وجودها في حالة غيبوبة، فإنها تنتج كتابة آلية باللغة العربية، أو - من خلال "كيان تحكم" روحي يسمى ليوبولد - يتحدث بما ادعت أنه من المريخ. بل إنها قامت برسم رسومات أولية للحياة على المريخ، بما في ذلك الشوارع والمنازل وأحدث الأزياء المريخية.

ومع انتشار شهرتها، أبدى أستاذ علم النفس السويسري الشهير ثيودور فلورنوي اهتمامًا كبيرًا بكاثرين - التي تعمل الآن تحت اسم مستعار هو هيلين سميث - حيث أمضى خمس سنوات يحضر جلساتها الروحانية ويسجل تدفقاتها "المريخية". وبتطبيق تقنيات التحليل النفسي، استنتج أنها كانت تتمتع بخيال غير طبيعي، وكانت تخيلاتها تظهر كحقائق ملونة للغاية أثناء حالة الغيبوبة الانفصالية. ربما لم تكن تغش عن عمد، لكن عقلها الباطن كان يفعل ذلك. ولكن فلورنوي أضاف أن موهبة كاثرين الاستثنائية في الاختلاق ربما كانت مدعومة بقدرة حقيقية على التحريك النفسي (العقل على المادة) وكمية معينة من التخاطر ــ وهو الاستنتاج الذي قد يكون أكثر جرأة ودهاء من اللازم بالنسبة لـ"علماء النفس الخارق" المزعومين المتعطشين للإعلام اليوم، والذين يتوقون إلى صنع أسمائهم كمفسدين محترفين، وهو نوع من المبشرين التلفزيونيين لشكل عدواني ومتعصب بشكل خاص من العقلانية.

وعلاوة على ذلك، ورغم أن أحد خبراء اللغة السنسكريتية أعلن أن 98 في المائة من كلمات كاثرين

"المريخية" يمكن إرجاعها إلى لغات معروفة، فإنه ادعى أن تدفقاتها تتصرف مثل اللسان الحقيقي، مع بناء نحوي أصيل. إذا كان بإمكان امرأة شابة غير متعلمة نسبيًا في القرن التاسع عشر أن تخترع لغة مقبولة دون وعي منها، فمن الممكن أن يكون إدوارد كيلي قادرًا على فعل ذلك أيضًا في الأجواء المتوترة لمختبر الساحر في القرن السادس عشر.

كما سنرى عند مناقشة كتاب القانون، الذي أنتجه الساحر الشعائري أليستر كراولي في عام 1904، فإن الكتابات الملهمة أو "الموجهة" عادة ما تبدو وكأنها نشأت من شخصية أو عقل آخر تمامًا، وهذا هو السبب في أنها مقنعة للغاية في المقام الأول. بالطبع في هذه الأيام نعلم كل شيء عن الانفصال من حيث المبدأ - الانقسام الواضح لوعي الفرد للكشف عن شخصيات منفصلة على ما يبدو. إن المثال الأكثر وضوحا على ذلك هو تعدد الشخصيات، حيث يمكن لشخص واحد أن يظهر طرق تفكير وتعبير مختلفة تماما بحيث يبدو أن الأشخاص الآخرين محاصرون، كما هو الحال، داخل الجسم "المضيف". على الرغم من أن هذا يُفهم على أنه انفصال كلاسيكي خالص وبسيط، فإن بعض الظواهر ذات الصلة تأخذ الشخصية المتعددة إلى فئة "الاحتمالات المتطرفة" (كما يقول فوكس مولدر من مسلسل The X-Files): على سبيل المثال، بينما تنام ست من الشخصيات السبع بطاعة بعد أن يأخذ المضيف حبة نوم قوية، ترفض الشخصية الأخيرة الاستسلام وتبقى مستيقظة. لكن كيف؟ في حالات أخرى قد تدعي شخصية معينة أنها تعاني من مرض السكري - وهو ما يتم تأكيده من خلال اختبار الدم، على الرغم من عدم ظهور نتائج إيجابية لاختبار أي من الشخصيات الأخرى عندما يأتي دورها لتولي المسؤولية ...

يمكننا أن نطلق على النشاط السحري الذي حدث بالأمس وصف الاحتيال أو "علم النفس غير الطبيعي"، ولكن هذا لا يعني أنه من خلال الفعل البسيط ولكن المرضي المتمثل في التصنيف، يمكن ترويضه أو حتى تفسيره. بطبيعتها، من المستحيل تحديد الأحداث الخارقة للطبيعة، وغالبًا ما يكون من الصعب تفسيرها.

العودة من القبر

هل كانت العمليات السحرية التي قام بها دي شيطانية بالفعل، كما اعتقدت مجموعة من مثيري الحرائق الذين دمروا مكتبته ومختبره؟ يجب أن نتذكر أنه على الرغم من أنه ربما كان يفكر بطريقة مختلفة عن معظم الأكاديميين السائدين اليوم، فإن آر دي لم يكن أحمقًا وفقًا لمعايير أي شخص. في كتابها "التنوير الوردي" (1972)، زعمت فرانسيس ييتس أنه كان أحد مؤسسي حركة الصليب الوردية وأنها كانت إنجليزية في الأساس، على الرغم من أن توبياس تشيرتون لا يتفق معها، قائلاً "إن ألمانيا وبوهيميا كان لديهما ما يكفي من السحرة (إن لم يكونوا متألقين عالميًا مثل دي) لبدء حركتهم الخاصة"، على الرغم من أنه يعترف بأن الوقت الذي قضاه دي وكيلي في الخارج "كان له تأثير كبير على فلسفة الإصلاح الخيميائي السحري المروع"، وخاصة من خلال كتابه "موناس هيروغليفية" (1564)، "الذي وضع نظرية معقدة للوحدة الكونية التي كان هدفها دمج كل المعرفة في نظام روحي/رياضي كوني: وهو هدف ضمني في مسعى الصليب الوردي ".ربما كان تشيرتون يصف ليوناردو.

وحتى إنجازات دي غير الباطنية مذهلة بما فيه الكفاية: عندما صاغ كلمة "بريتانيا"، حاول ضمان سيطرتها على الأمواج من خلال رسم أول خطة شاملة طويلة الأجل للبحرية البريطانية. كان أول عالم يطبق الهندسة الإقليدية في الملاحة، وقام ببناء الأدوات اللازمة للقيام بذلك، ودرب العديد من أعظم الملاحين في عصر

الاكتشافات، ورسم خرائط الممرات الشمالية الشرقية والشمالية الغربية بدقة، دون أن يغادر منزله في سري.

حتى عندما يتعلق الأمر بأعماله السحرية، كان دي دائمًا على حذر من "الأشباح"، أو الأرواح السفلية (المؤذية أو التي تضيع الوقت) والتي تتنكر في صورة ملائكة. لقد تولى قيادة أي مواقف متناقضة، وفي إحدى المرات أجبر أحد المخادعين على الاعتراف، ثم أرسله إلى النيران، قائلاً

"سيد كيلي، هل زال شكك في الروح؟"89

ومع ذلك، عندما تشارك الأرواح في أي مسعى بشري، لا بد وأن تبقى هناك بعض الأسئلة حول أصالتها ودوافعها، حتى لو ادعت أنها ملائكة. في الواقع، كان أسلوب عمل فريق كيلي-دي أقرب إلى الروحانية - وغالبًا ما يُشار إلى كيلي باسم "الوسيط الأول" - من الكثير من الأعمال الغامضة السابقة، والتي ليست خالية من المشاكل، على الرغم من أنها ربما تكون أقل وضوحًا من "السحر الأسود الملعون" نفسه. ويقال إن كيلي (مع ساحر يدعى وارنج) نجحا في إخراج جثة من قبرها في ساحة الكنيسة في والتون لو ديل في لانكشاير لأمرها بالتنبؤ بالمستقبل.

ومن المؤكد أن مونتيجو سامرز كان سريعًا في إدانة الاتجار بأي نوع من أنواع الروح باعتبارها شيطانيَّة خالصَة. ويشير في معرض حديثه عن الادعاءات التي تقول إن السحرة "يهربون" إلى سبتهم، إلى "... خارج حياة القديسين، توفر لنا الجلسات الروحانية أمثلة على هذه الظاهرة الخارقة للطبيعة".90. وأكثر من ذلك في شخصيته، يعلن بصراحة: "قم بتمويه الأمر كما تشاء ... هذا "الدين الجديد" [من] الروحانية والخرافات المشابهة لها ... ليس سوى السحر القديم" 91

اليوم، عندما يتبع الروحانيون نسختهم الخاصة من الدين المسيحي، وقد أثبت العديد من الوسطاء المشهورين قدراتهم المذهلة مرارًا وتكرارًا في ظل ظروف صارمة، بالإضافة إلى تقديم الراحة والأمل اللامحدودين لآلاف الأشخاص، فمن الصعب تصور أن الحركة قد يكون لها أي ارتباط محتمل بأي شيء شيطاني. ومع ذلك، حتى لو تركنا جانباً الأفكار المسبقة لسامرز، في العصر الذهبي للوسائط المادية، فإن نشاطهم كان أكثر غموضاً إلى حد كبير، وكان غالباً ما يحمل رائحة مميزة من الكبريت.

في عام 1911، تم طرد البرازيلي كارمين ميرابيلي البالغ من العمر ثلاثة وعشرين عامًا من وظيفته في متجر للأحذية لأن الأحذية أصرت على الطيران من تلقاء نفسها. تم احتجازه في مستشفى للأمراض العقلية لمدة تسعة عشر يومًا، وكان هناك طبيبان يراقبانه عن كثب. وخلصوا إلى أنه كان يمتلك فائضًا غير عادي من القوى العصبية - وهو ما يشبه إلى حد كبير الفكرة الحديثة التي تقول إن هجمات البولترجيست عادة ما تركز على المراهقين الذين يمرون بفترة بلوغ مضطربة بشكل خاص. إن مجرد وجود ميرابيلي كان سبباً في حدوث بعض الظواهر غير العادية: حيث تحركت الأشياء غير الحية وحتى تحولت إلى سائل على ما يبدو. كما أنه أنتج كميات هائلة من الكتابة الآلية92 بـ 30 لغة، وأظهر قدرات غير عادية في التخاطر والاستبصار - وكثيراً ما ورد أنه يسافر بشكل فوري، عن طريق النقل الآني (على غرار وسيلة النقل التي احتفى بها في سطر ستار تريك الشهير: "انقلني إلى الأعلى، سكوتي").

ومن بين إنجازات ميرابيلي المزعومة قدرته على رفع نفسه إلى ارتفاع سبعة أقدام عن الأرض، وهو الحدث الذي تم تصويره. ومع ذلك، هناك بعض الخلاف حول هذا: يزعم الآن أن الصورة تم التلاعب بها لإظهار الوسيط على ما يبدو في الهواء، بينما في الواقع كان يقف ببساطة على قمة سلم متدرج - تم مسحه لاحقًا في الصورة النهائية - للإشارة إلى مدى ارتفاعه في الهواء.

كان ميرابيلي أحد أبرز رواد الحركة الروحانية البرازيلية (من أتباع الوسيط الفرنسي آلان كارديك)،

وفي إحدى المناسبات، كما يقال، لم يكتف بالطيران وهو مقيد اليدين، بل تحول إلى كائن مادي عندما ارتفع في الهواء، وسقطت الأصفاد على الأرض. تم العثور عليه خلف باب مغلق. لكن إنجازه الأكثر إثارة للجدل كان تجسيد الموتى - على ما يبدو أكثر نجاحًا ودراماتيكية حتى من الساحر للسحر الأسود الممارس إدوارد كيلي.

في جلسات ميرابللي، التي كانت تُعقد أحيانًا في غرف مضاءة جيدًا، كانت الهياكل العظمية تتشكل تدريجيًا في الهواء، مغطاة بشكل مروع بلحم رث - وتفوح منها رائحة التعفن... في أوج نجاحه، يقال أنه تمكن في نهاية المطاف من تجسيد كائنات بشرية صلبة. في إحدى الحالات، كان الرجل الذي استحضره من الهواء بوضوح من أصل أفريقي، وفي مناسبة أخرى، ظهر شاعر ميت بين ميرابيلي وأحد الجالسين - الذي يبدو بشكل طبيعي متيبسًا من الخوف، حيث كان بياض عينيه يظهر مثل حصان مرعوب. وهذا يطرح سؤالا مهما: ربما كانت روحانية ميرابيلي حقيقية - ولكن هل كانت لطيفة؟ فهل كانت محاولته الجديرة بالثناء لتقديم أدلة على وجود حياة بعد الموت مجرد استحضار لقوى الظلام؟ وكما هو الحال مع العديد من الحالات الواردة في سجلات الوسائط المادية (أو الفيزيائية")، فإن الرعب الصريح الذي انطوت عليه هذه الحالة جعل هذا الشكل من الوجود المستمر أشبه بالموتى الأحياء الفاحشين ومصاصي الدماء والغيلان. لا أحد يرغب في التفكير في أن أحباءه سيعودون لمدة ساعة أو نحو ذلك ليشموا رائحة القبر، أو حتى يتطلعوا بحماس إلى احتمال القيام بذلك بأنفسهم.

ذات مرة، عندما بدأت الجمجمة التي كان ميرابيلي ينظر إليها للتو في التحرك، ذكر الطبيب النفسي البارز الدكتور فرانكو دا روشا:

عندما التقطت الجمجمة، شعرت بشيء غريب في يدي، شيء سائل، كما لو كان سائل كروي يلامس راحة يدي. عندما ركزت انتباهي أكثر، رأيت شيئًا يشبه مرور الإشعاع فوق الجمجمة عندما تعرض المرآة بسرعة لأشعة مضيئة 93

(تجدر الإشارة إلى أن الروحانيين يصفون السحر الأسود بأنه اتصال متظاهر مع الموتى، لأنهم يعتقدون أن الموتى لا يمكن إجبارهم، بموجب "القواعد" العادية، على التواصل مع الأحياء. يعتقد الروحانيون أنفسهم أنهم يقومون بدعوة الموتى للتواصل فقط.)

توفي ميرابيلي في عام 1951 بعد أن صدمته سيارة. ولكن على الرغم من أن عددا قليلا من الباحثين اهتموا به خلال حياته، فقد قام المعهد البرازيلي للأبحاث النفسية الحيوية في عام 1973 بتعيين فريق لتجميع ملف عن ظواهره غير العادية. وكان من بين أعضائها الكاتب والباحث البريطاني جاي ليون بلاي فير، الذي نشر الخبر في بريطانيا.

كان أبناء ميرابيلي، على الرغم من تشككهم الشديد في الروحانية في بعض الأحيان، مصرين على أن والدهم كان يجعل أشياء مذهلة تحدث "كل يوم تقريبًا، في أي وقت وأي مكان".94 وكانت عائلته متحدة في إنكار أنه غش - أو في الواقع، أنه كان لديه أي دافع للقيام بذلك.

ولكن ثيودور بيستيرمان من جمعية الأبحاث النفسية لم يتردد في إدانة ميرابيلي باعتباره محتالاً، على الرغم من أنه شهد بنفسه أمثلة واضحة على التحريك العقلي (العقل على المادة) في حضوره، وشاهد الوسيط يكتب نصًا آليًا من 1700 كلمة في أقل من ساعة باللغة الفرنسية - وهي لغة لم يكن يعرفها. (كما أنه أنتج كتابة آلية مفهومة باللغات العبرية واليابانية والعربية، تماماً مثل "هيلين سميث" و"المريخي" المزعوم، و"كيلي" و"إينوكيان").

وعزا بيستيرمان الحركة الغامضة للأشياء إلى استخدام "خيوط مخفية"، على الرغم من أن لا هو ولا بقية أعضاء فريق البحث تمكنوا من تفسير كيف استطاعوا إنتاج مثل هذا التنوع من الظواهر. وعلى الرغم من تشكك بيستيرمان، فإن البروفيسور هانز دريش من جمعية الأبحاث النفسية (SPR) وماي سي ووكر من جمعية الأبحاث النفسية الأمريكية وجدا أن ميرابيلي "مثير للإعجاب للغاية"،95 في حين لم يكتشف جاي ليون بلاي فير أيضًا أي دليل على الغش.

ولعل الكلمة الأخيرة يجب أن تُعطى للدكتور فيليبي آتشي، الذي جازف بأن مواهب ميرابيلي الغريبة كانت "نتيجة لإشعاع القوى العصبية التي نملكها جميعاً، لكن ميرابيلي يمتلكها بكميات زائدة غير عادية". بعبارة أخرى، ربما نمتلك جميعاً مثل هذه القدرات المذهلة في شكلها الكامن، ولكن فقط بعض الأشخاص النادرين، مع تركيبة نفسية وربما حتى فسيولوجية مميزة، سوف يمتلكون الموهبة الغريبة لتفعيلها. إذا كان الأمر يعني استحضار جثث متعفنة، فربما يتعين علينا أن نكون شاكرين لذلك.

وتكشف قضية رئيسية أخرى من سجلات العصر الذهبي للوساطة الروحانية الجسدية عن صعوبة فصل الظواهر الحقيقية ظاهريًا عن الاحتيال، على الأقل على المستوى الواعي بقدر ما يتعلق الأمر بالوسيط. وهذا يُظهر كيف كان عالم غرفة جلسة تحضير الأرواح دراميًا، ولكن في كثير من الأحيان غير سار.

تظل أوسابيا بالادينو الوسيلة الأكثر بحثًا ودراسة في تاريخ البحث النفسي، بالتأكيد على مدى فترة زمنية طويلة. إنها من سكان نابولي، وقد تمت دراستها لمدة تزيد عن عشرين عامًا من قبل ما لا يقل عن خمسين عالمًا - العديد منهم مشهورون دوليًا - من إيطاليا وفرنسا وبولندا وروسيا وإنجلترا والولايات المتحدة.

بدأت حياة أوسابيا بشكل غير ميمون. توفيت والدتها بعد وقت قصير من ولادة الوسيط المستقبلي في عام 1854، وقُتل والدها عندما كانت في الثانية عشرة من عمرها.

وربما كانت هذه الصدمة هي السبب بطريقة ما في الظاهرة التي أحاطت بحضورها الأول لجلسة تحضير الأرواح في العام التالي، حيث تحرك الأثاث نحوها وارتفع في الهواء.

ثم في عام 1872 حضرت الزوجة الإنجليزية لداميانى، وهو باحث نفسي إيطالي، جلسة تحضير أرواح في لندن، حيث جاءها روح يطلق على نفسه اسم "جون كينج" وأخبرها أن هناك وسيطًا قويًا للغاية في نابولي هو تناسخ ابنته كاتي كينج، وهي بالفعل من مرتادي غرف تحضير الأرواح المعروفة. ثم أعطى جون كينج الشبح العنوان الكامل للمنزل الذي يمكن العثور فيه على هذا التناسخ. وفي الوقت المناسب، تابع داميانى هذا الأمر، فعثر على المنزل - وإيوسابيا بالادينو. لقد انبهر داميانى كثيرًا، كما كان متوقعًا، وساهم في تعزيز قدرات النابوليتانيين.

وسرعان ما أصبحت مشهورة في الحي، لكن الأمر استغرق عشرين عامًا حتى وصلت مواهبها إلى انتباه الأكاديمي المحلي، البروفيسور إركول شيايا - ومن ثم إلى عالم الانتظار. وفي عام 1888، ناشد العلماء التحقيق في مواهبها في رسالة إلى عالم الإجرام البارز - والمتشكك المتطرف - البروفيسور سيزار لومبروزو. كانت هذه لحظة حاسمة في حياة أوسابيا المهنية، وبعدها لم يعد أي شيء كما كان بالنسبة لها.

بدأت التحقيقات

في عام 1892، قام البروفيسور لومبروزو، بالاشتراك مع خمسة من زملائه العلماء، باختبار الوسيط من خلال سلسلة من الجلسات، وفي النهاية أعلن عن اقتناعه بأن ظواهره حقيقية. ولم يكن هذا سوى البداية: ففي العام التالي تم تشكيل لجنة مكونة من سبعة أعضاء من الأكاديميين المتميزين من عدة مجالات تحت إشراف البروفيسور سكياباريلي، مدير جامعة ميلانو. وبعد سبعة عشر جلسة كاملة، أعلنوا أنها حقيقية.

وتضمن تقريرهم المنشور هذا التصريح:

"من المستحيل أن نحصي عدد المرات التي ظهرت فيها يد ولمسها أحدنا. يكفي أن نقول أن الشك لم يعد ممكنا. لقد كانت في الواقع يدًا بشرية حية رأيناها ولمسناها، وفي نفس الوقت ظل تمثال نصفي وذراعي الوسيطة مرئيين، وكانت يديها ممسوكة من قبل أولئك الذين على جانبيها.

قام البروفيسور إنريكو مورسيلي، الذي درس يوسابيا عن كثب لفترة طويلة في مختبره في جنوة، بإعداد قائمة تتضمن تسعة وثلاثين نوعًا من الظواهر التي لاحظ إنتاجها عن قرب وفي ظل ظروف اختبار صارمة.

وبعد فترة وجيزة، أصبح النابولي الغامض نجمًا نفسيًا مشهورًا في جميع أنحاء العالم الغربي. لقد توافد العلماء من أماكن بعيدة مثل سانت بطرسبرغ في روسيا إلى نابولي ليشهدوا على ظواهرها بأنفسهم - وليسوا جميعهم حمقى ساذجين بأي حال من الأحوال. لقد وضعها معظمهم في حالة ذهنية حرجة للغاية، بعد أن قاموا بتفتيشها والمباني مسبقًا بشكل دقيق للغاية. كما زارت روما وجنوة وباليرمو وتورينو وباريس ووارسو - وكامبريدج، حيث كانت ضيفة على جمعية الأبحاث النفسية (SPR)، والتي لم تكن معروفة أبدًا بسذاجتها.

وفي هذه المرحلة بدأت الانتقادات تفسد مسيرة يوسابيا المهنية. وكان أحد الشهود هو الدكتور ريتشارد هودجسون، الذي اشتبه في أنها كانت محتالة لا يمكن إصلاحها. على الرغم من أنه كان من المفترض أن يتحكم في تحركاتها أثناء التجربة، إلا أنه في الواقع خفف حذره - وانتهزت يوسابيا الفرصة على الفور لتزييف الظاهرة. ونتيجة لذلك، وصفتها الجمعية الملكية البريطانية للطب النفسي بأنها محتالة، لكن هذا خلق شرخاً بين المجتمع الدولي للباحثين النفسيين: أعلن الكثيرون في جميع أنحاء أوروبا أنهم كانوا يدركون أنها ستزيف الأمر إذا استطاعت، ولكن إذا حُرمت من الفرصة، فإن ظواهرها حقيقية.

ولعل من اللافت للنظر أن كاميل فلاماريون، عالم الفلك الفرنسي الرائد، الذي اختبر أيضاً مجرة أوسابيا، لاحظ أنه مع تزايد التوتر في الوسط أصبحت الظاهرة أكثر سوءاً وتدميراً. وكتب:

تقدمت الأريكة إلى الأمام عندما نظرت إليها، ثم ارتدت أمام أنفاسها؛ ألقيت جميع الآلات الموسيقية على الطاولة؛ ارتفع الدف تقريبًا إلى ارتفاع السقف؛ شاركت الوسائد في اللعبة، وقلبت كل شيء على الطاولة؛ تم إلقاء [أحد المشاركين] من كرسيه. ارتفع هذا الكرسي - كرسي طعام ثقيل مصنوع من خشب الجوز الأسود، مع مقعد محشو - في الهواء، وظهر على الطاولة مع ضجيج كبير، ثم دفع بعيدًا ..
97

وبما أن التقارير استمرت في كونها إيجابية بشأن يوسابيا، فقد قامت الجمعية الملكية البريطانية لعلم الفلك بفحصها مرة أخرى، وأرسلت الفريق المتشكك للغاية المكون من إيفيرارد فيلدينج، وهيريوورد

كارينجتون، و دبليو دبليو باجالي إلى نابولي. ولكن بعد عقد جلسات تحضير الأرواح في فندق فيكتوريا، اضطروا هم أيضًا إلى الاعتراف بالهزيمة، حيث خلصوا إلى أن الظواهر بما في ذلك حركة الأشياء، والأضواء الغامضة، والطرقات، والتجسيدات كانت نتيجة لقوة "مختلفة تمامًا عن البراعة البدنية المجردة من جانبها". وقد دفع هذا فيلدينج إلى كتابة:

لأول مرة لدي قناعة مطلقة بأن ملاحظاتنا ليست خاطئة. لقد أدركت كحقيقة ملموسة في الحياة أنني رأيت من وراء ستارة فارغة أيادي ورؤوسًا تخرج، وأنني خلف الستارة الفارغة أمسكت بأصابع حية، وكان وجود أظافرها وموقعها واضحًا. لقد رأيت هذه المرأة غير العادية، جالسة خارج الستارة، ممسكة بيدي وقدمي، مرئية لي، وزملائي، ثابتة، باستثناء إجهاد أحد الأطراف من حين لآخر بينما كان بعض الكيانات داخل الستارة تضغط على يدي مرارًا وتكرارًا في وضع بعيد عن متناولها بوضوح.98

ومع ذلك، وعلى الرغم من هذا التأييد المتوهج - ومن مصدر غير محتمل للغاية - فقد ذهبت أوسابيا إلى الغش مرة أخرى، وتم القبض عليها مرة أخرى. كان ذلك أثناء جولتها التي استمرت سبعة أشهر في الولايات المتحدة في عام 1909، عندما تمكن أحد المحققين من الدخول تحت ستار الخزانة ورأى أنها "حررت قدمها ببساطة من حذائها وبحركة خلفية رياضية للساق كانت تمد يدها وتصطاد بأصابع قدميها الغيتار والطاولة في الخزانة".99

ومع ذلك تضاعفت التناقضات. حتى هربرت ثورستون، الساحر العظيم وآفة الوسطاء المزيفين (والمساهم في دليل سامري فريكل الكلاسيكي للمشككين، كشف الوسطاء الروحيين) كان عليه أن يعترف بأن رفع الطاولة في حضورها: لم يكن بسبب الاحتيال ولم يتم إجراؤه بمساعدة قدميها أو ركبتيها أو يديها. 100

يعتبر الطفو ظاهرة مثيرة للاهتمام بشكل خاص. كان مونتيجو سامرز يؤمن تمامًا أنه في حين يكشف القديسون عن قدسيتهم من خلال الطفو دون مساعدة في الهواء الرقيق - كان الراهب جوزيف من كوبيرتينو في القرن السابع عشر، والذي تم تقديسه لاحقًا، يطير بانتظام لمسافة ما، إلى المذبح العالي أو قمم الأشجار101 - فإن أي شخص آخر أظهر ظاهرة مماثلة يجب أن يتصرف تحت سلطة شيطانية. ومع ذلك، يبدو هذا غير محتمل. حتى سامرز كان ليصاب بأكبر قدر من الحيرة عندما كان هناك، قبل بضع سنوات، هوس في الملاعب برياضة التحليق، حيث كانت مجموعات من تلاميذ المدارس ترفع أحد أعضائها في الهواء باستخدام طقوس سحرية زائفة بسيطة من اختراعهم. ليس هناك شك في أن هذه الطريقة ناجحة، وأن أشخاصًا حقيقيين مروا فوق رؤوس أصدقائهم دون الاستفادة من المؤثرات الخاصة أو الخداع أو حتى شبكة الأمان. إن القدرة على انتهاك قانون الجاذبية من قبل أي شخص تقريبًا في الإطار العقلي الصحيح (مهما كان ذلك الإطار) تزيل ظاهرة الارتفاع من حصرية سجلات القديسين أو تاريخ السحرة.

ومع ذلك، فإن إحدى المواهب النادرة الأخرى التي امتلكتها يوسابيا بالادينو تعيدنا إلى الجوانب غير السارة للوساطة الروحانية الجسدية، والتي تكاد تصل إلى السحر الأسود.

الجبلة الخارجية المبتكرة

ومن المثير للاهتمام أن يوسابيا نفسها اعترفت بأنها كانت تغش في بعض الأحيان، موضحة - ربما بذكاء - أن المتشككين يمكن أن يدفعوها إلى القيام بذلك عندما كانت في حالة شديدة التأثر من الغيبوبة العميقة. ومع ذلك، اقترح العديد من المعجبين بها أن بعض اتهامات الغش قد تكون نتيجة لخطأ

- بما أن "الجبلة الخارجية" التي خرجت منها كان غالبًا ما تتخذ شكل اليدين والقدمين، ربما كان هذا هو ما رآه متهموها يتحرك بشكل مريب.

كانت الجبلة الخارجية عبارة عن مادة بيضاء رمادية اللون، تشبه المخاط في كثير من الأحيان، ويُزعم أنها تتسرب من جميع فتحات الوسيط المغيب، مثل شيء قد يكون من الممكن طرده بنجاح أكبر باستخدام البنسلين بدلاً من طارد الأرواح الشريرة. وكانت الجبلة الخارجية تأخذ تدريجيا شكل الوجوه أو الأشكال البشرية، والتي كان الجالسون في كثير من الأحيان يتعرفون عليها على أنها أحبائهم المتوفين. ولكن يبدو أن هذه الظاهرة أصبحت شيئا من الماضي: إذ يقول المتشككون إنها لم تعد تظهر في جلسات تحضير الأرواح لأن الوسطاء المزيفين يخشون أن تكشف التصوير بالأشعة تحت الحمراء الحديثة أسرارهم القذرة للعالم. أخبرني عالم الفيزياء الفلكية البارز والباحث النشط في علم النفس، البروفيسور أرتشي روي من غلاسكو، منذ سنوات عديدة أنه عندما تمكن من الاقتراب من بعض الجبلة الخارجية كان "رائحتها مثل رائحة الجسم البشري". وأضاف البروفيسور روي، الذي لم يكن متشككا بأي حال من الأحوال، "وهو أمر لم يكن مفاجئا، نظرا لمكان حفظه.. 102

لقد تبين أن أغلب الجبلة الخارجية المعروفة لم تكن أكثر من أطوال من القماش القطني، تم تقيؤها أو طردها من فتحات أخرى، وهو ما يقول الكثير عن قوة التحكم العضلي لدى الوسطاء أكثر من كونه دليلاً على الحياة الآخرة. ومع ذلك، تظهر بعض صور الجبلة الخارجية المزعوم نوعًا آخر من المادة - غير معروفة أو على الأقل غير محددة - تعمل على شكل يد أو وجه متحرك ونامٍ. يبدو الأمر فظيعًا للغاية ولا يثبت شيئًا، وبالتأكيد ليس وجود حياة بعد الموت، ولكنه قد يكون بسهولة خارقًا للطبيعة أو طبيعيًا بشكل مريب.

وفي حالة يوسابيا بالادينو، تحولت جبلتها الخارجية إلى قضبان ورافعات مفيدة، تُعرف باسم "الأرجل الكاذبة"، والتي شوهدت في ظل ظروف التصوير بالأشعة تحت الحمراء، لرفع الأشياء وإمالة الطاولات. (ومن الجدير بالذكر أن هربرت ثورستون نفسه لم يلمح إلى أن هذه كانت قضبانًا ورافعات حقيقية، مخفية بطريقة ما عن شخص الوسيط.)

في العديد من جلسات يوسابيا الروحانية، ظهرت أشباح بشرية، على ما يبدو تم إنشاؤها من الجبلة الخارجية، وقد رآها وشعر بها المحققون. وشهد البروفيسور مورسيلي وزملاؤه الباحثون مثالاً مذهلاً على ذلك في الأول من مارس 1902 في جنوة. قام الأستاذ بفحص الوسيط عن كثب بحثًا عن المساعدات المهربة، ثم ربطها إلى سرير المخيم بعناية شديدة. ظلت مقيدة رغم ظهور ستة أشباح في ضوء جيد إلى حد ما.

انضم البروفيسور تشارلز ريشيت، وهو عالم فسيولوجيا مشهور عالميًا وحائز على جائزة نوبل، إلى التأييد العام لمواهبها، قائلاً: "لقد اقتنع أكثر من 30 عالمًا متشككًا للغاية، بعد اختبارات طويلة، بأن أشكالًا مادية من جسدها تبدو وكأنها حياة". 103 ويتفق الدكتور جوزيف فينزانو مع هذا الرأي: ففي جلسة روحية عقدها في 16 يونيو 1901، ظهرت عدة أيادٍ شبحية وداعبت الجالسين في ذهول. ثم أمسكت الأيدي المجردة بيد فينزانو:

عندما التقت يدي، الموجهة بواسطة يد أخرى، والمرفوعة إلى الأعلى، بالشكل المادي، كان لدي على الفور انطباع بأنني لمست جبهة عريضة، في الجزء العلوي منها كمية من الشعر الطويل والسميك والناعم للغاية. ثم، وبينما كانت يدي ترتفع تدريجيا إلى الأعلى، لامست أنفًا معقوفًا قليلاً، وفي الأسفل، شاربًا وذقنًا بلحية مدببة.

ومن الذقن، تم رفع اليد إلى حد ما، حتى وصلت إلى أمام الفم المفتوح، وتم دفعها بلطف إلى الأمام، ودخل إصبعي السبابة، الذي لا يزال موجهًا باليد الموجهة، تجويف الفم، حيث تم التسبب في احتكاكه بهامش القوس السني العلوي، والذي كان ينقصه أربعة ضروس في الطرف الأيمن.104

أدرك الدكتور فينزانو المذهول أن الوجه الذي شعر به للتو هو وجه أحد أقاربه المتوفين. ولأنه لم يكن متأكداً من الأسنان المفقودة لدى الرجل، فحص سجلاته الطبية الخاصة بالأسنان - واكتشف أنها أربعة أضراس ...

ومع ذلك، لم يستمر مدح يوسابيا إلا في إيطاليا. بعد كشفها كمزيفة في الولايات المتحدة، تم تحديد مصيرها في العالم الأنجلوسكسوني. توفيت عام 1918، وظلت وفاتها لغزًا حتى النهاية، ولا تزال انتصاراتها الواضحة موضع جدل حتى يومنا هذا. لكن على الرغم من غشها وغرابة ظواهرها، كانت يوسابيا تمثل ما يمكن اعتباره مجموعة نموذجية من المعجزات الشيطانية: غامضة دائمًا، وملتبسة، وربما تتحول بسرعة من الإيجابية إلى السلبية ثم تعود مرة أخرى. وكتب البروفيسور ريشيت بشكل واضح:

... نحن نتعامل الآن مع حقائق ملحوظة، ومع ذلك فهي سخيفة؛ وهي تتناقض مع حقائق الملاحظة اليومية؛ والتي ينكرها ليس العلم فحسب، بل البشرية جمعاء - حقائق سريعة وعابرة، تحدث في شبه ظلام، وعلى حين غرة تقريبًا؛ ولا يوجد دليل عليها سوى شهادة حواسنا، والتي نعلم أنها غالبًا ما تكون عرضة للخطأ. وبعد أن شهدنا مثل هذه الحقائق، اجتمعت كل العوامل لتجعلنا نشك فيها. والآن، في اللحظة التي تحدث فيها هذه الحقائق تبدو لنا مؤكدة، ونحن على استعداد لإعلانها علانية؛ ولكن عندما نعود إلى أنفسنا، عندما نشعر بالتأثير الذي لا يقاوم من بيئتنا، عندما يضحك جميع أصدقائنا على سذاجتنا - عندها نكون في أقصى درجات العزلة، ونبدأ في الشك.105 ألا يمكن أن يكون كل هذا مجرد وهم؟ هل يمكن أن لا أكون قد تعرضت لخديعة كبيرة؟ ... وبعد ذلك، ومع ابتعاد لحظة التجربة، فإن التجربة التي بدت في يوم من الأيام حاسمة للغاية أصبحت تبدو أقل يقينًا، وننتهي إلى إقناع أنفسنا بأننا كنا ضحايا خدعة.106

ربما يكون من المناسب في هذه المرحلة أن نقتبس عن الدكتورة مارغريت ميد، التي صرحت للجمعية الأمريكية لتقدم العلوم: "إن تاريخ التقدم العلمي بأكمله مليء بالعلماء الذين يحققون في ظواهر لم تصدق المؤسسة بوجودها". 107

إن الجرأة على الذهاب بجرأة إلى حيث لم يفكر الإنسان قط في الذهاب إليه هي علامة الشيطان الشجاع، الباحث والصانع، الباحث في الانتصار واليأس. ومع ظهور عصر التنوير، نشأ نوع جديد من السحرة، وحيّوا الله بشجاعة - ولكن هذه المرة على صورته.

الفصل السادس

افعل ما تريد

ومع زحف الغرب نحو عصر التنوير، عندما بدأ أمثال لوك وفولتير ونيوتن ودين هيوم العلماني العقلاني في جذب القلوب والعقول في رحلته المحفوفة بالمخاطر بعيداً عن العقلية العصور الوسطى، انطلقت موجة من الاختراع والاكتشاف الشيطاني والانحطاط الشيطاني ـ على الرغم من أن القرن الثامن عشر، كما يشير كولن ويلسون، لم يكن يتمتع بالسحر الحقيقي. كان الأمر كما لو أن سدًا قد انكسر بعد كل تلك السنوات في قبضة السلطات الكنسية الحديدية، وأن الطاقة المنطلقة كان عليها أن تجد مستواها بسرعة، سواء في شكل اكتشافات جديدة ومثيرة في الكيمياء أو الطب، أو الفخاخ القاتمة للقداس الأسود المزيف. ولكن العصور المظلمة للقمع الديني لم تنته بعد: فما زالت محاكم التفتيش تتمتع بالسلطة على التعذيب والقتل، وما زالت "الساحرات" يتعرضن للإدانة من جانب الجهلاء من الكاثوليك والبروتستانت على جانبي المحيط الأطلسي.

في مدينة سالم بولاية ماساتشوستس، لمدة عام واحد ابتداء من عام 1692، اجتاحت عدوى رهيبة من الهستيريا الساحرة ليس مجتمعًا واحدًا، بل ثلاثة وعشرين مجتمعًا، وانتهت باعتقال 141 شخصًا - بما في ذلك طفل يبلغ من العمر أربع سنوات تم تقييده بالحديد - وتسعة عشر شنقًا، وسحق شخص واحد حتى الموت بشكل قانوني، وأصيب كثيرون آخرون بصدمات نفسية وسرقة صحتهم وراحة بالهم وممتلكاتهم.

ويقال إن الجنون بدأ عندما قام تيتوبا، خادم القس صموئيل باريس، بتعليم ابنتيه البالغتين من العمر عشر سنوات وإحدى عشرة سنة عن الفودو، على الرغم من أن هذا قد يكون عذرًا مناسبًا. على أية حال، بدأت الفتيات بالتشنج والتصرف بطرق لا يمكن أن تعني "سوى" الاستحواذ الشيطاني - وهذا بدوره لا يمكن أن يعني سوى أخبار رهيبة لمجتمعهن.

وبينما انتشرت اتهامات الفتيات إلى مناطق أخرى وبدأ الحصاد المأساوي لهستيرياهن يملأ السجون، كتب أحد المتهمين، جون بروكتور، رسالة متوسلة إلى السلطات، بما في ذلك صائد الساحرات الأسطوري كوتون ماثر، من سجن سالم في 23 يوليو 1692:

"إن براءة قضيتنا من عداوة متهمينا وقضاتنا وهيئة المحلفين، الذين لن يخدمهم في دورهم سوى دمائنا البريئة، بعد أن أدانونا بالفعل قبل محاكماتنا، وهم أكثر غضبًا وانخراطًا ضدنا من قبل الشيطان، يجعلنا نجرؤ على التوسل والتماس مساعدتكم المواتية في التماسنا المتواضع هذا إلى معاليكم، حتى يمكن إنقاذ دمائنا البريئة، والتي بلا شك ستُسفك بخلاف ذلك، إذا لم يتدخل الرب برحمة. "القضاة والقساوسة واليهود وكل الشعب بشكل عام، غاضبون للغاية ومحتجون ضدنا بسبب وهم الشيطان، الذي لا يمكننا أن نسميه أي شيء آخر، ولكننا نعلم من خلال ضمائرنا أننا جميعًا أشخاص أبرياء. هؤلاء خمسة أشخاص اعترفوا مؤخرًا بأنهم سحرة، ويتهمون بعضنا بالتواجد معهم في احتفال مقدس [سبت السحرة]، منذ أن تم إيداعنا في سجن مغلق، ونحن نعلم أن هذا كذب. اثنان من الـ 65 هم (أبناء الحاملين) من الشباب،

الذين لن يعترفوا بأي شيء حتى يتم ربطهم من الرقبة والكعب حتى يصبح الدم جاهزًا للخروج من أنوفهم، ويُعتقد بشكل موثوق وتم الإبلاغ عنه أن هذه كانت المناسبة لجعلهم يعترفون بأنهم لم يفعلوا ذلك أبدًا، حيث قالوا إن أحدهم كان ساحرًا لمدة شهر، وآخر لمدة خمسة أسابيع، وأن والدتهم هي التي جعلتهم كذلك، حيث تم حبسهم هنا لمدة تسعة أسابيع. ابني ويليام بروكتور، عندما تم استجوابه، لأنه لم يعترف بأنه مذنب، عندما كان بريئًا، قاموا بربط رقبته وكعبيه حتى تدفق الدم من أنفه، وكانوا سيبقونه على هذا الحال لمدة 24 ساعة، لو لم يشفق عليه أحد أكثر رحمة من الباقين، ويأمر بفك قيده. هذه الأفعال تشبه إلى حد كبير أعمال القسوة البابوية. لقد قضوا علينا بالفعل في ممتلكاتنا [الأموال والممتلكات المصادرة للمتهمين]، وهذا لن يخدم مصالحهم، دون دمائنا البريئة. "إذا لم يكن من الممكن أن نمنح إمكانية إجراء محاكماتنا في بوسطن، فإننا نطلب بتواضع أن تسعى إلى تغيير هؤلاء القضاة ... ونتوسل إليك ونرجو أن تكون سعيدًا بالتواجد هنا، إن لم يكن جميعكم، فبعضكم في محاكماتنا، على أمل أن تكونوا بذلك وسيلة لإنقاذ سفك دمائنا البريئة، ونطلب صلواتكم إلى الرب من أجلنا، وفي الختام عبيدك الفقراء المنكوبين، جون بروكتور إلخ.3

لاحظ أن بروكتور يصف السكان المحليين بأنهم "غاضبون ضدنا بسبب وهم الشيطان"، وهو عكس كامل للطريقة التي فهم بها المتهمون الوضع: فمع تأثير التجربة الرهيبة، مثل جميع "السحرة" الأبرياء، تجسد الشيطان في أولئك الذين اتهموهم بعبادته. وفي حديثه إلى جمهور من التطهيرين المتشددين، يشير بروكتور أيضًا - مع مبرر كامل - إلى أن "هذه الأفعال تشبه إلى حد كبير الأعمال الوحشية البابوية".

إن القسوة لا تحترم الدين عندما يُسمح للشيطان بالدخول إلى المجتمع والانتشار فيه من خلال الإيمان الأصولي به، دون أي قدر من الفكاهة أو الضمير الفردي أو الذكاء. لا يمكن العثور على لوسيفر في سالم - ولكن بمجرد استحضار الشيطان، فإنه يصبح حرًا في السيطرة على العقول. وبعد ذلك ينتقل البشر إلى وضع السرب.

ورغم أن عريضة بروكتور دفعت السلطات إلى إعادة النظر في معاييرها في التعامل مع "الساحرات"، إلا أنها جاءت متأخرة للغاية بالنسبة له ولزملائه السجناء، الذين تم إعدامهم شنقاً.

ويشير مونتيجو سامرز إلى أنه في حين كان سكان سالم المتدينون يصومون، كان من المفترض أن تتناول الساحرات "أسرارًا مقدسة في ذلك اليوم في منزل بالقرية، وأنهن تناولن الخبز الأحمر والشراب الأحمر".4 ويضيف: "إن هذا "الخبز الأحمر" محير بالتأكيد" - ولكن ليس إذا نظرنا إليه باعتباره اختراعًا يائسًا من قبل ساحرة متهمة حريصة على استرضاء السلطات بمزيد من الروايات الخيالية عن الأحداث الشيطانية. ويؤكد سامرز أيضًا أن القس جورج بوروز، الذي اتهمته ثماني ساحرات بأنه "الممثل الرئيسي في بعض لقاءاتهن الجهنمية"، "كان بالتأكيد يرأس احتفالاتهن"، حيث شهد العديد من السكان بأنهم رأوه يفعل ذلك. ولكن بحلول ذلك الوقت، أصبحت الشهادة تحت القسم لا قيمة لها على الإطلاق.

ومن اللافت للنظر أنه مع خروج الهستيريا عن السيطرة، فإن هوس الفتيات بالسلطة جعلهن يتجاوزن حدودهن في النهاية وياتهمن زوجة الحاكم بممارسة السحر - وهي خطوة غير حكيمة. وعندما صدرت أوامر قضائية بتهمة التشهير، هربت الفتيات. لقد انتهى "تلبسهم" بشكل معجزي.

ولم يتم استيعاب الدروس المتعلقة بالاضطهاد والظلم بشكل جيد: فقد شهدت القرون التالية عمليات إعدام لا حصر لها للسود الفقراء، في حين عانت أميركا في القرن العشرين من "مطاردات الساحرات" المناهضة للشيوعية على غرار مكارثي، والوباء اللاحق من اتهامات إساءة معاملة الأطفال في الطقوس

الشيطانية، وخاصة من جانب العاملين الاجتماعيين المسيحيين الأصوليين. إن مسرحية آرثر ميلر الكلاسيكية "البوتقة" (1953)، على الرغم من أنها تتحدث ظاهريًا عن هستيريا الساحرات في سالم، إلا أنها في الواقع رمز للجنة مجلس النواب المكارثية المعنية بالأنشطة غير الأميركية.

لقد رأينا ما فعلته الهستيريا المماثلة - الجنون الجماعي - بأوروبا عندما أدى حرص المحققين على إبادة الساحرات إلى إبادة مجتمعات بأكملها، وخاصة في فرنسا وألمانيا. ولكن ليس من الضروري أن نستحضر الشيطان على هذا النحو: فقد أقنع هتلر أغلب المواطنين الألمان العاديين بأن كل اليهود أشرار، وأن أي إهانة أو رعب يمكن أن يلحق بهم لأنهم ليسوا بشراً. ومع ذلك، فإن العدوى الأقل شهرة غالباً ما تكون أكثر دلالة على القدرة غير العادية التي يتمتع بها الناس الطيبون على أن يصابوا بالعمى - حرفياً تقريباً - عن طريق فكرة تثير الهستيريا.

خلال الحرب العالمية الثانية، كان البريطانيون الذين كانوا يعانون من القنابل والجوع الشديد يتحولون في كثير من الأحيان ضد أي غرباء في الحي، معتقدين أنهم جواسيس نازيون، بشراسة لم يكن من الممكن أن يتصورها البريطانيون الطيبون قبل الحرب. ولكن في بعض الأحيان كان نوع من الجنون يتغلب حتى على اضطهادهم للغرباء: ففي إحدى المرات في منطقة إيست أنجليا النائية، انقلب الغوغاء على رجل لم يكن وجهاً جديداً في المنطقة ولكنه في الواقع كان واحداً منهم، جاراً معروفاً لهم جميعاً. لقد حدث أن كان خارجًا في دورية للحرس الوطني، وتم القبض عليه وضربه، وعلى الرغم من احتجاجه اليائس والمرتبك بأنه كان جارهم منذ فترة طويلة، تم إطلاق النار عليه وقتله. لقد تحدث إلى الحشد، وذكرهم بهويته، وحتى أظهر لهم أوراقه، لكنهم كانوا مسكونين بشهوة سفك الدماء لدرجة أنهم لم يتمكنوا حرفيًا من رؤيته كما هو. وفي اليوم التالي، عندما هدأ الغضب الأحمر، أصيب الناس بالذهول من حقيقة وجود رجل مألوف للغاية ولكنه ميت للغاية، والحزن المحير الذي انتاب عائلته التي تعرضت للصدمة. لم يكن لدى أحد أي طريقة لتفسير ما حدث.9

جلالته الشيطانية

لقد حدثت آخر عملية كبيرة لصيد الساحرات الإنجليز في القرن السابع عشر، عندما نشر خليفة إليزابيث الأولى، جيمس الأول (1566-1625)10 خوفه الخاص - الذي وصل إلى حد الرهاب - من الساحرات في أرض كانت بالفعل تعاني من الانقسام الديني والمؤامرات والجنون. كانت سلفه، في حين كانت تردد عبارات مبتذلة عن الضمير الفردي، قد جعلت من المستحيل على الكاثوليك ممارسة عبادتهم بشكل قانوني في مملكتها، وتزايد الاستياء بينهم بشكل كبير. كان جيمس الأول معروفًا بأنه "أحكم أحمق في العالم المسيحي" (على الرغم من أن هذه المجاملة غير المباشرة قابلة للنقاش)، وقد نجا من مؤامرة البارود عام 1605 عندما تم استهدافه هو وبرلمانه من قبل مجموعة من المتعصبين الكاثوليك، الأمر الذي أضاف وقودًا إلى نيران التعصب الديني وأجواء الشك المتزايدة.

حتى قبل أن يحاول جاي فوكس وأتباعه من أتباع الدين تفجير مبنى البرلمان، نشر جيمس كتابه "علم الشياطين" (1597)، الذي زود صائدي الساحرات المتحمسين بالذخيرة الوفيرة. في الكتاب، يشرح الراوي إبيستيمون ما هي فئات "التعاويذ غير القانونية، دون أسباب طبيعية" التي يمكن اعتبارها سحرًا:

أقصد بهذا النوع من التعويذات التي تستخدمها الزوجات الساذجات عادة، لعلاج السلع [المسحورة]،

ولحفظها من العيون الشريرة، عن طريق حياكة ... أنواع مختلفة من الأعشاب على شعر السلع؛ عن طريق علاج الدودة، عن طريق وقف الدم، عن طريق شفاء الخيل ... أو القيام بأشياء لا حصر لها من خلال الكلمات، دون تطبيق أي شيء مناسب على الجزء المصاب، كما يفعل الأطباء.

كان هذا بمثابة ترخيص لاضطهاد المعالجين بالأعشاب والمعالجين التقليديين - سواء كانوا فعالين أو غير ضارين في الأساس، واستمرار التقاليد القديمة للفولكلور. حتى لو كان هدف المعالج هو فعل الخير فقط، فهو لا يزال سحرًا. (يحمل العديد من المسيحيين الأصوليين نفس النظرة إلى المعالجين اليوم - ما لم يكونوا من نفس المعتقد.) ولكن ماذا كان على الفقراء أن يفعلوا في عصر حيث كان ألم الأسنان يمكن أن يقتل وكان الطب "الرسمي" ليس فقط أسوأ من عديم الفائدة في كثير من الأحيان بل ومكلفًا أيضًا، وكانت المرأة الحكيمة المحلية بجرارها الغامضة من الأعشاب قد توفر بعض الراحة؟

في عهد جيمس الأول، كانت الساحرات في كل مكان، مثل الهستيريا التي انتشرت في أمريكا في القرن العشرين فيما بعد تحت اسم "الشيوعيون الحمر تحت السرير". وأبدى الملك نفسه اهتماما نشطا بالقضايا الكبرى، حتى أنه شارك في عدد من المحاكمات. وليس من المستغرب، مع هذا الأمر الملكي غير الرسمي، أن تمتلئ المحاكم قريبًا بالنساء العجائز المشوهات والمسنات في طريقهن إلى المشنقة.

في اسكتلندا، شهدت هوس الساحرات في فوريس انحناء النساء إلى داخل براميل مملوءة بالقطران، وتدحرجت إلى أسفل تل كلوني وأشعلت فيها النيران في الأسفل. كان هذا ليرضي جيمس بشكل خاص، والذي كان مقتنعًا بأنه تعرض للعنة من قبل السحرة أثناء زيارة إلى فوريس في عام 1600. بعد أن مرض أثناء وجوده في الجوار، قام بتفتيش المنطقة: وتم العثور على جماعة أثناء عملية إذابة صورة شمعية للملك. (توقيت مثالي إلى حد ما مريب.) لقد تم محاكمتهم وتدحرجهم إلى أسفل التل إلى حتفهم. بالطبع من الممكن تمامًا أن يكون الناس قد حاولوا قتل جيمس بأي وسيلة متاحة لهم - بما في ذلك "السحر التعاطفي" المتمثل في طعن صورته - ولكن ما إذا كان هذا جعلهم سحرة أم مجرد يائسين للتخلص منه يجب أن يظل مفتوحا للتساؤل.

مع تقدم حكمه، تخلى جيمس عن إيمانه بالقدرات الخارقة للطبيعة التي تتمتع بها الساحرات، لكنه أصر على رؤيتهن كعناصر معادية للمجتمع ذات إمكانات تخريبية. كان الناس العاديون أبطأ في تجريد السحرة من قواهم. كما ذكر إتش. تي.

إف. رودس في كتابه "القداس الشيطاني" (1954):

ولم يكن يُعتقد أن السحر يشكل خطرًا اجتماعيًا ولاهوتيًا أقل خطورة مع تغير الدين في أوروبا [أي من الكاثوليكية إلى البروتستانتية]. ومن الحقائق الفريدة أن الآراء والمعتقدات المتعلقة بها أصبحت أقل انتقاداً.12

وصف الكاتب المسرحي ورجل الدين اليعقوبي توماس هيوود في كتابه "هرم الملائكة المباركين" (1635) طقوس السبت حيث يتخلى المصلون عن الإيمان والمعمودية والقربان المقدس، ويعترفون بالشيطان، ويعبدونه بطقوس واحتفالات "مخالفة". ويضيف إلى ذلك قطعة تطريز أصلية من صنعه عندما يذكر أن الساحرات يعبدون إلههم وهم يقفون على رؤوسهم.

وقد ردد دوق نيوكاسل المعاصر الطبيعة المتناقضة للموقف العام تجاه الساحرات في محادثة سجلها خادمه هوبز:

فأجاب سيدي، أنه على الرغم من أنه لم يهتم من جانبه بوجود السحرة أم لا؛ إلا أن رأيه كان أن اعتراف السحرة ومعاناتهم بسببه نشأ من اعتقاد خاطئ، أي أنهم عقدوا عقدًا مع الشيطان لخدمته مقابل مثل هذه المكافآت التي كان في وسعه أن يمنحها لهم؛ وأن دينهم هو عبادته وتقديسه؛ وكان لديهم اعتقاد راسخ وثابت في هذا الدين، بحيث إذا حدث أي شيء وفقًا لرغباتهم، فإنهم يعتقدون أن الشيطان قد سمع صلواتهم، ووافق على طلباتهم، التي قدموا له الشكر عليها؛ ولكن إذا سارت الأمور على عكس صلواتهم ورغباتهم، فإنهم كانوا مضطربين في ذلك، خوفًا من أنهم أساؤوا إليه، ولم يخدموه كما ينبغي، وطلبوا المغفرة عن جرائمهم. وأيضاً (قال سيدي) يتخيلون أحلامهم أنها أفعال ظاهرة حقيقية، مثلاً إذا حلموا أنهم يطيرون في الهواء، أو من أعلى المدخنة، أو أنهم يتحولون إلى عدة أشكال، فهم لا يعتقدون غير ذلك، بل هو كذلك في الحقيقة. وهذا الرأي الشرير يجعلهم يجتهدون في أداء مثل هذه الطقوس للشيطان حتى يعبدوه كإله لهم، ويختارون العيش والموت معه.14

ربما يسخر هوبز من عبدة الشيطان المساكين المضللين الذين يشكرون إلههم إذا سارت الأمور على ما يرام بالنسبة لهم ولكنهم يشعرون بالقلق ويتساءلون كيف يضايقونه إذا ساءت الأمور، ولكن قد يكون هذا وصفًا دقيقًا أيضًا لكيفية نظر العديد من المسيحيين فعليًا إلى علاقتهم مع الله، حتى اليوم.

"الشيطان في الضواحي"

إذا كان العصر القادم للوسيفر الحقيقي يعني أن العالم الغربي قد غمره النور، إذن - بصرف النظر عن أهوال الحرب والأوبئة المعتادة - فلا بد من وجود محاولات لتسخير والاحتفال بالعكس، أي ظلام الشيطان الذي يربك العقل والروح. في حين أنه من الصحيح أن محاكم التفتيش واصلت اعتداءاتها الشيطانية على حرية الفكر والروح، كان هناك أولئك الذين سعوا إلى الدخول في علاقة أكثر مباشرة وحميمية مع رب الجحيم.

وبطبيعة الحال، وكما رأينا، فقد اتُهم كل من الكاثار وفرسان الهيكل بأنهم عبدة شيطان، ولكن مع تقدم القرون ظهرت مجموعات وأفراد من الظل لم يكن سبب وجودهم مجرد الانغماس في ما قد يعتبره الغرباء طقوسًا مشكوكًا فيها وغريبة، ولكن صريحةً لعبادة الشرير. لقد ادعى أحد الكتاب أن العديد من هؤلاء الشيطانيين كانوا كهنة - بعضهم تم تجريده من صفته الدينية - ولكن نسبة كبيرة منهم كانوا يعملون سراً لصالح المعارضة.

كانت إحدى طقوسهم المظلمة الأكثر شيوعًا هي محاكاة القداس، بقصد تدمير شخص حي. كما أشار إتش سي ليا في كتابه "مواد نحو تاريخ السحر" (1939):

كان الكهنة الأشرار يستخدمون القداس كتعويذة ولعنة، يلعنون بها أعدائهم عقليًا أثناء انخراطهم في احتفالهم، ويتوقعون أن اللعنة ستعمل بطريقة ما على جلب الشر على الشخص الذي وجهت إليه. بل إنه كان يستخدم حتى بالتزامن مع الخرافة القديمة حول تمثال الشمع الذي يمثل العدو الذي يجب تدميره، وكان من المفترض أن يضمن القداس الذي يتم الاحتفال به عشر مرات على هذه الصورة موته في غضون عشرة أيام.15

وعلى الرغم من الأدلة على التجارب المتكررة، فقد كان يُنظر إلى عبدة الشيطان على أنهم أكثر ثراءً

وصحة وسعادة من المسيحيين، وربما تكون هذه الأسطورة قد عززت تفشي عبادة الشيطان في بعض الأحيان. في كتابه Tableau de L'Inconstance des mauvais Anges (1613)، أعلن بيير دي لانكر - وهو متعصب كاثوليكي معترف به - بشكل لا لبس فيه أن "غالبية الكهنة سحرة".16 كان يعتقد أيضًا أن الفقر هو الذي دفعهم إلى ممارسة السحر الأسود، على الرغم من أن الملل والإحباط الجنسي ربما كانا من العوامل المهمة، كما رأينا في حالة الاستحواذ المبهرج في البيوت الدينية.

وكما هي الحال دائما، فإن الجمعيات السرية، أو على الأقل المجموعات التي تعمل في ظل ظروف من السرية، متهمة حتما بإقامة حفلات جنس جامحة من النوع الأكثر انحرافا وذكاءً على الإطلاق. وبنفس القدر من الأهمية، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالشيطانية، فإن بعض هذه الشائعات ستكون صحيحة. في الواقع، تم اختراع القداس الأسود كما نعرفه اليوم - وهو شرف مشكوك فيه إلى حد ما - من قبل الخيميائية والإجهاضية والمسممة في القرن السابع عشر، كاثرين لا فوازان، التي ملأت القداس بالكثير من الانتهاكات الجنسية.

يصف مونتاغ سامرز الأنشطة الشيطانية في منزل لا فوازين في باريس" (على الرغم من أن سذاجته وقسوته تجعل من الصعب قراءته وحتى من الصعب الإعجاب به، فإن دراسته ليست دائمًا موضع شك):

كان ذلك في عام 1666... [تلك] الليلة بعد الليلة... في منزل كاثرين لا فوازان الغامضة، اعتاد الأب غيبورغ على قتل الأطفال الصغار من أجل طقوسه البشعة، إما عن طريق الخنق أو في أغلب الأحيان عن طريق ثقب حناجرهم بخنجر حاد وترك مجرى الدم الساخن في الكأس وهو يصرخ: "أستروث، آشماداي، أتوسل إليكما أن تقبلا الذبيحة التي أقدمها لكما!"!" (أستروث! آشماداي! "اقبلا، أتوسل إليكما، هذه الذبيحة التي أقدمها لكما!") كان هناك كاهن يدعى تورنيت يقول أيضًا قداسات شيطانية يتم فيها التضحية بالأطفال...'18

(المسكينة أشيرات - "أستروث" - سقطت طريقًا طويلًا منذ أيامها كزوجة لله.)

للمرة الأولى، يبدو أن لا فوازين وحلفائها استخدموا الأطفال الموتى في طقوسهم الشيطانية، على الرغم من أنهم ربما لم يُقتلوا خصيصًا. فضلاً عن قيامها بتجارة نشطة في أشياء غير ضارة مثل مستحضرات التجميل وفلترات الحب، فقد توسعت إلى عمل جانبي مربح للغاية في مجال الإجهاض، مما يؤكد مرة أخرى على الارتباط - هذه المرة الحقيقي على الأرجح - بين الشيطان والإجهاض. ومن هناك، بالنسبة لهذه المرأة الطموحة والقاسية، لم يكن الأمر سوى خطوة قصيرة نحو توفير السم للزوجات اللاتي يرغبن بشدة في أن يصبحن أرامل، إلى جانب كل المظاهر المثيرة لعبادة الشيطان.

وقد تم الاستعانة بخبرة لا فوازين من قبل صفوة المجتمع الباريسي - حتى مدام دي مونتيسبان، إحدى عشيقات الملك لويس الرابع عشر، التي رغبت في أن تصل إلى ما اعتبرته المكانة اللائقة بها كزوجة له. عندما ألقي القبض على لا فوازين وتعرضت للتعذيب المروع، تم الكشف عن شبكة شيطانية حقيقية تضم ما لا يقل عن 246 شخصًا من ذوي المكانة الاجتماعية العالية، والذين اعتقد العديد منهم أنه من الحكمة أن يعانوا من المنفى الطوعي، بينما تم سجن آخرين من طبقتهم. تم إعدام ستة وثلاثين من "الرتب الدنيا". وقد تم إزالة الصفحات المدانة من الأرشيف، ومنع الملك أي ذكر للسيدة دي مونتيسبان فيما يتصل بالفضيحة، على الرغم من أن ذلك لم يجلب لها الكثير من الخير: فبعد وفاة الملكة في عام 1683، تزوج لويس من السيدة الكاثوليكية الطيبة دي مانتينون.19

لقد أصبح قتل الأطفال باسم الشيطان بمثابة كليشيه في فرنسا - والتي يبدو، لسبب ما، أنها كانت لديها أكثر من نصيبها العادل من الشيطانيين في الماضي، على الرغم من أن الولايات المتحدة تلحق بها بسرعة الآن. ولعل التاريخ الطويل لفرنسا باعتبارها معقلاً للهرطقة20 هو الذي وفر مثل هذه التربة الخصبة: ربما بدأ الهراطقة يصدقون دعايتهم السيئة، في حين يقبل الفرنسيون مصيرهم باعتبارهم "شيطانيين" طبيعيين.

ولعل أكثر شخصية شيطانية مثيرة للصدمة في العصور الوسطى كان فرنسياً آخر، وهو مارشال جان دارك، جيل دي لافال، المارشال والبارون دي رايس،21 وهو منحرف جنسياً كان يستمد متعة غامرة من تعذيب الأطفال وذبحهم. في عام 1440 اتهم باختطاف وقتل 140 طفلاً، لكن البعض يقدر العدد بنحو 800 طفل. ومع ذلك، لم يكن دائمًا مجنونًا إجراميًا، أو إذا كان كذلك فقد أخفى ذلك جيدًا: عندما كان شابًا، كان معروفًا بتقواه المطلقة وكرمه تجاه الكنيسة.

كان بطلاً قومياً عندما كان في الرابعة والعشرين من عمره فقط، وذلك بسبب مآثره البطولية إلى جانب لا بوسيل ('الخادمة' أو جان دارك)؛ وفي وقت لاحق أصبح ماريشال فرنسا. بعد أن أحرقت جان كساحرة وانتهى مغامراته القتالية، تقاعد جيل في ممتلكاته الريفية - وبدأ حياته كقاتل جنسي متسلسل.

كان جيل مثليًا جنسيًا، وكان يجذب شابًا وسيمًا إلى قلعته، ويعلقه من كعبيه، ولكن قبل أن يفقد وعيه، كان يتم إنزاله وطمأنته. لم يكن من المفترض أن يحدث شيء فظيع حقًا: لقد كان الأمر كله مجرد لعبة. كان هذا سادية خالصة، إذ كان يتم اغتصاب الصبي المذهول بعنف بعد ذلك، ثم يقوم جيل أو أحد أتباعه بقطع حلقه أو رأسه. ومع ذلك، استمرت الجثة في ممارسة إغراء لا يقاوم، وأضاف جيل إلى الأهوال التي ألحقها بالصبي الحي، من خلال شق المعدة والجلوس بين الأمعاء للاستمناء. كما انغمس في التنوعات على هذا الموضوع، على سبيل المثال، توفير صبيين، كان على أحدهما أن يشاهد الآخر وهو يتعرض للتعذيب والقتل أثناء انتظار دوره.

كانت نوبات السادية الشديدة التي كان يعاني منها جيل أشبه بنوبة جنون: كان ينهار بعد كل فعل شنيع ولا يستعيد وعيه لعدة ساعات. وفي هذه الأثناء، كان رفاقه الوحوش يقطعون الجثث ويحرقونها. ومع ذلك، لم يكونوا دائمًا دقيقين للغاية، وكان تراخيهم هو الذي جلب الكارثة إلى شهوة جيل المجنونة للدماء.

بعد أن أنفق أكثر من اللازم بتهور، أصبح جيل يائسًا للحصول على المال، وبدت له الخيمياء بمثابة حل واعد، على الرغم من أنه كان غير قانوني. أقنعه ساحر يدعى فرانسوا بريلاتي بأن الطريقة الوحيدة لصنع الذهب الخيميائي هو بيع روحه للشيطان، وهو ما كان يرفضه دائمًا، لكنه لم يكن لديه أي تحفظات عندما قيل له إنه في كل الأحوال يجب عليه التضحية بالأولاد من أجل الحصول على فرصة الاستفادة من الذهب السحري. وكانت طقوسهم تتميز في كثير من الأحيان بالعنف داخل وخارج الدائرة الواقية من القوى غير المرئية، ومرة واحدة بالهلوسة المتمثلة في ثعبان أخضر وحشي.

بحلول عام 1440، كان لدى السلطات المحلية ومحاكم التفتيش قائمة تضم سبعة وأربعين تهمة ضد جيل (كانت لائحة الاتهام تتألف من تسعة وأربعين فقرة)، بما في ذلك استحضار الأرواح، والهرطقة، والانحرافات الجنسية ضد الأطفال ــ والتضحية البشرية للشياطين. ورغم أنه لم يتعرض للتعذيب، وربما كان ذلك بسبب مكانته العالية، فقد تم "استدعاء" خدمه، ولكن لم يُطلب من أي من خدمه الخمسمائة الإدلاء بشهادته في المحكمة. ولم يُسمح لجيل بالدفاع عن نفسه أو الاستعانة بمحام. وبعد أن توسل بالمغفرة وطلب دعاء الحاضرين الذين بكوا علانية على محنته، تم خنقه وإحراق جسده. تم حرق اثنين من رفاقه أحياء. أصبحت الكنيسة ثرية بشكل هائل بعد الاستيلاء على أراضيه وممتلكاته.

تشكل مذبحة جيل دي رايز الدموية الرهيبة خلفية قاتمة لرواية ج. ك. هويسمانز "القاع" (1891)،22 التي تحكي قصة علاقة جنسية مصاصة دماء في باريس المعاصرة، ولكنها تشتهر بوصف أصيل على ما يبدو بالقداس الأسود. في جولته الرائعة، معرفة الأسرار، يكتب كولن ويلسون عن المشهد الحرج:

أولاد المذبح هم منتفخون متقدمون في السن، ومغطون بمستحضرات التجميل. الكنيسة قذرة ورطبة وجدرانها متشققة. وجه المسيح على الصليب مرسوم بطريقة تجعله يضحك بسخرية. [القانون ... يسكب ... شتائم على المصلوب: "لقد نسيت الفقر الذي كنت تبشر به، لقد رأيت الضعفاء مسحوقين ... لقد سمعت صرخة موت الخجولين ..." ثم تبدأ النساء بالإصابة بتشنجات على غرار راهبات لودون. يؤدي أحد الصبية المسنين في الجوقة عملًا فمويًا على [القس دوكري، الذي] يقذف على القربان ويلقيه إلى النساء المتشنجات؛ ويبدو أنه يتبرز أيضًا على المذبح. إن لغة هويسمانز ليست صريحة، ولكن من الواضح أن القذارة تلعب دورًا مركزيًا في القداس 23

ويشير ويلسون بحكمة إلى أن أكثر ما يتصدر الكتلة السوداء هو "رغبة المشاركين في صدم أنفسهم لإخراجهم من حالتهم الطبيعية من الخمول".ومع ذلك، فإن أنشطتهم لم تتجاوز أبدا محاولة صبيانية لزعزعة الحساسيات البرجوازية - مع التركيز على إلغاء كل المثل العليا المقبولة للنظافة - وبطبيعة الحال، هجوم طفولي بنفس القدر على الكنيسة. كما يقول كولن ويلسون: "إن "التجديفات" تبدو غير ضارة على الإطلاق لأي شخص ليس كاثوليكيًا ولا يقبل أن عدم الإيمان بألوهية المسيح ينطوي على اللعنة الأبدية".وقد وصف الفيلسوف البريطاني برتراند راسل في القرن العشرين هذا النوع من الشيطانية السرية بأنه "الشيطان في الضواحي".

كان أحد أكثر "الشيطانيين" الفرنسيين إثارة للاهتمام هو يوجين فينتراس (1807-1875)، الذي أسس كنيسة الكرمل - المعروفة أيضًا باسم Oeuvre de la Misericorde (عمل الرحمة)، في أوائل أربعينيات القرن التاسع عشر. من الواضح أن فينتراس كان شخصية جذابة، وقد نال إعجاب المجتمع الراقي، ولكن سرعان ما اتهمت حركته بالشيطانية، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى أن طقوسه كانت ذات طبيعة جنسية للغاية. والأسوأ من ذلك أن فينتراس تورط في فضيحة سياسية ضخمة تركزت حول تشارلز غيوم ناندورف (1785-1845)، الذي ادعى أنه الملك "المفقود" لويس السابع عشر، والذي يعتقد معظم الناس أنه توفي أثناء الثورة الفرنسية أو بعدها بفترة وجيزة في تسعينيات القرن الثامن عشر. دعم ناندورف وفينتراس بعضهما البعض علنًا، وانتهى الأمر بالأخير بما يلي:

من الواضح أن المحاكمة كانت صورية بتهمة الاحتيال. بعد خمس سنوات قضاها في السجن، هرب فينتراس إلى لندن، لأن فرنسا أصبحت بسرعة خطيرة بحيث لا يمكن احتجازه. كان أحد الأب جوزولي، وهو عضو سابق في كنيسة الكرمل، قد نشر كتيبًا يتهمه فيه بتنظيم أكثر الحفلات الجنسية انحلالًا التي يمكن تخيلها - ويبدو أن جوزولي كان يتمتع بخيال مثير بشكل خاص. في عام 1848 أعلن البابا الطائفة هرطقة وتم طرد جميع أعضائها، وبعد ذلك أسسوا أنفسهم ككيان مستقل تمامًا، مع كهنة من الذكور والإناث، تمامًا مثل الكاثار.

ما هو مثير للاهتمام بشكل خاص هو أن كنيسة الكرمل التي كان ينتمي إليها فينتراس وأنصار ناندورف كانوا طائفة غامضة تسمى "منقذو لويس السابع عشر" - أو المعروفة أيضًا باسم اليوحناوية. كانت هذه المجموعة معقدة وغامضة، وكانت مهتمة في المقام الأول باستعادة النظام الملكي في فرنسا، على الرغم من أنها دعمت أفرادًا وقضايا أقل وضوحًا. ويبدو أن هؤلاء اليوحناوية على وجه الخصوص قد "دبروا" بطريقة ما رؤى للعذراء في لاساليت في عام 1846، ربما كجزء من حملة أوسع لرفع مكانة الأنوثة، أولاً من خلال التأكيد على دور مريم الأم، ثم من خلال وسائل جنسية أكثر صراحة والعداء النشط

للكنيسة. كان ارتباط فينتراس باليوحناوية من خلال "الأخت سالومي" (مدام بوش) التي تحمل الاسم المثير، ولكن عند وفاته انتقلت الرهبانية إلى رعاية الأب جوزيف بولان (1824-1893)، الذي أسس جمعية إصلاح النفوس في عام 1859 مع أديل شيفالييه الأصغر سناً، والتي أغواها في دير لا ساليت. وتصاعدت الأمور من حالة مثيرة للجدل إلى حالة صادمة تماما عندما قام بولان بتوسيع طقوسه الجنسية لتشمل مملكة الحيوان، وانتشرت الشائعات كالنار في الهشيم بأنه وشيفالييه ضحيا بطفلهما خلال القداس الأسود في عام 1860: ومن المثير للاهتمام أنه لم يتم القبض على أي منهما بتهمة هذه الجريمة، على الرغم من إدانتهما بالاحتيال.

لكن القصة تزداد تعقيدا. بعد أن قضى عقوبة السجن، تقدم بولان طواعية إلى محاكم التفتيش في روما، ولكن حتى هم لم يتمكنوا من العثور على أي خطأ فيه. كان حراً في العودة إلى باريس عام 1921 حيث ألقى بنفسه في قيادة كنيسة الكرمل في فينتراس إلى مشاهد متزايدة من الفجور الجنسي الجامح، وأعلن نفسه أولاً بأنه تجسيد ليوحنا المعمدان. ربما يكون هذا هو مصدر إلهام تصويره باعتباره "الدكتور يوهانس" في مسرحية "لا باس" لهويسمانس - وهي أيضًا واحدة من الأسماء المستعارة لبولان - على الرغم من أنه سيكون من الخطأ تمامًا افتراض أنه كان الشرير في المسرحية. في الواقع، كان صديقًا لهويسمانس الذي صوره باعتباره محاربًا للشيطانية، على الرغم من تعرضه لانتقادات شديدة من قبل الكنيسة. ولكن حتى يومنا هذا لا تزال هناك أسئلة رئيسية تحتاج إلى إجابة حول بولان. كما كتبنا كشف فرسان الهيكل:

بينما كان في روما، كتب بولان مبادئه في دفتر ملاحظات (يُعرف باسم "cahier rose"، نسبة إلى لون الغلاف)، والذي عثر عليه ... هويسمانز بين أوراقه بعد وفاته في عام 1893. التفاصيل الدقيقة لمحتويات هذه الوثيقة غير معروفة - على الرغم من وصفها بأنها "وثيقة صادمة" - وهي الآن محفوظة في مكتبة الفاتيكان. تم رفض جميع الطلبات لرؤيتها

.27

فهل كان بولان في الواقع بمثابة عميل استفزازي يعمل لصالح الفاتيكان، ويتسلل إلى مجموعة هرطوقية بهدف تقويضها؟ ومن المؤكد أنه من الغريب جدًا أنه على الرغم من كل الشائعات المثيرة للجدل والمثيرة للشفقة، فقد أدين فقط بتهمة الاحتيال ولم تتمكن محاكم التفتيش من العثور على أي خطأ فيه. ولكن إذا لم يكن عميلاً للفاتيكان، فربما كان يعرف سرًا عظيمًا يستطيع استخدامه كوسيلة ابتزاز حتى ضد قوة كنيسة بطرس. وربما كان ذلك مرتبطًا بما قد يكون يوحنا المعمدان الحقيقي، والطقوس الجنسية للمسيحيين الأصليين، بما في ذلك يسوع والمجدلية... بالنسبة لمعظم المسيحيين العاديين، قد يبدو هذا مثل عبادة الشيطان.

حفلات الجنس الجماعي في الكهوف

انتشرت الجمعيات السرية وشبه السرية على نطاق واسع في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ربما مستوحاة من الموجة الجديدة من الرومانسية، أو السياسات الثورية أو التفكير الراديكالي الذي من شأنه أن ينتج نقابات عمالية حديثة، ولكنها كانت أكثر ميلاً إلى التركيز على الشرب والاستفراغ، مع إضافة قدر كبير من الشيطانية الزائفة لمزيد من التوابل. في إنجلترا، كان أشهر هذه الأندية بالنسبة للملل الشديد

هو رهبان ويكومب، أو رهبان ميدمنهام، أو فرسان غرب ويكومب، أو ـ وهو الاسم الأكثر شهرة ولكن بشكل غير دقيق ـ نادي هيلفاير.

تأسست على يد السير فرانسيس داشوود (1708-1781)، عضو البرلمان البارز والأمين السابق للخزانة في عهد الملك جورج الثالث والمدير العام لمكتب البريد: وهو نموذج للرجل الإنجليزي الناجح. خلال الجولة الكبرى الإلزامية في إيطاليا، أصبح يكره الكنيسة الكاثوليكية، وبعد أن التقى بالأمير تشارلي الأسطوري - الأمير المنفي تشارلز إدوارد ستيوارت - تم تسجيله كعميل يعقوبي. ثم أصبح مشاركًا في العديد من المحافل الوردية والماسونية والجديدة. في عام 1738 حظر البابا إكليمندس الثاني عشر الماسونية وحرم كل الأخوة الإيطالية تحت طائلة تسليمهم إلى محاكم التفتيش، لكن داشوود ظل على اتصال مع المحافل الإيطالية. كان مسافرًا شابًا عبر فرنسا، وكان أحد مراقبي القداس الأسود، الأمر الذي أثار اهتمامه، ولكن فقط على المستوى الأكثر طفولية المتمثل في إهانة الكنيسة.

وعندما عاد إلى إنجلترا أسس جمعية الديليتانتي، وهي واحدة من العديد من الأندية في لندن المخصصة لتعاطي الكحول المفرط والدعارة. في عام 1746 أسس فرسان القديس فرانسيس، الذين اجتمعوا في حانة جورج وفولتشر التي يعود تاريخها إلى القرن السادس عشر في مدينة لندن، والتي اشتهرت في رواية تشارلز ديكنز الأولى الصاخبة، أوراق بيكويك (1836-1837). وقد التقيا في غرفة عليا، كان محورها "مصباح الصليب الوردي الدائم"، وهو عبارة عن كرة بلورية ضخمة محاطة بثعبان ذهبي بذيله في فمه، ويعلوه أجنحة فضية - وهو تصميم غنوصي عميق، ظهر أيضًا على الخط الذي قدمه داشوود لاحقًا إلى كنيسة ويست ويكومب.

كان بالقرب من ويست ويكومب في باكينجهامشاير حيث أسس داشوود ورفاقه ناديهم سيئ السمعة "نادي هيلفاير"، في دير ميدمنهام على نهر التايمز بالقرب من مارلو في عام 1751. قام داشوود بتجديد الدير السابق الذي يعود إلى العصور الوسطى ببذخ - لم يدخر أي جهد - مع الشعار السيئ السمعة المحفور على المدخل "افعل ما تشاء". كان معبد المتعة مكتملًا بتمثال قضيبي وتمثال شهواني لفينوس في الحدائق المجهزة جيدًا. وبينما كانت تنحني، كان الوافد الجديد الأخرق يجد نفسه بالفعل في وضع محرج قبل أن يدخل المنزل.

كان هناك إلهان قديمان للصمت - الإله المصري هربوقراطيس والإلهة الرومانية أنجيرونا - يزينان غرفة الطعام الفخمة في الدير، ربما كتذكير لأعضاء الرهبنة بعدم التحدث أبدًا عما يحدث هناك في العالم الخارجي. كانت الآلهة الوثنية موجودة في كل مكان في حياة داشوود: كان أحد الأجنحة الكاملة في منزله، الذي صممه روبرت آدم، عبارة عن نسخة طبق الأصل من معبد باخوس، بينما كانت أريادن وديونيسوس ومجموعة كاملة من الساتير يمرحون فوق السقف. كانت تماثيل الآلهة القديمة الأخرى تزين الحدائق، وقال البعض إنها كانت مصممة على شكل امرأة عارية.

في عام 1750، قام داشوود بتوسيع شبكة الأنفاق والكهوف الموجودة تحت تلة ويست ويكومب لعقد اجتماعات النظام، على الرغم من انتشار الكلمة بأنها اتخذت شكل اجتماعات جنسية. كما يوضح الكاتب الغامض وخبير داشوود مايك هوارد:

تتميز هذه الكهوف بوجود "خلايا" فردية للرهبان لتسلية ضيوفهم من الإناث ... كان لا بد من عبور مجرى مائي تحت الأرض، يعرفه الرهبان باسم نهر ستيكس، للوصول إلى الحرم الداخلي، وهي غرفة دائرية يقال إن ما يسمى بـ "القداسات السوداء" كان يؤدى فيها.

تم جلب العاهرات الممتلئات من لندن بواسطة عربات محملة بالرجال للعمل كـ "راهبات" مقنعات، في حين قدمت السيدات من ذوي الأصول النبيلة أجسادهن العارية كمذابح للقداس الأسود. قد يرفض معظم الناس أنشطة دائرة داشوود باعتبارها محاولة غير مبتكرة إلى حد ما لتجنب الملل من خلال الانغماس في القليل من الدعارة والتجديف في محيط مثير ومخيف. ومع ذلك، يبدو أن الأمر يتجاوز ذلك بكثير. كان أحد "الرهبان" البارزين جون ويلكس، الذي أعلن: "لم تجرؤ عين غير مقدسة على اختراق أسرار إليوسينيان الإنجليزية في غرفة الفصل [الحرم الداخلي] حيث كان الرهبان يجتمعون في المناسبات المهيبة ... حيث يتم أداء الطقوس السرية وتقديم القرابين إلى بونا ديا [الإلهة الصالحة]".في حين أن العديد من "رهبان" ميدمنهام، إن لم يكن معظمهم - الذين ضم عددهم بعض الأسماء المعروفة للغاية، مثل أمير ويلز وربما حتى رجل الدولة الأمريكي والعالم بنيامين فرانكلين (1706-1790) - ربما استمتعوا بمغامراتهم الشقية في مرحلة المراهقة، فإن بعضهم لاحظها بوضوح بروح أكثر قدماً. ومن الجدير بالذكر أن ما يسمى بـ "كهوف الجحيم" يعود تاريخها إلى عصور ما قبل التاريخ، والمعروفة محليًا باسم "المقابر الوثنية"، مع وجود مذبح لإله غير معروف بالقرب منها. ويختتم مايك هوارد حديثه قائلاً:

وكما قال أحد كتاب القرن التاسع عشر، "كان السير فرانسيس نفسه يخدم كرئيس كهنة... وكان منخرطًا في سكب القربان من كأس المناولة إلى موضوع التكريم الغامض". ومن الأدلة المتاحة، فمن الآمن أن نستنتج أن هذا "الهدف الغامض لتكريمهم" كان في الواقع الإلهة وأن السير فرانسيس داشوود ورهبانه البهيجين لم يكونوا من عبدة الشيطان بل كانوا من أتباع الأسرار الوثنية.30

ومع ذلك، فإن تمثيل القداس الأسود - إذا كان أكثر من مجرد شائعة - يشير ليس فقط إلى تبجيل آلهة الخصوبة والانغماس الحسي القديمة، ولكن أيضًا إلى كراهية نشطة وسخرية من المسيحية. وعندما دفع داشوود تكاليف تجديد كنيسته المحلية، كانت النتيجة "قاعة مصرية" لا تعطي "أدنى فكرة عن مكان مقدس للعبادة الدينية [أي المسيحية]".

ومع ذلك، مرة أخرى، نجد أن ما كان في الأساس تفشيًا لوسيفريًا للأرواح العالية المليئة بالجنس والفرح الوثني في الجنس قد تلوث عمدًا بالشيطانية الزائفة. ربما تم تشجيع الشائعات حول القداس الأسود فقط لإبعاد أعين المتطفلين، لكن يبدو أن البعض انغمسوا في هذا النشاط الذي لا طعم له والذي لا معنى له في نهاية المطاف. هل كانوا، ربما، مثل بعض فرسان الهيكل واليوحناوية وغيرهم من أتباع لوسيفر، يعتقدون في أعماق قلوبهم أنهم كانوا أشرارًا بالفعل كما اتُهموا؟ كانت المسيحية، ولا تزال إلى حد ما، أقوى أشكال التكييف، وتقويض تعاليمها هو بالنسبة للعديد من الذين نشأوا في الإيمان خطوة خطيرة للغاية، بغض النظر عن مدى صخب وهشاشة تباهيهم الشيطاني الزائف.

ومع سيطرة عصر التنوير على القلوب والعقول، حقق العلم تقدماً هائلاً، بمساعدة ليس فقط الحرية العلمانية الجديدة ولكن أيضاً المخدر الجماهيري الذي لم يتم تقديره بشكل كاف - الكافيين. تم سكب الشاي والقهوة والشوكولاتة في المقاهي ومنازل الغرب، مما أدى إلى بدء مستوى جديد تمامًا من الطاقة والاستفسار. وكان من أبرز هؤلاء الموهوبين الجدد المثيرين للاهتمام إسحاق نيوتن، الذي جاء في المرتبة الثانية في استطلاع حديث لأكثر الأشخاص تأثيراً في العالم ــ بعد محمد (1) ولكن قبل يسوع المسيح (3).11 ويُنظر إليه باعتباره تجسيداً للعقلاني العملي، والعالم الملحد بامتياز، ولكن ــ كما هي الحال مع ليوناردو دافنشي ــ لا شيء يمكن أن يكون أبعد عن الحقيقة من هذا.

في نهاية المدخل الخاص بنيوتن في قاموس تشامبرز للسيرة الذاتية (1990)، وباعتبارها مجرد فكرة اعتذارية، هناك فقرة مكونة من ثلاثة أسطر ونصف فقط عن اهتماماته الدينية والباطنية، تبدأ بـ: "كان نيوتن أيضًا طالبًا في الخيمياء ..."33 لقد كان كذلك بالفعل: كما لاحظ الخبير الاقتصادي جون ماينارد كينز بعد قراءة دفاتر نيوتن المفقودة سابقًا (والتي "لم تكن ذات قيمة علمية"): "لم يكن نيوتن أول من في عصر العقل". "كان آخر السحرة."

ولد نيوتن في عام 1642، وكتب أكثر من مليون كلمة عن موضوع الخيمياء، على الرغم من أن الجمعية الملكية أعلنت أن هذه الكلمات "غير صالحة للطباعة". اشتهر باكتشافه لقانون الجاذبية في عام 1665 أو 1666، حيث أشار سقوط تفاحة في حديقته إلى جاذبية الأرض التي لا تقاوم.

في مختبره الذي بناه خصيصا على حافة المستنقعات بالقرب من كامبريدج، درس نيوتن بشكل مهووس بناء التلسكوبات وانكسار الضوء من خلال الموشورات، مما دفعه إلى بناء تلسكوبات عاكسة، على الرغم من أن ويليام هيرشل (1738-1822) وإيرل روس (1800-1867) 35 قد قاموا بتحسينها بشكل كبير. وبالمعنى الحرفي للكلمة، كان نيوتن لوسيفري حقيقي، لأنه كان يعتقد أن الضوء - افتتانه طوال حياته - يجسد كلمة الله، مما يعكس هوس الغنوصيين والباطنيين بالضوء كاستعارة وحقيقة.

سجل أحد خدم نيوتن:

كان نادرًا ما يذهب إلى الفراش حتى الثانية أو الثالثة صباحًا، وأحيانًا لا يذهب إلى الفراش حتى الخامسة أو السادسة، حيث ينام لمدة أربع أو خمس ساعات تقريبًا، وخاصة في فصل الربيع أو الخريف، وفي ذلك الوقت كان يقضي حوالي ستة أسابيع في مختبره، ونادرًا ما تنطفئ النار [الفرن] ليلًا أو نهارًا. لم أتمكن من معرفة هدفه.36

ومن خلال كتاباته، نعلم الآن أنه كان يسعى إلى إنشاء حجر الفلاسفة الذي من شأنه تحويل المعادن الأساسية إلى ذهب. وربما كانت هذه الهواية غير العادية هي التي دفعته إلى قبول وظيفة مدير دار السك الملكية، مع تحمله مسؤولية الاعتناء بمخزون إنجلترا من الذهب، بدلاً من قبول منصب الأستاذية في جامعة كامبريدج.

يُقال أن نيوتن، العالم غريب الأطوار، ضحك مرة واحدة فقط في حياته عندما سُئل عن الاستخدام الذي يراه في إقليدس. كاد أن يدمر بصره عندما وضع سكينًا خلف عينه لإحداث تأثيرات بصرية. كان مثليًا جنسيًا معذبًا ومنطويًا، ويبدو أن علاقاته الرومانسية الوحيدة كانت مع رجال أصغر سنًا، أحدهم تسبب في انهيار عصبي له. كان مهووسًا بالتفسيرات المروعة لسفر دانيال في العهد القديم، وكتب عن هذا الموضوع على نطاق واسع، وباعتباره متشددًا مناهضًا للكاثوليكية، فقد رأى نفسه بمثابة نوع من الأنبياء. كما كتب ف. إي. مانويل في كتابه "دين إسحاق نيوتن" (1974):

كلما تم وضع أعمال نيوتن اللاهوتية والخيميائية والتسلسلية والأسطورية إلى جانب علمه، أصبح من الواضح أنه في لحظات عظمته كان يرى نفسه باعتباره آخر المفسرين لإرادة الله في الأفعال، يعيش على اكتمال الأزمنة.37

وعلى الرغم من ذلك، كان أكثر هرطقة من الأرثوذكسية في لاهوته، وكان يؤمن بالهرطقة الآريوسية، التي دعمت النظرية القائلة بأن يسوع لم يكن إلهيًا. لكن شغفه بالخيمياء هو الذي دفعه في المقام الأول. كما أشار مايكل وايت في كتابه "إسحاق نيوتن: الساحر الأخير" (1997):

كان دافع نيوتن هو التزامه العميق بفكرة أن الحكمة الخيميائية تمتد إلى العصور القديمة. كان يُعتقد أن التقليد الهرمسي - وهو مجموعة المعرفة الخيميائية - نشأ في ضباب الزمن وأنه قد أُعطي للبشرية من خلال وكلاء خارقين للطبيعة.

كان ذلك الجسم من المعرفة الباطنية يُعرف باسم اللوح الزمردي، وكان حارسه هو هرمس تريسميجيستوس الأسطوري، الذي كان مصدر إلهام عبر العصور لأمثال نيكولاس فلاميل، ويُفترض أيضًا ليوناردو دافنشي. ترجم إسحاق نيوتن اللوح:

إنه صحيح بلا كذب، مؤكد وحقيقي للغاية. إن ما هو في الأسفل هو في الأعلى، وما هو في الأعلى هو في الأسفل ليفعل معجزات الشيء الوحيد. وكما أن كل الأشياء نشأت من واحد عن طريق واحد، فإن كل الأشياء ولدت من هذا الشيء الواحد عن طريق التكيف. الشمس أبوها، والقمر أمها، والريح حملتها في بطنها، والأرض مرضعتها. إن أبو الكمال في العالم كله هو هنا. إن قوتها أو قدرتها تكون كاملة إذا تم تحويلها إلى الأرض. افصل الأرض عن النار، والدقيق عن الغليظ، بلطف وبجهد كبير. فهو يصعد من الأرض إلى السماء ثم ينزل مرة أخرى إلى الأرض ويتلقى قوة الأشياء العليا والدنيا. وبهذه الطريقة سوف تحظى بمجد العالم أجمع وبالتالي سوف يطير كل الغموض من حولك. قوتها فوق كل قوة، فهي تغلب كل شيء لطيف وتنفذ إلى كل شيء صلب. وهكذا خلق العالم. ومن هنا جاءت وتأتت التكيفات الرائعة، والتي تتمثل عملية ذلك في هذا. ومن هنا جاء اسمي هرمس ثلاثي العظمة، الذي يملك الأجزاء الثلاثة من فلسفة العالم أجمع. لقد تم إنجاز ما قلته عن عمل الشمس وانتهى 39

ومن السهل أن نفهم كيف أن حتى فقرته القصيرة قد تكون سبباً في هوس أجيال من الباحثين عن الحقيقة الخيميائية بل وإثارة جنونهم. حذر نيوتن زميله الكيميائي والعالم روبرت بويل (1627-1691) من السماح لغير المتأهلين بدخول عالمهم السري "إذا كان هناك أي حقيقة في تحذير الكتاب الهرمسيين".

هناك أشياء أخرى غير تحويل المعادن لا يفهمها أحد سواهم.40

ويشير بعض الخبراء إلى أن نيوتن (الذي حصل على لقب فارس في عام 1705) ربما يكون قد حقق بالفعل العمل العظيم الأسطوري ـ ففي نهاية المطاف، لا تعد السرية دليلاً على الفشل، وخاصة في مجال خاص للغاية مثل الخيمياء. انظر كيف انتصر ليوناردو خلف الأبواب المغلقة، على الرغم من أن سريته الطبيعية لم تفعل الكثير لمنع انتشار الشائعات حول "سحره".

ولكن في حالة العالم البريطاني أندرو كروس، فإن هذه السمعة ـ وما هو أسوأ من ذلك ـ كلفته مهنة واعدة للغاية، واحتمال الاحتفاء به عبر التاريخ باعتباره مكتشف شيء غريب للغاية، وربما حتى خالق الحياة نفسها...

كان أندرو كروس، وفقًا لزوجته الثانية، "يستمتع بكل ما هو غريب ومدهش"، وُلد في عام 1784 في غرب إنجلترا ونشأ ليصبح شابًا ذكيًا وباحثًا. ربما لأن والده كان يعرف بنجامين فرانكلين وجوزيف بريستلي، وكلاهما من رواد علم الكهرباء الجديد، كان كروس مفتونًا به منذ أن كان في الثانية عشرة. وبعد سنوات من إهداره كشاب عادي من سكان المدينة، اتجه إلى إجراء التجارب في مجال التبلور الكهربائي بالشراكة مع جورج جون سينغر. ولكن بعد ذلك في عام 1837 حدث أمر لا يزال محيرًا حتى يومنا هذا، كما يوضح كروس:

في سياق مساعيي لتشكيل المعادن الاصطناعية من خلال التأثير الكهربائي المستمر لفترة طويلة على السوائل التي تحتوي على مثل هذه المواد الضرورية لغرضي، لجأت إلى كل مجموعة متنوعة من الاختراعات التي يمكنني التفكير فيها؛ من بين أمور أخرى، قمت ببناء إطار خشبي، يدعم قمع ويدجوود، والذي يرتكز داخله حوض ربع جالون على قطعة دائرية من خشب الماهوجني. عندما تم ملء هذا الحوض بسائل، تم تعليق شريط من النسيج المبلل بنفس السائل على جانب الحوض وداخل القمع، والذي كان يعمل مثل السيفون، حيث نقل السائل خارج الحوض من خلال القمع في قطرات متتالية: سقطت هذه القطرات في قمع أصغر من الزجاج موضوع تحت الآخر، والذي يحتوي على قطعة من أكسيد الحديد الأحمر المسامي إلى حد ما من فيزوف. لقد تم إبقاء هذا الحجر مكهربًا باستمرار ...

في اليوم الرابع عشر من بدء هذه التجربة، لاحظت من خلال عدسة بضع نتوءات أو حلمات بيضاء صغيرة، تبرز من منتصف الحجر المكهرب تقريبًا. وفي اليوم الثامن عشر، تضخمت هذه النتوءات، وبرزت منها سبعة أو ثمانية خيوط، وكان كل منها أطول من نصف الكرة الذي نمت عليه. وفي اليوم السادس والعشرين، أخذت هذه المظاهر شكل حشرة كاملة، واقفة منتصبة على عدد قليل من الشعيرات التي شكلت ذيلها ... في اليوم الثامن والعشرين، حركت هذه المخلوقات الصغيرة أرجلها

... وبعد أيام قليلة انفصلوا عن الحجر، وتحركوا بحرية 42 ما هي القُراديات أو العثّات الصغيرة على الأرض؟ ولم تخدم التجارب الإضافية سوى تعزيز اللغز. سجل كروس بعد المحاولة الثالثة للتكرار:

لقد أهملت أن أدرج داخل بصلة الأنبوب مكانًا للراحة لهذه القراديات (حيث يتم تدميرها دائمًا إذا سقطت مرة أخرى في السائل الذي خرجت منه). ومن الغريب أنه في محلول شديد التآكل وفي جو من غاز الأكسجين والهيدروجين، ظهر حشرة واحدة فقط. 43

غريب حقًا.

وبعد إشراك و. هـ. ويكس الثابت والمنهجي في محاولة تكرار التجارب - الذي كان اهتمامه الأول هو ضمان عدم سقوط أي بيض حشرات غريبة في المعدات - كانت الأمور تتقدم بشكل جيد. ولكن بعد ذلك ارتكب كروس خطأ بمناقشة اكتشافه مع محرر إحدى الصحف المحلية، وعندها اندلع الجحيم. هل نجح هذا العالم المجنون فعلاً في خلق حياة في مختبره السري؟ من كان هذا الرجل الذي يلعب دور الله؟ وعلى الرغم من أن علماء بارزين مثل مايكل فاراداي (1791-1867) بذلوا جهوداً كبيرة للدفاع عن كروس، فإن السيد ويكس أفسد ذلك بإعلانه رسمياً أن التجارب أدت بالفعل إلى "ولادة" كائنات حية.

وبعد أن شعر كروس بالحيرة والألم، تقاعد إلى مختبره الريفي، ليجد نفسه منبوذاً اجتماعياً: حتى أن القس المحلي أجرى عملية طرد الأرواح الشريرة في المنطقة.

لقد أدى اكتشاف كروس البريء والموضوعي إلى تصنيفه كشخصية مهووسة بالسحر الأسود. ورغم أنه عاد إلى أبحاثه

- بهدف صنع "بطارية رخيصة وقوية ومتينة في آن واحد" وعمل على حفظ الطعام وتنقية مياه البحر باستخدام الكهرباء - إلا أنه ظل رجلاً مكسوراً، وموضوعاً للسخرية والخوف الخرافي.

قبل أن يموت بسكتة دماغية في مايو 1855 قال: "... أقصى مدى للمعرفة البشرية ليس سوى الجهل المقارن" 45 ويقول النقش الموجود على شاهد قبره:

مقدس لذكرى أندرو كروس / الكهربائي ... وكان متواضعًا مع الله ولطيفًا مع إخوانه المخلوقات

- ربما يكون ذلك سخرية من أولئك الذين رأوه متكبرًا جدًا تجاه الله، وأولئك الذين كانوا أقل لطفًا معه.

حتى يومنا هذا، لا أحد متأكد من ماهية الأكاريس، وقد تم نسيان كروس إلى حد كبير باستثناء الكتب التي تتحدث عن الألغاز. ولكن من الممكن أن نتذكر هذا العالم الحقيقي في صورة أكثر إثارة: ففي عام 1814، زار الشاعر روبرت ساوثي (1774-1843) صديقيه ماري وبرسي شيلي بعد أن ناقش تجاربه مع كروس نفسه. أمضى الأصدقاء الثلاثة بعض الساعات في مناقشة هذا الموضوع. وحضر شيلي محاضرة ألقاها كروس في نفس العام. وبعد أربع سنوات أنتجت ماري شيلي (1797-1851) روايتها الأولى، فرانكشتاين، التي تدور حول عالم غريب الأطوار يخلق الحياة في مختبره من خلال استخدام الكهرباء... هل كانت هذه حالة غريبة بشكل خاص من الحياة التي تتبع الفن، أم هجومًا سيئًا من الجوكر الكوني؟ ورغم أن المتشككين قد يزعمون أن رواية شيلي وضعت فكرة خلق الحياة في رأس كروس، فإن كل الأدلة تشير إلى أن لغزها كان حقيقيا. ولكن على أية حال، فهذه هي الحالة الكلاسيكية للشهيد الشيطاني، الذي تعرض للاضطهاد من قبل الغوغاء عديمي العقول بسبب التحقيق الصادق في شذوذ علمي.

أبناء الأرملة

في يوم القديس يوحنا المعمدان (24 يونيو) 1717 تم تأسيس المحفل الأعظم للماسونية الإنجليزية، مما أدى إلى نقل ما كان في السابق مجتمعًا سريًا حقًا معنيًا بالحفاظ على المعرفة المقدسة إلى عصر شبه سري جديد قد يزعم البعض أنه شهد تدهوره إلى ما هو أكثر من مجرد نادٍ لتناول الطعام.

لقد كانت هناك "كلية غير مرئية" من الماسونيين في عام 1645، 46 ولكن إذا كان ما يدعيه بعض المؤلفين47 هو أنهم من نسل فرسان الهيكل الشرعيين، فمن الواضح أنهم يمتلكون نسبًا أطول بكثير. في الواقع، هناك أطروحة كيميائية يرجع تاريخها إلى خمسينيات القرن الخامس عشر تستخدم مصطلح "الماسوني" على وجه التحديد،48 ويستشهد الباحث جون جيه روبنسون بأدلة على وجود محافل ماسونية تعود إلى ثمانينيات القرن الرابع عشر.49 ولكن مع مرور القرنين السابع عشر والثامن عشر، أصبح من الواضح، وفقًا لأحد الكتاب، روبرت لومس، أن الماسونيين كانوا في طليعة الانفجار الشيطاني للاختراع والاكتشاف العلمي والتقدم الفكري غير المسبوق، مع تشكيل الجمعية الملكية في عام 1660، "أقدم وأكثر الجمعيات العلمية احترامًا في العالم".50 تحت رعاية الماسوني السير روبرت موراي، كانت أهداف الجمعية هي:

> "التغلب على أسرار كل أعمال الطبيعة لصالح الحياة البشرية51 ... وهذا هو أعلى مستوى للعقل البشري؛ أن نتبع كل حلقات هذه السلسلة، حتى تنفتح كل الأسرار على عقولنا؛ وتتقدم كلماتهم، أو تقلدها أيدينا نحو تسوية مسح عالمي، مستمر ونزيه للخليقة بأكملها 52"

> وكما كان متوقعاً، عانت الماسونية من نصيبها العادل من الإساءة وجنون العظمة من جانب الغرباء، وخاصة من جانب الكاثوليك المتعصبين، ومؤخراً من جانب المسيحيين الأصوليين، الذين ينظرون إلى "الإخوانية" باعتبارها تجمعاً شريراً إما لعبدة الشيطان أو عبدة الشيطان صراحة. إن نظرة سريعة على مجموعة المواقع الإلكترونية الأصولية المخصصة لهذا الموضوع سوف تكشف لنا سريعاً جوهر موقفهم. وبحسب العالم الأمريكي والكاتب الماسوني إس. برنت موريس، فإن هجماتهم تبدأ عادة بالكلمات التالية: "في 14 يوليو 1889، وجه ألبرت بايك، الحبر الأعظم للماسونية العالمية، خطابا إلى المجالس الكونفدرالية العليا الثلاثة والعشرين في العالم، قال فيه:53 ثم يواصلون اقتباس إعلان بايك المزعوم:

> لو لم يكن لوسيفر إلهًا، فهل كان أدوناي وكهنته سيفترون عليه، وهو الذي تثبت أفعاله قسوته وغدره وكراهيته للإنسان، ووحشيته ونفوره من العلم؟ نعم، لوسيفر هو الله، ولسوء الحظ فإن أداناي هو الله أيضًا. فالقانون الأبدي هو أنه لا يوجد نور بدون ظل، ولا جمال بدون قبح، ولا أبيض بدون أسود، لأن المطلق لا يمكن أن يوجد إلا كإلهين: الظلام ضروري للتمثال، والفرامل للقاطرة.

> وهكذا فإن عقيدة الشيطانية هي بدعة؛ والدين الفلسفي الحقيقي والنقي هو الإيمان بلوسيفر، المساو لأداناي؛ ولكن لوسيفر، إله النور وإله الخير، يكافح من أجل البشرية ضد أداناي، إله الظلام والشر 54

لم يكن هناك نقص في الآخرين على استعداد لإدانة بايك بسبب عبادة لوسيفر. كتب المعلق الفرنسي جول بوا في عام 1902:

> من المدهش أن نجد إنجيل ألبرت بايك التدنيسي. وهو يقسم وجود المسيح إلى قسمين: في القسم الأول يصنف عقيدته بطريقة عقلانية وطبيعية (فالمسيح كان، بالنسبة له، رسول "الإله الصالح"، أي لوسيفر). وفي الثانية كان له التعالي الصوفي... مثل تأكيده أنه هو نفسه ابن الله ومساوٍ للأب... . وفقًا لألبرت بايك، كان يسوع قد وقع على ميثاق مع أدوناي ... [حيث] كانت رغبته في التأليه الانفرادي قد أسكرته، مما جعله غير معقول وغير إنساني. ومنذ ذلك الحين، تخلى عنه لوسيفر، وفي مقابل ارتداده، فرض عليه الناس التعذيب المستحق للصوص.

أعتقد أنه من خلال هذا المثال، نلمس مركز لوسيفر.55

ومع ذلك، وفقًا لبرنت موريس والعديد من الماسونيين المعاصرين الآخرين، فإن كل هذا التعليق وما شابهه هو افتراء، مبني على خدعة ارتكبها "ليو تاكسيل" (غابرييل أنطوان جوغاند-بيجز). اعترف علنًا بخداعه في عام 1897، 56 على الرغم من أن هذا الجزء من القصة عادة ما يتم تجاهله من قبل أولئك الذين يتوقون إلى وصم الماسونيين بالشيطانية. ويشير برنت إلى أن الحاخامات والأساقفة وغيرهم من رجال الله هم من بين أولئك الذين كان ينبغي أن يتعلموا "هذه العقيدة الشيطانية المثيرة للاشمئزاز" لو كانت موجودة، ومن "غير المعقول ألا تكون هناك استقالات جماعية".57

يميل بعض المتعصبين الكاثوليك والأصوليين أيضًا إلى الاستشهاد بالسيدة بلافاتسكي في نفس السياق الذي يستشهدون فيه بقذف تاكسيل: هذه الرؤية الروسية في القرن التاسع عشر ومؤسسة الجمعية الثيوصوفية لديها سمعة ربما لا تستحقها تمامًا بالدجل - لكن كتاباتها الضخمة كانت الأكثر تأثيرًا على كثيرين حتى يومنا هذا، بما في ذلك العديد من الجمعيات السرية. على سبيل المثال، كتبت: "لوسيفر يمثل ..." الحياة... الفكر ... التقدم... الحضارة ... الحرية ... الاستقلال... "لوسيفر هو الكلمة، والثعبان، والمخلص."

وفي هذا الضوء، يجدر بنا أن نفحص كتابات السيدة بلافاتسكي عن كثب من أجل فهم التقليد الباطني الذي مثلته. في كتابها "كشف نقاب إيزيس: المفتاح الرئيسي لأسرار العلوم واللاهوت القديمة والحديثة"، تستشهد بمجمع الفاتيكان المسكوني لعام 1870: "فليكن محروماً... من يقول إن العلوم الإنسانية ينبغي أن تُمارس بروح من الحرية تسمح للإنسان بأن يتمسك بصدق تأكيداته حتى عندما تعارض العقائد الموحاة".59 وتضيف: "المسيحية تحت المحاكمة، وكانت كذلك، منذ أن شعر العلم بالقوة الكافية للعمل كمدع عام".60 على الرغم من كونها مغرية - ولا نهاية لها - يمكن اقتباسها، إلا أن هناك اثنتين فقط من جواهرها الصغيرة وسوف نكتفي هنا بما يلي: فهي تلاحظ أن القدماء كانوا "مستنيرين للغاية بحيث لم يصدقوا في وجود شيطان شخصي" 61 وأن "الجحيم وسيدته من اختراعات المسيحية، وتزامنت مع وصولها إلى السلطة ولجوئها إلى الاستبداد...". وتضيف بلهجة ازدرائية: "انحطاط مؤسف لأدمغة البشر!"62

في حين أن الماسونيين ينكرون بشدة إخلاص بايك المزعوم للوسيفر - وليس هناك سبب للشك في أن تاكسيل ارتكب خدعة تهدف إلى تشويه سمعتهم - فإن المرء يتساءل لماذا هم منزعجون للغاية. كما نعلم الآن أنه ليس هناك أي حاجة على الإطلاق لمساواة لوسيفر بالشيطان، وعلى أية حال، فإن الاقتباسات المذكورة أعلاه تعكس الغنوصية الصرفة تقريبًا. في واقع الأمر، بالنسبة لمنظمة تفتخر بالفهم الصوفي والتسامح، لا يسعنا إلا أن نأمل في أن تكرم هذه المنظمة للوسيفر الحقيقي سراً، والذي كانت صفاته لتجعله الراعي المثالي للجمعية الملكية.

في الواقع، يأخذ الماسونيون التسامح الديني على محمل الجد بشكل خاص، كما يوضح المقتطف التالي من رسالة موجهة إليّ من الكاتب الماسوني روبرت لومس:

لا يطيع أي رجل القانون الماسوني حقًا إذا كان يتسامح فقط مع أولئك الذين تتعارض آراؤهم الدينية مع آرائه. آراء كل إنسان هي ملكيته الخاصة، وحقوق جميع البشر في الحفاظ على آرائهم متساوية تمامًا. إن مجرد التسامح مع الرأي المعارض، وتحمله، هو افتراض أنه هرطقة، وتأكيد الحق في الاضطهاد، إذا أردنا ذلك، والمطالبة بتسامحنا باعتباره ميزة.

إن عقيدة الماسونية تذهب إلى أبعد من ذلك؛ فهي تقول إنه ليس من حق أي إنسان، بأي شكل من الأشكال، التدخل في المعتقد الديني لشخص آخر. "إنها تؤكد أن كل إنسان له السيادة المطلقة فيما يتعلق

بعقيدته، وأن العقيدة مسألة غريبة تمامًا على كل من لا يعتنق نفس العقيدة؛ وأنه إذا كان هناك أي حق في الاضطهاد على الإطلاق، فإنه في جميع الحالات حق متبادل، لأن أحد الطرفين له نفس الحق مثل الطرف الآخر في الجلوس كقاضي في قضيته الخاصة - والله هو القاضي الوحيد الذي يمكنه أن يحكم بينهما بحق.63

ويشير روبرت لومس، بالتالي، إلى أن "الماسونية لا تحظى بحب الديانات المنظمة لأنها متسامحة مع أي معتقد ديني أو كل المعتقدات الدينية. ولا تظهر أي محاباة لأحد. لذلك فإن الماسونية لا تشجع عبادة الشيطان ولكنها لا تدينها أيضًا. "[تأكيدي]." وبطبيعة الحال، بالنسبة للمسيحيين، فإن هذا في حد ذاته يعادل عبادة الشيطان.

بصرف النظر عن خدعة تاكسيل، هل للماسونيين أي صلة بلوسيفر؟ يقول لومس إن نجم الصباح الساطع هو "سمة أساسية في كل من لوحة التتبع من الدرجة الأولى واحتفال الدرجة الثالثة"، وهي المبادرات الرئيسية التي تهدف إلى تغيير وجهة نظر الماسونيين بالكامل بطرق عميقة وجذرية، كما يشرح في ورقة ماسونية:

إن عملية التأهيل هي عملية تجديد. وهذا يعني تطوير جوهرك الداخلي، أولاً إلى الولادة ثم إلى النمو الكامل. وهذا يتضمن رفضًا وموتًا صوفيًا لجميع المبادئ الدنيا التي تعيق نموك. هذا هو المسار الذي نتبعه من خلال درجاتنا الثلاث.

المرحلة الأولى تتضمن تنقية طبيعتك الحسية الخام، وقتل رغبتك في الجذب المادي، وتنمية اللامبالاة تجاه جاذبية العالم الخارجي.

أما الطريقة الثانية فتتضمن تأديب وتنقية عقلك حتى يصبح نقيًا وقويًا بما يكفي للاستجابة للنظام الروحي للحياة والحكمة. ولهذا السبب، في درجتنا الثانية، فإن اكتشاف رمز مقدس في وسط المبنى يُظهر لمحة أولى عن مركزك الشخصي. وتتبع هذه المعرفة رغبة في إزالة كل العوائق من قلبك لاستكمال الاتحاد مع هذا المركز.

المرحلة الثالثة، "الاختبار الأخير والأعظم"، تتضمن الموت الطوعي لإحساسك بالأنا والانفصال عن جوهر الحياة الكوني. عندما تموت الأنا الشخصية المحدودة لديك، ستصبح واعيًا بنجم الصباح الساطع بداخلك الذي ينير أفقك العقلي.

هذا هو السر العظيم في الماسونية: من خلال التعليم والانضباط يمكن لكل واحد منكم تحقيق الإدراك الواعي لوحدة مركزه.

ولكن لماذا تعتبر هذه النظرية سرية؟ لأنه لا يمكن فهمه إلا باعتبارها تجربة شخصية. إن التجربة يجب أن يتم الاستعداد لها سراً، وأن يتم تحقيقها سراً، وهي تبقى غير مفهومة وغير قابلة للتواصل من قبل أي شخص لم يعشها.

إن الماسونية تترك لك حرية اتباع دينك الخاص، مع العلم الأكيد أن كل دين يقود في نهاية المطاف إلى مركز واحد. إنه إعداد لما لا يمكن تحقيقه بالكامل إلا من خلال التأهيل 65

إن العديد من الذين يهاجمون الماسونيين يشعرون بالغضب لأنهم يجرؤون حتى على استخدام أسماء الآلهة الوثنية، كما في المقتطف التالي من مذكرات "المعلم الماسوني النهائي"66 والتر ليزلي ويلمشورست (ت. 1939)، الذي كتب عن معنى مصطلح "ابن الأرملة":

جميع المتأهلين لديهم أم مشتركة. وفي مصر كانت تسمى إيزيس، الأرملة العالمية. لا تخف مما يسمى بالاسم الوثني. تتغير الأسماء لكن الواقع يبقى ثابتا. وفي وقت لاحق، أطلق عليها اسم ... أمنا جميعًا ... [العلوم الخفية] التي نتحدث عنها ونفكر فيها باعتبارها أمنا الصوفية المحبوبة. إنها، مثل الإلهة، أرملة، أرملة سيدها الأعظم ويده المرشدة. وهي أيضًا تقف مغطاة بالحجاب، مظلمة ومخيفة من الخارج، ولكنها مشرقة ومجيدة من الداخل. 67

مرة أخرى نرى احترامًا صحيًا للتسامح، وتطبيقًا غنوصيًا لمعنى الإلهة باعتبارها الله، وفهمًا عميقًا للصفات الشيطانية العليا للتنوير والاستقصاء العلمي، سواء كانت "رسمية" أم لا، والتي، للأسف، يتم إدانتها بشكل روتيني، وحتى بشكل متوقع، باعتبارها شيطانية. كما هو الحال دائمًا، يعد هذا تعليقًا حزينًا للغاية على التعصب والغباء البشري، ولكن الهوية الخاطئة للوسيفر كمرادف للشيطان تم تعزيزها في كثير من الأحيان للأسف من خلال المبادئ المشوشة في كثير من الأحيان لـ "الشيطانية" الحديثة.

الأشرار في العالم

مع وجود شيطان ممارس 68 على متن الفرقاطة التابعة للبحرية الملكية البريطانية HMS Cumberland ربما يتوقع المرء أن يلاحقه سوء الحظ (على الرغم من أن البعض قد يقول إن التوجه إلى الخليج أمر سيئ بما فيه الكفاية). كان كريس كرانمر، القائد البالغ من العمر أربعة وعشرين عامًا من إدنبرة، قد قرأ كتابًا للراحل أنطون لافي، مؤسس كنيسة الشيطان، وأدرك أنه كان لابد أن يكون شيطانيًا غريزيًا طوال الوقت 69. وقد استقبلت وسائل الإعلام القصة بفرح.

- العنوان الذي لا يقاوم "الشيطان والبحر الأزرق العميق" ظهر في صحيفتين على الأقل70 - ولكن بدرجة أقل من قبل ممثلي الحرس القديم. وبعد كل هذا فإن دينه الجديد يعلن:

"يمثل الشيطان الانغماس بدلاً من الامتناع؛ ويمثل الشيطان الانتقام بدلاً من تحويل الخد الآخر؛ ويمثل الشيطان كل ما يسمى بالخطايا، لأنها كلها تؤدي إلى إشباع جسدي أو عقلي أو عاطفي."

ومع ذلك، كان المتحدث باسم الشيطان حريصًا على الإشارة إلى "نحن لا نقتل الأطفال، ولا نقتل الحيوانات، ولا نفعل أشياء غريبة للعذارى". وبالنسبة للشيطانيين، "الغباء أمر سيء للغاية".73

(إن قرار البحرية الملكية بالسماح لكرانمر بممارسة دينه في البحر يعني أنه إذا قُتل أثناء العمل، فقد يتم دفنه في البحر على يد أحد كهنة كنيسة الشيطان.)

ليس من الصعب أن ننجذب إلى أسلوب لافي السهل وسخريته غير التقليدية من الأديان القائمة، وخاصة بالنسبة لأولئك الذين عانوا على أيديها. بالنسبة لمثل هؤلاء الناس، وبعد سنوات من الركوع ومراقبة كل فكرة من أفكارهم بحثاً عن الخطيئة، فإن التجديف الواضح في وصف لافي للصلب باعتباره

"عجزاً شاحباً معلقاً على شجرة" لا يمكن أن يكون مُحرراً بشكل مبهج في جرأته المتمردة فحسب، بل إنه أيضاً مثير للتفكير العميق. وبعد كل هذا، فإن يسوع في جوهره كان مسيحًا فاشلاً - ولن يقبله أي يهودي على هذا النحو عندما لقي نهايته المخزية كمجرم مصلوب. وتنبأ أنه سيعود في زمن رسله...

في كتابه "الإنجيل الشيطاني"، يتحدث لافي بأسلوب شعري عن سيده الشيطان، الذي يعتبره

"روح التقدم، ملهمة كل الحركات العظيمة التي تساهم في تطوير الحضارة وتقدم البشرية". "إنه روح الثورة التي تؤدي إلى الحرية، تجسيد كل البدع التي تحرر." حتى الآن، لوسيفر.74

في عام 1969، في الليلة الأخيرة من شهر أبريل ـ مهرجان الساحرات القديم في والبورجيسناخت ـ استلهم لافي البالغ من العمر ستة عشر عاماً فكرة إنشاء كنيسته بعد أن لاحظ نفاق الرجال الذين يذهبون إلى الكنيسة ويشتاقون إلى فتيات الاستعراض، معلناً: "لقد عرفت حينها أن الكنيسة المسيحية تزدهر بالنفاق، وأن الطبيعة الجسدية للإنسان سوف تتكشف!"... وبما أن عبادة الأشياء الجسدية تنتج المتعة، فسيكون هناك معبد الانغماس المجيد...'.75

في عمله كمصور في إدارة شرطة سان فرانسيسكو، واجه أسوأ المشاهد الممكنة، ولكن بالنسبة له كان الأمر الأكثر إثارة للاشمئزاز هو سلسلة لا نهاية لها من الناس يقولون: "إنها إرادة الله". في واقع الأمر، ومثل الكاهن المسؤول في القداس الأسود لهويسمانس، ربما كان الفجور الشيطاني لدى لافي مدعوماً بشكل مفاجئ بإحساس حقيقي بالظلم، وهجوم على تجاهل الله الواضح للمعاناة البشرية. إن حقيقة أن هذا الشيطان الأكبر لا يتخبط في هذا النوع من الإذلال البشري الذي لا يمكن تصوره والذي تم تجميده بواسطة كاميرته لقسم الشرطة، ولكنه يشعر بالرعب منه، تكشف إن لم يكن أي شيء عن عدم وجود الشر الحقيقي.

لا شك أن أسلوبه المرح وغير التقليدي جذاب، على الرغم من أنه قد يبدو مراهقًا في كثير من الأحيان. ويكتب: "لقد حلم مارتن لوثر بالبروتستانتية وهو جالس على المرحاض، ونحن نعلم مدى ضخامة هذه الحركة".76 لكن لافي كان جادًا للغاية بشأن شيطانيته، موضحًا بعناية أن عبادة الشيطان تعني أن تكون شجاعًا وفخورًا، وأن تعترف بسخرية بالأنانية والغرائز الأساسية للإنسان. "الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يجب تذكيره باستمرار بوجوده. "أي إحساس سوف يفعل."77

ولكن النسخة الجديدة التي ابتكرها لافي للدين القديم (أو الدين المضاد) لم تكن بأي حال من الأحوال مجرد معبد للفجور الذي أصبح أكثر إثارة للصدمة من خلال الاستدعاءات الشيطانية. إن كنيسة الشيطان قاسية على الضعفاء أو أولئك الذين يقفون في طريقها (على الرغم من أنه يجب أن يقال أن قول يسوع "طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض" يمكن اعتباره خدعة سياسية ساخرة - بعد كل شيء، (الودعاء هم نفس الناس الذين لن يشتكوا أبدًا إذا فشلوا في الحصول عليه!) في الفصل الافتتاحي من الكتاب المقدس الشيطاني، يصرخ لافي: "ملعون هم الضعفاء، لأنهم يرثون النير!" "وملعون هم فقراء الروح لأنهم يبصقون عليهم"

وينتهي الكتاب المقدس الشيطاني بقسم عن "مفاتيح إينوك"، وهي الصيغ السحرية للغاية المأخوذة من سيرة جون دي التي كتبها ميريك كازوبون عام 1659، على الرغم من أن هذا الساحر سيشعر بالرعب بشكل لا شك فيه مما أصبحوا عليه على أيدي كنيسة الشيطان. يعلن لافي أن "ملائكة" دي كانوا يعتقدون ذلك فقط "لأن علماء السحر كانوا حتى يومنا هذا يعانون من الإمساك الميتافيزيقي". إن جودة الكلمات الإينوكية و"خصائصها النغمية البربرية" تخلق "رد فعل هائل في المحيط"،79 ولكنها في الوقت نفسه تفتح أبواب الجحيم...

وعندما بدأ لافي يجذب عدداً كبيراً من المتابعين، انتشرت شائعات غير طبيعية حول أنشطته: أنه قدم ساقاً بشرية في مأدبة، وأنه لعن نجمة السينما جاين مانسفيلد فتم قطع رأسها في حادث سيارة، وأن

الشياطين الحقيقية ظهرت بأمره ... وبعد ذلك، وبشكل حتمي، جاءت ردة الفعل العنيفة - ليس من جانب المتدينين، لأنهم سبق وأن عبروا عن آرائهم لفترة طويلة وبقوة، ولكن من جانب وسائل الإعلام. وقد اكتشف القليل من البحث أن لافي لم يكن مصورًا للشرطة أبدًا، ولم تكن له علاقة غرامية مع مارلين مونرو كما ادعى، وعلى الرغم من أنه ندد بالعالم البريطاني الشهير في علوم السحر أليستر كراولي ووصفه بأنه "متظاهر بامتياز [الذي] عمل لساعات إضافية ليكون شريرًا"، فإن الرأي العام بين علماء السحر الجادين كان أن هذا أمر مبالغ فيه إلى حد ما قادم منه.

توفي لافي في عام 1997، ولا يزال الجدل يلاحق ذكراه، في حين يصطف زملاؤه - وحتى ابنته - لتشويه اسمه، وهو أمر غريب، لا يزال ممكناً حتى عندما يتعلق الأمر بالشيطان.

كان أليستر كراولي (1875-1947)، الذي أطلقت عليه وسائل الإعلام لقب "الرجل الأكثر شراً في العالم"، ينظر إليه الناس الطيبون بنظرة "قشعريرة" ولا يزالون ينظرون إليه، على الرغم من أن معظم الناس، الطيبين وغيرهم، لا يعرفون سوى القليل عن هذا الساحر المذهل. من المؤكد أنه بمثابة جبل الأوليمب بالنسبة لحركة المرور الهادئة التي يمر بها لافي، سواء من الناحية الفكرية أو الروحية، على الرغم من أنه لم يكن بأي حال من الأحوال مصدر فرحة غير مخففة أو إلهام ذهبي ثابت سواء كرجل أو نموذج يحتذى به.

كان كراولي شاعراً موهوباً، وأحد أفضل متسلقي الجبال في العالم (وهو بطل كريس بونينجتون)، وكاتباً واسع الاطلاع، ويوغياً ماهراً، ومصوراً إباحياً موهوباً. ويتذكر الناس كراولي إلى حد كبير لاعتماده اللقب التوراتي "الوحش العظيم 666"، بعد أن أصرت جدته - وهي عضو في جماعة الإخوة البليموثيين المتشددين - على استخدامه له، بكل جدية. ولكن كما كتب المؤرخ الغامض فرانسيس إكس كينغ في مقدمة كتاب كراولي عن المسيح (1974):

كان كراولي أكثر من مجرد ساحر أسود، على الرغم من أنه صلب ضفدعًا ذات مرة؛ وكان أكثر من مجرد رياضي جنسي، على الرغم من أنه انغمس في مناسبة أو أخرى في كل أشكال الانحراف تقريبًا من اللواط إلى الشذوذ الجنسي...81

"لا تشعر بالملل أبدًا حيث يوجد كراولي!"

بعد علاقة متقلبة مع العديد من الجمعيات السحرية والسرية (بما في ذلك الماسونيين)، اختار ممارسة السحر الجنسي (أو ``سحره" المفضل) بحماس الكاربوقراطيين أو سمعان الساحر بالشراكة مع زملائه السحرة الذكور أو مسلسله "النساء القرمزيات". كان يعتقد أنه تجسيد لإليفاس ليفي، فسعى جاهداً إلى تجارب سحرية نهائية، حتى أنه سعى إلى استحضار ملاكه الحارس المقدس، والذي تمكن من تحقيقه جزئياً من خلال الوساطة الروحية لزوجته روز في القاهرة عام 1904. كما كتب فرانسيس العاشر كينغ، "... لقد كان أكثر من مجرد "عالم غيبيات شيطاني"، على الرغم من أنه حدد أيواس، "ملاكه الحارس المقدس" مع الشيطان، الشيطان المسيحي".82

مثل جميع السحرة المتفانين، سعى كراولي إلى طاعة الوصية القديمة لمعرفة نفسك، لاكتشاف إرادتك الحقيقية وتنفيذها. يمكن اعتبار لقاءه مع أيواس بمثابة ذروة هذه المهمة، ومواجهة ذاته الداخلية كقوة

خارجية. (كتب في سجله السحري، يوليو 1920: "أريد أن أخدم الله، أو كما أقول، أن أفعل مشيئتي، بشكل مستمر: أفضل التركيز لمدة عام مع الموت في النهاية من نفس الجرعة المخففة في نصف قرن من العبث.")83

كانت نتيجة هذا اللقاء الملائكي المثير هو كتاب الشريعة، الذي - دون أن يخيفه حقًا - أربك كراولي كثيرًا لدرجة أنه ظل يحاول فقده، لكنه كان يعود دائمًا بطريقة أو بأخرى. في سبتمبر 1923، تذكر جوهر "عمل القاهرة"، فكتب: "كان السر هو هذا: إن تحطيم إرادتي الزائفة من خلال هذه الكلمات الرهيبة التي قالها ملاكي حرر ذاتي الحقيقية من كل قيودها، حتى أتمكن من التمتع على الفور بنشوة معرفة نفسي بأنني أنا".

عندما كتب عن موضوع بطاقة التارو، الرجل المعلق، في كتابه تحوت (1944)، استشهد بآيواس من كتاب القانون: "أنا أعطي أفراحًا لا يمكن تصورها على الأرض: اليقين، وليس الإيمان، أثناء الحياة: عند الموت: السلام الذي لا يوصف، والراحة، والنشوة؛ ولا أطلب أي شيء في التضحية".85 وهو يعارض دائمًا مفهوم المسيح الذي يموت ويقوم كمخلص، فيكتب: "هذه الفكرة عن المسيح الذي يموت ويقوم كمخلص".

"إن التضحية، في التحليل النهائي، فكرة خاطئة."86 وقال أيضا: "... "اليهودية ديانة وحشية، والمسيحية خرافة شيطانية."87 (في الواقع، حتى عصر القاهرة كان كراولي بوذيًا إلى حد كبير في نظرته الروحية، ولكن إصرار أيواس على أن الوجود هو "فرحة خالصة" أدى إلى تآكل مفهوم أن الحياة في نهاية المطاف هي العدم.)

ولكن الفصل الثالث من كتاب الشريعة يغير مساره، ويتنبأ - بل ويشجع - على الوحشية الجماعية وسفك الدماء والموت: "فلتذهب الرحمة إلى الجحيم: فلتذهب اللعنة إلى أولئك الذين يشفقون! اقتلوا وعذبوا ولا تبقوا عليهم! ولكن، كما يشير توبياس تشيرتون، فهو الصوت البديل لكراولي "المحتقر لفوضى وأوحال العاطفية الإدواردية"، وهو عالم سرعان ما تحول إلى أشلاء في مذبحة الحرب العالمية الأولى. "إنه صوت كل مكان حيث يتم إسكات الإرادة الحقيقية؛ حيث يسير الفرد في خوف من الجماهير".89

في بعض الأحيان كان كراولي قادرًا على الارتقاء إلى أسمى المستويات، وعندما فعل ذلك، لم يكن هناك سوى عدد قليل من الناس قادرين على مقارنته بمشاعره الشيطانية النقية، كما في:

... الفداء كلمة سيئة، فهي تعني الدين. فكل نجم يمتلك ثروة لا حدود لها، والطريقة الصحيحة الوحيدة للتعامل مع الجهلاء هي إرشادهم إلى معرفة تراثهم النجمي. وللقيام بذلك، من الضروري التصرف كما يجب أن يتم من أجل إقامة علاقات جيدة مع الحيوانات والأطفال: معاملتهم باحترام مطلق؛ حتى أنهم، بمعنى ما، يعاملونهم بعبادة.90

ويبدأ كتاب الشريعة، الذي يعتبر بمثابة موسيقى لآذان المرأة الإدواردية المقيدة والمحبطة، بدعوة واضحة لإنهاء التواضع الزائف وفتح أبواب الأنوثة. يكتب أيواس/كراولي:

نحن لا نخدع النساء أو نتملقهن، ولا نحتقرهن أو نسيء إليهن. بالنسبة لنا، المرأة هي ذاتها، مطلقة، أصلية، مستقلة، حرة، مبررة ذاتها، تمامًا كما هو الرجل ... نحن لا نريدها عبدة؛ نريدها حرة ومُلكية، سواء كان حبها يحارب الموت بين أحضاننا ليلاً... أو كان ولاؤها يرافقنا نهاراً في معركة الحياة...

ولكن الآن كلمة أنا الوحش هي هذه؛ أنت لست فقط امرأة، مقسمة على غرض ليس لك؛ أنت نفسك

نجمة، وفي نفسك غرض لنفسك. لستِ أمًا لي فحسب، أو زانية للرجال؛ خادمة لاحتياجاتهم من الحياة والحب، غير مشاركة في نورهم وحريتهم؛ بل أنتِ أم وزانية من أجل متعتك الخاصة؛ الكلمة للإنسان أقول لك لا أقل من ذلك: افعلي ما تريدين. وسيكون كل القانون! 91

على الأقل كانت تلك هي النظرية. كانت نساء كراولي القرمزيات يعانين من مشاكل عقلية خطيرة - روز، على سبيل المثال، ماتت بسبب إدمان الكحول - ومن المؤسف أنه استطاع أن يجبر نفسه على إظهار القليل من الاحترام لإخوانه البشر بشكل عام، حيث أظهر استعراضًا طفوليًا واضحًا من خلال التبرز على سجاد غرف معيشة المضيفات، وتقديم كعكات الحب (المصنوعة من البراز) لضيوفه. إن رغبته في إحداث الصدمة من خلال خلق صورة مثيرة كانت تؤدي في كثير من الأحيان إلى تقليص عمر سيد العصر الجديد إلى حوالي ثلاث سنوات. وفي هذا، ولكن في هذا فقط، فإن الاستهزاء الذي وجهه لافي لكراولي ووصفه بأنه "متظاهر بامتياز" كان بمثابة ضربة موجعة. وكان هناك جانب آخر من شره الشديد (بعد كل شيء، كان عليه أن يرقى إلى مستوى الوحش العظيم) وهو حبه للعن الناس92 بوحشية عميقة حقيقية ممزوجة بغطرسة استعراضية، وهو نوع من التباهي المظلم والقذر للروح. (لا تكن مملًا أبدًا حيث يوجد كراولي! كتب عن نفسه.)93 وهذا ما يسميه توبياس تشيرتون، وهو معجب كبير بالساحر الغنوصي كراولي، "ذاته السحرية الغبية في كثير من الأحيان، والأنانية في كثير من الأحيان، والمبهجة في كثير من الأحيان". 94

لقد أعلن كراولي، الذي يتقمص دائمًا دور "المعلم الضاحك" - مثل سمعان الساحر - ساخرًا، ولكنه كان يعني ذلك حقًا: "لقد تعرضت للإنتقاد بسبب الاعتداء على ما يُعرف عادةً بالفضيلة". صحيح أنني أكره الأمر، ولكن بنفس الدرجة التي أكره بها ما يُعرف عادةً بالرذيلة.95

في كثير من الأحيان يفرك علماء الأخلاق أيديهم بسعادة عندما يستمعون إلى قصة حياة كراولي - من رجل نبيل من العصر الفيكتوري إلى مدمن هيروين فقير مثير للشفقة في منزل داخلي في هاستينغز في عام 1947، وهو يتوسل إلى طبيبه من أجل جرعة واحدة فقط - ولكنه كان يدرك منذ فترة طويلة أن "الإنجاز هو الجنون". على الرغم من المظاهر، لم يكن هذا موتًا مؤسفًا لشامان فاشل: مع استمرار التقدير الحقيقي لحياته وأعماله في النمو بشكل كبير، أصبح من الواضح بشكل متزايد أنه لم يكن هناك سوى القليل من الفشل الحقيقي في الوحش العظيم.

إرثه مذهل. لقد ترك وراءه مجموعة من الكتابات التي تتحسن مع الحفظ، وبالتأكيد لا تصبح موضع ازدراء مع الألفة، بل على العكس تماما. وعندما يتعلق الأمر بهذا التحقيق الحالي، فقد كان لدى كراولي إرث خاص ليورثه للأجيال المستقبلية من الباحثين، على الرغم من أنه كان يكره، على نحو متناقض، أن يفكر في الأمر بهذه الطريقة. لكن أليستر كراولي هو الذي أعطى للشيطانيين المحتملين القواعد.

بطبيعته، فإن الانطلاق نحو المجهول نحو ضوء نجم الصباح الساطع محفوف بالمخاطر مثل تقدم أي حاج. حتى مع وجود المثل العليا النبيلة، هناك الكثير من المخاطر، وليس أقلها إغراء المرح على ضوء الشموع السوداء الخافت للاحتفال بالشيطانية الزائفة. إن الشيء الحقيقي، بعد كل شيء (بأي اسم آخر) هو وسيظل دائما شكلا من أشكال الجنون الإجرامي الصريح - شرور هتلر أو صدام حسين تتجاوز حتى خيال معظم الناس. إن الناس العاديين ليسوا مؤهلين ليكونوا شيطانيين حقيقيين، لأنهم سواء أحبوا ذلك أم لا، فإنهم يمتلكون ضميرًا واشمئزازًا شديدًا من كل ما هو مثير للاشمئزاز. قد تكون عبادة الشيطان في الضواحي بمثابة تحويل مثير للاهتمام، ولكن مع التركيز على الأوساخ والظلام فإنها لا يمكن أن توفر الطريق إلى النور أبدًا. ولكن في حين يتعين علينا جميعاً أن نجد طريقنا الخاص، وبالتالي أن نرسم خرائطنا الخاصة إلى حد ما، فإن "قواعد" كراولي هذه توفر أساساً سليماً لحياة جيدة.

يعلم الجميع أن كراولي أعلن: "افعل ما تريد، فهذا هو القانون بأكمله"، وعادةً ما كان يعتبر ذلك ترخيصًا للانغماس في الملذات الفاسدة، ولكن في الواقع فإن عقيدته تستمر: "الحب هو القانون، الحب تحت الإرادة". واضاف:

"كل رجل وامرأة هو نجم" - تردد صدى هذا القول بشكل مخفف في قصيدة لافي "كل طفل هو رجل عصر النهضة الصغير"97 - موضحًا أنه في نظامه، "الخطيئة ضد الروح القدس هي منع نجم آخر من اتباع إرادته الحقيقية". ومع ذلك، في كثير من الأحيان، فإن كل "نجم" فردي يعيق طريقه إلى إرادته الحقيقية.

كما يقول كولن ويلسون، "الإنسان ليس صغيراً، بل هو فقط كسول للغاية".98

الخاتمة

مفتاح لوسيفر

"لقد تم عزاء لغز الحزن منذ فترة طويلة عندما خرج ليشرب مع النكتة العالمية"

أليستر كراولي.

دع النور يشرق! دع لوسيفر يلقي الضوء على الزوايا الصغيرة القذرة في العقل، والأوهام، والخداع، والنفاق، والأهوال المبتسمة في الداخل. كما في التحية الموجهة إلى المتأهل الماسوني: دع الأخ يرى النور! فلترى الأخت النور أيضًا!

بالنسبة للغنوصيين فإن النور هو كل شيء - كما كان النور بالنسبة ليسوع في مريم لوسيفر، "الكل" - ولكن هذا يجب أن يكون متوازنًا بظلام معترف به. بالنسبة للمسيحي فإن يسوع المسيح هو "نور العالم"، على الرغم من أن هذا سوف يتم إنكاره بشدة أو بأخرى ليس فقط من قبل أتباع الديانات الأخرى مثل اليهودية، بل تم إنكاره أيضًا ولا يزال من قبل المندائيين الغنوصيين، الذين يستحق يوحنا المعمدان فقط لقب "الملك الأعظم للنور". ومن عجيب المفارقات أنه في وقت كتابة هذه السطور، كان المسيحيون والمندائيون يعانون على أيدي نفس الأصوليين الإسلاميين في العراق.

دع النور يشرق! فليُزل لعنة كل أشكال التطرف - "من التزامنا بالمُثُل العليا يأتي عذرنا للكراهية" - فضلاً عن شرطة الفكر والصوابية السياسية. بدلاً من ذلك، ركز على حس الفكاهة، والقدرة على الضحك لفترة طويلة وبصورة مفرطة، وخاصة على أنفسنا، والشعور المتطور للغاية بالعبث. كن سيد الضحك الخاص بك، مسكرًا بفرحة الحياة. بدون الفكاهة واليقظة تتآكل الحريات، وحينها فقط سوف ينتصر الطغاة المتغطرسون والأغبياء، أو الأسوأ من ذلك بكثير، الطغاة البغيضون - وقد سئم العالم منهم تماما.

في ديسمبر 2004، رد الممثل الكوميدي البريطاني روان أتكينسون (مستر بين) بقوة على قانون مقترح يحظر التحريض على الكراهية الدينية، باعتباره تهديداً لحرية التعبير. وقال:

الحق في الإساءة أهم من الحق في عدم الإساءة. يجب حماية حرية التعبير للفنانين، ولا ينبغي لنا أن نقبل بفرض حظر على السخرية من الدين والزعماء الدينيين.

هناك فرق واضح بين سلوك المحرضين العنصريين الذين يمكن محاكمتهم بموجب القوانين القائمة، وأنشطة الساخرين والكتاب الذين قد يختارون الكوميديا أو انتقاد المعتقدات أو الممارسات أو الزعماء الدينيين كما يفعلون مع السياسة.

"إنه أحد الأسباب التي تجعلنا نتمتع بحرية التعبير."

في الواقع، هذا صحيح، ولكن بالطريقة التي تسير بها الأمور على جانبي المحيط الأطلسي، فقد لا نتمتع بحرية التعبير لفترة أطول من ذلك بكثير. وباعتبارنا لوسيفريين طموحين، يتعين علينا أن نراقب التآكل التدريجي لجميع حقوقنا وحرياتنا التي اكتسبناها بشق الأنفس. استخدم حرية التعبير ما دامت قائمة للتأكد من أنها ستستمر. ولكن لا يكفي أن نعود إلى استحضار "الديمقراطية" الغامضة والمراوغة التي يسعى الغرب جاهداً إلى فرضها على الآخرين. يتعين علينا أولاً أن نرى مدى نجاح هذه الفكرة في الممارسة العملية في بلاد أم البرلمانات وبلاد الأحرار. تحدث أيها اللوسيفريون، وإلا فقد يتم حرمانك قريبًا من أي نوع من الأصوات على الإطلاق.

النور قيد العمل

لوسيفر هو إله التقدم والاستقصاء الفكري، وليس فقط الإلهام الإلهي وراء التنوير الروحي للغنوصي والهرطوقي ومحبي الله في جميع أشكاله: لقد كان من خلال روح لوسيفر أن نزلت البشرية لأول مرة من الأشجار ومثلت تدفق التقدم منذ ذلك الحين. ولكن لوسيفر قد يكون أكثر من مجرد استعارة للتمرد والتنوير والتقدم - حيث أن الضوء الإبداعي والدافع الخالص الذي يحمله قد يكون في الواقع مفتاح الحياة نفسها ...

على مدى السنوات الخمس عشرة الماضية، توصل العلماء، معظمهم في أوروبا وآسيا، إلى اكتشاف كبير. يحتوي الحمض النووي الموجود داخل نوى جميع خلايا الكائنات الحية على فوتونات حيوية أو انبعاثات بروتونية ضعيفة للغاية - بمعنى آخر، الضوء. ورغم أنه غير مرئي للعين المجردة، إلا أنه من الممكن اكتشافه باستخدام معدات جديدة طورها علماء ألمان.

وكما يقول الكاتب العلمي الألماني ماركو بيشوف في كتابه الرائد "الفوتونات الحيوية - الضوء في خلايانا" (1995): "إن شبكة ديناميكية من الضوء يتم إطلاقها وامتصاصها باستمرار بواسطة الحمض النووي قد تربط الخلايا والأنسجة والأعضاء وتعمل كشبكة الاتصال الرئيسية للكائن الحي والمثال التنظيمي الرئيسي لجميع العمليات الحيوية". ويشير إلى أن "مجال الفوتون الحيوي الهولوغرافي للدماغ والجهاز العصبي، وربما حتى للكائن الحي بأكمله، قد يكون أيضًا أساس الذاكرة وظواهر الوعي الأخرى". 4

ومما يثير الدهشة بالنسبة لنا نحن اللوسيفريين الذين نرفض التمييز بين العلوم "الجيدة" و

"السيئة" ــ بين التحقيق الصادق والبحوث الممولة جيداً والتي، على الرغم من أنها تتظاهر بالولاء لأعنف نظريات الفيزياء الكمومية، تسخر من البحوث في إمكانيات استمرار الوعي بعد الموت ــ أن الفوتونات الحيوية تمتلك تأثيرات حتى على ما هو غير تقليدي. يكتب بيشوف أن "برانا" في فسيولوجيا اليوغا الهندية قد تكون قوة طاقة تنظيمية مماثلة لها أساس في مجال حيوي كهرومغناطيسي ضعيف ومتماسك.

لوسيفر يتحرك، بداخلك وداخلي، ويتحدث بين خلية وخلية، ويثير مجموعات قوة الحياة، ويحافظ علينا على قيد الحياة ورائعين. كل رجل وامرأة هو نجم - والآن نعلم أن لدينا ضوء تينكربيل الداخلي الخاص بنا.

ولكن بالنسبة لأولئك الذين يصرون على الخلط بين لوسيفر والشيطان ثم الانغماس في عبادة الشيطان خلف ستائر الدانتيل في الضواحي، فهذه كلمة تحذير. نحن الآن ندخل عالم "الاحتمالات القصوى".

فقط تخيل

في مقالته عن البحار المتحول إلى الشيطان كريس كرانمر (انظر الصفحة 242)،6 حذر كولن ويلسون - الذي لا يوجد فيه أي شيء متشدد أو متزمت - من المخاطر الحقيقية للشيطانية. ويستشهد بقضية المصور الصحفي الشهير سيرجي كورديف وزوجته اللذين انخرطا في عام 1959 في دائرة شيطانية في بيرنهام أون كراوتش، إسيكس. بعد خضوعهم لحفل التأهيل الملون المعتاد، والذي اكتمل بتوقيع ميثاق بدمائهم، بدا أن كل شيء يسير على ما يرام بالنسبة لهم، سواء من الناحية المالية أو المهنية. لكنهم بعد ذلك أجبروا على أن يشهدوا اغتصاب فتاة - كانت تُعاقب بسبب خيانتها لأسرار المجموعة - في القداس الأسود، حيث كان على جميع الشيطانيين أن يشربوا دم ديك، تم التضحية به خصيصًا لهذا الغرض. بعد أن شعر آل كورديف بالصدمة والندم الشديد على تورطهم، اكتشفوا لاحقًا أن الرجل الذي أخبرته الفتاة بأسرارهم سقط ميتًا بسبب نوبة قلبية في نفس الوقت الذي كان يتم فيه أداء القداس الأسود. عندما غادروا المجموعة تغير حظهم إلى الأسوأ. كان كورديف على وشك الإفلاس وأصيبت زوجته بانهيار عصبي. وفي إحدى الليالي تعرض مرسمه لهجوم قوي غامض، على الرغم من أن أحداً لم يقتحم المكان. ويبدو أنهم كان لديهم أيضًا روح شريرة يتعين عليهم التعامل معها.

وربما تكون قصة كولن ويلسون التحذيرية الأخرى أكثر إثارة. ويستشهد بأبحاث المؤلف جون كورنويل في الخير والشر، والتي وجد خلالها معلمًا تم إدخاله إلى زنزانة شيطانية، والذي قيل له في بداية انضمامه "أن يتوسل إلى الشيطان ليمسه، وعند هذه النقطة قال له معلمه: "إذا كنت تريد رؤية الشيطان، انظر هناك ".

"نظر الرجل حوله فرأى غرابًا بحجم الإنسان، وأجنحته مغطاة بالوحل. ثم فتح منقاره، فخرجت منه الأعضاء التناسلية الذكرية الملطخة بالدماء. انهار الرجل من الرعب.

"حتى مع مساعدة الكاهن، استغرق الأمر وقتًا طويلاً قبل أن يستعيد الرجل عقله."7

إنها قصة مرعبة حقا، ولكن على الرغم من أن المرء يشعر بالأسف لتجربة الضحية المروعة، فهل لم يخطر بباله قط أن التطوع للانضمام إلى مجموعة شيطانية قد يؤدي إلى مثل هذا اللقاء مع مخلوق من الحفرة، إن لم يكن نيك نفسه؟ ما الذي توقعه بحق الجحيم ؟ حتى الشيطانية في الضواحي يمكن أن تثير أحيانًا بعض المفاجآت غير المرغوب فيها - وستكون مروضة جدًا إذا لم يحدث هذا.

سواء كان هذا مجرد تنويم مغناطيسي شيطاني ذكي أو كان في الحقيقة مخلوقًا من الهاوية، فهذا لا يهم. فقد وقع الضرر. في الواقع، ربما لم يكن هذا هلوسة ولا الشيء الحقيقي، بل كان كيانًا غريبًا من الحدود الأخيرة - الفضاء الداخلي.

لقد عرف علماء الباطنية والصوفية منذ فترة طويلة أن الكائنات المرئية التي تسمى تولبا يمكن أن يتم إنشاؤها بالفعل بواسطة العقل البشري إذا ركز الشخص لفترة طويلة وبقوة كافية. من المفيد أن يتم تدريبك بشكل خاص وأن تكون مستعدًا ذهنيًا، وإلا فقد يؤدي ذلك إلى الجنون.

من بين قصص التولبا الكلاسيكية قصة الرحالة السيدة ألكسندر ديفيد نيل في أوائل القرن العشرين. وبعد أن طورت شغفها بالفن البوذي، زارها في منزلها التبتي المؤقت رسام محلي متخصص في رسم "الآلهة الغاضبة". لقد شعرت بالذهول عندما شهدت شكلًا ضبابيًا خلفه لأحد هذه الكيانات المرعبة، خاصة عندما مدت ذراعها وشعرت وكأنها "تلمس شيئًا ناعمًا انهار جوهره تحت الدفعة الطفيفة". واعترف الفنان بأنه كان يمارس طقوسًا لاستحضار الإله الذي رأت ملامحه للتو.

وقد أثار هذا الأمر إعجاب السيدة ديفيد نيل، فقررت أن تصنع تولبا خاصًا بها - وهو راهب سمين ومرح. وبما أنها لم تكن شيئًا إلا أنها كانت شاملة، فقد دخلت في اعتكاف لمدة بضعة أشهر لتركيز عقلها على هذا التمرين في "الاحتمالات القصوى"، وبعد مرور بعض الوقت بدأت في الحصول على ومضات قصيرة من زاوية عينها على شكل يشبه الراهب. مر الوقت وركزت أكثر، وتدريجيًا أصبح راهبها أكثر واقعية وصلابة. لكن بعد ذلك تحول من كونه الكائن السمين والمرح الذي كانت تهدف إلى خلقه، إلى شخصية أكثر رشاقة، "مزعجة وجريئة". ولكن لمنع كل الإيحاءات بأن العزلة والهوس قد أثرا على عقل السيدة ديفيد نيل وأنها كانت تعاني من الهلوسة فقط، فقد حدث تقدم غير متوقع عندما توقف أحد الرعاة المحليين - وخلط بين راهبها ورجل حقيقي. الآن أصبح شريرًا للغاية، وكان لا بد من الرحيل، لكن عملية

"انهياره" استغرقت ستة أشهر من الجهود المركزة. لو أنها تركته يتصرف كما يشاء، ويكتسب القوة والصلابة، فمن يدري ماذا كان يمكن أن يفعل؟

على مر القرون، سعى رجال ونساء شجعان وعلماء إلى استحضار كائنات متنوعة، من الملائكة إلى الشياطين، ونجح كثيرون منهم في استحضار شيء ما، مع أنهم غالبًا ما تمنوا لو لم يفعلوا. وسواء أتى هذا الكيان من عقولهم كهلوسة من أنفسهم، مثل التولبا أو شكل فكري، أو أتى بالفعل من بُعد آخر، فهذا لا يهم. إن الاستحضار هو مسؤولية هائلة، ليس فقط لصحتك وراحة بالك، ولكن أيضًا لمن حولك، ربما لسنوات.

باعتبارك لوسيفريًا، فسوف تفعل ما تريد (لأنه القانون بأكمله، الحب تحت القانون، الحب تحت الإرادة)، ولكن نصيحتي هي إذا كنت تعمل مع المجهول فلا تتدخل في الأمور الخفية. افعل ذلك بشكل صحيح! اقرأ كل ما تستطيع، ليس فقط عن السحر ولكن أيضًا عن قوى العقل، واستعد عقليًا وجسديًا، وقم بتشكيل فريق دعم في حالة حدوث مشاكل. والأهم من ذلك كله، لا تفقد أبدًا حس الفكاهة لديك: فهو حمايتك

الأعظم من كل أنواع الرعب من كل أنواع المصادر. التصرف مثل طفل ذكي: منفتح على احتمالات الظواهر ولكن على استعداد لإيقاف التجربة إذا فشلت. في اللحظة التي تحدث فيها مشكلة، قم بتشغيل الضوء، واذهب إلى الحانة، وشاهد برنامجًا مضحكًا، واضحك. أو، وهذه هي أفضل نصيحة على الإطلاق، انسي الأمر برمته واذهب إلى الحانة واستمتع بالضحك على أي حال. ليس لديك حاجة لاستحضار أي شيء.

يمكن النظر إلى اللوسيفرانية والوثنية واللذة والإلحاد باعتبارها استمرارًا لعصر التنوير، وتمردًا ضد قرون من القمع الكنسي والأكاذيب الصريحة ورغبة حقيقية في وضع قدم في عالم جديد شجاع. وكما هو الحال مع كل المساعي الجديدة والجريئة، فلا بد أن تكون هناك مخاطر وطرق مسدودة، وبمجرد إزالة اليقينيات القديمة وشلل الإيمان الأعمى، ستتاح فرص لارتكاب أخطاء جسيمة وحتى جرائم. لكن في بحثهم عن مساراتهم الخاصة نحو النور، فإن هؤلاء الباحثين لا يربطون أنفسهم بالشر.

ومع ذلك، فإن الشيطانية بحد ذاتها خطيرة لأنها تسبب اختلال التوازن في النفس، وتركز العقل على مواضيع وصور لا توجد عادة إلا في الأعمال الأكثر تنوعا التي قام بها هيرونيموس بوش. وبطبيعة الحال، هناك أنشطة أخرى تؤدي إلى اختلال توازن النفس: أي شيء نركز عليه مع استبعاد كل شيء آخر يسبب نفس شدة الرؤية الضيقة، سواء كان ذلك اللعب القهري بألعاب الكمبيوتر أو دراسة الطب أو اللاهوت بشكل قهري. المفتاح هو القهر والإدمان. يعلم الجميع أن المواد الكيميائية مثل الكحول أو الكوكايين تدمر العقل والجسد والروح، ولكن العقل نفسه يمكن أن يصبح مدمنًا على التأثيرات السلبية، كما هو الحال في المقامرة أو التسوق أو المواد الإباحية. ولكن الشيطانية تدعو بشكل نشط إلى عالم من الكوابيس الحقيقية التي لا نهاية لها. إن التركيز على عبادة الشر يؤدي حتماً إلى خلق عقل قادر على القيام بما يرفضه معظمنا - الناس العاديين غير المتدينين - تلقائياً ليس فقط باعتباره تجسيداً للأنشطة غير الأخلاقية والمعادية للمجتمع، بل أيضاً باعتباره أمراً مقززاً وغير جذاب إلى حد كبير.

على الرغم من أنه من الشائع الاستمتاع بإثارة طفيفة عند التجول في العروض الجانبية الأكثر قتامة لمعارض الشمع، على سبيل المثال، أو الوقوف مذهولاً في حادث مروري أو مشاهدة فيلم مزعج عن جاك السفاح، إلا أن هناك عادة حدودًا لارتباطنا الطوعي بالرعب. وبمجرد أن نستسلم لاندفاع من التطهير، نعود إلى الأمور الدنيوية والمضحكة، ونستعيد نوعاً من التوازن الإنساني ونعيد تنشيط ضمائرنا ــ وهو النظام الفطري من الضوابط والتوازنات الذي لا يتطلب أي دين أو عقيدة سياسية لتنظيم تجاوزاتنا المحتملة وإخماد الحماسة الجامحة لشياطيننا الداخلية. لكن الشيطانيين الحقيقيين غير متوازنين بشكل أساسي بسبب اختيارهم، حيث قاموا طواعية بإيقاف ضمائرهم: في الواقع، لخدمة ربهم وسيدهم، غالبًا ما يجدون أنفسهم مجبرين على قتل الأبرياء بدم بارد.

في يناير 2005، نشرت وسائل الإعلام البريطانية قصة لوك ميتشل دالكيث البالغ من العمر 16 عاماً في اسكتلندا، والذي أدى حماسه لـ"نجم المسيح الدجال" مارلين مانسون والشيطانية - حيث غطى دفاتر التمارين المدرسية بعبارات مثل "سيد الشيطان يقودنا إلى الجحيم" - إلى قتل صديقته البالغة من العمر 14 عاماً جودي جونز. ومن بين المعجبين الآخرين بمانسون ديلان كليبولد وإريك هاريس اللذين قتلا 25 من زملائهم في مدرسة كولومبين الثانوية في ليتلتون بولاية كولورادو عام 1999 .10

إن الشيطانية خطيرة لأنها تعزز الاعتقاد بالشر الشخصي، في الشيطان الحقيقي والمتواجد في كل مكان. ولكن هذا هو أيضا أحد الأسباب الرئيسية التي تجعل الدين، وخاصة الأصولية، خطيرا أيضا، مع إدمان مماثل لقوة الشر، والتي يجب أن نكون على حذر منها في كل ثانية من اليوم. إن هذا الاعتقاد المركّز في الشيطان - سواء من قِبَل شيطاني أو مسيحي أصولي - قد يجعله، كاحتمال متطرف، بمثابة نوع من

الشكل الفكري التولبوي، مهما كان ذلك لفترة وجيزة. أو إذا كان هناك بالفعل مثل هذا الكائن الموضوعي، فإن الإيمان نفسه قد يستدعيه، لأنه ألا يتغذى على الخوف؟ والخوف هو المفتاح . وبلا حدود يمكن أن يحول أي واحد منا إلى وحش.

إن بعض الخوف مفيد: إن اندفاع الأدرينالين الناتج عن الخوف والإثارة جعل أسلافنا ذوي الشعر الكثيف يخرجون من الأشجار إلى السهول المفتوحة ويلتقون بمخلوقات أكبر وأكثر شعراً، وينتهي الأمر بأكل أحدهم للآخر. هذا هو الخوف الوسيفري - الذي يفتح الباب أمام التقدم، الذي يستنشق الكوارث القادمة في الهواء، ويبني الحصون، ويخزن الطعام واللقاحات، ويؤمن الأرشيفات، ويبني المتاحف قبل أن يسقط تراثنا في أيدي الفلسطينيين... ولكن هناك خوف آخر أكثر قتامة، ينمو في الليل ويطغى على كل الفكاهة، والتمييز، والعقلانية، وكل الأشياء النورانية. وكما ذكرت لوسي هيوز هاليت في مراجعتها لكتاب جوانا بورك "الخوف: تاريخ ثقافي" في صحيفة صنداي تايمز:

إنها تميز بين القلق (الذي عادة ما يكون متجذرًا في الشعور بالذنب) والخوف (الذي له هدف يمكن تحديده) وتوضح كيف يمكن تحويل أحدهما إلى الآخر من خلال تحديد كبش فداء.

إن إلقاء اللوم على الآخرين يربط بشكل قاتم بين المحرقة اليهودية ومحرقة الساحرات الكبرى - في الواقع، كان لدى معاداة السامية ومعاداة الساحرات/النساء دائمًا الكثير من القواسم المشتركة، بدءًا من اتهام كليهما بكونهما قاتلي أطفال وأكلين لحوم البشر دون خجل إلى كونهما متحالفين مع الشيطان. إن الخوف من الفوضى هو الذي يدفع الناس العقلانيين والشرفاء إلى شيطنة غيرهم من العقلانيين والشرفاء. في جنونهم الجامح، اختار النازيون اليهود ككبش فداء للتكفير عن صعود البلشفية والحرمان الاقتصادي الشديد الذي عانت منه ألمانيا بعد عام 1918، في حين نشأت هستيريا "الساحرات" في الواقع بعد موجة من معاداة السامية في أوروبا في العصور الوسطى ــ ككبش فداء من الخيار الثاني، اصطفوا للتكفير عن الظروف الجوية المعادية والمجاعة والموت الأسود. لا يمكن إلقاء اللوم على الله - على الرغم من أن هيوز هاليت يواصل ملاحظته: "... يبدو أن العديد من الناس يجدون أنه من الأسهل قبول الكارثة التي يسببها إله انتقامي من التعامل مع قطعة من سوء الحظ العشوائي" - لذلك لابد أنه سمح للشيطان أن يرتكب أسوأ ما لديه، كاختبار لمعرفة ما إذا كان الصالحون قادرين على التخلص من رسله بكل الوحشية المتاحة لهم ...

وكما رأينا، فإن محرقة الساحرات يجب أن تكون بمثابة تحذير دائم ضد تعزيز الخرافات والإيمان بالشياطين. كما يقول المثل القديم: "تحدث عن الشيطان وسوف يظهر". إذا آمنت بالشيطان بشدة، فإنه سيظهر لك، ربما في صورة جارك البريء الذي تعيش معه، والذي تعتقد بعد ذلك أنه من واجبك أن تعتقله وتعذبه وتحرقه. إذا كنت تعتقد أن تلك الأيام قد ولت، فكر مرة أخرى.

ولكن مجرد السخرية من محاكمات الساحرات القديمة ــ الضحك على المواقف السخيفة وغير المتعلمة التي تبناها كرامر وسبرنجر وهمهمات المتهمين المخرفين ــ قد يكون في حد ذاته أمراً خطيراً، باعتباره شكلاً من أشكال الإنكار العصبي الذي يشير إلى مخاوف نصف مدفونة يمكن أن تنفجر بسهولة كتجسيد جديد لمهاجمة الساحرات وحرقهن. كما تقول إيريكا جونج في نهاية كتابها الاستثنائي "الساحرات" (1981):

عندما نضحك على شخصية الساحرة، عندما نضحك على أسلافنا الذين آمنوا بشرها، عندما نضحك على أولئك الذين يحذروننا من الأخلاق القاتمة لمطاردات الساحرات، فإننا نقرب حصارًا جديدًا لمطاردات الساحرات أكثر فأكثر.

في عربتها المترنحة، معصوبة العينين، ومكممة الفم، ومقيدة، في طريقها إلى غرفة التعذيب، المشنقة، والوتد، تحاول الساحرة أن تخبرنا بشيء ما. إنها تحاول تحذيرنا. اسمعها. ربما تكون أنت - في المرة القادمة.13

في داخل كل منا تكمن مجموعة من الشياطين، والتي من أجل صحتنا ورفاهية المجتمع يجب السيطرة عليها وحرمانها من أي قوة أو إمكانية للنمو. لا نحتاج إلى طردهم باسم يسوع المسيح أو أي إله آخر أو رجل دين أو معلم روحي أو زعيم سياسي، لكننا نحتاج إلى تطبيق الحس السليم والضمير قبل أن تخرج الشياطين من الحقيبة وتسبب الفوضى.

العلامات موجودة في كل مكان حولنا. إن البريطانيين العاديين المحترمين يشعرون بأنهم محقين في البصق على النساء المسلمات المحجبات؛ وقد تم تصوير الجنود الأميركيين والبريطانيين من كلا الجنسين ومن جميع الأحجام وهم يعذبون السجناء العراقيين، وهم يبتسمون ابتسامة عريضة؛ كما تم حظر البرامج التلفزيونية والمسرحيات لأنها تهدد المعتقدات التي نتشبث بها بشكل عصابي وكأن حياتنا تعتمد عليها، على الرغم من أننا سوف نشعر بالرعب إذا اكتشفنا أنها لا تفعل ذلك... بعبارة أخرى، نشعر بأننا محقون في التحول إلى ديكتاتوريين فاشيين كاملين لأننا نحن وهم هم - الله يحمينا! - لا يجوز أن يلتقيا أبدًا إلا في محكمة المحققين.

هم و نحن. نحن وهم. النازيون واليهود. الجيش الأحمر والمثقفين. السحرة والمسيحيين. اليهود والعرب. المفكرون الأحرار وأي نوع من الأصوليين، وهكذا تستمر سلسلة من الإرهاب تنتج المزيد من الإرهاب ... نحن دائما على حق وهم دائما على خطأ. نحن لدينا الله إلى جانبنا، وهم من نسل الشيطان - وحتى الجدال ضدنا، أو لصالحهم، هو دليل على علاقتهم الحميمة به.

إن الشيطان مفيد للغاية لأنه يثبت وجود الله، ويمكنه أن يتحمل كل اللوم عن إخفاقات الله في تنظيم وتخفيف وجودنا اليومي الصعب. اخلق الشيطان على صورتنا وسوف يساعدنا بخلق الجحيم على الأرض.

ولكن إذا نظرنا إلى الأمر من خلال منظور التاريخ القاتم، فمن المؤكد أن الله فشل إلى حد كبير، وخاصة في ضوء قدرته المطلقة المزعومة. في حين أن أتباع الشيطان ينجحون في تنفيذ أوصاف وظائفهم - فهم لا يطيعون سوى الأوامر، بعد كل شيء - من خلال نشر الرعب والمعاناة والموت في جميع أنحاء العالم، فماذا حقق الله؟ صحيح أن الإيمان والشعور الجذاب بالانتماء يمنحان إحساساً بالسلام الداخلي للأفراد، ويعززان صحتهم الجسدية والعاطفية، ولكن الإشراق الشخصي والهالة من الغطرسة والحكم على الآخرين لم يفعلا الكثير للبشرية ككل. نحن نعلم أين يقع جحيم الشيطان الأرضي - فقط انظر حولك - ولكن أين تقع جنة الله على الأرض؟ وحتى، أو ربما بشكل خاص، المدن "المقدسة"، موطن أتباع الرب الذين نصبوا أنفسهم، تفوح منها رائحة الفساد والنفاق والموت المستمر للروح الذي يتسرب سرطانيًا إلى جميع أنحاء العالم. أين الجنة الحديثة؟ واشنطن العاصمة؟ سولت ليك سيتي؟ مدينة الفاتيكان؟ القدس؟ أم أنها ربما في عدن القديمة والعراق الحديث؟

إذا كان للألفية أن تعلمنا أي شيء، فهو أننا لا نستطيع الاعتماد إلا على أنفسنا وعلى بعضنا البعض للمساعدة والدعم والحب والتسامح والمساعدة العملية مثل الطب والنظافة - على الرغم من أن هذه المعجزات البشرية تشمل بالطبع القوى الخفية التي بالكاد يمكن فهمها للعقل، والتي تتجلى أحيانًا في شكل قدرات خارقة للطبيعة على ما يبدو. من الخطورة أن يستثمر الإنسان نفسه بالكامل إما في الله أو في الشيطان، لأنه في الواقع لا يوجد فرق كبير بينهما، حيث أن كل منهما يدعم الآخر ويولد كل منهما

الآخر بلا نهاية. أين سيكون الله إذا لم يكن هناك شيطان ليخاف منه عباده؟ أين يكون الشيطان بدون عباد الله الذين يخافون منه إلى هذا الحد؟ وكما هي الحال بالنسبة لعلاقة الإنسانية مع إله الديانات الأبوية الحديثة، فإن علاقة الله مع الشيطان هي علاقة تكافلية، حيث يؤمن كل منهما بأن الآخر هو الذي يبقي نفسه على قيد الحياة.

إذا أراد أحد أو احتاج إلى إله، فهناك دائمًا نور الإنسانية الساطع، ومفتاح الحياة والتقدم - لوسيفر. والآن أصبح هناك إله يستحق الاختراع بكل القوة المتفجرة التي تتمتع بها مخيلتنا الجماعية. ولكن من المؤكد أن هذا أو ذاك موجود بالفعل، يجلس بهدوء، ينفجر بنور مبدع ومضيء في كل خلية من خلايا أجسادنا، منتظرًا في قلب كياننا أن يتم استدعاؤه ليجعلنا آلهة، ولكن ربما يكون سعيدًا بنفس القدر بالنفي بمجرد أن نصبح آلهة - طالما نتذكر أننا خلقنا لوسيفر في المقام الأول ...

الملاحظات والمراجع

مقدمة

1. إليفاس ليفي، أسرار السحر، باريس، 1861، ص. 428.

الفصل الأول سيتن: تاريخ غير طبيعي

1. البروفيسور كارل دبليو لوكرت، النور المصري والنار العبرية، نيويورك، 199 1، ص. 47.

2. لين بيكنيت وكلايف برينس، مؤامرة بوابة النجوم: الكشف عن الحقيقة وراء الاتصال من خارج الأرض، الاستخبارات العسكرية وأسرار مصر القديمة، لندن، 1999، ص. 9.

3. باربرا ج. ووكر، موسوعة المرأة للأساطير والأسرار، نيويورك، 1983، ص. 9.

4. أليستر إي. ماكجراث، تاريخ موجز للجنة، مايدن، ماساتشوستس، الولايات المتحدة الأمريكية، 2003، ص 43.

5. المرجع نفسه.

6. انظر لين بيكنيت، مريم المجدلية: إلهة المسيحية الخفية، لندن، 2003، وأيضا لين بيكنيت وكلايف برينس، كشف فرسان الهيكل: الحراس السريون للهوية الحقيقية للمسيح، لندن، 1997.

7. إشعياء 51 :3. سيتم أخذ معظم الاقتباسات الكتابية من النسخة الدولية الجديدة (1973).

8. حزقائيل 28: 13.

9. 1844.

10. "الرجل" سيُستخدم كمرادفٍ لـ "الإنسان"، وبالتالي يشمل "المرأة". لا توجد إهانة على الإطلاق لأي من الجنسين.

11. لوقا 23 :43.

12. أغنية الأغاني 1 :16.

13. المرجع نفسه. 4 :12.

14. المرجع نفسه. 4 :15.

15. ماكغراث، ص. 46.

16. تكوين 3 :1

17. تكوين 3 :4-5.

18. المرجع نفسه. 3: 6-7.

19. المرجع نفسه. 3 :11.

20. سفر التكوين 3: 14-15.

21. أليستر كراولي، كتاب تحوت، لندن، 1944، ص. 86.

22. المرجع نفسه، الصفحة 100.

23. المرجع نفسه، ص 96.

24. من بين أمور أخرى، كمادة خام لعدد لا يحصى من السلع الفاخرة مثل حقائب اليد.

25. تكوين 3: 16

26. مارلين يالوم، تاريخ الزوجة، نيويورك، 2001، ص. 15.

27. سفر التكوين 3 :13.

28. جون ميلتون، الجنة المفقودة، 1667، التاسع، 171-2.

29. جان ماركال، مونتسيغور وسر الكاثار، مترجم. جون غراهام، باريس، 1986، ص 115-16.

30. ميلتون، "الحجة"، الجنة المفقودة.

31. ووكر، ص. 384.

32. هومر سميث، الإنسان وآلهته، بوسطن، 1952، ص. 376.

33. ووكر، ص 384-5.

34. إشعياء 14 :12-15.

35. الأدب الآشوري والبابلي، ترجمات مختارة، 1901، ص 304.

36. ميلتون، 1 :144.

37. جان دوريس، كتاب إينوك، ترانس. تشارلز، لندن، 1984، مقتبس في توبياس تشورتون، الفلسفة الغنوصية، ليتشفيلد، ستافوردشاير، 2003، ص. 48.

38. على سبيل المثال، القديس جيروم.

39. رافائيل باتاي، الأسطورة والإنسان الحديث، 1972، ص. 147.

40. هـ. ر. هايز، في البدايات، 1963، ص 85.

41. السير إي. إيه. واليس بودج، التمائم والتعويذات، نيويورك، ١٩٦٨، ص ١٤٤.

42. ماركل، ص 210.

43. رؤيا يوحنا 12: 7-9.

44. المرجع نفسه. 12 :4.

45. تكوين 6: 1-2. لقد أدى هذا التلميح الغامض إلى ظهور بعض النظريات الأكثر غرابة حول رجال الفضاء الإلهيين الذين يستعمرون الأرض عن طريق التزاوج مع النساء الأصليات.

46. 1 كورنثوس 11 :10.

47. حياة آدم وحواء، 14 :3.

48. إلين باجلز، أصل الشيطان، نيويورك، 1995، ص 49.

49. المرجع نفسه.

50. ماركل، ص 117.

51. انظر المرجع نفسه، ص 19.

52. جيفري بيرتون راسل، الشيطان: التقليد المسيحي المبكر، نيو هافن، 1981، ص 86.

53. لوقا 10: 18.

54. انظر راسل، ص 129.

55. جاك ليندسي، أصول علم التنجيم، نيويورك، 1971، ص 94.

56. راسل، ص 27.

57. المرجع نفسه، ص 28.

58. جوشوا تراختنبرج، الشيطان واليهود، نيو هافن، 1943، ص 103.

59. انظر أليستر إي. ماكجراث، تاريخ موجز للجنة، مالدين، م، الولايات المتحدة الأمريكية، 2003، ص 76

60. رومية 5: 11.

61. ووكر، ص 75.

62. 1 كورنثوس 15: 57.

63. ماكجراث، ص 79.

64. يشير ووكر إلى كتاب ج. ج. كولتون، محاكم التفتيش والحرية، بوسطن، 1959، ص 19.

65. ووكر، ص 76.

66. يعتقد كثير من الناس أن السلف كان طائفة الأسينيين، وهي الطائفة اليهودية المتطرفة التي وجدت بشكل رئيسي في قمران في يهودا. في الواقع، لا يوجد دليل قاطع على أن يوحنا المعمدان أو يسوع كانا منتمين إلى الأسينيين. في الواقع، بعض جوانب حياتهم كانت تمنعهم من إقامة رابط حميم معهم. ونحن نعلم من مصادر أخرى - مثل أتباع يوحنا المعمدان، والمندائيين في العراق الحديث - أن المعمدان كان رجلاً متزوجاً ولديه أطفال، في حين أن الإسينيين كانوا يعارضون الزواج من امرأة. كان أسلوب حياة يسوع نفسه ليصدم الأسينيين، فحتى غير الأسينيين في عصره ومكانه كانوا مرعوبين من ميله إلى مخالطة الخطاة والعشارين وجباة الضرائب - كلهم يعتبرون

"نجس" ومُلوثين من قبل الطائفة.

67. راسل، ص 86.

68. هذا التفسير الغريب، إن لم يكن يائسًا، قدمه لي في الواقع قس أنجليكاني في بريستول في أوائل التسعينيات. قال إنه تعلم عن دورات حياة الآلهة الأخرى في الكلية اللاهوتية، لكنه رفضها باعتبارها

"غير مهم".

69. إغناطيوس، رسالة إلى أهل ترالي، 4: 2.

70. راسل، ص 37.

71. جان دانييلو، أصول المسيحية اللاتينية، لندن، 1977، ص 69.

72. مقتبس من راسل، ص 42.

73. روبرت م. جرانت، الغنوصية: كتاب مصدري للكتابات الهرطقية من العصر المسيحي المبكر، نيويورك، 1962، ص 15.

74. روبرت ماكل. ويلسون، المشكلة الغنوصية، لندن، 1958، ص 191.

75. ميلتون، 1: 145-8.

76. المرجع نفسه.

77. راسل، ص 122.

78. انظر مدخل الموسوعة الكاثوليكية لموضوع "المعمودية".

79. ووكر، ص 818.

80. المرجع نفسه.

81. المرجع نفسه.

82. إديث هاميلتون، الأساطير، بوسطن، 1940، ص 70. مقتبس في ووكر، ص 818.

83. سفر لاويين 4: 31.

84. ووكر، ص 818.

85. جان ماركال، مونتسيغور وسر الكاثار، ص 137.

86. ميلتون، 1: 258-9.

87. المرجع نفسه، 1: 263.

88. ترتليان، ضد مرقيون، 2.10.

89. جيفري بيرتون راسل، لوسيفر: الشيطان في العصور الوسطى، نيويورك، 1984، ص 54.

90. على سبيل المثال، انظر توبياس تشورتون، الفلسفة الغنوصية، ليتشفيلد، 2003، ص 331.

91. ر. أو. فوكنر، كتاب الموتى المصري القديم، التعويذة 149، ص 144.

92. ووكر، ص 910.

93. رولو أحمد، الفن الأسود، لندن، 1936، ص 34.

94. بلوتارخ، إيزيس وأوزوريس، الحادي والعشرون والسادس والعشرون.

95. تكوين 3: 8.

96. لوكيرت، ص 130.

97. كتاب الموتى، 307: 544-5.

98. لوقا 10: 18.

99. لا يوجد مقدمة أفضل لهذه الأناجيل من كتاب إيلين باجيلز "الأناجيل الغنوصية"، لندن 1982. انظر أيضًا بيكنيت، الفصل الرابع.

100. فيرنر فورستر، الغنوصية: مجموعة مختارة من النصوص الغنوصية، أكسفورد، مجلدان، 1972-1974. إنجيل فيليب 2: 79.

101. راسل، ص 58.

102. رؤيا يوحنا 12: 7-9.

103. المرجع نفسه.

الفصل الثاني: الشيطان وأعماله

1. جان ماركال، مونتسيغور وسر الكاثار، ص 196.

2. جيفري بيرتون راسل، الشيطان: التقليد المسيحي المبكر، نيويورك، 1981.

ص 96.

3. جيفري بيرتون راسل، لوسيفر: الشيطان في العصور الوسطى، نيويورك، 1984، ص 76.

4. باربرا ج. ووكر، موسوعة المرأة للأساطير والأسرار، نيويورك، 1983، ص 542.

5. روسيل هوب روبنز، موسوعة السحر وعلم الشياطين، نيويورك، 1959، ص 127.

6. ووكر، ص 960.

7. أ. ت. مان وجين لايل، الجنسانية المقدسة، شافتسبري، 1995، ص 137.

8. روبينز، ص 127.

9. جيفري بيرتون راسل، السحر في العصور الوسطى، نيويورك، 1972، ص 75.

10. روبينز، ص 127.

11. ووكر، ص 433.

12. ويليام ج. دنفر، عشيرة، زوجة يهوه؟ أدلة جديدة من كونتيلار "أرجوند"، نشرة المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية (BASOR)، المجلد 255 (1984)، ص 21-27.

13. انظر لين بيكنيت، مريم المجدلية: إلهة المسيحية الخفية، لندن، 2003، ص 152-153.

14. صالونون ريناخ، أورفيوس، نيويورك، 1930، ص 42.

15. المرجع نفسه. يقتبس ووكر من كتاب السير إي. إيه. واليس بادج، آلهة المصريين، نيويورك، مجلدان، 1969.

16. ويليام باول ألبرايت، يهوه وآلهة كنعان، نيويورك، 1968

ص 121 و 210.

17. ووكر، ص 66.

18. أندريه لومير، «من أو ما هو عشتاروت يهوه؟»، مجلة الآثار الكتابية، المجلد 10، العدد 6 (نوفمبر/ديسمبر 1984)، ص 42. ويستشهد باكتشاف نقش مكتوب عليه: "تبارك أورياهو من يهوه وشعبه".

"أشيرات".

19. يقتبس ووكر من موسوعة لاروس للأساطير، لندن، 1968. ص٧٤

20. ووكر، ص 66.

21. خروج 23: 19 - «لا تطبخوا جديا في لبن أمه».

22. رافائيل باتاي، الإلهة العبرية، ديترويت، 1990، ص 38.

23. ووكر، ص 66.

24. الملوك 14: 23.

25. رافائيل باتاي، الإلهة العبرية، ديترويت، 1990، ص 50.

26. 2 ملوك 21: 3.

27. 1 ملوك 11: 4-6.

28. ميلتون، 1: 435-45.

29. بيكنيت، ص 134-140.

30. ووكر، ص 552.

31. المرجع نفسه.

32. المرجع نفسه، ص 416.

33. المرجع نفسه.

34. جيرالدين ثورستن، الله ذاته: الجذور الأنثوية لعلم التنجيم، نيويورك، 1981، ص 336.

35. رولو أحمد، الفن الأسود، لندن، 1936، ص 44.

36. باتاي، ص 68.

37. المرجع نفسه، ص 96.

38. روبرت بريفولت، الأمهات، نيويورك، 1927، المجلد 2، ص 605.

39. جاكوبوس دي فوراجين، الأسطورة الذهبية، لندن، 1940، ص. 776.

40. هنريش كرامر وجيمس سبرينغر، مطرقة الساحرات، لندن، 1971، ص 66. نُشرت أصلاً في عام 1485.

41. أحمد، ص 118.

42. الأمثال 8: 1-11.

43. المرجع نفسه، 14 :33.

44. باتاي, 98 p.

45. كانت تينكربيل هي رفيقة بيتر بان الخيالية في مسرحية بيتر بان الكلاسيكية (1904) للكاتب ج. م. باري. سواء بوعي أو بغير وعي، تضمنت أعمال باري عددًا كبيرًا من الأفكار الغامضة. السحر - مثل القدرة على الطيران - يتوقف عندما يكبر الأطفال؛ الإيمان الشديد يجعل أي شيء يحدث، مثل إعادة تينكر بيل إلى الحياة؛ ويتأمل بيتر "يجب أن يكون الموت مغامرة كبيرة للغاية".

46. المرجع نفسه، ص 111.

47. ووكر، ص 237-238.

48. السير إي. إيه. واليس بودج، آلهة المصريين، مجلدان، نيويورك، 1968، المجلد الثاني، ص 126 و141.

49. س. أنجوس، الديانات الغامضة، لندن، 1968، ص 139.

50. ووكر، ص 749.

51. حزقيال 8: 14.

52. بريفولت، المجلد 3، ص 94.

53. آرثر إدوارد وايت، كتاب السحر الاحتفالي، نيويورك، 1977، ص 186-187.

54. جون ميلتون، الفردوس المفقود، 1:421.

55. ميلتون، 1: 421-78.

56. أليستر كراولي، كتاب تحوت، لندن، 1944، ص 105.

57. المرجع نفسه.

58. تم أخذ التعريف من القاموس العالمي، بوسطن، 1986.

59. السير جيمس فريزر، الغصن الذهبي، 1922، ص 717 و769.

60. روبينز، ص 512.

61. ووكر، ص 765.

62. نزهة في هانجنج روك (1975)، بطولة راشيل روبرتس وآنا لويز لامبرت، وإخراج بيتر وير.

63. ليو فينشي، بان: إله الطبيعة العظيم (لندن)، 1993، ص 16.

64. المرجع نفسه، ص 272.

65. إشعياء 13: 21.

66. المرجع نفسه، 34 :14.

67. سفر الاويين 17: 7، مقتبس في فينشي، ص 272.

68. مقتبس من فينشي، ص 14-16.

69. جيفري آش، العذراء، (لندن)، 1976، ص 145.

70. 1 كورنثوس 10: 19-21.

71. المرجع نفسه، 10 :22.

72. فينشي، ص 43، نقلاً عن مصادر قديمة.

73. ووكر، ص 58.

74. ليز غرين، حالم الكرمة، لندن، 1980، ص 31. سوف ينال هذا الكتاب إعجاب محبي رواية شيفرة دافنشي بشكل كبير.

75. مونتاغيو سامرز، تاريخ السحر، لندن، 1926، ص 91.

76. كرامر وسبرنجر، ص 24، مقتبس في ووكر، ص 432.

77. يوربيديس، ميديا، 1171-2، مقتبس في سومرز، ص 201.

78. سامرز، ص 202.

79. مقتبس في المرجع نفسه، ص 765-766.

80. «بيت الزمن والكنز الأدبي المدفون تحت الغبار» بقلم بيل مولاند، صحيفة الديلي ميل، 24 فبراير 2005.

81. باتريشيا ميريفيل، بان إله الماعز، كامبريدج، ماساتشوستس، 1969، ص 64.

82. المرجع نفسه، ص 488.

83. ووكر، ص 70.

84. المرجع نفسه، ص 1043.

85. جون هولاند سميث، قسطنطين الكبير، نيويورك، 1971، ص 287. مقتبس في ووكر، ص 1045.

86. أيضًا ماسا، الفينيقيون، جنيف 1977، ص 101. مقتبَسٌ في المرجع نفسه

87. المرجع نفسه، ص 1043.

88. السير إي. إيه. واليس بودج، آلهة المصريين، لندن، 1969، المجلد 1، ص 24.

89. الأدب الآشوري والبابلي، ترجمات مختارة، نيويورك، 1901 ص 4.

90. مايكل هـ. هاريس، تاريخ مكتبات العالم الغربي، لندن، طبعة منقحة، 1985، ص 30.

91. إليزابيث بيير وجون ويلكوك، المواقع السحرية والصوفية، نيويورك، 1977، ص 159. مقتبس في ووكر، ص 401.

92. جين ماكنتوش سنايدر، الرغبة المثلية في كلمات أغاني سافو، نيويورك، 1997، ص 8، مقتبس من مارلين يالوم، تاريخ الزوجة، نيويورك، 2001، ص 25.

93 ديفيد لانس جوينز، "الدليل الاستدلالي على الرؤية السابقة للتلسكوب لهلال الزهرة"، www.goines.net/Writing/venus.html.

الفصل الثالث: امرأة تُدعى لوسيفر

1. مايكل جوردان، ماري: السيرة الذاتية غير المصرح بها، لندن، 2001، ص 171.

2. توبياس تشورتون، الفلسفة الغنوصية، ليتشفيلد، ستافوردشاير، 2003، ص 88.

3. إيرينيئوس، ضد الهرطقات، I.XV.6. مقتبس في تشورتون، ص. 79، الحاشية 45. ويضيف: «قد تكون القصيدة من تأليف أستاذ إيرينيئوس، بوثينوس، الذي، وفقًا لإيرينيئوس، كان يتدرس على يد بوليكاربوس، الذي كان يعرف الرسول يوحنا».

4. المرجع نفسه، ص 89.

5. ومن المفهوم أن إيرينيئوس لم يكن من المفضلين لدى الغنوصيين. يشير أحد نصوصهم - سفر رؤيا بطرس - إلى الأساقفة الأرثوذكس باعتبارهم "قنوات جافة" يصدرون أوامر جامدة وعسكرية لكنهم لا يقدمون أي رعاية رعوية أو وحي صوفي.

6. يذكر تشورتون (ص 90): "لم يتصور إيرينيئوس المسيحية أبدًا كطائفة أو كدين بين الديانات الأخرى" - وهي حالة ذهنية شائعة إلى حد ما بين المسيحيين اليوم، حيث يعتبر وصف الشخص بأنه عضو في طائفة أمرًا مسيئًا بشكل خاص. حتى وصف الدين المبكر بأنه طائفة دينية يُنظر إليه باشمئزاز، على الرغم من دقته من الناحية الفنية.

7. إيرينيئوس، شعر متقدم. 1.13.3.

8. جان ماركال، مونتسيغور وسر الكاثار، ص 173.

9. بنيامين ووكر، الغنوصية: تاريخها وتأثيرها، ويلينغبورو، 1983، ص 119.

10. المرجع نفسه، ص 139-140.

11. المرجع نفسه، ص 140-41.

12. المرجع نفسه، ص 141.

13. مونتاغيو سامرز، تاريخ السحر، لندن، 1926، ص 22.

14. تشورتون، ص 88.

15. لين بيكنيت وكلايف برينس، كشف فرسان الهيكل: حراس سريون للهوية الحقيقية للمسيح، لندن، 1997، ص 318.

16. المرجع نفسه.

17. ووكر، ص 91.

18. إن تحديد هوية المجدلية مع مريم من بيت عنيا أمر مثير للجدل، ولكن بالنسبة لي فإن الأدلة مقنعة. انظر بيكنيت وبرينس، ص 63، 78، 139، 305-306، 331-337، 341-342، ولين بيكنيت، مريم المجدلية: إلهة المسيحية الخفية، لندن، 2003، ص 47-48، 50، 53-58، 60-2، 210.

19. يوحنا 11: 32.

20. المرجع نفسه، 11 :25.

21. ووكر، ص 91.

22. المرجع نفسه.

23. مرقس 14: 51.

24. المرجع نفسه، 14 :52.

25. ووكر، ص 91، نقلاً عن مورتون سميث، الإنجيل السري: اكتشاف وتفسير الإنجيل السري بحسب مرقس، نيويورك، 1974، ص 140.

26. المرجع نفسه.

27. سميث، ص 140.

28. مارلين يالوم، تاريخ الزوجة، نيويورك، 2001، ص 13.

29. أندرو ألكسندر، القسم الأخير من عموده بعنوان "هدية أمريكا الحقيقية للعالم - المورونوقراطية"، صحيفة ديلي ميل اللندنية، الجمعة 5 نوفمبر 2004.

30. المرجع نفسه.

31. مُهدى إلى "كل الذين عانوا على أيدي الكنيسة".

32. انظر بيكنيت، الجزء الثاني، الفصل السادس: "أسود، لكنه وسيم ..."

33. مرقس 14: 3-5.

34. لوقا 7: 36-50.

35. مرقس 14: 6-8.

36. المرجع نفسه، 14: 9.

37. يوحنا 12: 1-8.

38. لوقا 7: 36-50.

39. بيتر ريدجروف، الإلهة السوداء والحاسة السادسة، لندن، 1989، ص 125-126.

40. المرجع نفسه.

41. أعمال الرسل 2: 17.

42. انظر بيكنيت، ص 61-2، 64-6، 82، 147، 231.

43. لوقا 8: 1-2.

44. المرجع نفسه، 8 :3.

45. انظر ديفيد آيرست وأ. س. ت. فيشر، سجلات المسيحية، المجلد الأول: في الإمبراطورية الرومانية، أكسفورد، 1971، ص 144-146.

46. كيرلس الأورشليمي، محاضرات تعليمية، 4.36.

47. ديفيد تريسمر ولورا ليا كانون، مقدمة لترجمة جان إيف ليلوب لإنجيل مريم المجدلية، روتشستر، فيرمونت، 2003، ص. 11. وقد وردت الإشارة إلى كتابهم على النحو التالي: "جيمس كارول، سيف قسطنطين، نيويورك، هوتون ميفلين، 2001".

48. بيستيس صوفيا، ترجمة ج. ر. س. ميد، كيلا، مونتانا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1921، الكتاب الثاني، 72: 3.

49. ج. ر. س. ميد، بيستيس صوفيا، كيلا، مونتانا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1921، الكتاب الثاني، 160.

50. على سبيل المثال، انظر لوقا 4: 38-9، حيث يشفي يسوع حماة سمعان. كان "بطرس" هو لقب سمعان، ويعني "الصخرة". اقترح مايكل بايجنت وريتشارد لي أن الفيلم ربما كان يعادل فيلم "روكي" لسيلفستر ستالون - حيث يعبر عن الجانب الخشن لشخصية سمعان.

51. ميد، الكتاب الخامس.

52. مرقس 16: 9.

53. لوقا 8: 3.

54. المرجع نفسه، 27:12.

55. سوزان هاسكينز، مريم المجدلية، لندن، 1993، الفصل الثالث.

56. ليلوب، 10 :5.

57. المرجع نفسه، ص 37 (ص 17 من النص الأصلي).

58. المرجع نفسه، ص 39 (ص 18 من النص الأصلي).

59. بيستيس صوفيا، الكتاب الأول، 36.

60. المرجع نفسه، الكتاب الثاني، 72: 3.

61. المرجع نفسه.

62. المرجع نفسه ، 28.

63. بيكنيت، ص 67-8.

64. أنا مدين لكلايف برينس بالمناقشة المثمرة حول هذا الموضوع، وللتشبيه بـ "المكتب".

65. مورتون سميث، يسوع الساحر، لندن، 1978، ص 25.

66. بيكنيت وبرينس، 112-13؛ بيكنيت 39-4 1.

67. من ليس لديه القدرة على قول عدة أشياء في نفس الوقت؟

68. لين بيكنيت وكلايف برينس، كفن تورينو: كيف خدع ليوناردو دافنشي التاريخ، لندن، 2000، ص 194.

69. تيموثي فريك وبيتر غاندي، يسوع والإلهة: التعاليم السرية للمسيحيين الأصليين، لندن، 2001، ص 45. انظر أيضًا www.BelovedDisciple.org.

70. المرجع نفسه.

71. يوحنا 14: 23.

72. انظر www.BelovedDisciple.org.

73. المرجع نفسه.

74. يوحنا 19: 25.

75. موقع جوسينو.

76. ليلوب، ص 37 (ص 17).

77. ليتون، إنجيل توما، 114: 18-20.

78. "المرجع نفسه، إنجيل فيليب، 48."

79. يوحنا 13: 23-26.

80. المرجع نفسه، 18: 15-16.

81. المرجع نفسه، 20: 2-10.

82. المرجع نفسه، 21 :7.

83. المرجع نفسه، 21: 20-23.

84. انظر كتاب ديزموند ستيوارت "الأجنبي"، لندن، 1981، ص 108.

85. مرقس 10: 46.

86. لوقا 7: 44-47.

87. انظر كتاب بيكنيت والأمير، الفصل الأول: «الشيفرة السرية لليوناردو دافنشي»، وكتاب بيكنيت، الفصل الأول، «الغرباء».

88. في جناح سينسبري بالمعرض الوطني، ميدان ترافالغار، في وسط لندن.

89. لوقا 7: 19.

90. يوحنا 1: 28. أما عن إعلان يوحنا المزعوم بأنه ليس المسيح، فنقرأ في هذا المقطع: "وحدث كل هذا في بيت عنيا في عبر الأردن" (التأكيد من عندي). ربما يأتي هذا ضمن فئة "الاحتجاج المفرط".

91. ج. ر. س. ميد، «سمعان الساحر: مقال»، لندن، 1892، ص 10.

92. بيكنيت وبرينس، ص 417.

93. أندريه ناتاف، قاموس وردزورث للغيبيات، ترجمة جون ديفيدسون، لندن، 1994، ص 182. نُشر أصلاً في باريس عام 1988 تحت عنوان "سادة العلوم الغامضة".

94. المرجع نفسه.

95. رولو أحمد، الفن الأسود، لندن، 1936، ص 53.

96. ووكر، ص 938.

97. ميد، ص 10.

98. المرجع نفسه، ص 28 وما بعدها.

99. كارل دبليو. لوكرت، النور المصري والنار العبرية، نيويورك، 1991، ص 299.

100. المرجع نفسه، ص 305.

101. مقتبس في ميد، ص 19.

102. فرانسيس العاشر. كينغ، محرر كراولي عن المسيح، لندن، 1974، ص 15.

103. لوقا 7: 28 ومتى 11: 11.

104. يظهر هذا المقطع في الإنجيل الغنوصي للمصريين المفقود. ومع ذلك، فإننا مدينون لإكليمندس الإسكندري الذي أضاف مرة أخرى، وببراءة، اقتباسًا من هذا النص في كتابه ستروماتيس.

105. ليتون، إنجيل توما، 61: 23-33.

106. ووكر، ص 885.

107. متى 11: 3.

108. المرجع نفسه، 11 :2.

109. المرجع نفسه، 11 :9.

110. المرجع نفسه، 11:11.

111. مرقس 14: 14.

112. كارل هـ. كريلينج، يوحنا المعمدان، لندن، 1951، ص 160.

113. إيرينيئوس، شعر متقدم. الكتاب الأول والثالث عشر

114. أخبرني سائق تاكسي مسلم أن الصوفيين الإسلاميين يصومون ويصلون في الصحراء لمدة 40 يومًا، وبعد ذلك يكون لديهم القدرة على استدعاء الجن واستخدامهم كعبيد غامضين لهم. وعلى الرغم من أن المسلم العادي يحذر من مثل هذه الممارسات، إلا أنه لا ينظر إليها على أنها شر.

115. مورتون سميث، يسوع الساحر، لندن، 1978، ص 42.

116. باربرا ثيرينغ، يسوع الإنسان، ص 84-85 و390-391.

117. جيفري بيرتون راسل، لوسيفر: الشيطان في العصور الوسطى، (نيويورك)، 1984، ص 307.

الفصل الرابع: مجامع الشيطان

1. جان ماركال، مونتسيغور وسر الكاثار، مترجم. جون غراهام، 2003. الأصل: مونتسيجور ولغز الكاثار، باريس، 1986، ص 66.

2. للاطلاع على خلفية مفصلة عن الكاثار، انظر: ماركال؛ يوري ستويانوف، "التقاليد الخفية في أوروبا"، لندن، 1994؛ لين بيكنيت، مريم المجدلية: إلهة المسيحية الخفية، لندن، 2003؛ ولين بيكنيت

وكلايف.

الأمير، كشف فرسان الهيكل، لندن، 1997.

3. كان الكاثار يأكلون السمك فقط لأنهم كانوا يعتقدون أن السمك يتكاثر لاجنسيًا.

4. ماركل، ص 173.

5. المرجع نفسه، ص 176.

6. انظر بيكنيت، ص 184.

7. وكان السبب وراء ذلك هو أن الله أعطى البشرية السيادة على جميع الحيوانات، وكان من الكفر عدم تعزيز هذا التفوق من خلال أكلها. ومن المهم أن نلاحظ أنه حتى يومنا هذا، من بين جميع بلدان أوروبا، لا تزال البلدان الكاثوليكية هي التي تتمتع بأسوأ سمعة فيما يتعلق برعاية الحيوان.

8. في بيزييه، مات 20 ألفًا من سكان المدينة طوعًا على أيدي الصليبيين بدلاً من التخلي عن اعتقادهم بأن يسوع والمجدلية كانا عاشقين. وهذا أمر مثير للدهشة بشكل خاص لأن هذا ليس اعتقادًا من شأنه أن يجذب الكاثاريين بشكل طبيعي وبالتالي من غير المرجح أن يكونوا قد اخترعوه. ومن المفترض أنهم علموا ذلك من إنجيل سري مماثل لتلك التي تم العثور عليها في نجع حمادي في عام 1945.

9. ماركل، ص 160.

10. انظر بيكنيت، ص 91، 93-97، 196، 215-216، 221، 232-233 ودي فوراجين، ص.

153-5.

11. مونتاغيو سامرز، تاريخ السحر، لندن، 1926، ص 23.

12. يوري ستويانوف، التقليد الخفي في أوروبا، لندن، 1994، ص 189.

13. المرجع نفسه.

14. وفقًا لجين ماركال، تم اكتشاف ران وهو يقوم بتزوير بعض النقوش، وتلقى لكمة على أنفه من مؤرخ محلي غاضب!

15. يجب أن نتذكر أن ران كان نازيًا، على الرغم من أن أبحاثه السابقة في لانغدوك لم تتأثر نسبيًا بأيديولوجيته غير السارة اللاحقة. وقد تم تضمين أطروحاته هنا بروح لوسيفر - أي الاستشهاد دون خوف بأي بحث مثير للاهتمام بغض النظر عن مصدره بدلاً من رمي الطفل الصحيح سياسياً مع ماء الاستحمام. في نهاية المطاف، قد يكون على حق في بعض النقاط!

16. أوتو ران، محكمة لوسيفر: سحر للأرواح الطيبة في أوروبا، 1937، تُرجم إلى الفرنسية بعنوان محكمة لوسيفر: رحلة في قلب أرقى الروحانيات الأوروبية، باريس، 1994. إنني مدين بشكل كبير لكلايف برينس لعمله الجاد في ترجمة المقاطع الرئيسية من الفرنسية لي.

17. للحصول على دراسة متعمقة لتاريخ ومعتقدات فرسان الهيكل، انظر بيكنيت وبرينس.

18. وبطبيعة الحال، باعتباره نازيًا، كان ران يفضل إلى حد كبير أن يكون للدين العظيم جذور نوردية أو جرمانية بدلاً من جذور شرق أوسطية (سامية).

19. ران، ص 15 من مقدمة الطبعة الفرنسية لأرنو دابريمونت، ترجمة كلايف برينس.

20. المرجع نفسه.

21. المرجع نفسه.

22. بالنسبة لأولئك الذين يقدرون ما قد يكون مجرد مصادفة - أو ربما نكتة كونية - فإن "أنفورتاس" هي إعادة صياغة دقيقة لكلمة "من أجل الشيطان". بالطبع سيكون الأمر أكثر إثارة للإعجاب إذا كان باللغة الفرنسية.

23. ران، ص 18.

24. المرجع نفسه، ص 21.

25. المرجع نفسه، ص 22.

26. المرجع نفسه، ص 91.

27. لمزيد من التفاصيل، راجع كتاب أندرو كولينز المثير للاهتمام والمهم "كأس القرن الحادي والعشرين"، لندن، 2004.

28. للاطلاع على التفسير الكلاسيكي للنظرية القائلة بأن "سانجريال" يعني في الواقع "الدم المقدس"، انظر كتاب مايكل بايجنت، وريتشارد لي، وهنري لينكولن، "الدم المقدس والكأس المقدسة"، لندن، 1982. أما بالنسبة للنسخة الخيالية بامتياز، فهناك بالطبع رواية "شيفرة دافنشي" لدان براون، نيويورك، 2003.

29. ولفرام فون إشنباخ، بارزيفال، لندن، 1980، ص 232-3.

30. المابينوغيون، ترجمة. فوين جونز وتوماس جونز، لندن، 1949، ص 192.

31. المرجع نفسه، ص 218.

32. توبياس تشورتون، البناؤون الذهبيون، ليتشفيلد، 2002. انظر أيضًا بيكنيت، الملحق.

33. ولفرام، ص 240.

34. المرجع نفسه، ص 396.

35. أندرو كولينز، الكأس المقدسة للقرن الحادي والعشرين، لندن، 2004.

36. الأب فيليب ديفوكو دو بويسون، في كتاب "الله هو الحب"، العدد 115 (مايو 1989)، مقتبس من كتاب بيكنيت وبرينس، ص 123.

37. كولن ويلسون، العلوم الخفية، لندن، 1973، ص 272.

38. مايكل بايجنت وريتشارد لي، محاكم التفتيش، لندن، 2000، ص. 15.

39. ماري هومبرت فيكير، القديس دومينيك وعصره، ترجمة. كاثلين بوند، لندن، 1964، ص 146. مقتبس في بايجنت ولي، ص 17.

40. والتر ل. ويكفيلد، البدعة والحملات الصليبية ومحاكم التفتيش في جنوب فرنسا 1100-1250، لندن، 1974، ص 208.

41. المرجع نفسه، ص 212.

42. بايجنت ولي، ص 19.

43. ويكفيلد، ص 216.

44. بايجنت ولي، ص 25.

45. ويكفيلد، ص 224، مقتبس في بايجنت ولي، ص 26.

46. ستويانوف، ص 178.

47. بايجنت ولي، ص 28.

48. انظر لين بيكنيت، وكلايف برينس، وستيفن برايور، "النيران الصديقة: الحرب السرية بين الحلفاء"، إدنبرة، 2004، ص 54-55، 56-61.

49. سامرز، ص 20.

50. هـ.ت.ف. رودس، «القداس الأسود»، الإنسان والأسطورة والسحر، لندن، 1971، العدد 10.

ص 274-278، مقتبس من كتاب لين بيكنيت وكلايف برينس، كشف فرسان الهيكل: حراس سريون للهوية الحقيقية للمسيح، لندن، 1997، ص 86.

51. باربرا ووكر، موسوعة المرأة للأساطير والأسرار، نيويورك، 1983، ص 1079.

52. رونالد بيرسال، الدودة في مهدها، نيويورك، 1969، ص 209، مقتبس من ووكر، ص 643.

53. فيرن إل. بولوك، الجنس التابع، شيكاغو، 1973، ص 176، مقتبس في المرجع نفسه.

54. رؤيا يوحنا 22: 2.

55. جوزيف كامبل، قناع الله: الأساطير الإبداعية، نيويورك، 1970

ص 159.

56. ووكر، ص 640.

57. شارلين سبريتناك (محرر)، سياسة روحانية المرأة، نيويورك، 1982، ص. 269، مقتبس في المرجع نفسه، ص. 644.

58. ووكر، ص 644.

59. ماري دالي، ما وراء الله الآب، بوسطن، 1973، ص 69.

60. على الرغم من أنه لا يمكن أبدًا معرفة عدد دقيق، فإن العدد الإجمالي

للسحرة، من الذكور والإناث، الذين عانوا وماتوا على أيدي الكنيسة قد انخفض بشكل كبير من تقديرات تصل إلى 5 ملايين إلى حوالي 100 ألف. ومع ذلك، بالنظر إلى عدد سكان أوروبا القليل نسبيًا خلال تلك الفترة، وحقيقة أن قرى بأكملها تعرضت للتدمير ولم تتعافَ أبدًا، فإن هذا العدد لا يزال كبيرًا. ولا داعي للقول بأن الرقم المنقح هو أكثر من اللازم بـ 100 ألف.

61. ووكر، ص 1079.

62. باربرا روزن، السحر، نيويورك، 1972، ص 296-297.

63. ووكر، ص 170.

64. أنطوانيت بورغينيون، الحياة الخارجية، أمستردام، 1683، مقتبسة في سامرز، ص. 71.

65. في هذه المرحلة، قرأت ملاحظاتي بدهشة: "هل هو مجنون؟" وبعد فترة من الوقت، توقفت عن تقديم تعليقات مماثلة. لقد كان سيستغرق وقتا طويلا جدا.

66. سامرز، ص 71، يشير إلى ديلريو. مناقشات سحرية، 1. القسم الخامس 4. 2 .T.

``شكل العلامة ليس هو نفسه، أحيانًا يشبه أثر قدم أرنب، وأحيانًا يشبه قدم ضفدع، وأحيانًا يشبه قدم عنكبوت، أو قطة، أو سنجاب."

67. سامرز، ص 45.

68. المرجع نفسه، ص 226.

69. أروع ... قصة ... الساحرة المسماة ألسي غودريدج، لندن، 1597، مقتبسة في سومرز، ص 75-76.

70. روسيل هوب روبنز، موسوعة السحر وعلم الشياطين، نيويورك، 1959، ص 42.

71. ريبيت، التصوف الإلهي، 111. 2. المحاكاة الساخرة الشيطانية: "البورليسك يمتزج بالرعب، والطفولة بالبشاعة". مقتبس من كتاب سومرز، ص 110.

72. سامرز، ص 111.

73. المرجع نفسه، ص 121.

74. روبينز، ص 500 و 540.

75. بيتر هاينينج، السحر والسحر الأسود، لندن، 1971، ص 103.

76. السير والتر سكوت، رسائل في علم الشياطين والسحر، لندن، 1884، ص 166-168.

77. يبدو أن هناك مشاكل في ترجمته، على الرغم من أن هناك مشكلة أخرى في طور الإعداد.

78. هاينريش كرامر وجاكوب سبرينغر، مطرقة الساحرات، 1485.

79. روبينز، ص 303-4.

80. المرجع نفسه.

81. المرجع نفسه، ص 18 و 508.

82. ج. ج. كولتون، محاكم التفتيش والحرية، بوسطن، 1959، ص 154-155، مقتبس من ووكر، ص 1006.

83. سي. ليسترانج إيوين، السحر والشياطين، لندن، 1933، ص 122-123.

84. روبينز، ص 501.

85. المرجع نفسه.

86. ووكر، ص 1005، في إشارة إلى جان بليدي، محاكم التفتيش الإسبانية، نيويورك، 1967، ص 157.

87. روبينز، ص 509.

88. انظر، على سبيل المثال، www.nd.edu/-dharley/witchcraft/Malleus.html.

89. المرجع نفسه.

90. هنري تشارلز ليا، محاكم التفتيش في العصور الوسطى، نيويورك، 1954، النسخة الكاملة، 1961، ص 815 و831، مقتبس في ووكر، ص 1080.

91. تيري ديفيدسون، الجريمة الزوجية، نيويورك، 1978، ص 99.

92. أموري دي رينكورت، الجنس والسلطة في التاريخ، نيويورك، 1974، ص 219.

93. ووكر، ص 593.

94. كرامر وسبرنجر، الجزء الأول، السؤال الحادي عشر: الإيمان الكاثوليكي يسبب ضررًا أكبر للقابلات.

95. روبرت نوكس دينتان، السيماي: شعب مالايا اللاعنفي، نيويورك، 1968، ص 96-8.

96. بولوك، ص 177.

97. فولفغانغ ليدر، الخوف من النساء، نيويورك، 1968، ص 150.

98. المرجع نفسه.

99. ووكر، ص 656.

100. المرجع نفسه.

101. أندرو د. وايت، تاريخ حرب العلم مع اللاهوت في المسيحية، مجلدان، نيويورك، 1955، المجلد الأول، ص 319.

102. ووكر، ص 656، نقلاً عن جورج ب. فيتر، السحر والدين، نيويورك، 1973، ص 355.

103. المرجع نفسه.

104. المرجع نفسه، ص 1008.

105. روبينز، ص 108.

106. سامرز، ص 63.

107. المرجع نفسه، ص 256.

108. ولتحليل مثير للتفكير بشكل خاص حول قضية هيلين دنكان، انظر كتاب مانفيد كاسيرير "الوسيط تحت المحاكمة: قصة هيلين دنكان وقانون السحر"، ستانستيد، 1996.

الفصل الخامس: العهود، والمس، وغرف الجلسات الروحانية

1. وفقًا لجيفري بيرتون راسل في كتاب لوسيفر: الشيطان في العصور الوسطى، نيويورك، 1984، ص 80 (ملاحظة): "يُقحم هينمار الحكاية في كتابه طلاق لوثار وتيوبيرجا، الذي كتبه حوالي عام 860 (MPL 125، 716-725)."

2. المرجع نفسه.

3. المرجع نفسه، ص 81.

4. المرجع نفسه، ص 82. ويضيف راسل في الملاحظة رقم 41: "بما أن كلمة mouffle هي كلمة فرنسية عامية تعني "slob" (شخص قذر)، فإن عنصرًا من التحيز ضد الفلمنكيين يبدو حاضرًا هنا".

5. جان بليدي، محاكم التفتيش الإسبانية، لندن، 1967، ص 171 وما بعدها.

6. يوهانس وير.

7. فاوست لغوته، الجزء الأول، 1808، ترجمة فيليب واين، الذي كتب أيضًا

مقدمة طبعة البطريق لعام 1949، ص 15.

8. ومن خلال شكلها الإيطالي، nigromancia، أصبحت تُعرف باسم "الفن الأسود".

9. www.satansheaven.com/necromancy.htm.
10. 1 صموئيل 28.
11. غوته، فاوست، ص 40.
12. انظر في الفصل السابق.
13. لويس مومفورد، التفسيرات والتنبؤات، نيويورك، 1973، ص 302.
14. الشياطين، 1971، إخراج كين راسل، بطولة فانيسا ريدجريف وأوليفر ريد.
15. ت. ك. أوسترايش، المس الشيطاني وغيره، نيويورك، 1966، ص 49-50.
16. جريلو دي جيفري، الشعوذة والسحر والخيمياء، نيويورك، 1971، ص 118-119.
17. مونتاغيو سامرز، تاريخ السحر، لندن، 1925، ص 73.
18. المرجع نفسه.
19. روسيل هوب روبينز، موسوعة السحر وعلم الشياطين، نيويورك، 1959، ص 316، مقتبس من باربرا ووكر، موسوعة المرأة للأساطير والأسرار، نيويورك، 1983، ص 811.
20. سامرز، ص 73.
21. كولن ويلسون، العلوم الخفية، لندن، 1973، ص292.
22. «في آكس، بقلم جان ثولوزان، MVCXI»، مقتبس في سومرز، ص 82.
23. المرجع نفسه.
24. راسل، ص 299.
25. انظر هيوستن ستيوارت تشامبرلين، إيمانويل كانط، برلين، 1914.
26. نُشر الكتاب في غلاف ورقي عام 2000، تحت عنوان: "كيف خدع ليوناردو دافنشي التاريخ".
27. توماس همبر، الكفن المقدس، نيويورك، 1978، ص 120.
28. ومن المعروف أنه كان لديه غرفة غامضة في الفاتيكان، بنى فيها "آلة مصنوعة من المرايا". لم يكن أحد ليعلم لولا صانعي المرايا الألمان الذين وظفهم في المشروع - كانوا أجانب لأنهم لم يفهموا الكثير مما كان يحدث - والذين كانوا، مقتنعين بأنه يمارس السحر، فحبسوه في الغرفة وهربوا. كانت القوة الجسدية التي يتمتع بها ليوناردو هائلة لدرجة أنه لم يفعل شيئًا سوى رفع الباب الثقيل عن مفصلاته والذهاب بعيدًا. ولكن ما هي "الآلة المصنوعة من المرايا"؟ في التجارب التي أجراها كلايف برينس وشقيقه كيث على طريقة عمل ليوناردو المحتملة في أوائل التسعينيات، سرعان ما أصبح من الواضح أن أي جهاز يركز الحرارة والضوء سيكون مفيدًا جدًا في إنتاج صورة باستخدام كاميرا ثقب دبوس بسيطة للغاية - وهي كاميرا مظلمة، نعرف واحدة منها من دفاتر ملاحظاته التي بناها ليوناردو.

29. مخطوطة أتلانتكس.

30. انظر كتاب تاريخ التصوير الفوتوغرافي لجوزيف ماريا إيدر عام 1945.

31. توبياس تشورتون، البناؤون الذهبيون - الخيميائيون و الصليب الوردي والماسونيون الأحرار الأوائل، ليتشفيلد، 2002، ص 34-35. أنا مدين لكلايف برينس لأنه وجد هذا من أجلي.

32. المرجع نفسه، ونفس الشيء.

33. نشرة BSTS، العدد 42 (يناير 1996)، الصفحات 6-8، منقولة من Avenire، العدد 7

أكتوبر 1995.

34. بيكنيت وبرينس، ص 187-190.

35. موريس رودين، ليوناردو دا فينشي، (لندن)، ص. 1975، ص. 117.

36. بيكنيت وبرينس، ص 167.

37. فرانسيس ييتس، جيوردانو برونو والتقاليد الهرمسية، لندن، 1964، ص 435.

38. يروي كتاب فرانسيس ييتس "تنوير الثليب الوردي"، لندن، 1972، تاريخ بيانات الصليب الوردي ونمو الحركة، والذي يتضمن ترجمات كاملة للنص الأصلي. هناك كتاب ممتاز آخر حول هذا الموضوع وهو كتاب "البناؤون الذهبيون" لتوبياس تشورتون.

39. سي. جيه. إس. تومسون، إغراء ورومانسية الخيمياء، نيويورك، 1990، الفصل الثاني والعشرون.

40. د. كريستوفر ماكنتوش، مقدمة لكتاب تشورتون، الفلسفة الغنوصية، ص 12.

41. المرجع نفسه.

42. لا يزال كليف برينس وأنا مدينين لرؤى أبيجيل نيفيل، التي ألهمتنا في سن الحادية عشرة أن ننظر إلى صورة الكفن بعين طفل - وفجأة وقع الكثير في مكانه الصحيح. انظر بيكنيت وبرينس، ص 136-7، 157، 235، 240، 242، 245، 252.

43. أنا مدين لأبحاث ستيف ويلسون لهذه الحقيقة المثيرة للاهتمام.

44. بفضل براعة الكمبيوتر التي يتمتع بها آندي هافلاند روبنسون، الذي لم يكن لديه أي هدف محدد، ونظر إلى مشروعنا بموضوعية تامة.

45. كما سألت أبيجيل نيفيل عندما شاهدت صورة الكفن السلبية: "لماذا رأسه صغير جدًا؟" ولماذا هو خاطئ؟

46. الرأس في الخلف مائل إلى الخلف، والشعر يتساقط بعيدًا عن الوجه. في المقدمة الذقن مستوي.

47. في الواقع، يبدو أن الشعر قد تم تعديله بشكل خفيف أو طلائه باستخدام المواد الكيميائية الحساسة

للضوء التي صنعت الصورة. عندما اكتشف كلايف وكيث برينس أن تأثير عين السمكة يجعل الشعر غير مرئي، هذا ما فعلاه.

48. بالطبع كان ليوناردو يتمتع بأشعة الشمس القوية في إيطاليا إذا أراد استخدامها، على الرغم من أن هذا العمل كان بلا شك من أعلى درجات السرية، فقد كان سيختار إنشاء الكفن خلف الأبواب المغلقة، ربما في الفاتيكان (انظر الملاحظة 28 أعلاه). لم تكن لدينا مثل هذه الإمكانيات، فلم يكن لدينا سوى مرآب في منطقة ريدينغ الرمادية غير الرومانسية في مقاطعة بيركشاير لإجراء تجاربنا، ومصباح أو اثنين من مصابيح الأشعة فوق البنفسجية القوية.

49. راجع بيكنيت و برينس للحصول على تعليمات حول كيفية إعادة إنشاء كل ما يسمى

بالخصائص "المعجزة" للكفن باستخدام أبسط الطرق. ومع ذلك، فأنت تحتاج إلى قدر كبير من الضوء - والوقت! كنا أول الباحثين على الإطلاق الذين نشروا تفاصيل إعادة إنشاء الكفن الخاص بنا، على الرغم من أنه في نفس الوقت تقريبًا كان البروفيسور نيكولاس ألين يكمل عمله التصويري المماثل في جنوب إفريقيا.

50. لفترة من الوقت كنا منزعجين من صورة العدسة التي تظهر على "أكفاننا" التجريبية - حتى تحققنا من صورة كفن تورينو ورأيناها في نفس المكان تمامًا! وبعد ذلك، بالطبع، كنا في غاية السعادة.

51. مثل ماريا كونسولاتا كورتي. انظر بيكنيت وبرينس، ص 161-3، 331.

52. في عام 1898، قام محامٍ من تورينو، يُدعى سيكوندو بيو، بالتقاط الصور الأولى للكفن، الذي كان يُعرض كجزء من الاحتفالات بالذكرى الخمسين لتوحيد إيطاليا. كانت رؤية الكفن في الصورة السلبية بمثابة اكتشاف حقيقي بالنسبة لبيو: فبعد أن كان كاثوليكيًا فاترًا في السابق، وبعد أن رأى كل التفاصيل المعقدة للصلب المروع تقفز إلى الحياة، أصبح فجأة متحمسًا لدينه. لسوء الحظ، مثل الملايين غيره، تعرض للخداع من قبل ما يمكن أن يكون أعظم محتال نفسي في العالم. إن كفن تورينو ليس شهادة على حقيقة الإيمان المسيحي، بل على العكس تمامًا.

53. سيرج براملي، ليوناردو: الفنان والإنسان، لندن، 1992، نُشر لأول مرة تحت عنوان ليوناردو دا فينشي، باريس، 1988، ص 445.

54. ورغم أن الصورة لم تُصنع بوضوح باستخدام الطلاء، إلا أن هناك كمية صغيرة من الصبغة على القماش، ربما بسبب عادة وضع اللوحات الدينية عليها لإضفاء المزيد من القداسة عليها.

55. جورجيو فاساري، حياة الفنانين، 1550. تم اقتباس هذا في بداية الفصل الخامس من كتاب "بيكنيت والأمير"، "الأخ الإيطالي لفاوست".

56. انظر بيكنيت وبرينس، كشف فرسان الهيكل، ص 198.

57. باراسيلسوس، في طبيعة الأشياء، 1572، الكتاب 3.

58. المرجع نفسه.

59. جيان باتيستا ديلا بورتا، السحر الطبيعي، 1658، الكتاب الثاني.

60. المرجع نفسه.

61. باراسيلسوس.

62. أندريه ناتاف، قاموس وردزورث للغيبيات، لندن، 1994، ص 161.

63. المرجع نفسه.

64. لين ثورندايك، "تاريخ السحر والعلوم التجريبية"، نيويورك، 1929، المجلد. المجلد الثامن، ص. 629، مقتبس من مقال كلارا بينتو-كوريا الإلكتروني

"الهومونكولوس: فهم تاريخي لمصطلحات التكوين المسبق"، www.zygote.swarthmore.edu/fert I b.html.

65. المرجع نفسه.

66. كان الروبوت نتيجة لدراسات ليوناردو في علم التشريح، والتي تم وصفها في مخطوطة هويجنز .

67. انظر www.w3.impa.br/-jair/e65.html.

68. المرجع نفسه. تم نشر هذه المقالة على الإنترنت برعاية معهد ومتحف تاريخ دلتا العلوم في فلورنسا، ومتحف العلوم في لندن.

69. يُعتقد أن دي نفسه كان لديه ما يعتبر المخطط الفلكي المثالي لعلم التنجيم، حيث وُلد والشمس في برج السرطان وصاعده في برج القوس.

70. يصف مونتاغو سامرز بشكل لا يمكن الدفاع عنه "عمل إعادة التأهيل الذي بدأته الملكة ماري بشكل نبيل". سامرز، ص 22.

71. ومع ذلك، أقنع دي الملكة ماري بإنشاء مكتبة وطنية، ومنحها 4000 كتاب من كتبه الخاصة. وفي نهاية المطاف سيصبح المتحف البريطاني.

72. وليام شكسبير، العاصفة، الفصل الخامس، المشهد الأول، حوالي عام 1608.

73. كانت الكتابة الإليزابيثية غير متسقة بشكل ملحوظ، حتى بالنسبة للأسماء الشخصية.

74. انظر www.johndee.org/charlotte/Chapter6/6pl.html. تم استخراج هذا من صفحة من موقع الخيمياء ، www.levity.com/alchemy/kellystn.html.

75. ظهر هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء من عام 1663 إلى عام 1678.

76. يمكن رؤية مرآتهم السحرية الآن في المتحف البريطاني.

77. من كتاب "فاما فراتيريتاتيس"، المقتبس من كتاب "البناة الذهبيون" لشورتون، ص 99.

78. محرر. ميريك كازوبون، رواية صادقة ومخلصة لما حدث على مدى سنوات عديدة بين

الدكتور جون دي وبعض الأرواح، لندن، 1657، مقتبس في المرجع نفسه. ويشير تشورتون إلى أن "كاساوبون أخذ مادته من مذكرات دي، وخاصة تلك التي تعود إلى عامي 1583 و1584".

79. تشورتون، ص 100.

80. الفيلم المهم والمذهل الذي صدر عام 1997 بعنوان "تصوير الجنيات"، بطولة توبي ستيفنز وإميلي ووف وفرانسيس باربر، وإخراج نيك ويلينج، يوضح هذه النقطة بشكل واضح. حتى الشخصية الرئيسية تفشل في الدفاع عن نفسها ضد تهمة القتل غير المبررة لأن أرض الجنيات تناديها بقوة. "الموت هو مجرد تغيير للحالة." الروح هي تعبير جديد عن الذات. الموتى ليسوا ترابًا. إنهم في الحقيقة على بعد خطوة واحدة فقط.

81. يعتقد جون ميتشل، الأب الروحي لعلم الباطنية البريطاني، أن الآلهة مترددة في إعطاء المال للباحثين في مجال العلوم الغامضة لأن ذلك سيجعلهم "متقاعسين"!

82. حجر الفلاسفة، المنسوب إلى إدوارد كيلي، والذي تم تضمينه في كتيب Tractatus duo egregii, de Lapide Philosophorum, una cunt Theatro astonomniae terrestri, cum Figuris, in gratiam filiorum Hermetis nunc primum in lucemediti, curante J. L. M. C. [جوهان لانج ميديكين كانديداتو]، هامبورغ، 1676، ترجمة ل. روبرتس.

83. يقول البعض 1595 أو 1597.

84. شكسبير، خاتمة.

85. لقد نشأت بنفسي في منزل مسكون بشكل خطير في الشوارع الخلفية لمدينة يورك. كنت في السادسة عشر من عمري قبل أن أدرك أن ليس كل شخص لديه روح شريرة! منذ تلك الأوقات البعيدة، قمت بالبحث ودراسة ما هو خارق للطبيعة، وتوصلت إلى استنتاج مفاده أنه على الرغم من أن العديد من الأشخاص يبلغون عن الأشباح وما إلى ذلك بدافع الرغبة في إثارة ضجة، أو ربما حتى للحصول على مسكن جديد من قبل المجلس المحلي، إلا أن معظمهم قد رأوا شيئًا أو شخصًا من بُعد آخر. إن الاعتقاد الكامن في حقيقة التطفل من مكان آخر يدعم كتابي "كتاب الماموث عن الأجسام الطائرة المجهولة" (2001)، في حين أن التقاطع الغريب بين الإيمان بالظواهر الخارقة للطبيعة ووكالات الاستخبارات هو الموضوع الرئيسي لكتابي الذي شاركت في تأليفه مع كلايف برينس، "مؤامرة بوابة النجوم: الكشف عن الحقيقة وراء الاتصال بكائنات فضائية، والاستخبارات العسكرية، وأسرار مصر القديمة" (1999).

86. على الرغم من ذلك، ومن المثير للاهتمام، ليس كل شيء وليس في كل النقاط. هناك علماء معاصرون يمارسون دراساتهم الخيميائية والغنوصية والسحرية بشكل خاص، ولكن لأسباب واضحة - خاصة التمويل الأكاديمي - لن يخرجوا إلى العلن أبدًا.

87. تشورتون، البناؤون الذهبيون، ص 100.

88. www.johndee.org/charlotte/Chapter7/7pl.html.

89. ويقال في كثير من الأحيان أن رفيقه كان جون دي نفسه.

90. سامرز، ص 6.

91. المرجع نفسه، ص 256.

92. الكتابة الآلية هي نتيجة شائعة للانفصال، سواء كان ذلك متعمدًا أو غير واعٍ. تكتب اليد على ما يبدو من تلقاء نفسها، وفي بعض الأحيان بأسلوب خط مختلف، وتنقل رسائل تبدو وكأنها تأتي من شخصية أخرى، وتقدم معلومات يبدو أن الشخص الذي يحمل القلم لا يمكنه أن يعرفها.

93. جاي ليون بلاي فير، "هذه الوسيلة الخطيرة"، غير المفسرة، ص 2934-2937، الفصل 1981.

94. المرجع نفسه.

95. المرجع نفسه.

96. روي ستيمان، "الظواهر الاستثنائية"، غير المفسّرة، ص 2241-2245، حوالي عام 1981.

97. المرجع نفسه.

98. المرجع نفسه.

99. المرجع نفسه.

100. المرجع نفسه.

101. عانى القديس جوزيف (1603-1663) من صدمة دينية شديدة، وتم استجوابه من قبل محاكم التفتيش، ولكن تم إطلاق سراحه. كان يُعتبر شخصًا بسيط التفكير - وكان يُعرف في طفولته بـ "الفم المفتوح" - وكان يفتقر إلى التركيز لأداء أكثر المهام تواضعًا.

102. محادثة شخصية بيني وبين البروفيسور روي في أوائل الثمانينيات.

103. شتاينمان.

104. المرجع نفسه.

105. علماء النفس الخارق في ثمانينيات القرن العشرين:

"التنافر الرجعي"، أي أنه كلما ابتعدنا في الزمن عن مشاهدة حتى الظواهر الأكثر إثارة، أصبحنا أكثر عرضة للشك فيها.

106. تشارلز ريشيت، «حول شروط اليقين»، مجلة الدراسات العامة، ص 14، العدد 35، 1899.

107. الدكتورة مارغريت ميد، مقتبسة من كتاب آرتشي إي. روي "شعور بشيء غريب"، غلاسكو، 1990، ص 20.

الفصل السادس: افعل ما تشاء

1. كولن ويلسون، العلوم الخفية، لندن، 1971، ص 372.

2. ومن عجيب المفارقات، كما رأينا، أن كلمة "سالم" تعني في اللغة السامية "السلام" - وهناك أشكال أخرى منها "شالوم". "أورشليم" تعني "بيت السلام". شاليم هو نجم المساء العبري، توأم لشاهر، أو لوسيفر، نجم الصباح.

3. للاطلاع على الالتماسات الحرفية لهذه الساحرة وغيرها من الساحرات المدانات اللاتي ينتظرن الإعدام في سالم، راجع .www.law.umkc.edu/faculty/projects/ftrials/salem/SAL_E&P.HTM

4. مونتاغيو سامرز، تاريخ السحر، لندن، 1926، ص 146.

5. المرجع نفسه.

6. المرجع نفسه.

7. في العادة، يقوم الغوغاء بإلقاء القبض على رجل أسود متهم باغتصاب امرأة بيضاء أو إساءة معاملتها، ثم يقومون بضربه وتعذيبه علنًا وإشعال النار فيه أو اقتلاع عينيه و/أو قطع أصابع يديه أو قدميه أو أعضائه التناسلية. سيتم دعوة أعضاء الحشد للمشاركة في التعذيب. وفي نهاية المطاف يموت الضحية متأثراً بجراحه أو يتم شنقه أو حرقه حتى الموت. ولم يكن يُنظر إلى أي من هذا على أنه قاسٍ أو معادٍ للمسيحية: بل كان يتم تشجيع الشباب على المشاهدة وحتى المشاركة، تقريبًا كنوع من التأهيل في مرحلة البلوغ.

8. تم عرض مسرحية البوتقة للكاتب آرثر ميلر لأول مرة على مسرح برودواي عام 1953 ولكنها لم تحظ باستقبال جيد. ومع ذلك، بعد مرور عام واحد، نال إنتاج جديد إشادة النقاد، مما جعل المسرحية بمثابة عمل كلاسيكي حديث.

9. القاذفات والهريس، بقلم راينز مينز، لندن، 1980، ص 66.

10. وبما أن إليزابيث لم يكن لديها أطفال، فمن المفارقات أن العرش ذهب إلى جيمس، ابن ماري ملكة اسكتلندا، التي أعدمتها. كان جيمس أول ملك يحمل هذا الاسم في إنجلترا، ولكنه كان جيمس السادس ملك اسكتلندا.

11. يُعرف بشكل أكثر دقة باسم قصر وستمنستر.

12. هنري ت. ف. رودس، القداس الشيطاني، لندن، 1954، ص 44.

13. المرجع نفسه.

14. مقتبس في المرجع نفسه.

15. إتش. سي. ليا، مواد نحو تاريخ السحر، فيلادلفيا، 1939، ص 101.

16. بالطبع، إذا قمنا بتحليل ما يُعتقد أنه يحدث أثناء القداس في شكل التحول الجوهري - أي أن الخبز والنبيذ يصبحان جسد ودم يسوع الحقيقيين - فإن جميع الكهنة سحرة. وهذا سحر رفيع المستوى: في الواقع، لم يتردد بعض المعلقين في إدانته باعتباره سحرًا أسود.

17. في بوريجارد.

18. مونتاغيو سامرز، تاريخ السحر، لندن، 1926، ص 89.

19. المرجع نفسه، ص 160-161.

20. لين بيكنيت وكلايف برينس، كشف فرسان الهيكل: حراس سريون للهوية الحقيقية للمسيح، لندن، 1997، ص 108.

21. ويكتب أيضًا "Rays" أو "Rayx" أو "Retz".

22. يوريس كارل هويسمانز، لا باس، باريس، 1891، متوفر باللغة الإنجليزية تحت عنوان "هناك"، ترجمة. بريندان كينج، لندن، 2001.

23. ويلسون، ص 448.

24. المرجع السابق ، الصفحة 449.

25. المرجع نفسه.

26. ريتشارد جريفيث، الثورة الرجعية، لندن، 1966، ص 129-135.

27. بيكنيت وبرينس، ص 226، في إشارة إلى جريفيثس، ص 131.

28. مايك هوارد، مقالة على الإنترنت لمجموعة المناقشة Talking Stick South:

.The Hellfire Club', //easyweb.easynet.co.uk/-rebis/ts-artic4.htm`

29. مقتبَسٌ في المرجع نفسه

30. المرجع نفسه.

31. مقتبس في المرجع نفسه.

32. رف كتب صحيفة وول ستريت جورنال، 19 فبراير 1998، ص. 20 A.

33. قاموس تشامبرز للسير الذاتية، المحرر العام ماجنوس ماجنوسون، إدنبرة، 1990، ص 1077.

34. رف كتب وول ستريت جورنال، ص. 20A.

35. ويليام بارسونز، إيرل روس الثالث، عالم فلك أيرلندي، ولد في يورك.

36. أ. كوكرن، الخيمياء المعاد اكتشافها واستعادتها، نيويورك، 1941، ص 82.

37. ف. إي. مانويل، ديانة إسحاق نيوتن، أكسفورد، 1974، ص 62.

38. مايكل وايت، إسحاق نيوتن: الساحر الأخير، أديسون ويسلي، 1997، ص 49.

39. د. و. هاوك، "إسحاق نيوتن الخيميائي"، www.alchemylab.com/isaac-newton.htm،

ص3.

40. المرجع نفسه.

41. مثل ب. ج. ت. دوبس في كتابه "أسس خيمياء نيوتن" الصادر عن كامبريدج عام 1984.

42. بول بيج، «الرجل الذي خلق الحياة»، كتاب «الغموض»، حوالي عام 1981، ص 1767.

43. المرجع نفسه.

44. المرجع نفسه. في الواقع، تم إنتاج أول بطارية جافة على يد جورج ليكلانش في عام 1868.

45. المرجع نفسه.

46. فرانسيس ييتس، التنوير الوردي، لندن، 1972، الفصل الثالث عشر.

47. انظر: بيكنيت وبرينس؛ مايكل بيجنت وريتشارد لي، المعبد والنزل، لندن، 1989؛ وجون جيه روبنسون، المولود في الدم، لندن، 1990.

48. لويس سبنس، موسوعة العلوم الباطنية، لندن، 1920، ص 174.

49. روبنسون، ص 55-62، مقتبس في بيكنيت وبرينس، ص 165.

50. روبرت لوماس، الكلية غير المرئية، لندن، 2002، ص 3.

51. توماس سبرات، تاريخ الجمعية الملكية، مقتبس في المرجع نفسه، ص 79.

52. المرجع نفسه.

53. س. برنت موريس، "ألبرت بايك ولوسيفر: الكذبة التي لن تموت"، نشرة المحادثة القصيرة (الماسونية). أنا مدين لروبرت لومس بتقديم نص هذه المحادثة.

54. "هل يعبد الماسونيون الشيطان/لوسيفر؟"، www.geocities.com/endtime deception/worshipprint.htm، مستشهدين بـ "التعليمات المزعومة للمجالس العليا الثلاثة والعشرين في العالم، 14 يوليو 1889". تم تسجيله بواسطة أ.س. دي لا ريف في كتاب المرأة والطفل في الماسونية العالمية على الصفحة 588.

55. جول بوا، العالم غير المرئي، باريس، 1902، ص 168-170. أنا مدين لكلايف برينس لأنه وجد هذا وترجمه لي.

56. انظر على سبيل المثال، أليك ميلور، "المخادع العبقري - ليو تاكسيل"، (ريتشموند، فيرجينيا)، 1964، ص 149-155.

57. موريس.

58. هـ. ب. بلافاتسكي، العقيدة السرية، لندن، 1888، ص 171، 225، 255، 888 (المجلد 1). II)، مقتبس من الموقع المذكور في الملاحظة 54 أعلاه.

59. هيلينا ب. بلافاتسكي، إيزيس مكشوفة، لندن، 1876، المجلد. الجزء الثاني، ص 2.

60. المرجع نفسه، ص 292.

61. المرجع نفسه، ص 482.

62. المرجع نفسه، ص 507.

63. رسالة خاصة لي من روبرت لومس، بتاريخ 19 نوفمبر 2004، تتضمن اقتباسًا من طقوس ماسونية.

64. المرجع نفسه.

65. المرجع نفسه.

66. المرجع نفسه.

67. المرجع نفسه.

68. كريس كرانمر: هدد بمقاضاة البحرية الملكية بتهمة التمييز الديني إذا لم يُسمح له بالعبادة على متن السفينة.

69. يجب التأكيد على أن الشيطانية ليست مرادفة بأي حال من الأحوال للسحر الحديث، أو الويكا - وهي ديانة ما قبل المسيحية تعتمد إلى حد كبير على الطبيعة، والتي تكرم كل من الإله والإلهة. لسوء الحظ، فإن الويكا بحد ذاتها تقع خارج نطاق هذا الكتاب.

70. مثل مقال "الشيطان والبحر الأزرق العميق: البحرية تمنح البركة للبحار الشيطاني" بقلم هيلين كارتر في صحيفة الغارديان، يوم الإثنين 25 أكتوبر 2004. أنا مدين للموظفين في Meghna Grill NW8 لتزويدي بهذه المقالة بكل لطف.

71. قالت آن ويديكومب، الوزيرة السابقة في حزب المحافظين والمتحولة إلى الكاثوليكية:

"الشيطانية خطأ." من الواضح أن المعتقدات الخاصة للأفراد في أي مكان - بما في ذلك القوات المسلحة - هي شأن خاص بهم، لكنني آمل ألا تنتشر... لا ينبغي أن يكون هناك أي شك على الإطلاق بشأن السماح بممارسة الطقوس الشيطانية على متن السفن البحرية. إن الله نفسه يمنح الإرادة الحرة، ولكنني أود أن أعتقد أنه إذا تقدم شخص ما إلى البحرية وقال إنه شيطاني اليوم، فإن ذلك من شأنه أن يثير دهشتها إلى حد ما. مقتبَسٌ في المرجع نفسه

72. المرجع نفسه.

73. المرجع نفسه.

74. أنطون ساندور لافي، الكتاب المقدس الشيطاني، نيويورك، 1969، المقدمة.

75. المرجع نفسه.

76. المرجع نفسه.

77. المرجع نفسه، ص 50.

78. المرجع نفسه، ص 34.

79. المرجع نفسه، ص 155.

80. المرجع نفسه، ص 103.

81. فرانسيس إكس. كينج، (محرر)، كراولي عن المسيح، لندن، 1974، المقدمة.

82. المرجع نفسه.

83. مقتبس من كتاب توبياس تشورتون، الفلسفة الغنوصية، ليتشفيلد، 2003، ص 302.

84. مأخوذ من تعليق كراولي على كتاب الشريعة، الذي كتبه في نزل الجريد في نفطة بتونس، سبتمبر 1923. مقتبس في تشورتون، ص 310.

85. أليستر كراولي، كتاب تحوت (التارو المصري)، يورك بيتش، مين، 1944، ص 96.

86. المرجع نفسه.

87. محرر. جون سيموندز وكينيث جرانت، اعترافات أليستر كراولي، لندن، 1978.

88. تشورتون، ص 319.

89. المرجع نفسه.

90. سيموندز وجرانت.

91. أليستر كراولي، كتاب الشريعة، مقتبس في تشورتون، ص 318.

92. بمحض الصدفة التقيت بشخصين كان أقاربهما ملعونين من قبل كراولي. أخبرني وكيل أعمالي، جيفري سيمونز، أن والده تلقى لعنة من الوحش العظيم، والتي لحسن الحظ لم يكن لها أي تأثير سوى إثارة اشمئزاز كل من سمع عنها. وكان من بين الأشخاص الذين لُعنوا أيضًا بول سيفكينج، المحرر المشارك في صحيفة فورتيان تايمز، والذي لُعن والده لانس على يد كراولي. مرة أخرى، فشلت.

93. تشورتون، ص 304.

94. المرجع نفسه، ص 315.

95. كراولي عن المسيح، ص 106.

96. ويقال أنه عندما رفض، لعنه كراولي بالموت خلال يومين من وفاته (الوشيكة). لقد استسلم الطبيب في الموعد المحدد.

97. لافي، ص 76.

98. ويلسون، ص 27.

خاتمة مفتاح لوسيفر

1. ديسمبر 2004 يُقدَّر أن هناك حوالي 15 ألف من المندائيين المتبقين في العراق، ولكن الأمم المتحدة تصنفهم رسميًا على أنهم "شعب في خطر". لقد تُركوا لوحدهم إلى حد كبير في ظل نظام صدام: ولم تبدأ مشاكلهم الحقيقية إلا بعد الغزو.

2. هوارد بلوم، مبدأ لوسيفر، نيويورك، 1995، ص 330.

3. «مستر بين يدافع عن حق الضحك»، صحيفة الديلي ميل، الثلاثاء 7 ديسمبر 2004. ويهدف الاقتراح إلى منع أي شخص من استخدام لغة قد تسيء إلى شخص ما على أساس دينه. وسوف يواجه المدانون عقوبة تصل إلى السجن سبع سنوات.

4. ماركو بيشوف، الفوتونات الحيوية - الضوء في خلايانا (1995)، مقتبس من .www.transpersonal.de/mbischof/englisch/webbookeng.htm

5. من المؤكد أن العلم السيئ الوحيد هو العلم الذي يسعى إليه عقل مغلق ذو أفكار مسبقة وأجندة سرية.

6. كولن ويلسون، «الشيطان والبحر الأزرق العميق»، صحيفة الديلي ميل، الثلاثاء 26 أكتوبر 2004.

7. لما أصبح كتابه "قوى الظلام، قوى النور".

8. ويلسون/ميل.

9. فرانسيس إكس. كينغ، «الكلمة المتجسدة»، كتاب «غير المفسّرين»، حوالي عام 1981، ص 1693.

10. «مهووس بالمخدرات والموت، انحدار نحو الشر»، بقلم بيتر ألين وجريس ماكلين، صحيفة الديلي ميل، 22 يناير 2005.

11. لوسي هيوز هاليت، «كن خائفًا جدًا»، صنداي تايمز كالتشر، 6 مارس 2005، ص 51.

12. المرجع نفسه.

13. إريكا جونج، الساحرات، (لندن) 1981، ص 172.

شكر وتقدير

وكما جرت العادة، فقد ساهم عدد كبير من الأصدقاء والزملاء الطيبين والداعمين والمتسامحين بشكل مباشر أو غير مباشر في ولادة هذا الكتاب وكتابته. وقد نجح التالي اسماءهم على وجه الخصوص بطريقة أو بأخرى في الحفاظ على الروح المعنوية للمؤلف وإيصال العرض إلى الطريق.

شكر خاص لـ:

كلايف برينس، صديقي وزميلي المتميز، لدعمه الدائم وراحته، واستعداده للإشارة إلى الأوقات التي لا داعي فيها للقلق، وفعالية الكاري التايلاندي في علاج معظم الأمراض، ناهيك عن اكتشافه السخي وترجمته لمقاطع فرنسية مختلفة وتوفير المراجع التي يصعب الوصول إليها. لقد كان أفضل عقد على الإطلاق!

ديبي بنستيد، لإلهامي لكتابة هذا الكتاب في المقام الأول بحماسها للوسيفر الحقيقي، وكرمها الأسطوري كمضيفة. لا أعتقد أننا وصلنا إلى هناك بعد، رغم ذلك...

شيلا وإريك تايلور، الذين لا تعرف لطفهم الدائم وكرم ضيافتهم الشمالية حدودًا، والذين يمنحهم الراحة في أوقات التوتر أو الضيق وجهًا مختلفًا تمامًا للعالم. إن مثل هذه المعززات الحقيقية للحياة قليلة ومتباعدة.

كريج أوكلي، صديق قديم ومتفهم للغاية، يعرف كل شيء عن السنوات التي أدت حتمًا إلى تأليف هذا الكتاب.

جيفري سيمونز، وكيل أعمالي وصديقي، لدعمه.

نايجل فوستر، بدون لطفه لم يكن من الممكن إنتاج التاريخ السري للوسيفر حرفيًا.

روبرت لومس، لمساهمته السخية في القسم الخاص بالماسونية - وكل ذلك في لحظة!

غراهام فيليبس، لنصيحته الجيدة. وفقط لكونه نفسه.

إيفان كارترايت، لحسن ضيافته وروح الدعابة لديه واهتمامه الشديد بموقع الويب. سيكون هناك واحد، في أحد الأيام...

في كونستابل، كريستينا جرين، غاري تشابمان وسارة مور. شكرا

لصبركم وروح دعابتكم - ناهيك عن استعدادكم غير المعتاد لتمديد المواعيد النهائية.

تشارلز وأنيت فوكس، الأصدقاء القدامى الذين نقدر كرم ضيافتهم وتشجيعهم.

أصدقائي في يورك: ديفيد بيل، ومويرا هاردكاسل، وريتشارد هاردكاسل، لاهتمامهم الدائم ودعمهم، بالإضافة إلى تجارب الضحك السخيفة والنبيذ الساخن، والكثير والكثير على مدار سنوات عديدة أكثر مما يرغب أي منا في تذكره.

جميع أعضاء "NoNamers" الموهوبين والودودين، تقديرًا للعديد من المناقشات الممتازة والكثير من الضحك، وخاصةً آندي وسوزي كولينز، وإيان لوتون وكارولين وايز.

لو تيت - من الجميل أن أعود للتواصل بعد كل هذا الوقت!

شكرًا أيضًا لجاين بيرنز؛ وكريستي فيرن؛ وكارينا فيرنلي؛ و"جيوفاني"؛ وجون جلاسكوك؛ وهانا ر. جونسون؛ وأوكتافيا كيني؛ وجين لايل؛ وجون وجوي ميلار.

موظفو المكتبة البريطانية ومكتبة سانت جونز وود.

ولعقود من الإلهام - من غير كولن ويلسون؟

ثبت مراجع مختارة

هناك مئات الكتب عن لوسيفر، الشيطان/سيتن، الشر والمواضيع المرتبطة به، ولكن هذه مجرد عينة من النصوص الأكثر قيمة.

(حيثما أمكن، يتم تقديم إصدارات الغلاف الورقي.) (يمكن العثور على عناوين أخرى في الملاحظات والمراجع.)

أحمد، رولو، الفن الأسود، منشورات آرو المحدودة، لندن، 1966. نُشرت لأول مرة في عام 1936.

بايجنت، مايكل، وريتشارد لي، محاكم التفتيش، بنغوين، لندن، 2000.

بايجنت، مايكل، ريتشارد لي وهنري لينكولن، الدم المقدس والكأس المقدسة، جوناثان كيب، لندن، 1982؛ طبعة منقحة؛ أرو، لندن، 1996.

بيركس، والتر و ر. أ. جيلبرت، كنز مونتسيجور، دار أكواريان للنشر، لندن، 1990.

بلافاتسكي، هـ. ب.، كسف نقاب إيزيس، مطبعة الجامعة الثيوصوفية، باسادينا، كاليفورنيا، 1988، نُشرت أصلاً عام 1876.

-العقيدة السرية، مطبعة الجامعة الثيوصوفية، باسادينا، 1888.

بلوم، هوارد، مبدأ لوسيفر: رحلة علمية إلى قوى التاريخ، مطبعة أتلانتيك الشهرية، نيويورك، 1995.

براملي، سيرج، ليوناردو: الفنان والإنسان، مايكل جوزيف، لندن، 1992؛ نُشر لأول مرة تحت عنوان ليونارد دافنشي، إصدارات جان كلود لاتيس، باريس، 1988.

كامبل، جوزيف، قناع الله: الأساطير الإبداعية، بنغوين، نيويورك، 1959.

تشورتون، توبياس، البناؤون الذهبيون: الخيميائيون، والصليب الوردي ، والماسونيون الأحرار الأوائل، سيجنال للنشر، ليتشفيلد، 2002.

- الفلسفة الغنوصية، دار نشر سيجنال، ليتشفيلد، 2003.

كولينز، أندرو، كأس القرن الحادي والعشرين: البحث عن أسطورة، العذراء،

لندن، 2004.

كراولي، أليستر، كتاب تحوت، صموئيل وايزر، يورك بيتش، مين، 1944.

من تروا، كريتيان، ترجمة. بيرتون رافيل، بيرسيفال: قصة الكأس المقدسة، مطبعة جامعة ييل، نيو هافن، الولايات المتحدة الأمريكية، 1999. نُشرت أصلاً في القرن الثاني عشر.

دي فوراجين، جاكوبس، الأسطورة الذهبية: قراءات عن القديسين، ترجمة. ويليام جراير رايان، مجلدان، مطبعة جامعة برينستون، 1993.

دراور، إي. إس.، المندائيون في العراق وإيران: طقوسهم، عاداتهم، سحرهم، أساطيرهم وفولكلورهم، مطبعة كلارندون، أكسفورد، 1937.

فريزر، السير جيمس ج.، الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين، ماكميلان، لندن، 1922.

فريك، تيموثي وبيتر غاندي، يسوع والإلهة، ثورسونز، لندن، 2002.

جودوين، مالكولم، الكأس المقدسة: أصولها وأسرارها ومعناها المكشوف، بلومزبري، لندن، 1994.

هاربور، باتريك، الواقع الظواهر الغامضة: فهم لقاءات العالم الآخر، دار أركانا للبطريق، لندن، 1995.

هاسكينز، سوزان، مريم المجدلية، هاربر كولينز، لندن، 1993.

هويسمانز، ج. ك.، ترجمة. تيري هيل، الملعونون، دار نشر بنجوين كلاسيكس، لندن، 2001. نُشرت لأول مرة في باريس تحت عنوان Ld Bas (هناك)، عام 1891.

إنستيتوريس، هنريكوس، المطرقة ماليفيكاروم لهاينريش كرامر وجاكوب سبرينغر، منشورات دوفر، نيويورك، 1971.

جيمس الأول وبول تيس، علم الشياطين، شجرة الكتب، نيويورك، 2002. نُشر لأول مرة في لندن عام 1597.

جونز، جوين وتوماس جونز (ترجمة وتحرير)، The Mabinogion، J. M. Dent & Sons، London، 1974.

جونغ، إريكا، رسم جوزيف أ. سميث، الساحرات، غرناطة، لندن، 1988.

جوزيفوس، فلافيوس، الحرب اليهودية، رانس. ج.أ.ويليامسون، بنغوين، لندن، 1970.

الملك، فرانسيس (المحرر)، كراولي عن المسيح، شركة سي دبليو دانيال المحدودة، 1974.

لافي، أنطون ساندور، الكتاب المقدس الشيطاني، نيويورك، دار نشر أفون (هاربر كولينز)، 1969.

-الطقوس الشيطانية، دار نشر أفون، نيويورك، 1972.

-دفتر الشيطان، دار فيرال، لوس أنجلوس، 1992.

ليتون، بنتلي، الكتب المقدسة الغنوصية، مطبعة إس سي إم، لندن، 1987.

ليفي، إليفاس، تاريخ السحر، ترجمة. وايت، ويليام رايدر وأولاده، لندن، 1913؛ نُشر لأول مرة باسم Histoire de la magie، جيرمر بيلبير، باريس، 1860.

لومس، روبرت، الكلية غير المرئية: الجمعية الملكية والماسونية وولادة العلم الحديث، هيدلاين، لندن، 2002.

لوكرت، كارل دبليو، الضوء المصري والنار العبرية، مطبعة جامعة ولاية نيويورك، نيويورك، 1991.

مان، أ.ت.، وجين لايل، الجنسانية المقدسة، كتب العناصر، شافتسبري، 1996.

ماركال، جان، المترجم. جون جراهام، مونتسيجور ولغز الكاثار، التقاليد الداخلية، روتشستر، فيرمونت، 2003. نُشر في الأصل باسم Montsegur et l'enigme cathare بواسطة إصدارات Pymalion/Gerard Watelet، باريس، 1986.

ميد، ج. ر. س.، بيستيس صوفيا، شركة كيسنجر للنشر، كيلا، مونتانا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1921.

- سمعان الساحر: مقال، جمعية النشر الثيوصوفية، لندن، 1892.

ماكجراث، أليستر إي.، تاريخ موجز للجنة، دار نشر بلاكويل، ميدن، ماساتشوستس، الولايات المتحدة الأمريكية، 2003.

ميلتون، جون، محرر. كريستوفر ريكس، محرر السلسلة، جون هولاندر، مقدمة بقلم سوزان وودز، الفردوس المفقود والفردوس المستعاد، دار نشر بنغوين، لندن، 2001. نُشرت لأول مرة في عام 1667.

ناتاف، أندريه، السحر، دبليو آند آر تشامبرز، إدنبرة، 1991؛ نُشرت لأول مرة تحت عنوان Les Maltres de I'occultisme، بورداس، باريس، 1988.

باجلز، إيلين، الأناجيل الغنوصية، دار نشر بنغوين، لندن، 1982.

-أصل الشيطان، دار نشر فينتيج، نيويورك، 1996.

باتاي، رافائيل، الإلهة العبرية، (الطبعة الثالثة)، مطبعة جامعة ولاية واين، ديترويت، 1990.

بيكنيت، لين، مريم المجدلية: إلهة المسيحية الخفية، روبنسون،

لندن، 2003.

بيكنيت، لين وكلايف برينس، كشف فرسان الهيكل: حراس سريون للهوية الحقيقية للمسيح، دار نشر كورجي، لندن، 1998.

- مؤامرة بوابة النجوم، دار نشر وارنر، لندن، 1999.

كفن تورينو: على صورة من؟ كيف خدع ليوناردو دافنشي التاريخ، دار نشر كورجي، لندن، 2000.

بايك، ألبرت، الأخلاق والعقيدة، لايتنينج سورس المملكة المتحدة المحدودة، لندن، 2004.

ران، أوتو، محكمة لوسيفر، إصدارات بارديس، بويزو، 1994. نُشرت أصلاً تحت عنوان "محكمة لوزيفر"، دار نشر الأبحاث والثقافة الشاملة، برلين، 1937.

ريدجروف، بيتر، الإلهة السوداء والحاسة السادسة، دار بالادين، لندن، 1989.

رودس، هنري، ت. ف.، القداس الشيطاني، دار نشر آرو، لندن، 1954. روبنسون، جون أ.

ت.، أولوية جون، مطبعة إس سي إم، لندن، 1985.

رو، جوزيف (مترجم) إنجيل مريم المجدلية، التقاليد الداخلية، روتشستر، الولايات المتحدة الأمريكية، 2002.

رودولف، كورت، المندائية، إي. جيه. بريل، ليدن، 1978.

راسل، جيفري بيرتون، السحر في العصور الوسطى، مطبعة جامعة كورنيل، إيثاكا ولندن، 1972.

-الشيطان: التقليد المسيحي المبكر، مطبعة جامعة كورنيل، إيثاكا ولندن، 1981.

-لوسيفر: الشيطان في العصور الوسطى، مطبعة جامعة كورنيل، إيثاكا ولندن، 1984.

سميث، مورتون، إكليمندس الإسكندري وإنجيل مرقس السري، مطبعة جامعة هارفارد، كامبريدج، ماساتشوستس، 1973.

-الإنجيل السري: اكتشاف وتفسير الإنجيل السري بحسب مرقس، جولانكز، لندن، 1973.

-يسوع الساحر، فيكتور جولانكز، لندن، 1978.

ستويانوف، يوري، التقليد الخفي في أوروبا، أركانا، لندن، 1994.

سامرز، القس مونتيجو، تاريخ السحر، مطبعة ميستيك، لندن، 1925.

ووكر، بنيامين، الغنوصية: تاريخها وتأثيرها، دار أكواريان للنشر، ويلينغبورو، نورثامبتون، 1983.

ووكر، باربرا، موسوعة المرأة للأساطير والأسرار، هاربر كولينز، سان فرانسيسكو، 1983.

ويلبورن، أندرو، (مقدمة وتعليق)، الغنوصية: الأسرار والمسيحية: مختارات من كتابات الأسينيين والغنوصيين والمسيحيين، دار فلوريس للنشر، إدنبرة، 1994.

وايت، مايكل، إسحاق نيوتن: الساحر الأخير، دار النشر الرابعة، لندن، 1998. ويلسون، كولين، العلوم الخفية، هودر وستوتون، لندن، 1971.

ولفرام فون إشنباخ، بارزيفال، (ترجمة. أ. ت. هاتو، بنغوين، لندن، 1980. نُشرت أصلاً في أوائل القرن الثالث عشر.

فينشي، ليو، بان: إله الطبيعة العظيم، دار نبتون للنشر، لندن، 1993. يالوم، مارلين، تاريخ الزوجة، هاربر كولينز، نيويورك، 2001.

ييتس، فرانسيس، تنوير الصليب الوردي ، روتليدج وكيجان بول، لندن، 1972.

Revealing the secrets of Leonardo's Luciferan symbols – the real Da Vinci code

In her revelatory new account of an old religion, Lynn Picknett explains that Lucifer literally means "the light bringer" and that ancient Luciferan cults believed in the enlightenment of humankind and the deepening of human knowledge.

Lucifer was a personification of the Morning Star, the planet Venus and its goddess. "He" was therefore originally "she" — a divine representation of love, light and human warmth. Indeed, many ancient goddesses were known as Lucifera — an honour extended to Mary Magdalene in her true role as goddess-worshipping priestess and Christ's successor. The early Christian Church appropriated the name Lucifer to give to the archangel who was banished from heaven, and it later became synonymous with darkness and the Devil. Yet through history many great thinkers have covertly followed the old Luciferan way, and most famous of them all was Leonardo da Vinci. He encrypted the symbols of his heretical beliefs in his work, visible only to those who have the key.

Lynn Picknett has a worldwide following, and her biography of *Mary Magdalene* (2003) has become an international bestseller.

CARROLL & GRAF
An imprint of Avalon Publishing Group, Inc
Distributed by Publishers Group West

Cover design and illustration by joeroberts.co.uk
$14.95

ISBN-13: 978-0-78671-761-3
ISBN-10: 0-7867-1761-0
90000>
9 780786 717613